



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



ارسلنا
عليكم يا صابغ
الرماد

www. **Ghaemiyeh** .com
www. **Ghaemiyeh** .org
www. **Ghaemiyeh** .net
www. **Ghaemiyeh** .ir

كتاب الدعوى

م تأليف

أبي الفرج الأصفهاني حفيد إمام الحسين

المكتبة سنة 1731 هـ

مكتبة تحقيق دار الحديث الكويت

طبعة تامة جديدة، مضمومة، مخرقة
ممنوعة على جميع المخطوطات والمطبوعات بقواديسها

« ٣ - ٤ »

دار الحديث الكويت

الطبعة الأولى 1411 هـ

كتاب الدعوى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كتاب الأغاني

كاتب:

أبي الفرج الأصفهاني علي بن الحسين

نشرت في الطباعة:

دار احياء التراث العربي

رقمي الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

5	الفهرس
27	الأغاني المجلد 3
27	هوية الكتاب
27	اشارة
31	تمة التراجم
31	اشارة
31	17 - ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه
31	نسبه:
31	أخذه بثأر أبيه وجدّه واستعانته في ذلك بخدّاش بن زهير:
36	استشهد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم شعره وأعجب بشجاعته:
38	أنشد النابغة من شعره فاستجاده:
40	صفاته الجثمانية:
40	أمر حسان الخنساء بهجوه فأبت:
40	عرض عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الإسلام فاستنظره حتى يقدم المدينة:
40	قتله الخزرج بعد هدأة الحرب بينهم وبين الأوس:
42	مهاجاته حسان بن ثابت:
44	غنت عزة الميلاء النعمان بن بشير بشعره:
46	حسان بن ثابت وزوجه عمرة بنت الصامت وما قاله فيها من الشعر بعد طلاقها:
46	اشارة
46	صوت
50	صوت
52	الحرب بين مالك بن العجلان و بني عمر بن عوف وسبب ذلك:
52	اشارة

62 18 - ذكر طويس وأخباره

62 إشارة

62 اسمه وكنيته:

62 أول من غنى بالعربية في المدينة وألقى الخنث بها:

62 شؤمه:

62 إشارة

62 صوت

64 كان يحب قريشا ويحبونه:

64 كان يلقب بالذائب وسبب ذلك:

64 مروان بن الحكم والنغاشي المخنث:

66 طلبه مروان في المخنثين ففر منه حتى مات:

66 هيت المخنث وبادية بنت غيلان:

68 ضافه عبد الله بن جعفر فأكرمه وغناه:

70 عرض بسعيد بن عبد الرحمن في شعر غناه فأغضبه:

72 ملح ابن سريح غناه:

74 تبع جارية فزجرته ثم تغنى بشعر:

74 حديث طويس والرجل المسحور:

76 قصة عروة وامراته سلمى الغفارية:

76 كان يغري بين الأوس والخزرج ويتغنى بالشعر الذي قيل في حروبهم:

78 سبب الحرب بين الأوس والخزرج:

80 أنشد عمر بن عبد العزيز شيئا من شعره وقال هو أنسب الناس:

81 ومما في المائة المختارة من أغاني طويس صوت

81 أصوات من المائة المختارة:

81 صوت من المائة المختارة من صنعة قفا النجار

- 83 صوت من المائة المختارة .
- 84 19 - ذكر الدارمي وخبره ونسبه .
- 84 نسبه وكان من الشعراء وأرباب النوادر: .
- 84 شيب بذات خمار أسود فنفتت الخمر السود و لم تبق فتاة إلا ليسته: .
- 84 اشارة .
- 84 صوت .
- 85 بخله و ظرفه: .
- 87 الدارمي و عبد الصمد بن علي: .
- 87 الدارمي مع نسوة من الأعراب: .
- 89 الدارمي و الأوقص القاضي: .
- 89 نادرة له مع عبد الصمد بن علي: .
- 89 نادرة له في مرضه: .
- 89 صوت من المائة المختارة .
- 92 20 - أخبار هلال و نسبه .
- 92 نسبه و هو شاعر أموي شجاع أكل: .
- 92 كان المغيرة بن قنبر يعوله فلما مات رثاه: .
- 94 كان عادي الخلق صبورا على الجوع: .
- 94 حكايات عن قوته: .
- 98 صارع في المدينة عبدا بأمر أميرها: .
- 99 قتل رجلا من بني جلان استجار بمعاذ فقبض عليه للثأر منه، ثم فر إلى اليمن و شعره في ذلك: .
- 106 أدى عنه ديسم الدية لبني جلان فمدحه: .
- 108 أعان قميير بن سعد على بكر بن وائل و قال في ذلك شعرا: .
- 110 حبسه بلال بن أبي بردة و أفنكه فيسم: .
- 110 الحديث عن هلال في نهمة و كثرة أكله: .
- 112 حدّث أبو عمرو بن العلاء أنه لم ير أطول منه: .

- 112 غنى مخارق الرشيد فأعتقه:
- 116 صوت من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه ..
- 117 21 - أخبار عروة بن الورد ونسبه ..
- 117 نسبه، شاعر جاهلي فارس جواد مشهور: ..
- 117 كان يلقب بعروة الصعاليك وسبب ذلك ..
- 117 شرف نسبه وتمنى الخلفاء أن يصاهروه أو يتنسبوا إليه: ..
- 119 قال الحظيئة لعمر بن الخطاب كنا نأتم في الحرب بشعره: ..
- 119 قال عبد الملك إنه أجود من حاتم: ..
- 119 منع عبد الله بن جعفر معلم ولده من أن يرويه قصيدة له يحث فيها على الاغتراب: ..
- 119 خبر عروة مع سلمى سبيته وفداء أهلها بها: ..
- 123 كان يجمع الصعاليك ويكرمهم ويغير بهم: ..
- 125 أغار مع جماعة من قومه على رجل فأخذ إبله وامرأته ثم اختلف معهم فهجاهم: ..
- 127 سبي ليلى بنت شعواء ثم اختارت أهلها فقال شعرا: ..
- 129 خرج ليغير فمنعته امرأته فعصاها وقال في ذلك شعرا: ..
- 131 قصته مع هزلي أغار على فرسه: ..
- 133 قصة غزوة لماوان وحديثه مع غلام تبين بعد أنه ابنه: ..
- 136 صوت من المائة المختارة ..
- 137 22 - ذكر ذي الإصبع العدواني ونسبه وخبره ..
- 137 نسبه وهو شاعر فارس جاهلي: ..
- 137 فنيث عدوان فرثاها: ..
- 137 اشارة ..
- 137 صوت ..
- 139 من قرعت له العصا: ..
- 139 استعراض عبد الملك بن مروان أحياء العرب وسؤاله عن ذي الإصبع: ..
- 143 قصته مع بناته الأربع وقد أوردن الزواج: ..

147 خرف وأهتر وقال في ذلك شعرا:

147 اشارة

147 صوت

149 وصيته لابنه عند موته:

149 اشارة

151 صوت

153 استشهد معاوية قيسيا شعره وزاد في عطائه:

153 شعره في ابن عمه و قد عاداه:

157 سبب تفرق عدوان و تقائلهم:

157 قصيدته النونية:

161 قصيدته في رثاء قومه:

163 شعر أمامة بنت ذي الإصبع في رثاء قومها:

165 شعره في الكبير:

166 23 - ذكر قبيل مولى العبلات

166 اشارة

166 ولاؤه و غناؤه:

166 اشارة

166 صوت

166 أبو دهبيل الجمحي:

170 صوت من المائة المختارة

172 صوت من المائة المختارة

173 24 - خير غريض اليهودي

173 اشارة

173 نسبه و أصل قومه:

173 نسب له شعر هو لورقة بن نوفل:

تمثلت عائشة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعر نزل بمعناه الوحي: 173

25 - ذكر ورقة بن نوفل ونسبه 177

نسبه وهو جاهلي اعتزل عبادة الأوثان: 177

نسبة ما في هذا الشعر من الغناء 177

اشارة 177

صوت 177

رأى بلالا يعذب لإسلامه فقال شعرا: 179

مدح النبي صلى الله عليه وسلم له والنهي عن سبه: 181

26 - خير زيد بن عمرو ونسبه 182

نسبه من قبل أبويه: 182

اعتزل عبادة الأوثان وكان يعيب قريشا: 182

أخرجه عن مكة خطاب بن نقيل وقريش لمخالفته دينهم: 182

شعره في ترك عبادة الأوثان: 183

امتناعه عن ذبائح قريش وقصته مع النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك: 185

اجتمع بالشام مع يهودي نصراني فسألها عن الدين واعتق دين إبراهيم: 185

بلغته البعثة فخرج من الشام فقتله أهل ميفعة: 187

قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: إنه يأتي يوم القيامة أمة وحده: 187

زهير بن جناب وشعره في الكبر: 187

ملرح الريح وسبب هذه التسمية: 189

اشارة 189

صوت 189

سعية بن غريض وشعره وهو يحضن: 189

اشارة 189

صوت 189

سعية بن غريض ومعاوية بن أبي سفيان: 189

- 189 اشارة
- 191 صوت
- 193 27 - أخبار ابن صاحب الوضوء ونسبه
- 193 نسبه وولاهه و سبب تسمية أبيه:
- 193 مدح يونس الكاتب غناء:
- 193 نقل أبو مسلمة لعبد الله بن عامر صوتا فغناه في المحراب:
- 195 صوت من المائة المختارة التي رواها علي بن يحيى
- 196 28 - أخبار بشار بن برد ونسبه
- 196 اشارة
- 196 نسبه و كنيته و طبقته في الشعراء:
- 196 وولاهه لبني عقيل:
- 198 كان أبو طيانا و قد هجاه بذلك حماد عجرد:
- 200 أنشد للمهدي شعرا في أنه عجمي بحضرة أبي دلالة:
- 200 كان كثير التلون في ولاته للعرب مرة و للعجم أخرى:
- 202 كان يلقب بالمرعث و سبب ذلك:
- 204 كان أشد الناس تيرما بالناس:
- 204 صفاته:
- 204 ولد أعمى و هجى بذلك و شعره في العمى:
- 206 كان يقول أزري بشعري الأذان:
- 206 قال الشعر و هو ابن عشر سنين:
- 206 هجا جريرا فأعرض عنه استصغارا له:
- 206 كان الأصمعي يقول هو خاتمة الشعراء:
- 208 جودة نقده للشعر:
- 208 له اثنا عشر ألف قصيدة:
- 208 رأى أبي عبيدة فيه و في مروان بن أبي حفصة:

- 210 كلام الجاحظ عنه: ..
- 210 كان يدين بالرجعة و يكفر جميع الأمة:
- 210 هجا واصل بن عطاء فخطب الناس بالحادة و كان يتجنب في خطبه الراء:
- 212 هو أحد أصحاب الكلام الستة:
- 212 رأى الأصمعي فيه و في مروان بن أبي حفصة:
- 214 مقارنته بامرئ القيس و القطامي:
- 214 اشارة
- 214 صوت
- 214 مقارنة بينه و بين مروان بن أبي حفصة:
- 216 كان شعره سيارا يتناشده الناس:
- 216 لم يأت في شعره بلفظ مستنكر:
- 216 هو أول الشعراء في جملة من أغراض الشعر:
- 218 نسبة ما في هذا الخبر من الأشعار التي يغنى فيها صوت
- 218 هجا صديقه ديسما لأنه يروي هجاءه:
- 220 مزاحه مع حمدان الخراط:
- 220 مفاخرة جرير بن المنذر السدوسي له و ما قاله فيه بشار من الشعر:
- 222 نقده للشعر:
- 222 اعتداده بنفسه:
- 222 وعدته امرأة و اعتذرت فعاتبها بشعر:
- 224 كان إسحاق الموصللي لا يعتدّ به و يفضل عليه مروان:
- 224 أنشد إبراهيم بن عبد الله هجوه للمنصور و لما قتل غيرها و جعلها في هجو أبي مسلم:
- 227 حديث بشار في المشورة:
- 228 بشار و المعلى بن طريف:
- 228 بشار و يزيد بن منصور الحميري:
- 228 ترك جواب رجل عاب شعره للؤمه:

- 230 وصف قاص قصرا كبيرا في الجنة فعابه:
- 230 سمع صخبا في الجيران فقال كأن القيامة قامت:
- 230 نكتة له مع رجل رمحته بغلة فشكر الله:
- 232 نوادره:
- 232 سئل عن شعره الغث فأجاب:
- 234 كان يحشو شعره بما لا حقيقة له تكميلا للقافية:
- 236 شعره في قينة:
- 238 أغضبه أعرابي عند مجزأة بن ثور فهجاه:
- 240 خشي لسانه حاجب محمد بن سليمان فأذن له بالدخول:
- 240 بشار و هلال الرأي:
- 240 ذم أناسا كانوا مع ابن أخيه:
- 242 كان دقيق الحس:
- 242 حديثه مع نسوة أتينه يأخذن شعره لينحن به:
- 242 اشارة
- 242 صوت
- 244 نهاه مالك بن دينار عن التشبيب بالنساء فقال شعرا:
- 244 شعره في محبوبته فاطمة:
- 246 عبث به رجل من آل سوار فلم يجبه:
- 248 ملح خالد البرمكي:
- 248 بشار و صديقه تسنيم بن الحواري:
- 250 الملاحاة بينه و بين عقبة بن روية في حضرة عقبة بن سلم:
- 252 كان يهوى امرأة من البصرة و قال فيها الشعر لما رحلت:
- 252 اشارة
- 254 صوت
- 254 صوت

- 254 بشار و أبو الشمقمق:
- 254 بشار و أبو جعفر المنصور:
- 256 كان له شعر غث يعير به:
- 256 إشارة
- 258 صوت
- 258 أنشده أبو النضر شعره فاستحسنه:
- 258 حاول تقبيل جارية لصديق له و قال شعرا يعتذر فيه عن ذلك:
- 260 كتب شعرا على باب عقبة يستنجزه وعده:
- 260 نهى المهدي له عن التشبيب بالنساء و سبب ذلك:
- 264 ورد على خالد البرمكي بفارس و امتدحه:
- 264 تظاهر بالحج و خرج لذلك مع سعد بن القعقاع:
- 266 أنكر عليه داود بن رزين أشياء فأجابه:
- 266 بشار و الثقلاء:
- 266 أنشد الوليد بن يزيد شعره في المزاج بالريق فطرب:
- 268 هجا جاره أبا زيد فهجاه:
- 268 شعره في قبينة:
- 270 شعره في عقبة بن سلم:
- 270 إشارة
- 270 صوت
- 270 كان خلف الأحمر و خلف بن أبي عمرو و يرويان عنه شعره:
- 272 قيل له إن فلانا سبك عند الأمير فهجاه:
- 274 شعر له في مدح خالد بن برمك:
- 274 عمر بن العلاء و مدائح الشعراء فيه:
- 274 إشارة
- 276 صوت

- 276 شعره في جارية له سوداء كان يفترشها:
- 276 ليم في مبالغته في مدح عقبة بن سلم فأجاب:
- 277 طلب منه أبو الشمقمق الجزية فرده فهجاه فأعطاه:
- 278 شعره في هجاء العباس بن محمد بن علي:
- 279 اجتمع بعباد بن عباد و سلم عليه:
- 280 جرى امرأ القيس في تشبيهه شينين بشينين:
- 280 قال يحيى: و قد أخذ هذا المعنى منصور النمرى فقال و أحسن:
- 280 كان إسحاق الموصلي يطعن في شعره و لما أنشد منه سكت:
- 280 إشارة
- 280 صوت
- 282 لما صار طاهر إلى العراق في حرب الأمين سأل عن ولد بشار ليبرهم:
- 284 غضب على سلم الخاسر لأنه سرق من معانيه:
- 284 إشارة
- 284 صوت
- 286 أنشد الأصمعي شعره في هجو باهلة فغاضه فخره بنسبه:
- 286 حديثه مع امرأة في الشيب:
- 286 أحب الأشياء إليه:
- 286 دخل إليه نسوة و طلب من إحادهن أن تواضله فلبت فقال شعرا:
- 288 اعترض مروان بن أبي حفصة على بيت من شعره فأجابه:
- 288 مدح خالد البرمكي فأجازه:
- 288 مدح الهيثم بن معاوية و أخذ جائزته:
- 290 طلب رجلا من بني زيد للمفاخرة و هجاه فانتقطع عنه:
- 292 ضمن مثلا في شعره عند عقبة بن سلم و استحق جائزته:
- 292 قصته مع قوم من قيس عيلان نزلوا بالبصرة ثم ارتحلوا:
- 294 بشار و جعفر بن سليمان:

- 294 سنل عن ميله للهجاء دون المديح فأجاب:
- 294 بشار في صباه:
- 296 أعطاه فتى ماتني دينار لشعره في مطاولة النساء:
- 296 عاب الأخفش شعره ثم صار بعد ذلك يستشهد به لما بلغه أنه همّ بهجوه:
- 298 ذمّ بني سدوس باستعانة بني عقيل:
- 300 ذم أناسا كانوا مع ابن أخيه:
- 300 سمع شعره من مغنية فطرب و قال: هذا أحسن من سورة الحشر:
- 301 سألته ابنته لما ذا يعرفه الناس و لا يعرفهم فأجابها:
- 302 سب عبد الله بن مسور أبا النصير فدافع عنه بشار:
- 302 طلب من يزيد بن مزيد أن يدخله على المهدي فسوّفه فهجاه:
- 302 قصيدته التي مدح بها إبراهيم بن عبد الله فلما قتل جعلها للمنصور:
- 304 اعترض عليه رجل لوصفه جسمه بالنحول و هو سمين:
- 305 عاتب صديقا له لأنه لم يهد له شيئا:
- 306 أخبر أنه غنى بشعر له فطرب:
- 306 مدح المهدي فلم يجزه:
- 306 هجأ روح بن حاتم فحلف ليضربنه ثم برّ في يمينه فضربه بعرض السيف:
- 308 مدح سليمان بن هشام:
- 310 استقل عطاء سليمان فقال شعرا:
- 310 مدح المهديّ بشعر فيه تشبيب حسن فنهاه عن التشبيب:
- 312 توفي ابن له فجزع عليه و تمثّل بقول جرير:
- 314 استشده صديق له شيئا من غزله فاعتذر بنهي المهديّ له عنه:
- 314 صدق ظنه في تقدير جوائز الشعر:
- 316 امتحن في صلاته فوجد لا يصلي:
- 316 جعل الحب قاضيا بين المحبين بأمر المهديّ:
- 316 نسب إليه بعضهم أنه أخذ معنى في شعره من أشعب فردّ عليه:

- 318 استشهد هجوه في حماد مجرد وعمرو الظالمي فأشيد:
- 318 مدح واصلا قبل أن يدين بالرجعة:
- 318 قال: ما كان الكميت شاعرا:
- 320 تمثل سفيان بن عيينة بشعر له:
- 320 ويخ من سأله عن منزل ففهمه ولم يفهم:
- 320 أنشده عطاء الملط شعرا فاستحسنه وأنشده شعرا على رويه:
- 320 اشارة
- 320 صوت
- 322 حاوره أحمد بن خلاد في ميله إلى الإلحاد:
- 322 عاتب بشعر فتى من آل منقر بعث إليه في الأضحية بنعجة عجفاء:
- 326 شعره في رثاء بنية له:
- 326 مدح نافع بن عقبة بن سلم بعد موت أبيه:
- 328 أجاز شعرا للمهدي في جارية:
- 328 أنشد شعرا على لسان حمار له مات:
- 330 رأيه فيما يكون عليه المجلس:
- 330 وصفه غلام بذرب اللسان وسعة الشديق:
- 330 أبطأ سهيل القرشي فيما كان يهديه له من تمر فكتب إليه يتجزه:
- 330 سأله بعض أهل الكوفة ممن كانوا على مذهبه أن ينشدهم شعرا ثم عابوه:
- 332 عشق امرأة وألح عليها فشكته إلى زوجها:
- 332 رثاؤه أصدقاءه:
- 336 وفد على عمر بن هبيرة فمدحه:
- 336 اشارة
- 338 صوت
- 338 شعره في العشق:
- 340 أنشد المهدي شعرا فلم يعطه شيئا فقال شعرا مداره الحكمة:

- 342 أنشد المهديّ شعرا في النسب فتهدده إن عاد إلى مثله:
- 346 هجا المهدي بعد أن مدحه فلما بلغه ذلك أمر بقتله:
- 348 هجا يعقوب بن داود حين لم يحفل به:
- 350 وفاة بشار:
- 352 شماتة الناس بموته و ما قيل في ذلك من الشعر:
- 354 ندم المهديّ على قتله:
- 356 29 - أخبار يزيد حوراء
- 356 ولأوه، و هو مغن من طبقة ابن جامع و الموصلّي:
- 356 كان إبراهيم الموصلّي يحسده فشاركه في جوار و تعلم إشارته منهم و أطل عليه ما انفرد به:
- 356 كان صديقا لأبي العتاهية و غنى للمهدي من شعره في عتبة فأكرمه:
- 358 كان نظيفا ظريفا حسن الوجه جميل الخصال:
- 358 رثاه صديقه أبو مالك حين مات:
- 358 إشارة
- 358 صوت
- 358 توسط لأبي العتاهية حتى ذكره للمهديّ فكلمّ فيه عتبة:
- 358 إشارة
- 358 صوت
- 360 صوت
- 360 صوت
- 360 مغالته لجارية:
- 362 صوت من المائة المختارة
- 364 30 - أخبار عكاشة العمّي و نسبه
- 364 أصل قومه بني العم مدفوع في العرب:
- 364 هجا كعب بن معدان بني ناجية و شبههم ببني العم:
- 364 أعانوا الفرزدق فهجاهم جرير:

- 364 ذكر لصديقه حميد الكاتب حبه لنعيم وشعره فيها:
- 364 اشارة
- 366 صوت
- 366 زارته نعيم و غنته ثم ذهبت فقال شعرا في ذلك:
- 366 اشارة
- 372 صوت
- 373 أنشد للمهديّ قوله في الخمر فأراد حدّه:
- 374 سمع له مثل ذلك مع الهادي:
- 374 ما غنى فيه من شعره:
- 377 31 - أخبار عبد الرحيم الدفاف و نسبه
- 377 نسبه و الخلاف في اسم أبيه:
- 377 سمعه حماد الراوية يغني:
- 377 كان منقطعا إلى عليّ بن المهديّ:
- 377 غنى في شعر عرض فيه بالرشيد فجلده:
- 377 غنى لعليّ بن المهديّ فأجازه:
- 377 اشارة
- 379 صوت
- 379 صوت من المائة المختارة
- 381 32 - أخبار الحادرة و نسبه
- 381 نسب الحادرة و سبب لقبه بذلك:
- 383 كان حسان بن ثابت معجبا بقصيدته
- 383 سبب الهجو بينه و بين زيّان بن سيّار:
- 384 غزوة بني عامر و ما قاله الحادرة فيها من الشعر:
- 387 يوم الكفافة و ما قاله الحادرة فيه من الشعر:
- 388 33 - أخبار ابن مسجح و نسبه

- 388 ولاؤه، وهو مغن أسود متقن نقل غناء الفرس:
- 388 علّم ابن سريج والغريض الغناء:
- 388 احتراق الكعبة في عهد ابن الزبير و بناؤه لها:
- 389 نقل غناء الفرس من بنائي الكعبة الذين استقدمهم ابن الزبير:
- 389 كان ولاؤه هو و ابن سريج لرجل واحد:
- 389 ابن مسجح في حديثه:
- 389 اشارة
- 389 صوت
- 391 غناء نافع الخير عند رجل من قريش:
- 393 دور معاوية بمكة:
- 393 اشارة
- 393 صوت
- 395 أخذ عنه معبد:
- 395 نفاه دحمان الأشقر و إلى مكة إلى الشام فتوصل إلى عبد الملك و غناه فعفا عنه و أمر يردّ ماله إليه:
- 396 صوت من المائة المختارة
- 399 34 - أخبار ابن المولى و نسبه
- 399 نسبه و صفته و هو شاعر من مخضرمي الدولتين:
- 399 قدم على المهدي و مدحه فأجزل صلته:
- 402 كان يشبب بليلي فسنل عنها فقال: ما هي و الله إلا قومي:
- 404 ملح يزيد بن حاتم فوهبه كل ما يملك:
- 404 كان مداحا لجعفر بن سليمان و قثم بن عباس و يزيد بن حاتم:
- 404 مرض عند يزيد ابن حاتم و أضعف يزيد صلته:
- 404 كان يمدح يزيد دون أن يراه ثم رآه بالمدينة و أنشده فأعطاه ما أغناه:
- 406 عنفه الحسن بن زيد على ذكر ليلي فقال: إنها قوسه فضحك:
- 406 كان بالعراق و تشوق إلى المدينة فقال شعرا في ذلك:

- 406 اشارة
- 406 صوت
- 408 مدح المهدي و عرض بالطالبيين فأجازه:
- 410 مدح الحسن بن زيد فعاتبه بالتعريض بأهله في مدائحه للمهدي ثم أكرمه:
- 412 مدح يزيد بن حاتم بولايته الأهواز و غلبته على الأزارقة فأجازه:
- 412 اشارة
- 412 صوت
- 414 صوت
- 416 كان عمرو بن أبي عمرو ينشد من شعره و يستحسنه:
- 416 اشارة
- 416 صوت
- 416 مدح المهدي بولايته الخلافة فأكرمه و فرض له لعياله ما يكتفيه:
- 417 اشارة
- 418 صوت
- 420 سأل عنه عبد الملك لما قدم المدينة ثم تبعه ابن المولى و أنشده فأجازه:
- 422 وقف لجعفر بن سليمان على طريقه و أنشده شعرا:
- 423 35 - أخبار عطرّد و نسبه
- 423 ولاؤه وصفته و هو مغن مقبول الشهادة فقيه:
- 423 جاءه عباد بن سلمة ليلا و طلب منه أن يغنيه:
- 423 نسبة هذا الصوت
- 423 صوت
- 425 غناء إبراهيم بن خالد المعيطي عند المهدي:
- 425 تنادر إبراهيم بن خالد المعيطي على ابن جامع:
- 427 كان عطرّد منقطعا إلى آل سليمان بن علي:
- 427 اشارة

- 427 صوت
- 427 نسبة هذا الصوت
- 427 صوت
- 427 حسبه زبراء والي المدينة مع المغنين ثم أطلقه و أطلقهم:
- 429 استقدمه الوليد بن يزيد من المدينة فغناه فطرب وألقى نفسه في بركة خمر:
- 431 نسبة هذين الصوتين
- 431 صوت من المائة المختارة
- 433 36 - أخبار الحارث بن خالد المخزومي ونسبه
- 433 نسبه من قبل أبويه:
- 433 قامر أبو لهب العاص بن هاشم على نفسه فاسترقه وأرسله بدله يوم بدر:
- 433 ذهابه مذهب ابن أبي ربيعة في الغزل، وحبه عائشة بنت طلحة و ولايته مكة:
- 435 كان أبو عمرو بن العلاء يرسل إليه أخاه معاذًا يسأله عن بعض الحروف:
- 435 هو أحد شعراء قريش الخمسة المشهورين:
- 435 تفاخر مولى له و مولى لابن أبي ربيعة بشعرهما:
- 437 فضّله كثير الشاعر في الشعر على نفسه و أنشد من شعره:
- 437 إشارة
- 437 صوت
- 439 صوت
- 439 نسبة ما في هذه الأخبار من «الأغاني» في أبيات كثير الأول
- 439 تمثل أشعب بشعره في علوّ الزبيرين على العلويين:
- 439 كان مروانبا و كل بني مخزوم زبيرية:
- 441 ذهب إلى الشام مع عبد الملك فحجبه و جفاه فقال شعرا فقرّبه و ولاه مكة:
- 441 عزله عبد الملك لأنه أخر الصلاة حتى تطوف عائشة بنت طلحة:
- 441 إشارة
- 441 صوت

- 443 نسبة ما في الأخبار من الغناء
- 443 صوت
- 443 تزوّج مصعب بعائشة ورحل بها إلى العراق فقال الحارث شعرا:
- 443 اشارة
- 443 صوت
- 445 استأذن على عائشة بنت طلحة وكتب لها مع الغريض وأمره أن يغني لها من شعره فوعده وخرجت من مكة:
- 445 غناها الغريض بشعر ابن أبي ربيعة:
- 445 صوت
- 447 غنى الغريض عائكة بنت يزيد:
- 447 اشارة
- 447 صوت
- 449 صوت
- 449 لما حجت عائشة بنت طلحة استأذنها في زيارتها فوعده ثم هربت:
- 449 سألت عنه عائشة بنت طلحة فأرسل إليها شعرا:
- 449 اشارة
- 451 صوت
- 451 غضب على الغريض ثم رق له وغناه الغريض في شعره:
- 451 اشارة
- 451 صوت
- 453 صوت
- 453 أنشئت سكينه بنت الحسين بيتا من شعره فنقدته:
- 455 قيل له ما يمنعك من عائشة وقد مات زوجها فأجاب:
- 455 تنازع هو وأبان بن عثمان ولاية الحج فغلبه أبان فقال شعرا:
- 455 قال هشام حين سمع شيئا من شعره: هذا كلام معاين:
- 457 قدمت عائشة بنت طلحة تريد العمرة فقال شعرا:

457 اشارة

457 صوت

457 شبيب بزوجه أم عبد الملك:

459 شبيب بأم بكر بعد أن رآها ترمي الجمرة وحدثها:

459 شبيب بليلى بنت أبي مرة لما رآها بالكعبة:

459 اشارة

461 صوت

463 غلبه أبان بن عثمان على الصلاة فقال فيه شعرا عرض فيه بالحجاج:

463 سأله عبد الملك عن أي البلاد أحب إليه فأجاب وقال شعرا:

463 نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

463 الغناء في شعره:

463 اشارة

464 صوت

465 صوت

469 صوت

469 صوت

471 أخر الصلاة لعائشة بنت طلحة فعزله عبد الملك ولامه فقال شعرا:

471 الغناء في شعره:

471 اشارة

471 صوت

473 صوت

475 جزعت سوداء لموت ابن أبي ربيعة فلما سمعت شعر الحارث طابت به نفسا:

475 ناضل سليمان بن عبد الملك بينه وبين رجل من أخواله:

477 37 - أخبار الأبيجر ونسبه

477 اسم الأبيجر ولقبه وولأؤه:

- نشأته: 477
- كان ولاؤه لبني كنانة وقيل لبني ليث وكان يلقب بالحساس: 477
- ظرفه وحسن لباسه وفرسه ومركبه: 477
- احتكم على الوليد بن يزيد في الغناء فأمضى حكمه: 479
- خرج معه إلى الشام: 479
- نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر 479
- صوت 479
- أخذ صوتاً من الغريض فأكرهه عطاء بن أبي رباح على سماعه: 481
- إشارة 481
- صوت 481
- ختن عطاء بنيه فاختلف إليهم ثلاثة أيام يغني لهم: 481
- نازع ابن عائشة في الغناء فتشانتما: 481
- غنى الوليد وقد عرف سرّه من خادمه فنشط له: 481
- إشارة 482
- صوت 483
- صوت من المائة المختارة من رواية جحظة 483
- 38 - أخبار موسى شهوات ونسبه وخبره في هذا الشعر 486
- نسبه وسبب لقبه: 486
- عشق جارية فأعطى بها عشرة آلاف درهم: 486
- أتى سعيد بن خالد بن عبد الله بن أسيد يستعينه في ثمن الجارية فأعانه فمدحه: 488
- رأى سعيد بن خالد العثماني في مدحه لسميه الذي أعانه هجوا له فشكاه: 488
- ذكر طائفة من أبيات القصيدة التي مدح بها سعيد بن خالد: 490
- عمل شعرا في مدح حمزة بن عبد الله بن الزبير وقبل معبد أن يغنيه له ويكون عطاؤه بينهما: 492
- عارض فاطمة بنت الحسين لما زفت إلى عبد الله بن عمرو بشعر فأجيز: 494
- هجأ داود بن سليمان لما تزوج فاطمة بنت عبد الملك: 494

- 494 مدح يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية فأجازه:
- 496 تزوج بنت داود ابن أبي حميدة فلما سنل عن جلوتها قال شعرا:
- 496 هجا أبا بكر بن عبد الرحمن حين حكم عليه و مدح سعيد بن سليمان:
- 498 هجاؤه سعد بن إبراهيم والي المدينة:
- 498 مدح عبد الله بن عمرو بن عثمان حين نفعه بعطية:
- 498 سبب عزل ابن الزبير لأخيه مصعب عن البصرة و توليته ابنه حمزة:
- 500 عزل ابن الزبير ابنه حمزة لهوجه و حمقه:
- 502 نثار النوار من الفرزدق و التجاؤها لابن الزبير و شفاعة الفرزدق بانه حمزة:
- 502 غنى معبد حمزة بن عبد الله بشعره فأجازه:
- 504 أنشد حمزة بن عبد الله شعرا و غناه إياه معبد فأجازهما:
- 504 كان من شعراء الحجاز و كان خلفاء بني أمية يحسنون إليه:
- 504 هجا داود بن سليمان بن مروان الذي تزوج فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة زوجها عمر بن عبد العزيز:
- 504 صوت من المائة المختارة
- 506 عتب عمرو بن عثمان على زوجه سكينه بنت الحسين فأرسلت إليه أشعب:
- 506 اشارة
- 506 صوت
- 508 غاضب رجل جارية كان يهواها فغنت مغنية من شعره فاصطلحا:
- 508 صوت من المائة المختارة
- 510 فهرس موضوعات الجزء الثالث
- 512 تعريف مركز

الأغاني المجلد 3

هوية الكتاب

الأغاني

المؤلفين الآخرين

مدقق لغوي ومترجم:

مكتبة تحقيق دار احياء التراث العربي

المجلدات : 25 ج

لسان: العربية

ناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت - لبنان

سنة النشر: 1415 هجرى قمرى 1994 ميلادى

رمز الكونغرس: PJA 3892 / الف 1374 6

إعداد النص الرقمي : ميثم الحيدري

ص: 1

إشارة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *

17 - ذكر قيس بن الخطيم وأخباره و نسبه

نسبه:

هو قيس بن الخطيم(1) بن عدي بن عمرو بن سود(2) بن ظفر، و يكنى قيس أبا يزيد.

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدثنا محمد بن موسى بن حماد [قال حدثنا حماد](3) بن إسحاق عن أبيه قال:

أنشد ابن أبي عتيق قول قيس بن الخطيم:

بين شكول(4) النساء خلقتها *** حذوا(5) فلا جبلة(6) ولا قصف(7)

/فقال: لو لا أن أبا يزيد قال: حذوا ما درى الناس كيف يحشون(8) هذا الموضع.

أخذه بثأر أبيه و جدّه و استعانته في ذلك بخداش بن زهير:

و كان أبوه الخطيم قتل و هو صغير، قتله رجل من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج، فلما بلغ قتل قاتل أبيه، و نشبت لذلك حروب بين قومه و بين الخزرج و كان سببها.

فأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال أخبرني أحمد بن يحيى ثعلب عن ابن الأعرابي عن المفضل قال:

كان سبب قتل الخطيم أنّ رجلا من بني حارثة بن الحارث بن الخزرج يقال له مالك اغتاله فقتله، و قيس يومئذ صغير، و كان عديّ أبو الخطيم أيضا قتل [قبله](9)، قتله رجل من عبد القيس(10)، فلما بلغ قيس بن الخطيم و عرف أخبار قومه و موضع ثأره لم يزل يلتمس غرة من قاتل أبيه و جدّه في/المواسم حتى ظفر بقاتل أبيه بيثرب فقتله، و ظفر

ص: 5

1- سمي أبوه الخطيم لضربة كانت خطمت أنفه كما في «ديوانه» طبع لبيزج سنة 1914 ص 1.

2- في أ، م و هامش ط: «سعد». و في «خزانة الأدب» للبغدادي ج 3 ص 168: «سواد».

3- هذه الجملة في ط، أ، م، ع. و ساقطة من باقي النسخ.

4- الشكول: الضروب.

5- الحذو: التقدير، و منه حذو النعل بالنعل أي تقديرها على مثالها، يريد أنها بين ضروب النساء وسط لا هي بالسمنية و لا بالمهزولة. و

في «ديوانه» و «اللسان» مادتي قصف و جبل: «قصد» و سيأتي بهذه الرواية في «الأغاني» غير مرة.

- 6- كذا في «ديوانه» و«اللسان» مادتي قصف و جبل و نسختي ط، ء. و الجبلية: الغليظة، من جبل كفرح فهو جبل و جبل. و في ب، س:
«جثلة» و الجثلة: الضخمة.
- 7- القصف: دقة اللحم، و هو وصف بالمصدر.
- 8- كذا في ي، ط، أ. و هي محرفة في سائر النسخ.
- 9- زيادة في م، أ.
- 10- كذا في أغلب النسخ. و في ب، س، ح، «بني عبد القيس».

بقاتل جدّه بذي المجاز(1)، فلما أصابه وجده في ركب عظيم من قومه، ولم يكن معه إلا رهط من الأوس، فخرج حتى أتى حذيفة بن بدر الفزاريّ، فاستنجده فلم ينجده، فأتى خدّاش بن زهير فنهض معه بنى عامر حتى أتوا قاتل عدّيّ، فإذا هو واقف على راحلته في السّوق، فطعنه قيس بحربة فقتله، ثم استمرّ. فأراده رهط الرجل، فحالت بنو عامر دونه؛ فقال في ذلك قيس بن الخطيم:

ثارت عدّيّا و الخطيم فلم أضع *** ولاية أشياخ جعلت (2) إزاءها

ضربت بذي الرّجّين (3) ربة (4) مالك *** فأبت بنفس قد أصبت شفاءها

و سامحني (5) فيها ابن عمرو بن عامر *** خدّاش فأدى نعمة و أفاءها

طعنت ابن عبد القيس طعنة ثائر *** لها نفذ لو لا الشّعاع (6) أضاءها

ملك (7) بها كفيّ فأنهرت (8) فتقها *** يرى قائم من دونها ما وراءها

هذه رواية ابن الأعرابيّ عن المفضّل. و أما ابن الكلبيّ فإنه ذكر أن رجلا من قريش أخبره عن أبي عبيدة أن محمد بن عمّار بن ياسر، و كان عالما بحديث الأنصار، قال:

كان من حديث قيس بن الخطيم أن جدّه عدّيّ بن عمرو قتله رجل من بني عمرو بن عامر بن ربيعة بن عامر بن صعصعة يقال له مالك، و قتل أباه الخطيم بن عدّيّ رجل من عبد القيس (9) ممن يسكن هجر؛ و كان قيس يوم قتل أبوه صبيا صغيرا، و قتل الخطيم قبل أن يثار بأبيه عدّيّ؛ فخشيت أم قيس على ابنها أن يخرج فيطلب بثار أبيه و جده فيهلك، فعمدت إلى كومة من تراب عند باب دارهم، فوضعت عليها أحجارا تقول لقيس: هذا قبر أبيك و جدّك، فكان قيس لا يشكّ أن/ذلك على ذلك. و نشأ أيّدا شديد الساعدين، فنازع يوما فتى من فتيان بني ظفر، فقال له ذلك الفتى: و الله لو جعلت شدّة ساعديك على قاتل أبيك و جدّك لكان خيرا لك من أن تخرجها عليّ؛ فقال: و من قاتل أبي و جدي؟ قال: سل أمك تخبرك؛ فأخذ السيف و وضع قائمه على الأرض و ذبابه (10) بين ثديه و قال لأمه:

أخبريني من قتل أبي و جدّي؟ قالت: ماتا كما يموت الناس و هذان قبراهما بالفناء؛ فقال: و الله لتخبريني (11) من قتلها أو لأتحاملنّ على هذا السيف حتى يخرج من ظهري؛ فقالت: أما جدّك فقتله رجل من بني عمرو بن عامر بن

ص: 6

1- ذو المجاز: موضع بعرفة، و كانت تقام فيه في الجاهلية سوق من أسواق العرب.

2- جعلت إزاءها: جعلت القيم عليها، يقال: هو إزاء مال أي يقوم عليه و يتعهده.

3- في «ديوانه» و ط، ء: «بذي الزرين». و الزر: حد السيف. و الزج: الحديدية في أسفل الرمح. و قد ذكرت في شرح ديوانه رواية أخرى: «بذي الخرصين» و ربما رجحها ما سيأتي بعد من حكاية قيس مع خدّاش و كيف كان قتله لمالك قاتل جده.

4- الربة: العروة، يريد موضعها.

5- سامحني: تابعني و وافقني.

6- النفذ: الثقب. و الشّعاع: حمزة الدم. و يروى: «الشّعاع» بفتح الشين و هو انتشار الدم. يريد: لو لا الدم لأضاءها النفذ حتى تستبين.

7- ملكت: شددت و ضبطت.

8- أنهرت: أوسعت.

9- انظر الحاشية رقم 3 ص 2 من هذا الجزء.

10- ذباب السيف: طرفه الذي يضرب به.

11- كذا في الأصول: من غير توكيد و هذا الوجه يجيزه الكوفيون، و البصريون يوجبون توكيد الفعل في مثل هذا الموضع بالنون (انظر «الأشموني» ج 2 ص 437 طبع بولاق).

ربيعة يقال له مالك، و أما أبوك فقتله رجل من عبد القيس(1) ممن يسكن هجر؛ فقال: والله لا أنتهي حتى أقتل قاتل أبي و جدّي؛ فقالت: يا بني إن مالكا قاتل جدك من قوم خدّاش بن زهير، و لأبيك عند خدّاش نعمة هو لها شاكر، فأته فاستشره في أمرك و استعنه يعنك؛ فخرج قيس من ساعته حتى أتى ناضحه(2) و هو يستقي نخله، فضرب الجرير(3) بالسيف فقطعه، فسقطت الدلو في البئر، و أخذ برأس الجمل فحمل عليه غرارتين من تمر، و قال: من يكفيني أمر هذه العجوز؟ (يعني أمه) فإن متّ أنفق عليها من هذا الحائط(4) حتى تموت ثم هو له، و إن عشت فمالي عائد إليّ و له منه ما شاء أن يأكل من تمره(5)؛ فقال رجل من قومه: أنا له، فأعطاه الحائط ثم خرج يسأل عن خدّاش بن زهير حتى دلّ عليه بمرّ الظهران(6)، /فصار إلى خباته فلم يجده، فنزل تحت شجرة يكون تحتها أضيافه، ثم نادى امرأة خدّاش: هل من طعام؟ فأطلعت إليه فأعجبها جماله، و كان من أحسن الناس وجها؛ /فقالت: و الله ما عندنا من نزل(7) نرضاه لك إلا تمرا؛ فقال: لا أبالي، فأخرجني ما كان عندك؛ فأرسلت إليه بقباغ(8) فيه تمر، فأخذ منه تمرة فأكل شقّها و ردّ شقّها الباقي في القباغ، ثم أمر بالقباغ فأدخل على امرأة خدّاش بن زهير، ثم ذهب لبعض حاجاته. و رجع خدّاش فأخبرته امرأته خير قيس، فقال: هذا رجل متحرّم(9). و أقبل قيس راجعا و هو مع امرأته يأكل رطباً؛ فلما رأى خدّاش رجله و هو على بعيره قال لامرأته: هذا ضيفك؟ قالت: نعم؛ قال: كأن قدمه قدم الخطيم صديقي اليثربي؛ فلما دنا منه قرع طنب البيت بسنان رمحه و استأذن، فأذن له خدّاش فدخل إليه، فنسبه(10) فانتسب(11) و أخبره بالذي جاء له، و سأله أن يعينه و أن يشير عليه في أمره؛ فرحبّ به خدّاش و ذكر نعمة أبيه عنده، و قال: إن هذا الأمر ما زلت أتوقّعه منك منذ حين. فأما قاتل جدك فهو ابن عم لي و أنا أعينك عليه، فإذا اجتمعنا في نادينا جلست إلى جنبه و تحدّثت معه، فإذا ضربت فخذه فشب إليه فاقتله. فقال قيس: فأقبلت معه نحوه حتى قمت على رأسه لمّا جالسه خدّاش، فحين ضرب فخذه ضربت رأسه بسيف يقال له: ذو الخرصين، فثار إليّ القوم ليقتلوني، فحال خدّاش بينهم و بيني و قال: دعوه فإنه و الله ما قتل إلا قاتل جدّه. ثم دعا خدّاش بجمل من إبله فركبه، و انطلق مع قيس إلى العبدي الذي قتل أباه، حتى إذا كانا قريبا من هجر أشار عليه خدّاش أن ينطلق حتى يسأل عن قاتل أبيه، فإذا دلّ عليه قال له: إن لصّا من لصوص قومك عارضني فأخذ متاعا لي، فسألته من سيد قومه فدلت عليك، فانطلق معي حتى تأخذ متاعي منه؛ فإن اتّبعك وحده فستنال/ما تريد منه، و إن أخرج(12) معه غيره فاضحك، فإن سألك ممّ ضحكت فقل: إن الشريف عندنا لا يصنع كما صنعت إذا دعيت إلى اللص من قومه، إنما

ص: 7

- 1- انظر الحاشية رقم 3 ص 2 من هذا الجزء.
- 2- الناضح: البعير يستقي عليه الماء.
- 3- الجرير: الحبل.
- 4- الحائط: البستان.
- 5- في أ، م، ع: «ثمره» بالثاء المثناة.
- 6- الظهران: واد قرب مكة عنده قرية يقال لها «مر» تصانف إليه فيقال مر الظهران.
- 7- النز: ما يهيا للضيف من قري.
- 8- القباغ: المكيال الضخم.
- 9- متحرّم: له عندنا حرمة و ذمة.
- 10- نسبه: طلب إليه أن ينتسب.
- 11- في ب، س: «فانتسب إليه».
- 12- كذا في ط، ع. و في سائر النسخ: «معك» و السياق يرجح الأول.

يخرج وحده بسوطه دون سيفه، فإذا رآه اللص أعطى (1) كل شيء أخذ هيبه له، فإن أصحابه بالرجوع فسييل ذلك، وإن أبى إلا أن يمضوا معه فأتني به، فإني أرجو أن تقتله وتقتل أصحابه. ونزل خدش تحت ظل شجرة، وخرج قيس حتى أتى العبدى فقال له ما أمره خدش فأحفظه، فأمر أصحابه فرجعوا ومضى مع قيس؛ فلما طلع على خدش، قال له: اختر يا قيس إما أن أعينك وإما أن أكفيك؛ قال: لا أريد واحدة منهما، ولكن إن قتلني فلا يفلتت؛ ثم ثار إليه (2) فطعنه قيس بالحربة في خاصرته فأنفذها من الجانب الآخر فمات مكانه، فلما فرغ منه قال له خدش: إنا إن فررنا الآن طلبنا قوم، ولكن ادخل بنا مكانا قريبا من مقتله، فإن قوم لا يظنون أنك قتلته وأقمت قريبا منه (3)، ولكنهم إذا افتقدوه اقتفوا أثره، فإذا وجدوه قتيلا خرجوا في طلبنا في كل وجه، فإذا يسوا رجعوا.

قال: فدخلا في دارات من رمال هناك، وفقد العبدى قومه فاقتفوا أثره فوجدوه قتيلا، فخرجوا يطلبونهما في كل وجه ثم رجعوا، فكان من أمرهم ما قال خدش. وأقاما مكانهما أياما ثم خرجا، فلم يتكلما حتى أتيا منزل خدش، ففارقه عنده/قيس بن الخطيم ورجع إلى أهله. ففي ذلك يقول قيس:

تذكر ليلى حسنها وشفاءها *** وبانت فما إن يستطيع لقاءها

ومثلك قد أصببت ليست بكثة (4) *** ولا جارة أفضت إليّ خباءها (5)

إذا ما اصطبحت أربعا خطّ مئزري (6) *** وأتبعت دلوي في السّماح رشاءها (7)

ثارت عديا و الخطيم فلم أضع *** وصية (8) أشياخ جعلت إزاءها

وهي قصيدة طويلة.

استشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شعره وأعجب بشجاعته:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن إسرائيل قال حدّثنا زكريا بن يحيى المنقرى قال حدّثنا زياد بن بيان (9) العقيلي قال حدّثنا أبو خولة الأنصاري عن أنس بن مالك قال:

جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس ليس فيه إلا خزرجي ثم استشهدهم قصيدة قيس بن الخطيم، يعني قوله:

أتعرف رسما كاطراد (10) المذاهب *** لعمرة وحشا غير موقف راكب

فأنشده بعضهم إياها، فلما بلغ إلى قوله:

ص: 8

1- كذا في أغلب النسخ. وفي ب، س، ح: «أعطاه... أخذه».

2- في ط، ح، ع: «نازله».

3- في أ، م: «منهم».

4- الكنة: امرأة الابن أو الأخ.

- 5- في «ديوانه»: «حياءها» يريد أنه ليس بينه وبينها ستر.
- 6- يريد أنه إذا شرب أربعاً اختال حتى جرّ ثوبه من الخيلاء.
- 7- يريد أنه بلغ في السماح منتهاه. يقال: أتبع الدلو رشاءها وأتبع الفرس لجامها إذا بذل آخر مجهوده.
- 8- رويت في صفحة 3 من هذا الجزء: «ولاية».
- 9- في ط، ي: «بنان» بالنون.
- 10- الاطراد: التابع. والمذاهب: واحدها مذهب و هو جلد تجعل فيه خطوط مذهبة بعضها في أثر بعض.

أجالدهم يوم الحديقة(1) حاسرا *** كأن يدي بالسيف مخراق(2) لاعب

فالتفت إليهم رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم فقال: «هل كان كما ذكر»؛ فشهد له ثابت بن قيس بن شماس وقال له: والذي بعثك بالحق يا رسول الله، لقد خرج إلينا يوم سابع عرسه عليه غلالة و ملحفة مورسة(3) فجالدنا كما ذكر. هكذا في هذه الرواية.

/وقد أخبرني الحسن بن علي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني عمي مصعب قال:

لم تكن بينهم في هذه الأيام حروب إلا في يوم بعث(4) فإنه كان عظيما، وإنما كانوا يخرجون فيترامون بالحجارة و يتضاربون بالخشب.

قال الزبير و أنشدت محمد بن فضالة قول قيس بن الخطيم:

أجالدهم يوم الحديقة حاسرا *** كأن يدي بالسيف مخراق لاعب

فضحك و قال: ما اقتتلوا يومئذ إلا بالرطائب و السعف.

قال أبو الفرج: و هذه القصيدة التي استنشدهم إياها رسول الله صَلَّى الله عليه و سلم من جيّد شعر قيس بن الخطيم، و مما أنشده نابغة بني ذبيان فاستحسنه و فضّله و قدّمه من أجله.

أنشد النابغة من شعره فاستجاده:

أخبرنا الحسن بن عليّ قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثنا الزبير بن بكار قال قال أبو غزيرة قال حسان بن ثابت:

قدم النابغة المدينة فدخل السوق فنزل عن راحلته، ثم جثا على ركبتيه، ثم اعتمد على عصاه، ثم أنشأ يقول:

عرفت منازل بعريّتنا(5) *** فأعلى الجزع للحبيّ المبيّن(6)

/فقلت: هلك الشيخ و رأيته قد تبع قافية منكورة. قال و يقال: إنه قالها في موضعه، فما زال ينشد حتى أتى على آخرها، ثم قال: ألا رجل ينشد؟ فتقدّم قيس بن الخطيم فجلس بين يديه و أنشده:

أ تعرف رسما كاطراد المذاهب

حتى فرغ منها؛ فقال: أنت أشعر الناس يا ابن أخي. قال حسان: فدخلني منه، و إنّي في ذلك لأجد القوّة في نفسي عليهما(7)، ثم تقدّمت فجلست بين يديه؛ فقال: أنشد فو الله إنك لشاعر قبل أن تتكلّم، قال: و كان يعرفني قبل ذلك، فأنشدته؛ فقال أنت أشعر الناس. قال الحسن(8) بن موسى: و قالت الأوس: لم يزد قيس بن الخطيم النابغة على:

ص: 9

1- الحديقة: قرية من أعراض المدينة في طريق مكة، كانت بها وقعة بين الأوس و الخزرج قبل الإسلام (كذا في ياقوت).

2- المخراق: خرقة مفتولة يلعب بها الصبيان، و تسمى في مصر «بالطرة».

- 3- مورّسة: مصبوغة بالورس و هو نبات أصفر تصبغ به الثياب و يتخذ منه طلاء للوجه.
- 4- بعث: موضع في نواحي المدينة، كانت به وقائع بين الأوس و الخزرج في الجاهلية
- 5- عريتنا: واد ذكره ياقوت في «معجمه»، و استشهد بأبيات لداود بن شكم أولها: معرّسنا ببطن عريتنا ليجمعنا و فاطمة المسير
- 6- المبن: المقيم.
- 7- كذا في أ، م. و في سائر النسخ: «عليهم».
- 8- كذا في ح. و في سائر النسخ: «حسين» و سيأتي قريبا «الحسن» باتفاق النسخ.

أُتِعرف رسما كاطراد المذاهب

- نصف البيت - حتى قال أنت أشعر الناس.

صفاته الجثمانية:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير قال قال سليمان بن داود المجمعيّ:

كان قيس بن الخطيم مقرون الحاجبين أدعج (1) العينين أحمر الشفتين براق الثنايا كأن بينها برقا، ما رأته حليلة رجل قطّ إلا ذهب عقلها.

أمر حسان الخنساء بهجوه فأبت:

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد قال حدّثنا الزبير قال حدّثني حسن بن موسى عن سليمان بن داود المجمعيّ قال:

قال حسان بن ثابت للخنساء: أهجي قيس بن الخطيم؛ فقالت: لا أهجو أحدا أبدا حتى أراه. قال:

فجاءته يوما فوجدته في مشرقة (2) ملتفّا في كساء له، فنخسته برجلها وقالت: قم، فقام؛ فقالت: أدبر، فأدبر؛ ثم قالت: أقبل، فأقبل. قال: و الله لكانها تعترض عبدا تشتريه، ثم عاد إلى حاله نائما؛ فقالت: و الله لا أهجو هذا أبدا.

عرض عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الإسلام فاستنظره حتى يقدم المدينة:

قال الزبير و حدّثني عمّي مصعب قال:

كانت عند قيس بن الخطيم حواء بنت يزيد بن سنان بن كرز بن زعوراء (3) فأسلمت، وكانت تكتم قيس بن الخطيم إسلامها، فلما قدم قيس مكة عرض عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الإسلام، فاستنظره قيس حتى يقدم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم المدينة؛ فسأله رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أن يجتنب زوجته حواء بنت يزيد، وأوصاه بها خيرا، وقال له: إنها قد أسلمت؛ ففعل قيس و حفظ وصيّة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ فبلغ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فقال: «و في الأديعج».

قال أبو الفرج و أحسب هذا غلطا من مصعب، و أن صاحب هذه القصة قيس بن شماس، و أما قيس بن الخطيم فقتل قبل الهجرة.

قتله الخزرج بعد هدأة الحرب بينهم و بين الأوس:

أخبرني علي بن سليمان الأخفش النحويّ عن أبي سعيد السكّريّ عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابيّ عن المفصّل:

أن حرب الأوس و الخزرج لما هدأت، تذكّرت الخزرج قيس بن الخطيم و نكايته فيهم، فتوامروا (4)

ص: 10

- 2- كذا في ط، ء، ح. والمشرقة مثلثة الراء: موضع القعود في الشمس بالشتاء. وفي سائر النسخ: «مشربة» وهي (بفتح الراء وضمها):
الغرفة التي يشرب فيها، وقيل: هي كالصفة بين يدي الغرفة.
- 3- كذا في أغلب النسخ. وفي ب، س، ء. «زعواء» ولم نجد أنه سمي به.
- 4- توامروا: لغة غير فصيحة في تأمروا بمعنى تشاوروا. وفي هامش ط: «فتدامروا» بالذال المعجمة و معناه تحاصّوا على القتال.

و تواعدوا قتله؛ فخرج عشية من منزله في ملاءتين يريد مالا له بالشوط(1) حتى مرّ بأطم(2) بني حارثة، فرمي من الأطم بثلاثة أسهم، فوقع أحدها في صدره، فصاح صيحة سمعها رهطه، فجاءوا فحملوه إلى منزله، فلم يروا له كفوا إلا أبا صعصعة يزيد بن عوف بن مدرك التجاري، فاندس إليه رجل حتى اغتاله في منزله، فضرب عنقه و اشتمل على رأسه، فأتى به قيسا و هو بأخر رمق، فألقاه بين يديه و قال: يا قيس قد أدركت بثارك؛ فقال: عضضت بأير أبيك إن كان غير أبي صعصعة! فقال: هو أبو صعصعة، و أراه الرأس! فلم يلبث قيس بعد ذلك أن مات.

مهاجته حسان بن ثابت:

و هذا الشعر أعني:

أجدّ بعمرة غنيانها

فيما قيل يقوله قيس في عمرة بنت رواحة، و قيل: بل قاله في عمرة: امرأة كانت لحسان بن ثابت، و هي عمرة بنت صامت بن خالد. و كان حسان ذكر(3) ليلي بنت الخطيم في شعره، فكافأه قيس بذلك، و كان هذا في حربهم التي يقال لها يوم الربيع(4).

فأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال أخبرنا الزبير قال حدّثني مصعب قال:

/مرّ حسان بن ثابت بليلى بنت الخطيم - و قيس بن الخطيم أخوها بمكة حين خرجوا يطلبون الحلف في قريش - فقال لها حسان: اظعني فالحقي بالحيّ فقد ظعنوا، و ليت شعري/ ما خلفك و ما شأنك: أقلّ ناصرك أم راث رافدك(5)؟ فلم تكلمه و شتمه نساؤها؛ فذكرها في شعره في يوم الربيع الذي يقول فيه:

لقد هاج نفسك أشجانها *** و عاودها اليوم أديانها(6)

تذكرت ليلي و أنّي بها *** إذا قطّعت منك أقرانها(7)

و حجّل(8) في الدار غربانها *** و خفّ من الدار سگانها

و غيرها معصرات الرياح *** و سحّ الجنوب و تهتانها

مهارة من العين تمشي بها *** و تتبعها ثمّ غزلانها

وقفّت عليها فساءلتها *** و قد ظعن الحيّ: ما شأنها

فعيّت و جاوبني دونها *** بما راع قلبي أعوانها

ص: 11

1- الشوط: بستان بالمدينة، كذا ذكره ياقوت في «معجمه» و استشهد بأبيات لقيس بن الخطيم منها: و بالشوط من يثرب أعبد ستهلك في

الخمير أثمانها

2- الأطم: الحصن.

3- في ب، س، ح: «يذكر».

4- يوم الربيع: يوم من أيام الأوس والخزرج. و الربيع موضع من نواحي المدينة.

5- كذا في أ، م. ورفده: أعانه. وفي سائر النسخ: «وافدك» بالواو.

6- الأديان: جمع دين و هو الداء، يريد داء حبه القديم.

7- الأقران: جمع قرن و هو الحبل.

8- حجل بالتشديد كحجل بالتخفيف. و الحجل: أن يرفع رجلا و يقفز على الأخرى، و يكون برجلين جميعا، إلا أنه قفز و ليس بمشي.

و هي طويلة. فأجابه قيس بن الخطيم بهذه القصيدة التي أولها:

أجدّ بعمرة غنيانها

وفخر فيها بيوم الربيع و كان لهم فقال:

و نحن الفوارس يوم الربيع *** ع قد علموا كيف فرسانها

حسان الوجوه حداد السيو *** ف يبتدر المجد شبانها

و هي أيضا طويلة.

غنت عزة الميلاء النعمان بن بشير بشعره:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال أخبرنا الأصمعي قال حدثني شيخ قدم من المدينة(1)، و أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أبو غسان عن أبي السائب المخزومي، و أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه قال ذكر لي عن جعفر بن محرز(2) السدوسي، قالوا(3):

دخل النعمان بن بشير الأنصاري المدينة أيام يزيد بن معاوية و ابن الزبير، فقال: و الله لقد أخفقت(4) أذناي من الغناء فأسمعوني؛ فقيل له: لو وَّجَّهت إلى عزة فإنها من(5) قد عرفت! قال: إي و رب البيت، إنها(6) لمن يزيد النفس طيبا و العقل شحذا، ابعثوا إليها عن رسالتي، فإن أبت صرنا إليها؛ فقال له بعض القوم: إن الثقلة تشتد عليها لثقل بدنها و ما بالمدينة دابة تحملها؛ فقال النعمان: و أين النجائب عليها الهوادج! فوجه إليها بنجيب فذكرت عدّة، فلما عاد الرسول إلى النعمان قال لجليسه أنت كنت أخبر بها، قوموا بنا؛ فقام هو مع خواص أصحابه حتى طرقتها، فأذنت و أكرمت و اعتذرت، فقبل النعمان عذرها و قال: غنّيني، فغنّته:

أجدّ بعمرة غنيانها *** فتعجز أم شأننا شأنها

فأشير إليها أمّه فسكتت؛ فقال: غنّيني فو الله ما ذكرت إلا كرما و طيبا! لا تغنّيني سائر اليوم غيره؛ فلم تزل تغنّيه هذا اللحن فقط حتى انصرف.

و تذكروا هذا الحديث عند الهيثم بن عدي، فقال: أ لا أزيدكم فيه طريفة(7) قلنا بلى يا أبا عبد الرحمن؛ قال قال لقيط: كنت عند سعيد الزبيري قال سمعت عامرا الشعبي يقول: اشتاق النعمان بن بشير إلى الغناء فصار إلى منزل عزة، فلما انصرف إذا امرأة بالباب منتظرة له، فلما خرج شكت إليه كثرة غشيان زوجها إياها؛ فقال لها النعمان بن بشير: لأفضين بينكما بقضية لا تردّ عليّ، قد أحلّ الله له/من النساء مثني و ثلاث و رباع، فله امرأتان

ص: 12

1- في بعض النسخ: «شيخ قديم من أهل المدينة».

2- في ح، ء: «محمد».

3- في ب، س، ح: «قال».

4- يريد: أوحشت أذناي من الغناء لطول عهدها به.

5- في ب، س: «ممن».

6- كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «لمن».

7- كذا في أ، ط، ء. وفي سائر النسخ: «طريقة» بالقاف.

بالنهار وامرأتان بالليل. فهذا يدلّ على أن المعنيّة بهذا الشعر عمرة بنت رواحة(1).

وأما ما ذكر أنه عنى عمرة امرأة حسان بن ثابت، فأخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير بن بكّار عن عمه:

أن قيس بن الخطيم لما ذكر حسان أخته ليلي في شعره ذكر امرأته عمرة، وهي التي يقول فيها حسان:

أزمت عمرة صر ما فابتكر

حسان بن ثابت و زوجه عمرة بنت الصامت و ما قاله فيها من الشعر بعد طلاقها:

إشارة

أخبرني الحسن قال حدّثنا أحمد قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي مصعب قال:

تزوج حسان بن ثابت عمرة بنت الصامت بن خالد بن عطية الأوسية ثم إحدى بني عمرو بن عوف، فكان كل واحد منهما معجبا بصاحبه، و إن الأوس أجاروا مخلد بن الصامت الساعديّ فقال في ذلك أبو قيس بن الأسلت:

أجرت مخلدًا و دفعت عنه *** وعند الله صالح ما أتيت

فتكلم حسان في أمره بكلام أغضب عمرة، فعيرته بأخواله و فخرت عليه بالأوس؛ فغضب لهم فطلقها، فأصابها من ذلك ندم و شدة؛ و ندم هو بعد فقال:

صوت

أزمت(2) عمرة صر ما فابتكر *** إنما يدهن(3) للقلب الحصر(4)

لا يكن حبك حبًا ظاهرًا *** ليس هذا منك يا عمر بسرّ

سألت حسان من أخواله *** إنما يسأل بالشيء الغمر(5)

قلت أخوالي بنو كعب إذا *** أسلم الأبطال عورات الدبر

يريد يدهن القلب، فأدخل اللام زائدة للضرورة. عمر: ترخيم عمرة. و السر: الخالص الحسن. غنّت في هذه الأبيات عزّة الميلاء ثاني ثقيل بالبنصر من رواية حبش.

و تمام القصيدة:

ربّ خال لي لو أبصرته *** سبط المشية في اليوم الخصر(6)

عند هذا الباب إذ ساكنه *** كلّ وجه حسن الثّقبه(7) حرّ

- 1- لأنها أم النعمان بن بشير (انظر «طبقات ابن سعد» طبع أوروبا ج 8 ص 262 و «الإصابة» طبع مطبعة السعادة ج 8 ص 146).
- 2- رواية «الديوان» و ط، ء، أ: «أجمعت».
- 3- يدهن: ينافق و يصانع.
- 4- الحصر: الضيق.
- 5- الغمر مثلثة: من لم يجرب الأمور و الجاهل الأبله.
- 6- الخصر: البارء. يريد أنه يسعى على الناس لا يقعد عنهم في اليوم البارء المجدب. وفي «اللسان» مادة سبط: «سبط الكفين» و هو السمع الجواد. وفي هذه القصيدة سناد التوجيه و هو تغير حركة ما قبل الروي المفيد (أي الساكن) بفتحة مع غيرها من ضمة أو كسرة، و هو أقبح أنواع السناد عند الخليل.
- 7- النقبة بالضم: اللون، و بالكسر هيئة الانتقاب.

يوقد النار إذا ما أطفئت *** يعمل القدر بأثباج الجزر(1)

/من يغرّ الدهر أو يأمنه *** من قبيل(2) بعد عمرو و حجر(3)

ملكا من جبل الثلج إلى *** جانبي أيلة(4) من عبد و حرّ

ثم كانا خير من نال الندى *** سبقا الناس بإقساط(5) و برّ

فارسي خيل إذا ما أمسكت *** ربّة الخدر بأطراف السّتر

أتيا فارس في دارهم *** فتناها بعد إعصار(6) بقرّ

ثم نادوا يا لغسان اصبروا *** إنه يوم مصاليت(7) صبر

اجعلوا معقلها إيمانكم *** بالصّفيح المصطفى غير الفطر(8)

بضراب تأذن(9) الجنّ له *** و طعان مثل أفواه الفقر(10)

و لقد يعلم من حاربنا *** أننا ننفع قدما و نضر

صبر للموت إن حلّ بنا *** صادقوا البأس غطاريف فخر

/وأقام العزّ فينا و الغنى *** فلنا فيه على الناس الكبير(11)

/منهم أصلي فمن يفخر به *** يعرف(12) الناس بفخر المفتخر

نحن أهل العزّ و المجد معا *** غير أنكاس(13) و لا ميل عسر

فاسألوا عنا و عن أفعالنا *** كلّ قوم عندهم علم الخبر

قال الزبير فحدّثني عمّي قال: ثم إن حسّان بن ثابت مرّ يوما بنسوة فيهن عمرة بعد ما طلقها، فأعرضت عنه و قالت لا امرأة منهنّ: إذا حاذك هذا الرجل فاسأليه من هو و انسيبه و انسبي أخواله و هي متعرّضة له، فلما حاذاهنّ

ص: 14

1- أثباج الجزر: أوساطها، يقول: إذا أطفئت نيران الناس من الجذب أوقد ناره و أطعم.

2- كذا في ء، ط، و «ديوان حسان بن ثابت» المطبوع بليدن. و في سائر النسخ: «من قتيل» بالتاء.

3- عمرو هو - كما في «شرح ديوان حسان» - عمرو بن الحارث بن عمرو بن عديّ بن حجر بن الحارث. و حجر، كما في «اللسان» مادة حجر، هو حجر بن النعمان بن الحارث بن أبي شمر، و كلاهما من ملوك غسان.

4- في «شرح ديوان حسان»: جبل الثلج بدمشق، وأيلة ما بين الحجاز و الشام.

5- الإقساط: العدل.

6- الإعصار: الزوينة. وفي «ديوانه»: «إعصام» وفسره بالاستمسك، و القر: الاستقرار. وفي م، ء، ط: «بعد ما صابت بقر». و صابت من الصوب و هو النزول. أي نزل الأمر في قراره فلا يستطيع له تحويل. و هو مثل يضرب للشدة إذا نزلت بقوم.

7- المصاليات: جمع مصلات و هو الشجاع.

8- الفطر: جمع فطير، و الفطير من السيوف: المتسلم.

9- تأذن: تستمع.

10- الفقر: جمع فقير و هو مخرج الماء من فم القناة.

11- الكبر بضم فسكون أو كسر فسكون: الشرف، و قد حركت الباء هنا لضرورة الشعر، إذ للشاعر أن يحرك الساكن فيما قبل القافية بحركة ما قبله.

12- يعرف: يقر و يعترف.

13- النكس: الضعيف الدنيء: و الميل: جمع أميل و هو الذي به ميل خلقة، و عسر جمع أعسر و هو الذي يعمل بشماله.

سألته من هو ونسبته فانتسب لها، فقالت: فمن أخوالك؟ فأخبرها، فبصقت عن شمالها وأعرضت عنه؛ فحدّد النظر إليها وعجب من فعلها وجعل ينظر إليها، فبصر بامرأته وهي تضحك فعرفها وعلم أن الأمر من قبلها أتى، فقال في ذلك:

قالت له يوما تخاطبه *** ربا الروادف(1) غادة الصّلب

أما المروءة والوسامة أو *** حشم(2) الرجال فقد بدا، حسبي

فوددت أنك لو تخبرنا *** من والدك و منصب(3) الشعب(4)

فضحكت ثم رفعت متّصلا(5) *** صوتي كرفع(6) المنطق الشّعب

/جديّ أبو ليلى والده *** عمرو وأخوالي بنو كعب

وأنا من القوم الذين إذا *** أزم(7) الشتاء بحلقة الجذب

أعطى ذوو الأموال معسرهم *** والضاربين بموطن الرّعب

قال مصعب: وأبو ليلى الذي عناه حسان: حرام بن عمرو بن زيد مناة.

ومما فيه صنعة من المائة المختارة من شعر قيس بن الخطيم:

صوت

حوراء ممكورة(8) منعمة *** كأنما شفتّ وجهها نرف(9)

تمام عن كبر شأنها فإذا *** قامت رويدا تكاد تنقصف

أوحش من بعد خلّة سرف *** فالمنحني فالعقيق فالجرف(10)

الشعر لقيس بن الخطيم سوى البيت الثالث. والغناء لقسفا التّجار، ولحنه المختار ثاني ثقيل، هكذا ذكر

ص: 15

1- في «ديوانه»: نفع الحقيبة، والحقيبة: الردف.

2- كذا في أغلب النسخ، والحشم كما في «اللسان»: الاستحياء. وقد كتب مصححه عليه أنه هكذا بدون ضبط وذكر أنه مضبوط بالتحريك في نسخة غير موثوق بها من «التهذيب». وفي ط، ح، ع: «جسم الرجال». وفي «ديوانه»: «رأي الرجال».

3- المنصب: الأصل والمحتد.

4- قال صاحب «الكشاف»: الشعب الطبقة الأولى من الطبقات الست التي عليها العرب وهي الشعب والقبيلة والعمارة والبطن والفخذ والفصيلة، فالشعب يجمع القبائل، والقبيلة تجمع العماثر، والعمارة تجمع البطون، والبطن يجمع الأفخاذ، والفخذ تجمع الفصائل.

5- متصلاً: منتسباً، من قولهم: اتصل إلى بني فلان: انتمى وانتسب.

6- كذا في هامش ط. وفي «ديوانه»، ح: «أوان المنطق الشغب». وفي سائر النسخ: «ورفع المنطق الشغب».

7- أزم: اشتدّ.

8- الممكورة: المدمجة الخلق.

9- النزف بضم فسكون و حرك هنا للضرورة: خروج الدم. وفي «شرح ديوان قيس بن الخطيم»: «قال العدوي: أراد أن في لونها مع البياض صفرة، وذلك أحسن».

10- سرف: موضع على ستة أميال من مكة، وهو مصروف وبعضهم يمنع صرفه على أنه اسم للبقعة. والمنحنى والعقيق والجرف: أسماء مواضع.

يحيى بن علي في الاختيار الواقعي. وهو في كتاب إسحاق لقفا النجار ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البصر، ولعله غير هذا اللحن المختار.

الحرب بين مالك بن العجلان و بني عمر بن عوف و سب ذلك:

إشارة

و هذا الشعر يقوله قيس بن الخطيم في حرب كانت بينهم وبين بني جحجبي و بني خطمة، و لم يشهدا قيس و لا كانت في عصره، وإنما أجاز عن ذكرها شاعرا منهم يقال له: درهم بن يزيد. قال أبو المنهال عتيبة(1) بن المنهال: بعث رجل من غطفان من بني ثعلبة بن سعد بن ذيان إلى يثرب بفرس و حلة مع رجل من غطفان و قال:

ادفعهما إلى أعز أهل يثرب - قال و قيل: إن الباعث بهما عبد ياليل(2) بن عمرو التقي. قال و قيل: بل الباعث بهما علقمة بن علاثة - فجاء الرسول بهما حتى/ورد سوق بني قينقاع فقال ما أمر به، فوثب إليه رجل من غطفان كان جارا لمالك بن العجلان الخزرجي يقال له كعب الثعلبي، فقال: مالك بن العجلان أعز أهل يثرب؛ و قام رجل آخر فقال: بل أحيحة بن الجلاح أعز أهل يثرب، و كثر الكلام؛ فقبل الرسول الغطفاني قول الثعلبي الذي كان جارا لمالك بن العجلان و دفعهما إلى مالك؛ فقال كعب الثعلبي: ألم أقل لكم: إن حليفي أعزكم و أفضلكم! فغضب رجل من بني عمرو بن عوف يقال له سمير فرصد الثعلبي حتى قتله، فأخبر مالك بذلك، فأرسل إلى بني عوف بن عمرو بن مالك بن الأوس: إنكم قتلتم منا قتيلا فأرسلوا إلينا بقاتله؛ فلما جاءهم رسول مالك تراموا به: فقالت بنو زيد: إنما قتلته بنو جحجبي، و قالت بنو جحجبي: إنما قتلته بنو زيد؛ ثم أرسلوا إلى مالك: إنه قد كان في السوق التي قتل فيها صاحبكم ناس كثير، و لا يدري أيهم قتله؛ و أمر مالك أهل تلك السوق أن يتفرقوا، فلم يبق فيها غير سمير و كعب، فأرسل مالك إلى بني عمرو بن عوف بالذي بلغه من ذلك و قال: إنما قتله سمير، فأرسلوا به إليّ أقتله؛ فأرسلوا إليه: إنه ليس لك أن تقتل سميرا بغير بينة؛ و كثرت الرسل بينهم في ذلك: يسألهم مالك أن يعطوه سميرا و يأبون أن يعطوه إياه. ثم إن بني عمرو بن عوف كرهوا أن ينشبوا بينهم و بين مالك حربا، فأرسلوا إليه يعرضون عليه الدية فقبلها؛ فأرسلوا إليه: إن صاحبكم حليف و ليس لكم فيه إلا نصف الدية، فغضب مالك و أبى أن يأخذ فيه إلا الدية كاملة أو يقتل سميرا؛ فأبى بنو عمرو بن عوف أن يعطوه إلا دية الحليف و هي نصف الدية، ثم دعوه أن يحكم بينهم/و بينه عمرو بن امرئ القيس أحد بني الحارث بن الخزرج و هو جدّ عبد الله بن رواحة ففعل؛ فانطلقوا حتى جاءوه في بني الحارث بن الخزرج، فقضى على مالك بن العجلان أنه ليس له في حليفه إلا دية الحليف، و أبى مالك أن يرضى بذلك و آذن بني عمرو بن عوف بالحرب، و استنصر قبائل الخزرج، فأبى بنو الحارث بن الخزرج أن تنصره غضبا حين ردّ قضاء عمرو بن امرئ القيس؛ فقال مالك بن العجلان يذكر خذلان بني الحارث بن الخزرج له و حذب بني عمرو بن عوف على سمير، و يحرض بني النجار على نصرته:

إن سميرا أرى عشيرته *** قد حذبوا دونه و قد أنفوا

إن يكن الظنّ صادقا ببني النّ *** جّار لا يطعموا الذي علفوا

لا يسلمونا لمعشر أبدا *** ما دام منا بيطنها شرف(3)

- 1- كذا في ب، س، ط. وفي أ، م: «عيننة». وفي ء: «عتبة».
- 2- عبد ياليل: رجل كان في الجاهلية، وياليل: صنم أضيف إليه كعبد يغوث وعبد مناة وعبد ودّ وغيرها.
- 3- الشرف: الشريف، يقال هو شرف قومه وكرمهم أي شريفهم وكرمهم.

لكن موالِيّ قد بدا لهم *** رأي سوى ما لديّ أو ضعفوا

[يقال: علفوا الضيم إذا أقرّوا به، أي ظنّي أنهم لا يقبلون الضيم] (1).

صوت

بين بني جحجبي و بين بني *** زيد فأتى لجاري التّلف (2)

يمشون في البيض و الدرّوع كما *** تمشي جمال مصاعب قطف (3)

كما تمشّي الأسود في رهج (4) ال *** موت إليه و كلّهم لهف

/اغنى في هذه الأبيات معبد خفيف ثقيل عن إسحاق، و ذكر الهشامي أن فيه لحنًا من الثقليل الأوّل للغريض:

و قال درهم بن يزيد (5) بن ضبيعة أخو سمير في ذلك:

يا قوم لا تقتلوا سميرا فإ *** نّ القتل فيه البوار و الأسف

إن تقتلوه ترنّ (6) نسوتكم *** على كريم و يفزع السلف

إني لعمر الذي يحجّ له الن *** اس و من دون بيته سرف

يمين برّ بالله مجتهد *** يحلف إن كان ينفع الحلف

لا نرفع العبد فوق سنّته *** ما دام منّا بطنها شرف

إنك لاق غدا غواة بني *** عمّي فانظر ما أنت مزدهف (7)

فأبد سيماك يعرفوك كما *** بيدون سيماهم فتعترف

معنى قوله «فأبد سيماك»: أن مالك بن العجلان كان إذا شهد الحرب يغيّر لباسه و يتنكّر لئلا يعرف فيقصد.

و قال درهم بن يزيد في ذلك:

يا مال لا تبغين ظلامتنا *** يا مال إنّا معاشر أنف

يا مال و الحقّ إن قنعت به *** فيه و فينا لأمرنا نصف

إنّ بجيرا عبد فخذ ثمننا *** فالحقّ يوفى به و يعترف

- 1- هذه الزيادة في أ، م، ط: و ساقطة من باقي النسخ.
- 2- كذا في أ. وفي م، ط، و هامش أ: «فأني لجارك التلف». وفي سائر النسخ: «فأني تخاذل السلف».
- 3- البيض: جمع بيضة و هي ما يلبس على الرأس من حديد كالخودة للوقاية في الحرب، و المصاعب: جمع مصعب و هو الفحل الذي لم يركب و لم يمسه حبل حتى صار صعبا. و القطف: السريعة الخطو.
- 4- الرهج: الغبار.
- 5- كذا تقدّم هذا الاسم في ص 18 من هذا الجزء و سيذكر أخوه سمير باسم سمير بن يزيد في ص 40 من هذا الجزء. و في ء و هامش ط: «دلهم بن يزيد». و في باقي النسخ: «درهم بن زيد».
- 6- ترن نسوتكم: يرفعن أصواتهن بالبكاء.
- 7- مزدهف: مقتحم، أي انظر ما أنت مقتحمه و مقدم عليه من الشر.

لأصبحن داركم بذى لجب *** جون له من أمامه عزف(1)

البيض حصن لهم إذا فزعوا *** و سابغات كأنها التطف(2)

و البيض قد ثلّمت مضاربها *** بها نفوس الكماة تختطف

كأنها في الأكفّ إذ لمعت *** وميض برق يبدو وينكسف(3)

وقال قيس بن الخطيم الطّفريّ أحد بني التّبّيت في ذلك، ولم يدركه وإنما قاله بعد هذه الحرب بزمان، و من هذه القصيدة الصوت المذكور:

ردّ الخليط الجمال فانصرفوا *** ما ذا عليهم لو أنهم وقفوا

لو وقفوا ساعة نسائلهم *** ريث يضحيّ جماله السلف(4)

فيهم لعوب العشاء آنسة ال *** دلّ عروب يسوؤها الخلف(5)

بين شكول النساء خلقتها *** قصد فلا جيلة ولا قصف

تنام عن كبر شأنها فإذا *** قامت رويدا تكاد تنعرف(6)

تغترق الطرف(7) وهي لاهية *** كأنما شفّ وجهها نرف

/حوراء(8) جيداء يستضاء بها *** كأنها خوط بانه قصف(9)

قضى لها الله حين صوّرها ال *** خالق أن لا يكتّها سدف(10)

خود يغثّ الحديث ما صمتت(11) *** وهو بفيها ذو لذة طرف(12)

تخزنه وهو مشتهى حسن *** وهو إذا ما تكلمت أنف(13)

ص: 18

1- كذا في ب، س، ح. و العزف: الصوت و حرك للضرورة. وفي سائر النسخ: «عرف» بالراء المهملة.

2- النطف: بالتحريك أو بضم الأول وفتح الثاني: جمع نطفة (بالتحريك أو الضم) وهي اللؤلؤة الصافية اللون أو قطرة الماء. و كلتاهما تشبه بها الدروع لصفائهما.

3- كذا في ط، ء. وفي سائر النسخ: «وينكشف».

- 4- الريث: مقدار المهلة من الزمان. و يضحى من الضحاء و هو أن يرعى الإبل ضحى، و السلف: القوم الذين يتقدمون الظعن ينفضون الطرق.
- 5- لعوب العشاء: تسمر مع السمار و تلهو. و العروب: الحسناء المتحبة إلى زوجها، و قيل: الضحاكة.
- 6- تنغرف: تنقص من دقة خصرها، و في رواية مرت في ص 18 «تنقص».
- 7- يريد: من نظر إليها استغرقت طرفه و بصره و شغلته عن النظر إلى غيرها و هي لاهية غير محتفلة.
- 8- الحوراء: ذات الحور، و هو سعة العين، أو شدة سواد الحدقة مع شدة بياضها. و الجيداء: الطويلة الجيد، و الخوط: الغصن.
- 9- كذا في أغلب النسخ. و معناه الخوار الناعم المثني. و في ب، س، ح: «قصف» بالضاد المعجمة.
- 10- كذا في أغلب النسخ، و السدف: الظلمة، و المراد أنها مضيئة لا تسترها ظلمة. و في ء: «شدف» و هي بمعنى السدف. و في ب، س: «صدف».
- 11- هذه رواية أبي عمرو كما في «شرح ديوانه». و رواية «ديوانه»: و لا يغث الحديث ما نطقت و الخود: الشابة الناعمة ما لم تصر نصفًا.
- 12- الطرف: المستطرف المحبوب.
- 13- الأنف: المستأنف الجديد.

أبلغ بني جحجبي وإخوتهم *** زيدا بأنا وراءهم أنف(1)

إنا وإن قل نصرنا لهم *** أكبادنا من ورائهم تجف

لما بدت نحونا جباههم *** حنت إلينا الأرحام والصّحف(2)

نفلي بحدّ الصّفيح هامهم *** وفلينا هامهم بها جنف(3)

يتبع آثارها إذا اختلجت *** سخن عبيط عروقه تكف(4)

إنّ بني عمّنا طغوا وبغوا *** ولجّ منهم في قومهم سرف

إفردّ عليه حسّان بن ثابت ولم يدرك ذلك:

ما بال عينيك دمعها يكف(5) *** من ذكر خود شطّتها قذف(6)

بانث بها غربة تؤمّ بها *** أرضا سوانا والشكل مختلف

ما كنت أدري بوشك بينهم *** حتى رأيت الحدوج تنقذف

دع ذا وعدّ القريض في نفر *** يرجون مدحي ومدحي الشرف

إن تدع قومي للمجد تلفهم *** أهل فعال يبدو إذا وصفوا

إن سميرا عبد طغى سفها *** ساعده أعبد لهم نطف(7)

قال: ثم أرسل مالك بن العجلان إلى بني عمرو بن عوف يؤذّنهم بالحرب، ويعدّهم يوماً يلتقون فيه، وأمر قومه فتهيّئوا للحرب، و تحاشد(8) الحيّان و جمع بعضهم لبعض. وكانت يهود قد حالفت قبائل الأوس و الخزرج، إلّا بني قريظة و بني النضير فإنهم لم يحالفوا أحدا منهم، حتى كان هذا الجمع، فأرسلت إليهم الأوس و الخزرج، كلّ يدعوهم إلى نفسه، فأجابوا الأوس و حالفوهم، و التي حالفت قريظة و النضير من الأوس أوس الله و هي خطمة و واقف و أميّة و وائل، فهذه قبائل أوس الله. ثم زحف مالك بمن معه من الخزرج، و زحفت الأوس بمن معها من

2- الصحف: العهد.

3- يقال: فلاه بالسيف إذا علاه. و الصفيح: جمع صفيحة وهي السيف العريض. و الجنف: انحراف و ميل عما توجهه القربى و الرحم. و في ح و هامش ط «و الديوان»: «عنف» بدل «جنف» و قال في «شرحه»: «يريد أن قتلنا إياهم عنف منا لأنهم قومنا و بنو عمنا».

4- اختلجت: انتزعت. و سخن عييط: دم طري ساخن.

5- في «ديوانه»: ما بال عيني دموعها تكف

6- قذف: بعيدة، يقال: نوى قذف و نية قذف: أي بعيدة تقذف بمنتويها.

7- النطف بالتحريك: القرط، و غلام منطف و وصيفة منطفة بتشديد الطاء و فتحها أي مقرطة، قال الأعشى: يسعى بها ذوزجاجات له نطف مقلص أسفل السربال معتمل

8- في أ، م، ء، ط: «و تحاشد الحيان بعضهم لبعض».

حلفائها من قريظة و النصير، فالتقوا بفضاء كان بين بئر سالم(1) و قباء، و كان أول يوم التقوا فيه، فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم انصرفوا وهم منتصفون جميعا، ثم التقوا مرة أخرى عند/أطم بني قينقاع، فاقتتلوا حتى حجز الليل بينهم، و كان الظفر يومئذ للأوس على الخزرج، فقال أبو قيس بن الأسلت في ذلك:

لقد رأيت بني عمرو فما وهنوا *** عند اللقاء و ما هموا(2) بتكذيب

ألا فدى لهم أمي و ما ولدت *** غداة يمشون إرقال المصاعيب

بكلّ سلهبة(3) كالأيم ماضية *** و كلّ أبيض ماضي الحدّ مخشوب

- أصل المخشوب: الحديد الطبع، ثم صار كل مصقول مخشوبا؛ فشبهها بالحية في انسلالها - قال: فلبث الأوس و الخزرج متحاربين عشرين سنة في أمر سمير يتعاودون القتال في تلك السنين، و كانت لهم فيها أيام و مواطن لم تحفظ، فلما رأَت الأوس طول الشرّ و أن مالكا لا ينزع(4)، قال لهم سويد بن صامت الأوسيّ - و كان يقال له الكامل في الجاهلية، و كان الرجل عند العرب(5) إذا كان شاعرا شجاعا كاتباً سابحا راميا سمّوه الكامل، و كان /سويد أحد الكملة -: يا قوم، أرضوا هذا الرجل من حليفه، و لا تقيموا على حرب إخوانكم فيقتل بعضكم بعضا و يطمع فيكم غيركم، و إن حملتم على أنفسكم بعض الحمل. فأرسلت الأوس إلى مالك بن العجلان يدعونه إلى أن يحكم بينه و بينهم ثابت بن المنذر بن حرام أبو حسان بن ثابت، فأجابهم إلى ذلك، فخرجوا حتى أتوا ثابت بن المنذر، و هو في البئر التي يقال لها سميحة(6)، فقالوا: إنا قد حكّمناك بيننا؛ فقال: لا حاجة لي في ذلك؛ قالوا:

و لم؟ قال: أخاف أن تردّوا حكمي/كما رددتم حكم عمرو بن امرئ القيس؛ قالوا: إنا لا نردّ حكمك فاحكم بيننا؛ قال: لا أحكم بينكم حتى تعطوني موثقا و عهدا لترضون بحكمي و ما قضيت به و لتسلمنّ له؛ فأعطوه على ذلك عهدهم و موثيقهم، فحكم بأن يودي حليف مالك دية الصريح ثم تكون السنّة فيهم بعده على ما كانت عليه:

الصريح(7) على ديته و الحليف على ديته، و أن تعدّ القتلى الذين أصاب بعضهم من بعض في حربهم [ثم يكون بعض ببعض](8) ثم يعطوا الدية لمن كان له فضل في القتلى من الفريقين، فرضي بذلك مالك و سلّمت الأوس و تفرّقوا على أنّ على بني النّجار نصف دية جار مالك معونة لإخوتهم، و على بني عمرو بن عوف نصفها؛ فرأت بنو عمرو بن عوف أنهم لم يخرجوا إلا الذي كان عليهم، و رأى مالك أنه قد أدرك ما كان يطلب، و ودي جاره دية الصريح.

و يقال: بل الحاكم المنذر أبو ثابت.

ص: 20

1- في أكثر النسخ «بني سالم» و لعلها محرفة عن بئر سالم التي أثبتناها في الأصل و في ط، ء: «سالم».

2- في أ، م: «و لا هموا».

3- السلهبة من الخيل: الطويلة على وجه الأرض.

4- ينزع: يكف و ينتهي.

5- كذا في أ، م، ط. و في سائر النسخ: «و كان الرجل في الجاهلية».

6- هي بئر بالمدينة وقيل بناحية قديد، قال السكري: يروي سميحة (بالتصغير) وسميحة (بفتح السين و كسر الميم) وسميحة.

7- كذا في أغلب الأصول. وفي ب، س، ح: «في الصريح...» بزيادة «في».

8- هذه الجملة ساقطة من ب، س، ح.

إشارة

18 - ذكر طويس وأخباره(1)

اسمه وكنيته:

طويس لقب غلب عليه، واسمه عيسى بن عبد الله، وكنيته أبو عبد المنعم وغيّرها المخنثون فجعلوها أبا عبد النعميم، وهو مولى بني مخزوم. وقد حدثني جحظة عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الواقديّ عن ابن أبي الزناد: قال سعد بن أبي وقاص: كني طويس أبا عبد المنعم.

أول من غنى بالعربية في المدينة وألقى الخنث بها:

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد عن أبيه عن المسيبي(2) ومحمد بن سلام الجمحيّ، وعن الواقديّ عن ابن أبي الزناد؛ وعن المدائني عن زيد بن أسلم عن أبيه، وعن ابن الكلبيّ عن أبيه وعن أبي مسكين.

قالوا: أول من غنى بالعربيّ بالمدينة طويس، وهو أول من ألقى الخنث بها، وكان طويلاً أحول يكنى أبا عبد المنعم، مولى بني مخزوم، و كان لا يضرب بالعود. إنما كان ينقر بالدفّ، وكان ظريفاً عالماً بأمر المدينة وأنسب أهلها، وكان يتقّى للسانه.

شؤمه:

إشارة

قالوا(3): وسئل عن مولده فذكر أنه ولد يوم قبض رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، و فطم يوم مات أبو بكر، و ختن يوم قتل عمر، و زوّج يوم قتل عثمان، و ولد له يوم قتل عليّ رضوان الله عليهم أجمعين. قال وقيل: إنه ولد له يوم مات الحسن بن عليّ/عليهما السلام. قال: وكانت أمي تمشي بين نساء الأنصار بالتميمة. قالوا: وأول غناء غناه و هزج به(4):

صوت

كيف يأتي من بعيد *** وهو يخفيه القريب

نازح بالشأم عنّا *** وهو مكسال هيبوب

قد براني الحبّ حتى *** كدت من وجدي أذوب

ص: 21

باب واحد لأننا وجدنا النسخ المخطوطة في دار الكتب كالنسخ المطبوعة. ويغلب على ظننا أن ذلك من صنع أبي الفرج نفسه، ولعل ذلك راجع إلى أنه سها عن هذه الترجمة فترجم له الترجمة الثانية. و واجب الأمانة في النقل وفي مراعاة ترتيب الكتاب أن نترك الترجمتين كما هما كل على حدة كما وضعهما مؤلفهما أو كما وردا كذلك في نسخ «الأغاني».

2- كذا في أ، م وهو محمد بن إسحاق بن محمد بن عبد الرحمن المخزومي المسيبي المدني نزيل بغداد توفي سنة 236 هـ و كان معاصرا لإسحاق الموصلي الذي توفي سنة 235 هـ. وفي سائر النسخ: «الشعبي» وهو تحريف لأنه توفي سنة 103 هـ.

3- في أكثر النسخ «قال». وفي ب، س، ح: «قالوا».

4- في أ، م، ع، ط: «وهزج هزجه».

قال إسحاق: أخبرني الهيثم بن عدي قال قال صالح بن حسان الأنصاري أنبأني أبي قال:

اجتمع يوما جماعة بالمدينة يتذكرون أمر المدينة إلى أن ذكروا طويسا، فقالوا: كان و كان؛ فقال رجل منا:

أما لو شاهدتموه لرأيتم ما تسرون به علما و ظرفا و حسن غناء و جودة نقر بالدف، و يضحك كل ثكلى حرى؛ فقال بعض القوم: و الله إنه على ذلك كان مشنوما؛ و ذكر خبر ميلاده كما قال الواقدي، إلا أنه قال: ولد يوم مات نبينا صلى الله عليه و سلم، و فطم يوم مات صديقنا، و ختن يوم قتل فاروقنا، و زوج يوم قتل نورنا، و ولد له يوم قتل أخو نبينا(1)؛ و كان مع هذا مخنثا يكيدها و يطلب عثراتنا؛ و كان مفرطا في طوله مضطربا في خلقه أحول. فقال رجل من جلاة أهل المجلس: لئن كان كما قلت لقد كان ممتعا فهما يحسن رعاية من حفظ له حق المجالسة، و رعاية حرمة الخدمة، و كان لا يحمل قول من لا يرعى له بعض ما يراه له.

كان يحب قريشا و يحبونه:

و لقد كان معظما لمواليه بني مخزوم و من والاهم من سائر قريش، و مسالما لمن عاداهم دون التحكيك به؛ و ما يلام من قال بعلم و تكلم على فهم، و الظالم/الملوم، و البادئ أظلم. فقال رجل آخر: لئن كان ما قلت لقد رأيت قريشا يكتفون به و يحدقون به و يحبون مجالسته و ينصتون إلى حديثه و يتمنون غناه، و ما وضعه شيء إلا خنثه، و لو لا ذلك ما بقي رجل من قريش و الأنصار و غيرهم إلا أدناه.

أخبرني رضوان بن أحمد الصيدلاني قال حدثنا يوسف بن إبراهيم قال حدثني أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي قال حدثني إسماعيل بن جامع عن سباط قال:

كان أول من تغنى بالمدينة غناء يدخل في الإيقاع(2) طويس، و كان مولده يوم مات رسول الله صلى الله عليه و سلم، و فطامه في اليوم الذي توفي فيه أبو بكر، و ختانه في اليوم الذي قتل فيه عمر، و بناؤه بأهله في اليوم الذي قتل فيه عثمان، و ولد له يوم قتل علي رضوان الله عليهم أجمعين، و ولد و هو ذاهب العين اليمنى.

كان يلقب بالذائب و سب ذلك:

و كان يلقب بالذائب، و إنما لقب بذلك لأنه غنى:

قد براني الحب حتى *** كدت من وجدي أذوب

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه قال أخبرني ابن الكلبي عن أبي مسكين قال:

مروان بن الحكم و النغاشي المخنث:

كان بالمدينة مخنث يقال له النغاشي، فقيل لمروان بن الحكم: إنه لا يقرأ من كتاب الله شيئا، فبعث إليه يومئذ، و هو على المدينة، فاستقرأه أم الكتاب؛ فقال: و الله ما معي بناتها، أو ما أقرأ البنات فكيف أقرأ أمهن!

-
- 1- كان أبو بكر يلقب بالصديق، و عمر بالفاروق، و عثمان بذي النورين، و يشير بقوله: «أخو نبينا» إلى عليّ بن أبي طالب رضي الله عنهم.
- 2- الإيقاع: بناء ألحان الغناء على موقعها و ميزانها.

فقال: أتهزأ لأُمِّ لك! فأمر به فقتل في موضع يقال له بطحان(1)، وقال: من جاءني فمخنث فله عشرة دنائير.

طلبه مروان في المخنثين ففر منه حتى مات:

فأتى طويس وهو في بني الحارث بن الخزرج من المدينة، وهو يغني بشعر حسان بن ثابت:

/

لقد هاج نفسك أشجانها *** وعاودها اليوم أديانها

تذكرت هنداً وما ذكرها *** وقد قطعت منك أفرانها

وقفت عليها فساءلتها *** وقد ظعن الحي ما شأنها

فصدت و جاوب من دونها *** بما أوجع القلب أعوانها

/فأخبر بمقالة مروان فيهم؛ فقال: أما فضدني الأمير عليهم بفضل حتى جعل فيّ وفيهم أمراً واحداً! ثم خرج حتى نزل السويداء - على ليلتين من المدينة في طريق الشام - فلم يزل بها عمره، وعمر حتى مات في ولاية الوليد بن عبد الملك.

هيت المخنث و بادية بنت غيلان:

قال إسحاق وأخبرني ابن الكلبي قال أخبرني خالد بن سعيد عن أبيه و عوانة قال:

قال هيت(2) المخنث لعبد الله بن أبي أمية: إن فتح الله عليكم الطائف فسل النبي صلى الله عليه وسلم بادية بنت غيلان بن سلمة بن معتب، فإنها هيفاء شموع(3) نجلاء، إن تكلمت تغنت، وإن قامت تثنت، تقبل بأربع وتدبر بثمان(4)، مع ثغر كأنه الأقحوان، وبين رجليها كالإناء المكفوء(5)، كما قال قيس بن الخطيم:

تغترق الطرف وهي لاهية *** كأنما شفت وجهها نرف

بين شكول النساء خلقتها *** فصد فلا جبلة ولا قصف

/فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لقد غلغت النظر يا عدو الله»، ثم جلاه عن المدينة إلى الحمى(6). قال هشام: وأول ما اتخذت التعوش(7) من أجلها. قال: فلما فتحت الطائف تزوجها عبد الرحمن بن عوف فولدت له بريهة. فلم يزل هيت بذلك المكان حتى قبض النبي صلى الله عليه وسلم؛ فلما ولي أبو بكر رضي الله عنه كلف فيه فأبى أن يردّه؛ فلما ولي عمر رضي الله عنه كلف فيه فأبى أن يردّه وقال: إن رأيته لأضربن عنقه؛ فلما ولي عثمان رضي الله عنه كلف فيه فأبى أن

ص: 23

1- بطحان - بفتح أوله و كسر ثانيه كما ضبطه أهل اللغة -: واد بالمدينة وهو أحد أوديتها الثلاثة: العقيق و بطحان و قناة. و المحدثون

ينطقونه بضم أوله و سكون ثانيه.

2- كذا في ء، ط، س. وفي ب: «هنب» وقد رواه أصحاب الحديث هكذا: «هيت» وبعضهم يقول: إن هذا تصحيف من الرواة و صوابه «هنب» بالنون و الباء. و الأزهري يرجح أن يكون «هيت» صواباً لأنه رواه كذلك الشافعي و غيره من كبار الأئمة (انظر «القاموس» و «شرحه» و «اللسان» في مادتي هنب و هيت).

3- الشموع: اللعوب الضحوك.

4- يريد أن عكن بطنها إذا أقبلت أربع و إذا أدبرت ثمان كما فسرہ ابن عبد ربه في «العقد الفريد» ج 1 ص 284 في باب صفات النساء.

5- في ب، س: «و بين رجليها المكفأ كالإناء المكفوء». و كلمة «المكفأ» هنا مقحمة. مستغنى عنها في الكلام.

6- في ط، ء: «الجماء» و الجماء: جبل بالمدينة على ثلاثة أميال من العقيق.

7- كذا صححه الأستاذ الشنقيطي بهامش نسخته، و هو جمع نعش و هو شبه المجفة يحمل عليها الملك إذا مرض. و في جميع النسخ: «النقوش» و لم يتبين لها معنى في هذا المقام.

يرده؛ فقيل له: قد كبر وضعف واحتاج؛ فأذن له أن يدخل كل جمعة فيسأل ويرجع إلى مكانه. وكان هيت مولى لعبد الله بن أبي أمية بن المغيرة المخزومي، وكان طويس له؛ فمن ثم قيل (1) الخنث.

و جلس يوما فغنى في مجلس فيه ولد لعبد الله بن أبي أمية:

تغترق الطرف وهي لاهية

إلى آخر البيتين؛ فأشير إلى طويس أن اسكت؛ فقال: والله ما قيل هذان البيتان في ابنة غيلان بن سلمة وإنما هذا مثل ضربه هيت في أم بريهة؛ ثم التفت إلى ابن عبد الله فقال: يا ابن الطاهر، أوجدت علي في نفسك؟ أقسم بالله قسما حقا لا أغني بهذا الشعر أبدا.

ضافه عبد الله بن جعفر فأكرمه وغناه:

قال إسحاق وحدثنا أبو الحسن الباهلي الراوية عن بعض أهل المدينة، وحدثنا الهيثم بن عدي والمدائني، قالوا:

كان عبد الله بن جعفر معه إخوان له في عشية من عشايا الربيع، فراحت عليهم السماء بمطر جود فأسال (2) كل شيء؛ فقال عبد الله: هل لكم في العقيق؟ - وهو منتره أهل المدينة في أيام الربيع والمطر - فركبوا دوابهم ثم انتهوا إليه فوقوا على شاطئه وهو يرمي بالزبد مثل مد الفرات، فإنهم لينظرون إذ هاجت السماء، فقال عبد الله لأصحابه ليس معنا جنة نستنج بها وهذه سماء خليقة أن تبل ثيابنا، فهل لكم في منزل طويس فإنه قريب منا فنستكن فيه ويحدثنا ويضحكنا؟ وطويس في النظارة يسمع كلام عبد الله بن جعفر؛ فقال له عبد الرحمن بن حسبان بن ثابت: جعلت فداك! وما تريد من طويس عليه غضب الله: مخث شائن لمن عرفه؛ فقال له عبد الله: لا تقل ذلك، فإنه مليح خفيف لنا فيه أنس؛ فلما استوفى طويس كلامهم تعجل إلى منزله فقال لامرأته: ويحك! قد جاءنا عبد الله بن جعفر سيد الناس، فما عندك؟ قالت: نذبح هذه العناق (3)، وكانت عندها عنيقة قد ربته باللبن، واختبز خبز رقاقا؛ فبادر فذبحها وعجنت هي. ثم خرج فتلقاه مقبلا إليه؛ فقال له طويس: بأبي أنت وأمي؛ هذا المطر، فهل لك في المنزل فتستكن فيه إلى أن تكف السماء؟ قال: إياك أريد؛ قال: فامض يا سيدي على بركة الله، وجاء يمشي بين يديه حتى نزلوا، فتحدثوا حتى أدرك الطعام، فقال: بأبي أنت وأمي، تكرمني إذ دخلت منزلي بأن تتعشدي عندي؛ قال: هات ما عندك؛ فجاءه بعناق سمينة وراقاق، فأكل وأكل القوم حتى تملئوا (4)، فأعجبه طيب طعامه، فلما غسلوا أيديهم قال: بأبي أنت وأمي، أتمشي معك وأغنيك؟ قال: افعل يا طويس؛ فأخذ ملحفة فأترز بها وأرخى لها ذنبين، ثم أخذ المربع (5) فتمشى وأنشأ يغني:

يا خليلي نابني سهدي *** لم تنم عيني ولم تكد

كيف تلحوني (6) على رجل *** أنس تلتذه كبدي

ص: 24

1- كذا في ط، ع، ح. وفي سائر النسخ: «قيل الخنث».

2- كذا في أغلب النسخ. وفي ب، س، ح: «فانسال» ولم نجد هذه الكلمة في كتب اللغة. ولعلها محرفة عن «فانثال» بمعنى تتابع و انصب.

3- العناق وزان سحاب: الأثني من ولد المعز.

4- تملئوا: اتملئوا من كثرة الأكل.

5- المربع: آلة من آلات الطرب، يريد دفعه لتربيعه كما سيأتي وصفه بذلك بعد في ص 37 من هذا الجزء.

6- لحاه يلحوه و يلحاه (من بابي نصر و فتح): لامه و عدله.

مثل ضوء البدر طلعتة *** ليس بالزَّميلة (1) التكد

فطرب القوم وقالوا أحسنت والله يا طويس. ثم قال: يا سيدي، أتدري لمن هذا الشعر؟ قال: لا والله، ما أدري لمن هو، إلا أني سمعت شعرا حسنا؛ قال: هو لفارعة (2) بنت ثابت أخت حسان بن ثابت وهي تتعشق عبد الرحمن بن الحارث بن هشام المخزومي وتقول فيه هذا الشعر؛ فنكس القوم رءوسهم، وضرب عبد الرحمن برأسه على صدره (3)، فلو شقت الأرض له لدخل فيها (4).

عَرَضَ بِسَعِيدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِي شِعْرِ غَنَاهُ فَأَعْضَبَهُ:

قال وحدثني ابن الكلبي والمدائني عن جعفر بن محرز قال:

خرج عمر بن عبد العزيز، وهو على المدينة، إلى السويداء وخرج الناس معه، وقد أخذت المنازل، فلحق بهم يزيد بن بكر بن داب الليثي وسعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت الأنصاري، فلقبهما طويس فقال لهما:

بأبي أنتما وأمي! عرجا إلى منزلي؛ فقال يزيد لسعيد: مل بنا مع أبي عبد التَّعيم (5)؛ فقال سعيد: أين تذهب/مع هذا المخنث! فقال يزيد: إنما هو منزل ساعة فمالا، واحتمل طويس الكلام على سعيد (6)، فأتيا منزله فإذا هو قد نضح و نصَّعه (7)، فأتاهما بفاكهة من فاكهة الماء (8)؛ ثم قال سعيد: لو أسمعتنا يا أبا عبد التَّعيم! فتناول خريطة (9) فاستخرج منها دقا ثم نقره وقال:

يا خليلي نابني شهدي *** لم تنم عيني ولم تكد

فشرابي ما أسيغ و ما *** أشتكي ما بي إلى أحد

كيف تلحوني على رجل *** أنس تلتذّه كبدي

مثل ضوء البدر صورته *** ليس بالزَّميلة التكد

من بني آل المغيرة لا *** حامل نكس ولا جحد (10)

نظرت يوما فلا نظرت *** بعده عيني إلى أحد

ثم ضرب بالدفّ الأرض؛ فقال سعيد: ما رأيت [كاليوم] (11) قَطُّ شعرا أجود ولا غناء أحسن منه؛ فقال له

ص: 25

1- الزميلة: الرذل الجبان الضعيف، يزمل في بيته خوفا و جبنا.

2- كذا في ء: وهي محرفة في سائر النسخ.

3- ضرب برأسه على صدره: أطرق استحياء و خجلا، و هو يريد بعبد الرحمن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت.

4- في ب، س، ح: «فلو شقت الأرض لدخل فيها خالدا».

5- في ب، س، ح: «مل بنا المنزل مع...».

6- أي حفظه له واضطغن عليه من أجله.

7- يريد أنه رشه بالماء ونظفه.

8- لم نعثر على معنى خاص لهذه الكلمة. وأقرب الكلمات تحريفا لها هي: «فاكهة الشتاء» وهي النار ولكنها غير مناسبة في هذا المقام.

9- الخريطة: وعاء من آدم.

10- النكس: الضعيف الدنيء الذي لا خير فيه. والجحد: القليل الخير.

11- هذه الكلمة ساقطة من ب، س، ح.

طويس: يا ابن الحسام، أتدري من يقوله؟ قال: لا؛ قال: قالته عمّتك خولة بنت ثابت تشبّب بعمارة بن الوليد بن المغيرة المخزومي؛ فخرج سعيد وهو يقول: ما رأيت كالיום قطّ (1) مثل/ ما استقبلني به هذا المخنث! والله لا يفلتني! فقال يزيد: دع هذا وأمه ولا ترفع به رأسا. قال أبو الفرج الأصبهاني: هذه الأبيات، فيما ذكر الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار، لابن زهير المخنث.

مدح ابن سريج غناءه:

قال إسحاق وحدثني الهيثم بن عدي عن ابن عيَّاش، وابن الكلبي عن أبي مسكين، قال:

قدم ابن سريج المدينة فغناهم، فاستظرف الناس غناءه وآثروه على كل من غنّى؛ وطلع عليهم طويس فسمعهم وهم يقولون ذلك (2)، فاستخرج دقا من حصنه ثم نقر به وغناهم بشعر عمارة بن الوليد المخزومي في خولة بنت ثابت، عارضها بقصيدتها فيه:

يا خليلي نابني سهدي *** لم تنم عيني ولم تكد

وهو:

تناهى فيكم وجدي (3) *** وصدع حبكم كبدي

فقلبي مسعر حزنا *** بذات الخال في الخدّ

فما لاقى أخو عشق *** عشير (4) العشر من جهدي

فأقبل عليهم ابن سريج فقال: والله هذا أحسن الناس غناء.

أخبرني وكيع محمد بن خلف قال حدثنا إسماعيل بن مجمّع قال حدثني المدائني قال:

قدم ابن سريج المدينة فجلس يوما في جماعة وهم يقولون: أنت والله أحسن الناس غناء، إذ مرّ بهم طويس فسمعهم وما يقولون: فاستلّ دقه من حصنه ونقره وتغنّى:

إن المجنّبة (5) التي *** مرّت بنا قبل الصّباح

في حلّة موشية *** مكية غرثى الوشاح (6)

زين لمشهد فطهرهم *** وتزينهم يوم الأضاحي

- الشعر لابن زهير المخنث. والغناء لطويس هزج، أخبرنا بذلك الحرمي بن أبي العلاء عن الزبير بن بكار - فقال ابن سريج: هذا والله أحسن الناس غناء لا أنا.

- 1- كذا في ط، أ، م. وفي سائر النسخ «ما رأيت قط كالיום ولا مثل ما استقبلني به إلخ».
- 2- كذا في ط، ء. وفي سائر النسخ: «وهم يقولون ذلك له».
- 3- في هامش ط إشارة إلى رواية أخرى وهي: خويلة شفني وجدي
- 4- العشير: جزء من العشرة كالعشر.
- 5- المجنبة: وصف من جنبه إذا أبعد. وفي ب، س، ح: «المخنثة».
- 6- غرثى الوشاح: خميصة البطن دقيقة الخصر.

تبع جارية فزجرته ثم تغنى بشعر:

قال إسحاق حدّثني المدائني قال: حدّثت أنّ طويسا تبع جارية فراوغته فلم ينقطع عنها، فخبّت (1) في المشي فلم ينقطع عنها؛ فلما جازت بمجلس وقفت ثم قالت: يا هؤلاء، لي صديق و لي زوج و مولى ينكحني، فسلوا هذا ما يريد منّي! فقال أضيّق ما قد وسّعوه. ثم جعل يتغنّى:

أفق يا قلب عن جمل *** و جمل قطعت جبلي

أفق عنها فقد عنّي *** ت حولاً في هوى جمل

و كيف يفيق محزون *** بجمل هائم العقل

براه الحبّ في جمل *** فحسبي الحبّ من ثقل (2)

و حسبي فيك ما ألقى *** من التّفنيد و العذل

و قد ما لا مني فيها (3) *** فلم أحفل بهم أهلي

حديث طويس و الرجل المسحور:

قال إسحاق و قال المدائني قال مسلمة بن محارب حدّثني رجل من أصحابنا قال:

خرجنا في سفرة و معنا رجل، فانتبهينا إلى واد فدعونا بالغداء، فمدّ الرجل يده إلى الطعام فلم يقدر عليه، و هو قبل ذلك يأكل معنا في كلّ منزل، فخرجنا نسأل عن حاله/فلقينا رجلاً طويلاً/أحول مضطرب الخلق في زيّ الأعراب، فقال لنا: ما لكم؟ فأنكرنا سؤاله لنا، فأخبرناه خبر الرجل؛ فقال: ما اسم صاحبكم؟ فقلنا: أسيد؛ فقال:

هذا واد قد أخذت (4) سباعه فارحلوا، فلو قد جاوزتم الوادي استمرّ (5) صاحبكم و أكل. قلنا في أنفسنا: هذا من الجنّ، و دخلتنا فرعة؛ ففهم ذلك و قال: ليفرخ (6) روعكم فأنا طويس. قال له بعض من معنا من بني غفار أو من بني عبس: مرحبا بك يا أبا عبد التّعيم، ما هذا الرّبيّ! فقال: دعاني بعض أودائي من الأعراب فخرجت إليهم و أحببت أن أتخطّى الأحياء فلا ينكروني. فسألت الرجل أن يعنّينا؛ فاندفع و نقر بدفّ كان معه مرّع، فلقد تخيل لي أنّ الوادي ينطق معه حسناً، و تعجّبنا من علمه و ما أخبرنا [به] (7) من أمر صاحبنا.

و كان الذي غنّى به في شعر عروة بن الورد في سلمى امرأته الغفاريّة حيث رهنها على الشراب:

سقوني الخمر ثم تكفّفوني *** عادة الله من كذب و زور

و قالوا لست بعد فداء سلمى *** بمفن ما لديك و لا فقير

- 2- كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س، ح: «فحسب القلب من ثقل».
- 3- في ط: «وقد ويخني فيها» وبهامشها ما بسائر النسخ.
- 4- كذا في ط، ء، و «نهاية الأرب» ج 4 ص 264 طبع دار الكتب، وأخذت: سحرت. وفي سائر النسخ: «أخاف سباعه».
- 5- استمر: قوي واستقام أمره.
- 6- ليفرخ روعكم: ليذهب رعبكم وفرعكم. (انظر الحاشية رقم 4 ص 226 من الجزء الأول).
- 7- زيادة في أ، م، ح.

فلا والله لو ملكت أمري*** و من لي بالتدبر في الأمور

إذا لعصيتهم في حبّ سلمى*** على ما كان من حسك(1) الصدور

فيا للناس كيف غلبت أمري*** على شيء و يكرهه ضميري

قصة عروة و امرأته سلمى الغفارية:

قال إسحاق و حدّثني الواقديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال:

لما غزا النبيّ صلّى الله عليه و سلّم بني التّضير و أجلاهم عن المدينة خرجوا يريدون خيبر يضربون بدفوف و يزمرون بالمزامير و على النساء المعصفرات و حليّ الذهب مظهرين لذلك تجلّدا، و مرّت في الظّعن(2) يومئذ سلمى امرأة عروة بن الورد [العبسي](3)، و كان عروة حليفا في بني عمرو بن عوف، و كانت سلمى من بني غفار، فسباها عروة من قومها و كانت ذات جمال فولدت له أولادا و كان شديد الحب لها و كان ولده يعيّرون بأمتهم و يسمّون بني الأخيذة - أي السّبية - فقالت: ألا ترى ولدك يعيّرون؟ قال: فما ذا ترين؟ قالت: أرى أن تردّني إلى قومي حتى يكونوا هم الذين يزوّجونك فأنعم(4) لها، فأرسلت إلى قومها أن ألقوه بالخمير ثم اتركوه حتى يسكر و يشمل فإنه لا يسأل حينئذ شيئا إلا أعطاه؛ فلقوه و قد نزل في بني التّضير فسقوه الخمر، فلما سكر سألوه سلمى فردّها عليهم ثم أنكحوه بعد.

و يقال: إنما جاء بها إلى بني التّضير، و كان صعلوكا يغير، فسقوه الخمر، فلما انتشى منعه و لا شيء معه إلا هي فرهنها، و لم يزل يشرب حتى غلقت(5)؛ فلما قال لها: انطلقي قالت: لا سبيل إلى ذلك، قد أغلقتني. فهذا صارت عند بني التّضير. فقال في ذلك:

سقوني الخمر ثم تكفّفوني*** عادة الله(6) من كذب و زور

/هذه الأبيات مشهورة بأن لطويس فيها غناء، و ما وجدته في شيء من الكتب مجنّسا فتذكر طريقته.

كان يغري بين الأوس و الخزرج و يتغنى بالشعر الذي قيل في حروبهم:

قال إسحاق و حدّثني المدائنيّ قال: كان طويس ولعا بالشعر الذي قالته الأوس و الخزرج في حروبهم، و كان يريد بذلك الإغراء، فقلّ مجلس اجتمع فيه هذان/الحَيّان فغنى فيه طويس إلا وقع فيه شيء؛ فنهى عن ذلك، فقال:

والله لا تركت الغناء بشعر الأنصار حتى يوسّدوني التراب؛ و ذلك لكثرة تولّع القوم به، فكان يبدي السرائر و يخرج الضغائن، فكان القوم يتشائمون به.

ص: 28

1- الحسك: الشوك، و يكنى به عن العداوة و الحقد.

2- الظعن: جمع ظعينة و هي المرأة في هودجها، و قد يقال للمرأة ظعينة إن كانت في بيتها لأنها تصير ظعينة أي مظعوننا بها. و يسمى الهودج أيضا ظعينة سواء كانت فيه امرأة أم لا.

3- زيادة في أ، م.

4- أنعم لها: قال لها نعم.

5- غلق الرهن في يد المرتهن: استحققه، وذلك إذا لم يقدر الراهن على افتكاكه في الوقت المشروط.

6- في أ، م، ء، ط: ألا لله من كذب وزور وقد تقدم هذا البيت باتفاق الأصول كما في رواية الصلب.

و كان يستحسن غناؤه و لا يصبر عن حديثه و يستشهد على معرفته، فغنى يوما بشعر قيس بن الخطيم في حرب الأوس و الخزرج و هو:

ردّ الخليلط الجمال فانصرفوا *** ما ذا عليهم لو أنهم وقفوا

لو وقفوا ساعة نسائلهم *** ريث يضحّي جماله السلف

فليت أهلي و أهل أثلة في ال *** دار قريب من حيث نختلف

فلما بلغ إلى آخر بيت غنى فيه طويس من هذه القصيدة و هو:

أبلغ بني جحجبي و قومهم *** خطمة أنا وراءهم أنف

تكلّموا و انصرفوا و جرت بينهم دماء، و انصرف طويس من عندهم سليما لم يكلم و لم يقل له شيء.

سب الحرب بين الأوس و الخزرج:

قال إسحاق فحدّثني الواقديّ و أبو البختريّ (1)، قال:

قال قيس بن الخطيم هذه القصيدة لشغب أثاره القوم بعد دهر طويل (2). و نذكر سب أول ما جرى بين الأوس و الخزرج من الحرب:

قال إسحاق قال أبو عبد الله اليزيدي [و أبو البختريّ] (3)، و حدّثني مشايخ لنا قالوا: كانت الأوس و الخزرج أهل عزّ و منعة و هما أخوان لأب و أمّ و هما ابنا حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر، و أمهما قبيلة بنت جفنة بن عتبة بن عمرو؛ و قضاة تذكر أنها قبيلة بنت كاهل بن عذرة بن سعد بن زيد بن سود بن أسلم بن الحاف بن قضاة. و كانت أول حرب جرت بينهم في مولى كان لمالك بن العجلان قتله سمير بن يزيد بن مالك، و سمير رجل من الأوس ثم أحد بني عمرو بن عوف، و كان مالك سيد الحيين (4) في زمانه، و هو الذي ساق تبعا إلى المدينة و قتل الفطيون (5) صاحب زهرة (6) و أذلّ اليهود للحيين جميعا، فكان له بذلك الذكر و الشرف عليهم، و كانت دية المولى فيهم - و هو الحليف - خمسا من الإبل، و دية الصريح عشرا، فبعث مالك إلى عمرو بن عوف: ابعثوا إليّ سميرا حتى أقتله بمولاي فأنا نكره أن تتشب بيننا و بينكم حرب؛ فأرسلوا إليه: إنّا نعطيك الرضا من مولاك فخذ منا

ص: 29

1- في ب، س: «أبو البختريّ».

2- في ب، س، ح: «قال قيس بن الخطيم شعرا أثار القوم و هو طويل».

3- زيادة في ء، ط و هامش أ.

4- في ح، أ، م: «الحضر».

5- حدّث عنه «ياقوت» في الكلام على يثرب حيث قال في ج 4 ص 463: «و كان ملك بني إسرائيل يقال له الفيظوان. و في «كتاب ابن الكلبي»: الفطيون بكسر الفاء و الياء بعد الطاء، و كانت اليهود و الأوس و الخزرج يدينون له إلخ». و ذكره ابن الأثير في «الكامل» ج 1 ص 492 طبع ليدن سنة 1866 م، و ضبط فيه بالقلم بكسر أوله و إسكان ثانيه، فقال ما ملخصه: إنه كان عظيم اليهود بالمدينة و كان رجل سوء

فاجرا، وكانت اليهود تدين لهذا الرجل إلى أن كانت لا تزوج امرأة منهم حتى تدخل عليه قبل دخولها على زوجها، ويقال: إنه كان يفعل ذلك بنساء الأوس والخزرج، وكانت الغلبة يومئذ لليهود عليهم، حتى جاء زفاف أخت لمالك بن العجلان فأثارت في أخيها عوامل الحمية والغيرة، فتزيا مالك بزَيِّ امرأة وتقلد سيفه واندس فيمن كان معها من النساء وقتل الفطيون، ثم فر هاربا إلى الشام حتى دخل على أبي جبيلة عبيد بن سالم بن مالك الخزرجي، وكان أثيرا عند ملوك غسان، فشكا إليه حاله، فأقسم أبو جبيلة ليدلنَّ اليهود وليجعلن الغلبة للأوس والخزرج عليهم. وقد فعل اه بتصرف في العبارة.

6- زهرة: القبيلة المعروفة التي ينتسب إليها عبد الرحمن بن عوف الزهري.

عقله (1)، فإنك قد عرفت/أن الصريح لا يقتل بالمولى؛ قال: لا أخذ في مولاي دون دية الصريح، فأبوا إلا دية المولى. فلما رأى ذلك مالك بن العجلان جمع قومه من الخزرج، وكان فيهم مطاعا، وأمرهم بالتهيؤ للحرب. فلما بلغ الأوس استعدادوا لهم وتهيؤوا للحرب واختاروا الموت على الذل؛ ثم خرج بعض القوم إلى بعض فالتقوا بالصفينة بين بئر سالم (2) وبين قباء (قرية لبني عمرو بن عوف) فاقتتلوا قتالا شديدا حتى نال بعض القوم من بعض. ثم إن رجلا من الأوس نادى: يا مالك، ننشدك الله والرحم (3) - وكانت أم مالك إحدى نساء بني عمرو بن عوف - فاجعل بيننا وبينك عدلا من قومك فما حكم علينا سلّمنا لك؛ فارعوى مالك عند ذلك، وقال نعم؛ فاختاروا عمرو بن امرئ القيس أحد بني الحارث بن الخزرج فرضي القوم به، واستوثق منهم، ثم قال: فإنني أفضي بينكم: إن كان سمير قتل صريحا من القوم فهو به قود، وإن قبلوا العقل فلهم/دية الصريح؛ وإن كان قتل مولى فلهم دية المولى بلا نقص، ولا يعطى فوق نصف الدية، وما أصبتم منا في هذه الحرب ففيه الدية مسلّمة إلينا، وما أصبنا منكم فيها علينا فيه دية مسلّمة إليكم. فلما قضى بذلك عمرو بن امرئ القيس غضب مالك بن العجلان ورأى أن يردّ عليه رأيه، وقال: لا أقبل هذا القضاء؛ وأمر قومه بالقتال، فجمع القوم بعضهم لبعض ثم التقوا بالفضاء (4) عند أطام بني قينقاع، فاقتتلوا قتالا شديدا، ثم تداعوا إلى الصلح فحكّموا ثابت بن حرام بن المنذر أبا حسان بن ثابت النجاري، فقضى بينهم أن يدوا مولى مالك بن العجلان بدية الصريح ثم تكون السّنة فيهم بعده على مالك وعليهم كما كانت أول مرة: المولى على ديته؛ والصريح على ديته؛ فرضي مالك وسلم الآخرون. وكان ثابت إذ حكّموه/أراد إطفاء النائرة (5) فيما بين القوم ولم شعّتهم، فأخرج خمسا من الإبل من قبيلته حين أبت عليه الأوس أن تؤدّي إلى مالك أكثر من خمس وأبي مالك أن يأخذ دون عشر. فلما أخرج ثابت الخمس أرضى مالكا بذلك ورضيت الأوس، واصلحوا بعهد وميثاق ألا يقتل رجل في داره ولا معقله - والمعقل: النخل - فإذا خرج رجل من داره أو معقله فلا دية له ولا عقل. ثم انظروا (6) في القتلى فأبى الفريقين فضل على صاحبه ودى له صاحبه. فأفضلت الأوس على الخزرج بثلاثة نفر فودتهم الأوس واصلحوا. ففي ذلك يقول حسان بن ثابت لما كان أبوه أصلح بينهم ورضاهم بقضائه في ذلك:

وأبي في سميحة القائل الفا *** صل حين التفت عليه الخصوم

وفي ذلك يقول قيس بن الخطيم قصيدته وهي طويلة:

ردّ الخليط الجمال فانصرفوا *** ما ذا عليهم لو أنّهم وقفوا

أنشد عمر بن عبد العزيز شيئا من شعره و قال هو أنسب الناس:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه قال:

ص: 30

1- عقله: ديته.

2- كذا في ط: وفي سائر النسخ: «بني سالم» انظر ص 24 من هذا الجزء.

3- في ب، س، ح: «ننشدك بالله والرحم».

4- كذا في ط، ع: و الفضاء كما في «ياقوت»: موضع بالمدينة، ولم يعينه. ولعله هو المراد هنا أو أنه أراد مطلق الفضاء المتسع.

5- كذا في ط، ع. و النائرة: الفتنة القائمة المنتشرة. وفي باقي الأصول: «إطفاء النائرة» بالثاء المثناة.

6- كذا في جميع الأصول. و كان الأولى بالسياق أن يقول: «ثم قال انظروا إلخ» أو «ثم أن ينظروا» على أن يكون معطوفا على معمول «فقضى» المتقدمة.

كان عمر بن عبد العزيز ينشد قول قيس بن الخطيم:

بين شكول النساء خلقتها *** قصد فلا جبلة ولا قصف

تنام عن كبر شأنها فإذا *** قامت رويدا تكاد تنقصف

تغترق الطرف وهي لاهية *** كأنما شفت وجهها نرف

ثم يقول: قائل هذا الشعر أنسب (1) الناس.

ومما في المائة المختارة من أغاني طويس صوت

أصوات من المائة المختارة:

يا لقومي قد أرقنتني الهموم *** ففؤادي مما يجنّ سقيم

أندب الحبّ في فؤادي ففيه *** لو تراءى للناظرين كلوم

يجنّ: يخفى، والجنّة من ذلك، والجنّ أيضا مأخوذ منه. وأندب: أبقى فيه ندبا وهو أثر الجرح؛ قال ذو الرمة:

تريك سنّة (2) وجه غير مقرفة *** ملساء ليس بها خال ولا ندب

الشعر لابن قيس الرقيّات فيما قيل. والغناء لطويس، ولحنه المختار خفيف رمل مطلق/في مجرى الوسطى، قال إسحاق: وهو أجود لحن غنّاه طويس، ووجدته في كتاب الهشاميّ خفيف رمل بالوسطى منسوباً إلى ابن طنبورة. قال وقال ابن المكيّ: إنه لحكم، وقال عمرو بن بانه: إنه لابن عائشة أوله هذان البيتان، وبعدهما:

ما لذا الهمّ لا يريم فؤادي (3) *** مثل ما يلزم الغريم الغريم

إنّ من فرق الجماعة منّا *** بعد خفض (4) ونعمة لذميم

انقضت أخبار طويس.

صوت من المائة المختارة من صنعة قفا النجار

حجب الألى كنا نسرّ بقريهم *** يا ليت أنّ حجابهم لم يقدر

ص: 31

- 2- سنة الوجه: صورته. وغير مقرفة: غير كريهة. والمراد وصف صورة وجهها بالحسن. وقد أورد صاحب «اللسان» هذا البيت شاهداً على أن مقرفاً في قولهم: «وجه مقرف» بمعنى غير حسن. وقيل: إن «مقرفة» هنا بمعنى مدانية الهجنة، يقال: أقرف الرجل إذا دنا من الهجنة، و على هذا التفسير ذهب الصاغانى فقال: هو يقول: إنها كريمة الأصل لم يخالطها شيء من الهجنة.
- 3- في أ، م، ط، ء: «لا يريم وسادي». ولا يريم: لا يبرح.
- 4- الخفض: سعة العيش ولينه. والنعمة (بالفتح): النعيم ورغد العيش.

حجبوا و لم تقض اللبانة منهم*** ولنا إليهم صبوة لم تقصر(1)

و يحيط منزرها بردف كامل*** رابى المجسة(2) كالكتيب الأعفر

و إذا مشت خلت الطريق لمشيها*** و حلا(3) كمشي المرجحن(4) الموقر

لم يقع إلينا قائل هذا الشعر. و الغناء لقفا النجار، و لحنه المختار من النقييل الثاني بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. و يقال: إن فيه لحننا لابن سريح. و ذكر يحيى بن عليّ [ابن يحيى](5) في الاختيار الواقعيّ أنّ لحن قفا النجار المختار من النقييل الأوّل.

صوت من المائة المختارة

أفق يا دارميّ فقد بليتاً*** و إنك سوف توشك أن تموتا

أراك تزيد عشقا(6) كلّ يوم*** إذا ما قلت إنك قد بريتا

الشعر و الغناء جميعاً لسعيد الدارميّ، و لحنه المختار من خفيف النقييل الأوّل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

ص: 32

1- لم تقصر: لم تكف و لم تنته.

2- المجسة الموضع التي تقع عليه اليد عند الجس، فمعنى رابى المجسة: أنه عظيم سمين حيث يجس.

3- وحلا: ذا وحل.

4- المرجحن: المائل من ثقله. و الموقر: الذي يحمل حملاً ثقيلًا.

5- زيادة في أ، م.

6- في أ، م، ط، ء: «غشياً كل يوم». و غشي عليه (مجهولاً غشياً بالفتح و الضم و غشياناً): نابه ما غشي عقله.

نسبه و كان من الشعراء وأرباب النوادر:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني هارون بن محمد بن عبد الملك الزيّات قال حدّثني أبو أيّوب المدنيّ قال حدّثني عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ عن عمه قال:

الدارميّ من ولد سويد بن زيد الذي كان جدّه قتل أسعد بن عمرو بن هند، ثم هربوا إلى مكة فحالفوا بني نوفل بن عبد مناف.

و كان الدارميّ في أيّام عمر بن عبد العزيز، وكانت له أشعار ونوادر، و كان من ظرفاء أهل مكّة، وله أصوات يسيرة. وهو الذي يقول:

ولما رأيتك أوليتني ال *** قبيح وأبعدت عني الجميلا

تركت وصالك في جانب *** وصادفت في الناس خلا بديلا

شيب بذات خمار أسود فنفتت الخمر السود و لم تبق فتاة إلا لبسته:

إشارة

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعيّ، وأخبرني عمّي قال حدّثنا فضل اليزيديّ عن إسحاق بن إبراهيم عن الأصمعيّ، وأخبرني عمّي قال حدّثنا أبو الفضل الرّياشيّ عن الأصمعيّ، قال و حدّثني به التّوشجانيّ عن شيخ له من البصريّين عن الأصمعيّ عن ابن أبي الرّناد، و لم يقل عن ابن أبي الرّناد [غيره] (1):

أنّ تاجرا من أهل الكوفة قدم المدينة بخمر (2) فباعها كلها و بقيت السود منها فلم تنفق (3)، و كان صديقا للدارميّ، فشكا ذلك إليه، و قد كان نسك (4) و ترك الغناء و قول الشعر؛ فقال له: لا تهتمّ بذلك فإنّي سأنفقها لك حتى تبعها أجمع؛ ثم قال:

صوت

قل للمليحة في الخمار الأسود *** ما ذا صنعت براهب متعبّد

قد كان شمّر للصلاة ثيابه *** حتى وقفت له بباب المسجد

ص: 33

1- التكلمة من ط، ء، ح.

2- الخمر: جمع خمار، وهو ما تغطي به المرأة رأسها.

3- نفقت السلعة (وزان نصر) نفاقا: راجت و رغب فيها. و أنفقها و نفقها: روجها.

4- نسك (وزان ضرب): تعبد و تزهّد و تقشف.

و غنّي فيه، و غنّي فيه أيضا سنان الكاتب، و شاع في الناس و قالوا: قد فتك(1) الدارميّ و رجع عن نسكه؛ فلم تبق في المدينة ظريفة إلا ابتاعت خمرا أسود حتى نفذ ما كان مع العراقيّ منها؛ فلما علم بذلك الدارميّ رجع إلى نسكه و لزم المسجد.

فأما نسبة هذا الصوت فإنّ الشعر فيه للدارميّ و الغناء أيضا، و هو خفيف ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. و فيه لسنان الكاتب رمل بالوسطى عن حبش. و ذكر حبش أن فيه لابن سريج هزجا بالبصر.

أخبرني إسماعيل بن يونس قال حدّثني أبو هفّان قال: حضرت يوما مجلس بعض قواد الأتراك و كانت له ستارة فنصبت، فقال لها(2): غنّي صوت الخمار الأسود المليح، فلم ندر ما أراد حتى غنّت:

قل للمليحة في الخمار الأسود

ثم أمسك ساعة ثم قال لها غنّي:

إني خريت و جئت أنتقله

فضحكت ثم قالت: هذا يشبهك! فلم ندر أيضا ما أراد حتى غنّت:

إنّ الخليط أجدّ منتقله

بخله و ظرفه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد قال حدّثني محمد بن أخي سلّم(3) الخزاعيّ قال حدّثني الحرمازيّ قال زعم [لي](4) ابن مودود قال:

/كان الدارميّ المكيّ شاعرا ظريفا و كانت متفتيات(5) أهل مكة لا يطيب لهنّ متنزّه إلا بالدارميّ، فاجتمع جماعة منهنّ في متنزّه لهنّ، و فيهنّ صديقة له، و كلّ واحدة منهنّ قد واعدت هواها(6)، فخرجن حتى أتين الجحفة(7) و هو معهنّ؛ فقال بعضهنّ لبعض: كيف لنا أن نخلو مع هؤلاء الرجال من الدارميّ؟ فإنّا إن فعلنا قطعنا في الأرض(8)؛ قالت لهنّ صاحبه: أنا أكفيكنّ؛ قلن: إنا نريد ألا يلومنا؛ قالت: عليّ أن ينصرف حامدا، و كان أبخل الناس، فأنته فقالت: يا دارميّ، إنّنا قد تغلنا(9) فاجلب لنا طيبا(10)؛ قال نعم هو ذا، آتي سوق الجحفة آتيكنّ منها بطيب؛ فأتى المكارين فاكترى خمرا فصار عليه إلى مكة و هو يقول:

ص: 34

1- فتك: مجن.

2- لم يتقدم لهذا الضمير مرجع و لكنه مفهوم من سياق الكلام أنه للجارية التي أمرت بالغناء.

3- كذا في أغلب النسخ. و في ب، س، ح: «محمد بن أبي سلمة الخزاعي».

4- هذه الكلمة ساقطة من ب، س.

5- متفتيات: وصف من تفتت الجارية إذا راهقت فخدّرت و منعت من اللعب مع الصبيان.

6- هواها: من تهواه و تحبه.

7- الجحفة: قرية بطريق المدينة على أربع مراحل من مكة، و هي ميقات أهل مصر و الشام إن لم يمروا على المدينة، فإن مروا بالمدينة فميقاتهم ذو الحليفة.

8- يريد أنه يمزق أعراضهن و ينشر ذلك في الأرض بين الناس.

9- تفل كفرح: تغيرت رائحته لطول عهده بترك الطيب.

10- في ط، أ، م: «فاحتل لنا طيبا».

أنا بالله ذي العزّ *** وبالرّكن وبالصّخره

من اللّائي يردن الطّي *** ب في اليسر وفي العسر(1)

و ما أقوى على هذا *** ولو كنت على البصرة

فمكث النسوة ما شئن. ثم قدم من مكة فلقيته صاحبتة ليلة في الطّواف، فأخرجته إلى ناحية المسجد و جعلت تعاتبه على ذهابه و يعاتبها، إلى أن قالت له: يا دارميّ، بحقّ هذه/البنية(2) أ تحبّني؟ فقال نعم، فبرّبها أ تحبّني؟ قالت نعم؛ قال: فيا لك الخير فأنت تحبّيني و أنا أحبّك، فما مدخل الدراهم بيننا!.

الدارمي و عبد الصمد بن علي:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبي قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمّي قال:

كان الدارميّ عند عبد الصمد بن عليّ يحدّثه، فأغفى عبد الصمد فعطس الدارميّ عطسة هائلة، ففزع عبد الصمد فزعا شديدا و غضب غضبا شديدا، ثم استوى جالسا و قال: يا عاضّ كذا من أمه(3) أ تقرّعني! قال: لا و الله و لكن هكذا عطاسي! قال: و الله لأتعتك في دمك(4) أو تأتيني ببنية على ذلك؛ قال: فخرج و معه حرسيّ(5) لا يدري أين يذهب به، فلقية ابن الريان(6) المكيّ فسأله؛ فقال: أنا أشهد لك؛ فمضى حتى دخل على عبد الصمد؛ فقال له: بم تشهد لهذا؟ قال: أشهد أني رأيتة مرّة عطس عطسة فسقط(7) ضرسه؛ فضحك عبد الصمد و خلى سبيله.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا هارون بن محمد قال حدّثنا الزبير قال:

قال محمد بن إبراهيم الإمام للدارميّ: لو صلحت عليك ثيابي لكسوتك؛ قال: فديتك! إن لم تصلح عليّ ثيابك صلحت عليّ دنائرك.

الدارمي مع نسوة من الأعراب:

أخبرنا محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا الزبير، و نسخت من كتاب هارون بن محمد: حدّثنا الزبير قال حدّثني يونس بن عبد الله الخياط قال:

/خرج الدارميّ مع السّعاة(8)، فصادف جماعة منهم قد نزلوا على الماء فسألهم فأعطوه دراهم، فأتى بها في ثوبه، و أحاط به أعرابيات فجعلن يسألنه و ألححن عليه و هو يردّهن؛ فعرفته صبيّة منهنّ فقالت: يا أخواتي، أ تدرين

ص: 35

1- في أ، م: «في اليسرة و العسرة».

2- البنية: الكعبة.

3- كذا في ط. و في باقي الأصول: «يا عاض كذا و كذا من أمه».

4- لأتعتك في دمك: لأريقن دمك حتى تقرّ فيه كما يقرّ الشياء الجامد في الماء و نحوه.

- 5- الحرس: الأعوان. قال في «المصباح»: جعل علما على الجمع هذه الحالة المخصوصة ولا يستعمل له واحد من لفظه، ولهذا نسب إلى الجمع، ولو جعل الحرس هنا جمع حارس ل قيل حارسيّ. قالوا: ولا يقال حارسيّ إلا إذا ذهب به إلى معنى الحراسة دون الجنس.
- 6- ابن الريان: هو أبو حامد محمد بن عبد الرحمن بن هشام المكيّ. وفي ط، ء: «أبو الزناد المكيّ».
- 7- كذا في ح. وفي سائر النسخ: «سقط».
- 8- السعاة: جمع ساع وهو العامل على الصدقات، يأخذها من الأغنياء ويردها على الفقراء.

من تسألن منذ اليوم؟ هذا الدارمي السائل. ثم أنشدت:

إذا كنت لا بدّ مستطعما *** فدع عنك من كان يستطعم

فولّي الدارمي هاربا منهمنّ و هنّ يتضحكن به.

الدارمي و الأوقص القاضي:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال أخبرني أحمد بن أبي خيثمة قال حدّثنا مصعب الزبيريّ قال:

أتى الدارميّ الأوقص القاضي بمكّة في شيء فأبطأ عليه فيه، و حاكمه إليه خصم له في حقّ، فحبسه به حتى أذاه إليه. فبينا الأوقص يوما في المسجد الحرام يصلّي ويدعو ويقول: يا ربّ أعتق رقبتني من النار، إذ قال له الدارميّ و الناس يسمعون: أولك رقبة تعتق! لا والله ما جعل الله، و له الحمد، لك من عتق و لا رقبة! فقال له الأوقص: ويلك! و من أنت؟ قال: أنا الدارميّ، حبستني وقتلتني؛ قال: لا تقل ذلك و ائتني فإني أعوّضك؛ فأتاه ففعل ذلك به.

نادرة له مع عبد الصمد بن علي:

أخبرني الحرميّ أحمد بن محمد بن إسحاق قال حدّثني الزبير بن بكار قال حدّثني عمّي قال:

مدح الدارميّ عبد الصمد بن عليّ بقصيدة و استأذنه في الإنشاد فأذن له؛ فلما فرغ أدخل إليه رجل من الشّراة(1)؛ فقال لغلّامه: أعط هذا مائة دينار و اضرب عنق/هذا؛ فوثب الدارميّ فقال: بأبي أنت و أمي! برك و عقوبتك جميعا نقدا! فإن رأيت أن تبدأ بقتل هذا، فإذا فرغ منه أمرته فأعطاني! فإني لن أريم من حضرتك حتى يفعل ذلك؛ قال: و لم ويلك؟ قال: أخشى أن يغلط فيما بيننا، و الغلط في هذا لا يستقال؛ فضحك و أجابه إلى ما سأل.

نادرة له في مرضه:

أخبرني الحرميّ قال حدّثنا الزبير قال حدّثني عمّي قال:

أصاب الدارميّ قرحة في صدره، فدخل إليه بعض أصدقائه يعوده. فرآه قد نفث/من فيه نفثا أخضر، فقال له: أبشر، قد اخضرت القرحة و عوفيت؛ فقال: هيهات! والله لو نفثت كلّ زمردة في الدنيا ما أفلت منها.

صوت من المائة المختارة

ياربع سلمى لقد هيّجت لي طربا *** زدت الفؤاد على علاّته وصبا

ربع تبدّل ممّن كان يسكنه *** عفر الطّباء و ظلّمانا به عصبا(2)

الشعر لهلال بن الأسعر المازنيّ، أخبرني بذلك وكيع عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه. و هكذا هو في رواية عمرو بن أبي عمرو الشّيبانيّ. و من لا يعلم ينسبه إلى عمر ابن أبي ربيعة و إلى الحارث بن خالد و نصيب، و ليس

-
- 1- الشراة: الخوارج، سموا بذلك لقولهم: «إننا شرينا أنفسنا في طاعة الله» أي بعناها بالجنة.
 - 2- الظلمان (بالضم والكسر): جمع ظليم وهو ذكر النعام. والعصب: الجماعات.

كذلك. والغناء في اللحن المختار لعزّور(1) الكوفيّ، و من الناس من يقول عزّون بالنون و تشديد الزاي، و هو رجل من أهل الكوفة غير مشهور ولا كثير الصنعة، ولا أعلم أنّي سمعت له بخبر ولا صنعة/غير هذا الصوت. و لحن هذا المختار ثقيل أول بالبنصر في مجراها عن إسحاق، وهكذا نسبه في الاختيار الوائقيّ. و ذكر عمرو بن بانه أنّ فيه لابن عائشة لحننا من الثقيل الأول بالبنصر. وفي أخبار الغريض عن حمّاد أنّ له فيه ثقيلًا أول. وقال الهشاميّ: فيه لعبد الله بن العباس لحن من الثقيل الثاني. و ذكر حبش أنّ فيه لحسين بن(2) محرز خفيف رمل(3) بالبنصر.

ص: 37

-
- 1- كذا في أكثر النسخ. وفي أ، م: «عزوز». وفي ح: «عزّون».
 - 2- كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س، ح: «الحسين بن محمد بن محرز».
 - 3- في أ، م: «خفيف ثقيل بالبنصر». وفي ح: «ثقيلًا بالبنصر».

نسبه و هو شاعر أموي شجاع أكلول:

هو، فيما ذكر خالد بن كلثوم، هلال بن الأسعر بن خالد بن الأرقم بن قسيم(1) بن ناشرة بن سيّار بن رزام بن مازن بن مالك بن عمرو بن تميم. شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية، وأظنه قد أدرك الدولة العباسية، وكان رجلاً شديداً عظيم الخلق أكلولاً معدوداً من الأكلة. قال أبو عمرو: وكان هلال فارساً شجاعاً شديداً البأس والبطش أكثر الناس أكلاً وأعظمهم في حرب غناء. هذا لفظ أبي عمرو. وقال أبو عمرو: وعمّر هلال بن أسعر عمراً طويلاً ومات بعد بلایا عظام مرّت على رأسه. قال: وكان رجل من قومه من بني رزام بن مالك يقال له المغيرة بن قنبر يعوله ويفضل عليه ويحتمل ثقله وثقل عياله فهلك، فقال هلال يرثيه:

كان المغيرة بن قنبر يعوله فلما مات رثاه:

ألا ليت المغيرة كان حيًا *** وأنى قبله الناس الفناء

لييك على المغيرة كلّ خيل *** إذا أفنى عرائكها(2) اللقاء

وييك على المغيرة كلّ كلّ *** فقير كان ينعشه العطاء

وييك على المغيرة كلّ جيش *** تمور(3) لدى معاركه الدماء

فتي الفتیان فارس كلّ حرب *** إذا شالت(4) وقد رفع اللّواء

القد وارى جديد(5) الأرض منه *** خصالا عقد عصمتها الوفاء

فصبرا للنوائب إن ألمّت *** إذا ما ضاق بالحدث الفضاء

هزبر تنجلي الغمرات عنه *** نقيّ العرض همّته العلاء

إذا شهد الكريهة خاض منها *** بحورا لا تكدرها الدلاء

جسور لا يروّع عند روع(6) *** ولا يثني عزيمته اتّقاء

ص: 38

1- سمي بقسيم كأمر وقسيم كزبير. وقد ضبط هذا الاسم بالقلم في ط كزبير.

2- العرائك: جمع عريكة. وأصل العريكة سنام البعير، وتقال على النفس، وعلى القوّة والشدّة، ولعل هذا المعنى هو المراد في هذا البيت. وقد فسرت العريكة بمعنى الشدّة والقوّة في قول الأخطل: من اللواتي إذا لانت عريكتها كان لها بعدها آل ومجهود (انظر «اللسان») مادة عرك).

3- تمور: تجري وتسيل.

4- شالت الحرب: تهيأت الآن يخوض الأبطال غمارها. وهو من شالت الناقة إذا رفعت ذنبها للقاح.

5- يريد بجديد الأرض قبره الذي جدّ منها و حفر ليدفن فيه.

6- في ط:

حليم في مشاهدته إذا ما *** حبا الحلماء أطلقها المرء(1)

حميد في عشيرته فقيد(2) *** يطيب عليه في الملاء الثناء

فإن تكن المنية أقصدته(3) *** وحم(4) عليه بالتلف القضاء

فقد أودى به كرم وخير(5) *** وعود بالفضائل وابتداء

وجود لا يضم إليه جودا *** مرأهه إذا جدّ الجراء(6)

كان عاديّ الخلق صبورا على الجوع:

وقال خالد بن كلثوم: كان هلال بن الأسعر، فيما ذكروا، يرد مع الإبل فيأكل ما وجد عند أهله ثم يرجع إليها ولا يتزوّد طعاما ولا شرابا حتى يرجع يوم ورودها، لا يذوق فيما بين ذلك طعاما ولا شرابا، وكان عاديّ الخلق(7) لا توصف صفته.

حكايات عن قوته:

قال/خالد بن كلثوم فحدّثنا عنه من أدركه: أنه كان يوما في إبل له، وذلك عند الظهيرة في يوم شديد وقع الشمس محتدم الهاجرة وقد عمد إلى عصاه فطرح عليها كساءه ثم أدخل رأسه تحت كسائه من الشمس، فبينما هو كذلك إذ مرّ به رجلان أحدهما من بني نهشل والآخر من بني فقيم(8)، كانا أشدّ تميميين في ذلك الزمان بطشا، يقال لأحدهما الهياج، وقد أقبلا من البحرين ومعهما أنواط(9) من تمر هجر(10)، وكان هلال بناحية الصّعب(11)؛ فلما انتهى إلى الإبل، ولا يعرفان هلالا بوجهه ولا يعرفان أن الإبل له، ناديا: ياراعي، أعندك شراب تسقيننا؟ وهما يظنّانه عبدا لبعضهم؛ فناداهما هلال ورأسه تحت كسائه: عليكما الناقة(12) التي صفتها كذا في موضع كذا

ص: 39

1- حبا: جمع حبة وهي الثوب الذي يحتبي به، واسم للاحتباء بالثوب أي الاشتمال به. وإطلاق الحبا يكنى به عن السفه والطيش. والمرء: المجادلة والملاحة والمخاصمة.

2- فقيد: يفتقده العافون ويطلبونه.

3- أقصدته: أصابته.

4- حم: قضى وقدر.

5- الخير: (بالكسر) الشرف.

6- مرأهه: مسابقه. والجراء: مصدر كالمجاراة وهي المسابقة والمفاخرة.

7- عاديّ الخلق: عملاق ضخم الجسم، نسبة إلى عاد. والعرب تضرب المثل بأحلام عاد لما تتصور من عظم خلقها، وتزعم أن أحلامها على مقادير أجسامها. قال الشاعر: كأنما ورثوا لقمان حكمته علما كما ورثوا الأحلام من عاد

8- في ط، أ، م: «بني تيم».

9- أنواط: جمع نوط، والنوط: الجلة الصغيرة فيها التمر ونحوه.

10- هجر: مدينة وهي قاعدة البحرين، وقبل ناحية البحرين كلها هجر، وهو الصواب.

11- الصعاب: اسم جبل بين اليمامة والبحرين، وقيل: رمال بين البصرة واليمامة صعبة المسالك.

12- في ب، س، ح: «عليكما بالناقاة». وهو كما يتعدى بنفسه يتعدى بالباء.

فأنيخاها(1) فإن عليها و طيين(2) من لبن، فاشربا منهما ما بدا لكما. قال فقال له أحدهما: ويحك! انهض يا غلام فأت بذلك اللبن! فقال لهما: إن تك لكما حاجة فستأتيانها فتجدان(3) الوطيين فتشربان؛ قال فقال أحدهما: إنك يا ابن اللخناء لغلظ الكلام، قم فاسقنا، ثم دنا من هلال و هو على تلك الحال. و قال لهما، حيث قال له أحدهما:

«إنك يا ابن اللخناء لغلظ الكلام»، أراكما و الله ستلقيان هوانا و صغارا؛ و سمعا ذلك منه، فدنا أحدهما فأهوى له ضربا بالسوط على عجزه و هو مضطجع، فتناول هلال يده فاجتذبه إليه و رماه تحت فخذه ثم ضغطه ضغطة؛ فنادى صاحبه: ويحك أغثني قد قتلتني! فدنا/صاحبه منه، فتناوله هلال أيضا فاجتذبه فرمى به تحت فخذه الأخرى، ثم أخذ برقابهما فجعل يصكّ برءوسهما(4) بعضا ببعض لا يستطيعان أن يمتنعا منه؛ فقال أحدهما: كن هلالا و لا نبالي(5) ما صنعت؛ فقال لهما: أنا و الله هلال، و لا و الله لا تفلتان مني حتى تعطيانني عهدا و ميثاقا لا تخيسان(6) به: لتأتيان المربرد(7) إذا قدمتما البصرة، ثم لتناديان بأعلى أصواتكما بما كان مني و منكما؛ فعاهداه و أعطياه نوطا من التمر الذي معهما، و قدما البصرة فأتيا المربرد فناديا بما كان منه و منهما.

و حدّث خالد عن كنيف(8) بن عبد الله المازنيّ قال: كنت يوما مع هلال و نحن نبغي إبلا لنا، فدفعنا إلى قوم من بكر بن وائل و قد لغبنا(9) و عطشنا، و إذا نحن بفتية شباب عند ركيّة(10) لهم/وقد وردت إبلهم، فلما رأوا هلالا استهلوا خلقه و قامته، فقام رجلان منهم إليه فقال له أحدهما: يا عبد الله، هل لك في الصّراع؟ فقال له هلال: أنا إلى غير ذلك أحوج؛ قال: و ما هو؟ قال: إلى لبن و ماء فإنني لغب ظمآن؛ قال: ما أنت بذائق من ذلك شيئا حتى تعطينا عهدا لتجيئتنا إلى الصّراع إذا أرحت(11) و رويت؛ فقال لهما هلال: إنني لكم ضيف، و الضيف لا يصارع [آله(12) و] ربّ منزله، و أنتم مكتفون من ذلك بما أقول لكم: اعمدوا إلى أشدّ فحل في إبلكم و أهيبه صولة و إلى أشدّ رجل منكم ذراعا، فإن لم أقبض على هامة البعير و على يد صاحبكم فلا يمتنع الرجل و لا البعير حتى أدخل يد الرجل في فم البعير، فإن لم أفعل ذلك فقد صرعتوني، و إن فعلته علمتم أن صراع أحدكم أيسر من ذلك. قال: فعجبوا من مقالته تلك، و أومئوا إلى فحل في إبلهم هائج صائل قطم(13)؛ فأتاه هلال و معه نفر من

ص: 40

1- في ء و إحدى روايتي ط: «فاقصداها». و في ط: «فانتحياها».

2- الوطب: سقاء اللبن خاصة.

3- في ط، ء، ح: «فتحذران». و حذر الشيء: أنزله من علو.

4- الجمع في رءوسهما دون الثنية لكرهية اجتماع تثنيتين مع ظهور المراد، و هو في مثل ذلك أكثر استعمالا من الثنية و الأفراد، و في القرآن الكريم: فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما.

5- كذا في ط، ء. و في سائر النسخ: «و لا تبالي» بالتاء.

6- لا تخيسان به: لا تغدران به و لا تنكثان.

7- المربرد: من أشهر محال البصرة، و كان يكون سوق الإبل فيه قديما ثم صار محلة عظيمة سكنها الناس و به كانت مفارحات الشعراء و مجالس الخطباء.

8- كذا في كذا. و في سائر النسخ: «كفيف» و في «القاموس» و شرحه مادة كنف أنه سمي بكفيف كزبير. و لم نعر على أنه سمي بكفيف.

9- لغبنا: تعبنا و أصابنا الإعياء.

10- الركيّة: البئر لأنها مركوة أي محفورة.

- 11- أراح الرجل: رجعت إليه نفسه بعد الإعياء.
- 12- زيادة في ط، أ، م، ء. و الأهل: من قولهم أهل. إذا أنس به.
- 13- كذا في ط و القطم: الهائج. وفي سائر النسخ: «فطم» بالفاء و هو تحريف.

أولئك القوم و شيخ لهم، فأخذ بهامة الفحل مما فوق مشفره فضغطها ضغطة جرجر الفحل [منها] (1) واستخذى و رغا، و قال: ليعطني من أحببتم يده أولجها في فم هذا الفحل. قال فقال الشيخ: يا قوم تنكبوا هذا الشيطان، فو الله ما سمعت فلانا (2) (يعني الفحل) (3) جرجر منذ بزل (4) قبل اليوم، فلا تعرضوا لهذا الشيطان. و جعلوا يتبعونه و ينظرون إلى خطوه و يعجبون من طول أعضائه حتى جازهم.

صارع في المدينة عبدا بأمر أميرها:

قال و حدّثنا من سمع هلالا- يقول: قدمت المدينة و عليها رجل من آل مروان، فلم أزل أضع عن إبلي و عليها أحمال للتجار حتى أخذ بيدي و قيل لي: أجب الأمير. قال: قلت لهم: و يلکم! إبلي و أحمالي! فقيل: لا بأس على إبلک و أحمالک. قال: فانطلق بي حتى أدخلت على الأمير، فسلمت عليه ثم قلت: جعلت فداک! إبلي و أماني! قال فقال: نحن ضامنون لإبلک و أمانتک حتى تؤدّيها إليك. قال فقلت/ عند ذلك: فما حاجة الأمير إليّ جعلني الله فداه؟ قال فقال لي - و إلى جنبه رجل أصفر، لا (5) و الله ما رأيت رجلا قطّ أشدّ خلقا منه و لا أغلظ عنقا، ما أدري أطوله أكثر أم عرضه - : إن هذا العبد الذي ترى لا و الله ما ترك بالمدينة عربيا (6) يصارع إلا صرعه، و بلغني عنك قوّة، فأردت أن يجري الله صرع هذا العبد على يدک فتدرك ما عنده من أوتار العرب. قال فقلت: جعلني الله فدا الأمير، إنني لغب نصب جانع، فإن رأى الأمير أن يدعني اليوم حتى أضع عن إبلي و أوّديّ أماني و أريح يومي هذا و أجيئه غدا فليفعل. قال فقال لأعوانه: انطلقوا معه فأعينوه على الوضع عن إبله و أداء أمانته و انطلقوا به إلى المطبخ فأشبعوه؛ ففعلوا جميع ما أمرهم به. قال: فظللت بقية يومي ذلك و بتّ ليلتي تلك بأحسن حال شبعا و راحة و صلاح أمر، فلما كان من الغد غدوت عليه و عليّ جبة لي صوف و بتّ (7) و ليس عليّ إزار إلا أنني قد شددت بعمامتي و سطي، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام، و قال للأصفر: قم إليه، فقد أرى أنه أتاك الله بما يخزيك؛ فقال العبد: أتزر يا أعرابي؛ فأخذت بتّي فاتزرت به على جبتّي؛ فقال: هيهات! هذا لا يثبت، إذا قبضت عليه جاء في يدي؛ قال فقلت: و الله ما لي من إزار؛ قال: فدعا الأمير بملحفة ما رأيت قبلها و لا علا جلدي مثلها، فشددت بها على حقوي (8) و خلعت الجبة؛ قال: و جعل العبد يدور/ حولي و يريد ختلي و أنا منه و جل و لا أدري كيف أصنع به، ثم دنا مني دنوة فنقد (9) جبته بظفرة نقدة [حتى] (10) ظننت أنه قد شجني و أوجعني، /فغاظني ذلك، فجعلت انظر

ص: 41

- 1- زيادة يقتضيتها السياق. و جرجر: ردد صوته في حنجرته. و استخذى: خضع.
- 2- كذا في جميع النسخ، و لكن الذي قاله أئمة اللغة أن فلانا و فلانة بغير أل يکنى بهما عن الآدميين، و الفلان و الفلانة بأل يکنى بهما عن غيرهم.
- 3- كذا في أ، م. و في بقية الأصول: «يعني هذا الفحل».
- 4- في ط: «برک» و في سائر النسخ: «نزل» بالنون بدل الباء، و كلتاها محرفة عن «بزل». و بزل البعير: فطر نابه و دخل في سنته التاسعة.
- 5- «لا» هذه زائدة، و العرب يزيدونها قبل القسم تمهيدا لنفي الجواب.
- 6- كذا في ع، ط. و في ح، و في ح، ب: «عبدا». و في س، أ، م: «عبدا عربيا».
- 7- البت: كساء غليظ مهلهل مربع أخضر. و قيل: هو من وبر و صوف.
- 8- الحقو: الخصر.
- 9- كذا في ع، ط. و نقد الشيء: نقره بإصبعه. و في باقي النسخ: «فنفذ جبته بظفره نقدة» و نفذ الشيء الشيء: خرقة. و المقام هنا بأباه.
- 10- الزيادة عن أ، م.

في خلقه بم أقبض منه، فما وجدت في خلقه شيئاً أصغر من رأسه، فوضعت إبهامي في صدغيه(1) وأصابني الأخر في أصل أذنيه، ثم غمزته غمزة صاح منها: قتلني! قتلتي! فقال الأمير: اغمس رأس العبد في التراب؛ قال فقلت له: ذلك لك علي؛ قال: فغمست والله رأسه في التراب و وقع شبيها بالمغشي عليه، فضحك الأمير حتى استلقى وأمر لي بجائزة(2) وكسوة وانصرفت.

قتل رجلا من بني جلان استجار بمعاذ فقبض عليه للثأر منه، ثم فر إلى اليمن وشعره في ذلك:

قال أبو الفرج: و لهلال أحاديث كثيرة من أعاجيب شدته. وقد ذكره حاجب بن ذبيان(3) فقال لقوم من بني رباب من بني حنيفة في شيء كان بينهم فيه أربع ضربات بالسيف، فقال حاجب:

وقائلة و باكية بشجو *** لبس السيف سيف بني رباب

و لولاقي هلال بني رزام *** لعجله إلى يوم الحساب

و كان هلال بن الأسعر ضربه رجل من بني عنزة ثم من بني جلان يقال له عبيد بن جري(4) في شيء كان بينهما، فشجّه و خمشه(5) خماشة، فأتى هلال بني جلان فقال: إن صاحبكم قد فعل بي ما ترون فخذوا لي بحقي، فأوعدوه و زجروه(6)؛ فخرج من عندهم و هو يقول: عسى أن يكون لهذا جزاء حتى أتى بلاد قومه؛ فمضى/الذالك زمن طويل حتى درس ذكره؛ ثم إن عبيد بن جري قدم الوقبي - و هو موضع من بلاد بني مالك - فلما قدمها ذكر هلالا و ما كان بينه و بينه فتخوفه؛ فسأل عن أعرّ أهل الماء، فقيل له: معاذ بن جعدة بن ثابت بن زرارة بن ربيعة بن سيّار بن رزام بن مازن؛ فأثاه فوجده غائبا عن الماء، فعقد عبيد بن جريّ طرف ثيابه إلى جانب طنّب بيت معاذ - و كانت العرب إذا فعلت ذلك و جب على المعقود طنّب بيته للمستجير به أن يجيره و أن يطلب له بظلامته - و كان يوم فعل ذلك غائبا عن الماء، فقيل: رجل استجار بآل معاذ بن جعدة. ثم خرج عبيد بن جريّ ليستقي، فوافق قدوم هلال بإبله يوم وروده، و كان إنما يقدمها في الأيام، فلما نظر هلال إلى ابن جريّ ذكر ما كان بينه و بينه، و لم يعلم باستجارته بمعاذ بن جعدة، فطلب شيئاً يضربه به فلم يجده، فانترع المحور(7) من السانية فعلاه به ضربة على رأسه فصرع و وقيداً(8) و قيل: قتل هلال بن الأسعر جار معاذ بن جعدة! فلما سمع ذلك هلال تخوف بني جعدة الرّزاميين، و هم بنو عمه، فأتى راحلته ليركبها. قال(9) هلال: فأتتني خولة بنت يزيد(10) بن ثابت أخي بني

ص: 42

1- كذا في ط، ء. و في ب، س، ح: «فوضعت إبهامي في صدغه و أصابعي الأخر في أصل أذنه الأخرى». و في أ، م: «في أصل أذنه» بدون الأخرى.

2- كذا في أغلب النسخ. و في ب، س: «بجائزة و صلة و كسوة». و في ح: «بجائزة و صلة و كسوة و مئزرة ثم انحدرت إلخ».

3- كذا في ء و هامش ط، و هكذا ورد في «تاريخ ابن جرير الطبري» في حوادث سنة 10 طبع أوروبا. و في ح: «صاحب بن ذبيان» و في باقي الأصول «حاجب بن دينار».

4- كذا في أكثر النسخ. و في ط، ح: «حري» بالحاء المهملة.

5- الخمس: الخدش في الوجه، و قد يستعمل للخدش في سائر الجسد.

6- كذا في أ، م، س. و في باقي النسخ: «زبروه».

7- المحور الحديدية التي تجمع بين الخطاف و البكرة. و السانية: الدلو العظيمة مع أدواتها.

8- الوقيذ: الدنف الذي أشفى على الموت.

9- كذا في أ، م، ح. وفي سائر النسخ: «فقال» ولا موقع لهذه الفاء.

10- في ط، ح، ء: «زيد».

جعدة بن ثابت، وهي جدّة أبي السّفّاح زهيد(1) بن عبد الله بن مالك أمّ أبيه، فتعلّقت بثوب هلال، ثم قالت: أي عدوّ الله قتلت جارنا! والله لا تفارقني حتى يأتيك رجالنا! قال هلال: والمحور في يدي لم أضعه؛ قال: فهممت أن أعلو به رأس خولة، ثم قلت في نفسي: عجوز لها سنّ وقرابة! قال: فضربت بها برجلي ضربة رميت بها من بعيد، ثم أتيت/ناقتي فأركبها(2) ثم أضربها هاربا. وجاء معاذ بن جعدة وإخوته - وهم يومئذ تسعة إخوة - وعبد الله بن مالك زوج لبنت معاذ [و(3) يقال لها جبيلة، وهو مع/ذلك ابن عمّتهم خولة بنت يزيد بن ثابت، فهو معهم كأنه بعضهم؛ فجاءوا من آخر النهار فسمعوا الواقعة(4) على الجلائيّ وهو دنف لم يمت، فسألوا عن تلك الواقعة فأخبروا بما كان من استجارة الجلائيّ بمعاذ بن جعدة وضرب هلال له من بعد ذلك؛ فركب الاخوة التسعة وعبد الله بن مالك عاشرهم، وكانوا أمثال الجبال في شدّة خلقهم مع نجدتهم، وركبوا معهم بعشرة غلّمة لهم أشدّ منهم خلقا لا يقع لأحد منهم سهم في غير موضع يريده من رميته، حتى تبعوا هلالا؛ وقد نسل(5) هلال من الهرب يومه ذلك كلّه وليلته، فلما أصبح أمنهم وظنّ أن قد أبعد في الأرض ونجا منهم؛ وتبعوه، فلما أصبحوا من تلك الليلة قصّوا(6) أثره، وكان لا يخفى أثره على أحد لعظم قدمه، فلحقوه من بعد الغد، فلما أدركوه وهم عشرون ومعهم النّبل والقسيّ والسيوف والترسة(7)، ناداهم: يا بني جعدة، إني أنشدكم الله! أن أكون قتلت رجلا غريبا طلبته بتره تقتلونني وأنا ابن عمّكم! وظنّ أنّ الجلائيّ قد مات، ولم يكن مات إلى أن تبعوه وأخذوه؛ فقال معاذ: والله لو أيقنّا أنه قد مات ما ناظرنا بك(8) القتل من ساعتنا ولكنّا تركناه ولم يمت، ولسنا نحبّ قتلك إلا أن تمتنع منا، ولا نقدم عليك حتى نعلم ما يصنع جارنا؛ فقاتلهم وامتنع منهم، فجعل معاذ يقول لأصحابه وغلّمانه: لا ترموه/بالنبل ولا تضربوه بالسيوف، ولكن ارموه بالحجارة واضربوه بالعصيّ حتى تأخذوه؛ ففعلوا ذلك، فما قدروا على أخذه حتى كسروا من إحدى يديه ثلاث أصابع ومن الأخرى إصبعين، ودقّوا ضلعين من أضلاعه وأكثروا الشّجاج في رأسه، ثم أخذوه وما كادوا يقدرّون على أخذه، فوضعوا في رجله أدهم(9)، ثم جاءوا به وهو معروض على بعير حتى انتهوا به إلى الوقيّ فدفعوه إلى الجلائيّ ولم يمت بعد، فقالوا(10): انطلقوا به معكم إلى بلادكم ولا تحدثوا في أمره شيئا حتى تنظروا ما يصنع بصاحبكم، فإن مات فاقتلوه وإن حيي فأعلمونا حتى نحمل لكم أرش(11) الجناية. فقال الجلائيّون: وقت ذمّتم يا بني جعدة، وجزاكم الله أفضل ما يجزي به خيار الجيران، إنّنا نتخوّف أن ينزعه مئتا قومكم إن خليتم عتّا و عنهم وهو في أيدينا؛ فقال لهم معاذ: فإني أحمله معكم وأشيعكم حتى تردوا بلادكم، ففعلوا ذلك،

ص: 43

1- كذا في أكثر النسخ. وفي إحدى روايتي ط: «مهند». وفي ح: «وهي جدّة أبي السّفّاح وهي بنت عبد الله إلخ».

2- في ح: «فركبتها».

3- هذه الواو ساقطة من ب، س، ح.

4- الواقعة: الصراخ على الميت.

5- نسل: أسرع في سيره.

6- قص أثره قصا و قصصا: تتبعه.

7- الترسة: جمع ترس، وهو صفيحة من الفولاذ مستديرة تحمل للوقاية من السيف.

8- ما ناظرنا بك القتل: ما أخرناه. ولم نجد هذه الصيغة بهذا المعنى في كتب اللغة التي بين أيدينا.

9- الأدهم: القيد.

10- كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س، ح: «فقال».

11- الأرش: دية الجراحات.

فحمل معروضا على بعير وركبت أخته جماء(1) بنت الأسعر معه، و جعل يقول: قتلتي بنو جعدة! و تأتيه أخته بمغرة(2) فيشربها فيقال: يمشي(3) بالدم، لأن بني جعدة فرثوا(4) كبده في جوفه. فلما بلغوا أدنى بلاد بكر بن وائل قال الجلائيون لمعاذ وأصحابه: أدام الله عزكم، و قد وفيتم فانصرفوا. و جعل هلال يريهم أنه يمشي في الليلة عشرين مرة. فلما ثقل الجلائيين و تخوف هلال أن يموت من ليلته أو يصبح ميتا، تبرز هلال كما كان يصنع و في رجله الأدهم كأنه يقضي حاجة، و وضع كساءه على عصاه في ليلة ظلماء، ثم اعتمد على الأدهم فحطمه، ثم طار تحت ليلته على رجله، و كان أدل الناس فتكّب الطريق التي تعرف و يطلب فيها/و جعل يسلك المسالك التي لا يطمع فيها. حتى انتهى إلى رجل من بني أثالة بن مازن يقال له السعير بن يزيد بن طلق(5) بن جبيلة بن أثالة بن مازن، فحمله السعير على ناقة له يقال لها ملوة، فركبها ثم تجنّب بها الطريق/فأخذ نحو بلاد قيس بن عيلان، تخوفاً من بني مازن أن يتبعوه أيضا فيأخذوه، فسار ثلاث ليال و أيامها حتى نزل اليوم الرابع، فنحر الناقة فأكل لحمها كله إلا فضلة فضلت منها فاحتلمها، ثم أتى بلاد اليمن فوقع بها، فلبث زمانا و ذلك عند مقام(6) الحجاج بالعراق، فبلغ إفلاته من بالبصرة من بكر بن وائل، فانطلقوا إلى الحجاج فاستعدوه و أخبروه بقتله صاحبهم؛ فبعث الحجاج إلى عبد الله بن شعبة بن العلقم، و هو يومئذ عريف بني مازن حاضرتهم و باديتهم، فقال له: لتأتيني بهلال أو لأفعلن بك و لأفعلن؛ فقال له عبد الله بن شعبة: إن أصحاب هلال و بني عمه قد صنعوا كذا و كذا: فاقصص عليه ما صنعوا في طلبه و أخذه و دفعه إلى الجلائيين و تشييعهم إياه حتى وردوا بلاد بكر بن وائل؛ فقال له الحجاج: ويلك! ما تقول؟ قال فقال بعض البكريين: صدق، أصلح الله الأمير؛ قال فقال الحجاج: فلا يرغم الله إلا أنوفكم(7)، اشهدوا أنني قد آمنت كل قريب لهلال و حميم و عريف و منعت من أخذ أحد به و من طلبه حتى يظفر به البكريون أو يموت قبل ذلك.

فلما وقع هلال إلى بلاد اليمن بعث إلى بني رزام بن مازن(8) بشعر يعاتبهم فيه و يعظّم عليهم حقّه و يذكر قرابته، و ذلك أنّ سائر بني مازن قاموا ليحملوا ذلك الدم، فقال معاذ: لا أرضى و الله أن يحمل لجاري دم واحد حتى يحمل له دم و لجواري دم آخر، و إن أراد هلال الأمان وسطنا حمل له دم ثالث؛ فقال هلال في ذلك:

بني مازن لا تطردوني فإتني *** أخوكم و إن جرّت جرائرها(9) يدي

و لا تتلجوا أكباد بكر بن وائل *** بترك أخيكم كالخليع المطرّد

و لا تجعلوا حفطي بظهر و تحفظوا *** بعيدا ببغضاء يروح و يغتدي(10)

فإنّ القريب حيث كان قريبكم *** و كيف بقطع الكفّ من سائر اليد

ص: 44

1- كذا في ب، س، ح. وفي ء، أ، م «حماء» بالحاء المهملة و المد و في ط: «حما» بالحاء المهملة مقصورا.

2- المغرة (بالفتح و بالتحريك): طين أحمر يصبغ به.

3- أمشى الرجل: استطلق بطنه من دواء تناوله.

4- فرثوا كبده: ضربوها و هو حي.

5- في ط، ء: «علق» و في أ، م: «على».

6- كذا في ب، س، ح. و في باقي الأصول: «عند مقدم الحجاج العراق».

7- كذا في أكثر الأصول، و في س: «أنوفهم».

8- كذا في ط، ح، ء. وفي سائر النسخ: «مالك» و مالك جد رزام لا أبوه (راجع أول هذه الترجمة).

9- الجرائز: جمع جريرة وهي الذنب والجنابة.

10- كذا في ط، ء. وهو الأقرب إلى الصواب. وفي باقي النسخ: «تروح وتعتدي» بالتاء.

وإن البعيد إن دنا فهو جاركم *** وإن شطّ عنكم فهو أبعد أبعد
وإني وإن أوجدتموني (1) لحافظ *** لكم حفظ راض عنكم غير موجد
سيحمي حماكم بي وإن كنت غائبا *** أغرّ إذا ما ريع لم يتبدّل
وتعلم بكر أنكم حيث كنتم *** وكنت من الأرض الغربية محتدي
وأيّ ثقيل حيث كنت على العدا *** وأني وإن أوحدت لست بأوحد
وأنهم لما أرادوا هضمي *** منوا (2) بجميع القلب غضب مهتد
حسام متى يعزم على الأمر يأتاه *** ولم يتوقّف للعواقب في غد
وهم بدءوا بالبغي حتّى إذا جزوا *** بأفعالهم قالوا لجازيهم (3) قد (4)
فلم يك منهم في البدئية (5) منصف *** ولم يك فيهم في العواقب مهتدي
أو لم يفعلوا فعل الحليم فيجملوا (6) *** ولم يفعلوا فعل العزيز المؤيّد
فإن يسر لي إيعاد (7) بكر فربّما *** منعت الكرى بالغيز من متوعّد
وربّ حمى قوم أبحت و مورد *** وردت بفتيان الصباح و مورد
أو سجعف دجوجيّ من الليل حالك *** رفعت بعجلي الرّجل مؤارة اليد (8)
سفينة خوّاض بحور همومه *** قليل التياث (9) العزم عند التردّد
جسور على الأمر المهيب إذا ونى *** أخو الفتك ركّاب قرى (10) المتهدّد
وقال و هو بأرض اليمن:

أقول وقد جاوزت نعمى و ناقتي *** تحنّ إلى جنبي (11) فليج (12) مع الفجر

سقى الله يا ناق البلاد التي بها *** هواك، وإن عنا نأت، سبل (13) القطر

ص: 45

1- كذا في ط، ح، ع. و أوجدتموني: أغضبتموني، من وجد يجد وجدا وجدة و موجدة إذا غضب. و تعدية الفعل بالهمزة في مثل هذا قياسية على المختار. و في باقي النسخ: «أوحدتموني» بالحاء، أي جعلتموني وحيدا منفردا.

2- منوا: ابتلوا.

3- في ط، ء: «لجاريهم» بالراء، و التحريف فيها واضح. وفي سائر النسخ: «لجارهم» و هو تحريف.

4- قد: اسم فعل بمعنى يكفي.

5- البديهة: أول الشيء.

6- كذا في ط. وفي ب، س، ح: «فيحلموا».

7- كذا في ح. وفي سائر النسخ: «إبعاد» بالباء الموحدة و هو تحريف.

8- يريد بمؤارة اليد: الناقاة: أي أن يدها كثيرة التردد في عرض جنبها، يعني أنها سهلة السير سريعتة.

9- كذا في ط، ء. و الالتياث: الإبطاء. وفي سائر النسخ: «ثبات».

10- القرى (بالتحريك): الظهر، وقيل: وسطه.

11- في ط، ء: «خيفي فليج».

12- كذا في ط، ء: و «معجم ياقوت». وفي باقي النسخ: «فليح» بالحاء و هو تصحيف.

13- السبل: المطر النازل من السحاب قبل أن يصل إلى الأرض.

عن قلى مئا لها خفت التوى *** بنا عن مراعيها و كئبانها العفر

ولكن صرف الدهر فرق بيننا *** وبين الأذاني، و الفتى غرض الدهر

فسقيا لصحراء الإهالة (1) مربعا *** و للوقى من منزل دمت (2) مثري

و سقيا ورعيا حيث حلت لمازن *** و أيامها الغر المحجلة الزهر

اقال خالد بن كلثوم: و لما دفع هلال إلى أولياء الجلائي ليقتلوه بصاحبهم جاء رجل يقال له: حفيد كان هلال قد وتره فقال: و الله لأؤتبه (3) و لأصغرّن إليه نفسه و هو في القيود مصبور (4) للقتل، فأتاه فلم يدع له شيئا مما يكره إلا عدّة عليه. قال: و إلى جنب هلال حجر يملأ الكفّ، فأخذه هلال فأهوى به للرجل فأصاب جبينه فاجتلف (5) جلفة من وجهه و رأسه، ثم رمى بها و قال: خذ القصاص مئي الآن، و أنشأ يقول:

أنا ضربت كربا و زيدا *** و ثابتا مشيتهم رويدا

كما أفدت (6) حينه عبيدا *** و قد ضربت بعده حفيدا

قال: و هؤلاء كلّهم من بني رزام بن مازن، و كلّهم كان هلال قد نكأ (7) فيهم.

أدى عنه ديسم الدية لبني جلان فمدحه:

قال خالد بن كلثوم: و لما طال مقام هلال باليمن نهضت بنو مازن بأجمعهم إلى بني رزام بن مازن رهط هلال و رهط معاذ بن جعدة جار الجلائي المقتول، فقالوا: إنكم قد أسأتم بآبن عمّكم و جزتم الحدّ في الطلب بدم جاركم، فنحن نحمل لكم ما أردتم، فحمل ديسم بن المنهال بن خزيمة (8) بن شهاب بن أثانة (9) بن ضباب بن حجّية (10) بن كابية بن حرقوص بن مازن الذي طلب معاذ بن جعدة أن يحمل لجاره، لفضل عرّه و موضعه في عشيرته، و كان الذي طلب ثلاثمائة بعير؛ فقال هلال في ذلك:

إن ابن كابية المرزأ (11) ديسما *** واري الزناد بعيد ضوء النار

من كان يحمل ما تحمّل ديسم *** من حائل فتق (12) و أمّ حوار

ص: 46

1- صحراء الإهالة: موضع ذكره «ياقوت» و لم يبينه و استشهد بهذا البيت.

2- دمت: سهل لين. و مثر: كثير الثرى خصب.

3- كذا في ط، ء. و في سائر النسخ: «لآتينه».

- 4- كذا في ط، ء. و المصبور: المحبوس للقتل. وفي سائر النسخ: «مصفود».
- 5- اجتلف منه جلفة: بضع من لحمه بضعة.
- 6- كذا في أ، م. وفي ب، س: «أفأت». وفي ط: «أقدت».
- 7- نكأ فيهم: قتل فيهم و جرح و أثنخن.
- 8- كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س: «جزيمة» بالزاي. وفي ح: «جذيمة» بالذال.
- 9- في ط: «أمامة».
- 10- كذا في ط، ء. وفي سائر النسخ. ولم نعثر على أنه سمي به.
- 11- المرزأ: الكريم الذي يصاب في ماله كثيرا.
- 12- الفنق بضمين: الناقة الفتية السمينة. و الحوار بالضم و يكسر: الفصيل.

بنو عمرو وبحمل هنائد (2) *** فيها العشار (3) ملائئ الأبار

حتى تلافها كريم سابق *** بالخير حلّ منازل الأخبار

حتى إذا وردت جميعا أرزمت (4) *** جلآن بعد تشمس و نفار

ترعى بصحراء (5) الإهالة روبة (6) *** والعنظوان (7) منابت (8) الجرجار (9)

أعان قمير بن سعد على بكر بن وائل و قال في ذلك شعرا:

وقال خالد بن كلثوم: كان قمير بن سعد مصدقا على بكر بن وائل، فوجد منهم رجلا قد سرق/صدقته (10)، فأخذه قمير ليحبسه، فوثب قومه وأرادوا أن يحولوا بين قمير وبينه و هلال حاضر، فلما رأى ذلك هلال وثب على البكريين فجعل يأخذ الرجلين منهم فيكنفهما (11) و يناطح بين رءوسهما، فانتهى إلى قمير أعوانه فقهروا البكريين؛ فقال هلال في ذلك:

ادعاني قمير دعوة فأجبتة *** فأى امرئ في الحرب حين دعاني

معي مخذم قد أخلص القين حدّه *** يخفّض عند الرّوع روع جناني

وما زلت مذ شدّت يميني حجزتي (12) *** أحارب أو في ظلّ حرب (13) تراني

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزّيّ قال حدّثنا حكيم بن سعد عن زفر بن هبيرة قال:

ص: 47

1- كذا في ط، ع. وفي ب، س، أ: «عنيت».

2- كذا في الأصول كلها، والظاهر أنه جمع هنيذة وهي المائدة من الإبل. والذي في «اللسان» و «شرح القاموس»: أن هنيذة مائة من الإبل معرفة لا تصرف ولا يدخلها الألف واللام ولا تجمع ولا واحد لها من جنسها. وفي «الأساس»: «وأعطاه هنيذة: مائة من الإبل، وهندا: مائتين».

3- العشار: جمع عشاء بضم العين وفتح الشين كنفساء ونفاس ولا ثالث لهما، والعشاء: الناقة التي أتى عليها عشرة أشهر من نتاجها. و يقال عشار ملائئ إذا دنا نتاجها.

4- أرزمت الناقة: حنت إلى ولدها. وفي المثل: «لا أفعله ما أرزمت أم حائل».

5- صحراء الإهالة: اسم موضع ذكره «ياقوت» ولم يعينه واستشهد بشعر لهلال بن الأسعر.

6- الروبة: مكرمة من الأرض كثيرة النبات والشجر وهي أبقى الأرض كلاً.

7- العنظوان: ضرب من النبات إذا أكثر منه البعير وجع بطنه.

8- كذا في جميع الأصول ولعلها «فنابت» بفاء العطف ليستقيم المعنى.

9- الجرجار: نبت طيب الريح.

10- في ب، س، ح: «بعض صدقته».

11- يکنفهما: يضمهما.

12- الحجرة: معقد الإزار.

13- لم يقع في هذا البيت ما يسمى في العروض بالاعتماد. والاعتماد: سقوط الخامس من فعولن التي قبل القافية. وإثبات هذا الساكن فيما يكون ضربه محذوفا كما في هذا الشعر لم يقع إلا على قبح، ولم يأت في الشعر إلا شاذًا قليلًا، ومنه ما أنشده الخليل: أقيموا بني النعمان عنا صدوركم وإلا تقيموا صاغرين الرءوسا وقول امرئ القيس: أعني على برق أراه وميض يضيء حبيًا في شماريخ بيض و تخرج منه لامعات كأنها أكف تلقى الفوز عند المفيض

حبسه بلال بن أبي بردة و أفنكه فيسم:

تقاوم هلال بن أسعر المازني، و هو أحد بني رزام بن مازن، و نهيس (1) الجلائي من عنزة و هما يسقيان إبلهما، فحذف (2) هلال نهيسا بمحور في يده فأصابه فمات، فاستعدى ولده بلال (3) بن أبي بردة على هلال فحبسه فأسلمه قومه بنور رزام و عمل في أمره ديسم بن المنهال (4) أحد بني كابية بن حرقوص فافتكته بثلاث ديات، فقال هلال يمدحه:

تدارك ديسم حسبا و مجدا *** رزاما بعد ما انشقت عصاها

همو حملوا المئين فألحقوها (5) *** بأهليها فكان لهم سناها

و ما كانت لتحملها رزام *** بأستاه معقصة لحاها

بكابية بن حرقوص و جد *** كريم لا فتى إلا فتاها

الحديث عن هلال في نهمة و كثرة أكله:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار و أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال (6) حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدّثني نصر بن عليّ الجهضمي قال حدّثنا الأصمعي، و أخبرني أبو عبيد (7) محمد بن أحمد بن المؤمل الصّيرفي قال حدّثنا فضل بن الحسن قال حدّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعي قال حدّثنا المعتمر بن سليمان قال:

قلت لهلال بن أسعر: ما أكلة أكلتها بلغتني عنك؟ قال: جعت مرّة و معي بعيري فنحرته و أكلته إلا ما حملت منه على ظهري، قال أبو عبيد في حديثه عن فضل (8): ثم أردت امرأتي فلم أقدر على جماعها؛ فقالت لي:

ويحك! كيف تصل إليّ و بيني و بينك بعير! قال المعتمر: فقلت له: كم تكفيك هذه الأكلة؟ قال: أربعة أيام.

و حدّثني به ابن عمّار (9) قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أحمد بن معاوية عن الأصمعي عن معتمر بن سليمان عن أبيه قال: قلت لهلال بن الأسعر - هكذا قال ابن أبي سعد: معتمر عن أبيه و قال في خبره: فقلت له؛ كم تكفيك هذه الأكلة؟ فقال: خمسا.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي قال حدّثنا نصر بن عليّ قال حدّثني الأصمعي قال حدّثني شيخ من بني مازن قال:

ص: 48

1- كذا في ط، ء. و في سائر النسخ: «بهيس» و لم نعثر على أنه سمي به و إنما سمي بييس بتقديم الياء على الهاء.

2- حذف بالحصاة و النواة و نحوهما: رمى بها من بين سبابتيه أو بمخذفة من خشب. و لعل المحرر كان في يد هلال لقوته أشبه بالنواة، أو لعلها «فحذف» بالحاء المهملة.

3- في ب، س: «فاستعدى ولده له بلال إلخ».

4- كذا ورد هذا الاسم باتفاق النسخ فيما تقدم، و ورد هنا في ب، س، م: «ميها» و لم ترد في باقي النسخ.

5- في ب، س، ح: «وألحقوها».

6- كذا في أ، م. وفي باقي النسخ: «قال» بدون ألف التثنية.

7- في ء: «أبو عبيد بن محمد». وفي ح: «أبو عبيد أحمد بن محمد».

8- في ب، س، ح: «فضل المضري».

9- كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س: «وحدثني به ابن عمار قال قال المعتمد حدثني عبد الله بن أبي سعد إلخ». و الظاهر أن ما جاء في

هاتين النسختين من زيادة قوله: قال المعتمد غير صحيح لأن أحمد بن عمار يروي عن عبد الله بن أبي سعد مباشرة كما سيجيء بعد أسطر،

على أنا لم نجد في رواية «الأغاني» من اسمه المعتمد.

أتانا هلال بن أسعر المازني فأكل جميع ما في بيتنا، فبعثنا إلى الجيران نقترض الخبز فلما رأى الخبز قد اختلف عليه قال: كأنكم أرسلتم إلى الجيران، أ عندكم سويق(1)؟ قلنا: نعم، فجنّته بجراب طويل فيه سويق و ببرتية(2) نبيذ، فصبّ السويق كلّه و صبّ عليه النبيذ حتى أتى على السويق و النبيذ كلّه.

أخبرني الحسن بن علي قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثنا أحمد بن/الحارث عن المدائني:

أن هلال بن أسعر مرّ على رجل من بني مازن بالبصرة و قد حمل من بستانه رطبا في زواريق(3)، فجلس على زورق صغير منها و قد كتب(4) الرطب فيه و غطّي بالبوراري(5)؛ قال له: يا ابن عمّ آكل من رطبك هذا؟ قال: نعم؛ قال: ما يكفيني(6)؟ قال: ما يكفيك؛ فجلس على صدر الزورق و جعل يأكل إلى أن اكتفى، ثم قام فانصرف، فكشف الزورق فإذا هو مملوء نوى قد أكل رطبه و ألقى النوى فيه.

/قال المدائني و حدّثني من سأله عن أعجب شيء أكله، فقال: مائتي رغيف مع مكّوك(7) ملح.

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني الحسن بن علي بن منصور الأهوازي، و كان كهلا سريّا معدّلا، قال حدّثني شبان(8) التيلي عن صدقة بن عبيد المازني قال:

أولم(9) عليّ أبي لما تزوّجت فعملنا عشر جفان ثريدا من جزور. فكان أوّل من جاءنا هلال بن أسعر المازني، فقدّمنا إليه جفنة فأكلها ثم أخرى ثم أخرى حتى أتى على العشر، ثم استسقى فأتي بقربة من نبيذ فوضع طرفها في شدقه ففرغها في جوفه، ثم قام فخرج؛ فاستأنفنا عمل الطعام.

حدّث أبو عمرو بن العلاء أنه لم ير أطول منه:

أخبرني الجوهريّ قال حدّثنا إسماعيل بن إسحاق قال حدّثنا نصر بن عليّ عن الأصمعيّ قال: حدّثني أبو عمرو بن العلاء قال: رأيت هلال بن أسعر ميتا و لم أره حيّا، فما رأيت أحدا على سرير(10) أطول منه.

غنى مخارق الرشيد فأعتقه:

أخبرني عليّ بن سليمان الأخفش قال حدّثني محمد بن يزيد قال حدّثني بعض حاشية السلطان قال:

ص: 49

1- السويق: دقيق الحنطة و الشعير.

2- البرنية: إناء من خزف.

3- زواريق: جمع زورق أتبع الكسرة فتولدت منها ياء كما جاء في قوله: تنفي يداها الحصى في كل هاجرة نفى الدراهم تنقاد الصياريف و منه للمنتبي: أفدى طباء فلاة ما عرفن بها مضغ الكلام و لا صبغ الحواجيب

4- كذا في ط، ح، ء، و معناه جمع. و في ب، س: «كتب». و في أ، م: «كب» و كلاهما تحريف.

5- البوراري: الحصر المنسوجة من القصب.

6- كذا في ط، ح، ء. و في سائر النسخ: «فيه ما يكفيني؟ قال: ما يكفيك إلخ» و المعنى بهذه الزيادة غير المعنى المراد.

7- المكوك: مكيال يسع صاعا و نصف صاع.

8- كذا في أكثر النسخ، ولم نعثر على هذا الاسم، وقد سمى العرب شبان كرمان و شبان كشداد.

9- أولم عليّ أبي: عمل لي وليمة زواجي.

10- كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س، ح: «سريه».

غنى إبراهيم الموصلي الرشيد يوما:

ياربع سلمى لقد هيجت لي طربا *** زدت الفؤاد على علاته وصبا(1)

/ - قال: و الصنعة فيه لرجل من أهل الكوفة يقال له عزون(2) - فأعجب به الرشيد و طرب له و استعاده مرارا؛ فقال له الموصلي: يا أمير المؤمنين فكيف لو سمعته من عبدك مخارق، فإنه أخذه عني و هو يفضل فيه الخلق جميعا و يفضلني، فأمر بإحضار مخارق، فأحضر فقال له غنني:

ياربع سلمى لقد هيجت لي طربا *** زدت الفؤاد على علاته وصبا

فغناه إياه؛ فبكى وقال: سل حاجتك! قال مخارق: فقلت: تعتنني يا أمير المؤمنين من الرق و تشرّفني بولائك، أعتقك الله من النار، قال: أنت حرّ لوجه الله، أعد الصوت؛ قال: فأعدته، فبكى وقال: سل حاجتك، فقلت: يا أمير المؤمنين ضيعة تقيمني غلتها؛ فقال: قد أمرت لك بها، أعد الصوت؛ فأعدته فبكى وقال: سل حاجتك؛ فقلت: يأمر لي أمير المؤمنين بمنزل و فرشه و ما يصلحه و خادم فيه؛ قال: ذلك لك، أعد؛ فأعدته فبكى وقال: سل حاجتك؛ قلت: حاجتي يا أمير المؤمنين أن يطيل الله بقاءك و يديم عزك و يجعلني من كل سوء فداءك؛ قال: فكان إبراهيم الموصلي سبب عتقه بهذا الصوت(3).

أخبرني بهذا الخبر محمد بن خلف و كيع قال حدّثني هارون بن مخارق، و حدّثني به الصّولي أيضا عن و كيع عن هارون بن مخارق قال:

كان أبي إذا غنى هذا الصوت:

ياربع سلمى لقد هيجت لي طربا *** زدت الفؤاد على علاته وصبا

/يقول: أنا مولى هذا الصوت؛ فقلت له يوما: يا أبت، و كيف ذلك؟ فقال: غنّيته مولاي الرشيد/فبكى و قال: أحسنت، أعد فأعدت؛ فبكى و قال: أحسنت! أنت حرّ لوجه الله و أمر لي بخمسة آلاف دينار، فأنا مولى هذا الصوت بعد مولاي، و ذكر(4) قريبا مما ذكره المبرّد(5) من باقي الخبر.

حدّثني الحسن بن علي قال حدّثنا ابن أبي الدنيا قال حدّثني إسحاق النّخعي عن حسين بن الضّحّاك عن مخارق:

أن الرشيد أقبل يوما على المغنّين و هو مضطجع، فقال: من منكم يغني:

ياربع سلمى لقد هيجت لي طربا *** زدت الفؤاد على علاته وصبا

قال: فقمّت فقلت: أنا، فقال: هاته؛ فغنّيته فطرب و شرب، ثم قال: عليّ بهرثمة، فقلت في نفسي: ما تراه يريد منه! فجاءوا بهرثمة فأدخل إليه و هو يجرّ سيفه، فقال: يا هرثمة، مخارق الشاري الذي قتلنا بناحية الموصل ما كانت كنيته؟ فقال: أبو المهنا؛ فقال: انصرف فانصرف؛ ثم أقبل عليّ فقال: قد كنيته أبا المهنا لإحسانك، و أمر

- 1- في ط، ء: «نصباً».
- 2- في أ، م، ح: «غزون» بالغيين المعجمة وقد تقدم الكلام على هذا الاسم في الحاشية رقم 2 ص 50 من هذا الجزء.
- 3- كذا في ط، ح، ء. وفي سائر النسخ: «فكان إبراهيم الموصليّ يقول: سبب عتقه بهذا الصوت».
- 4- في ب، س، ح: «فذكر».
- 5- المبرد هو محمد بن يزيد الذي تقدم ذكره في أول السند.

لي بمائة ألف درهم، فانصرفت بها وبالكنية.

صوت من المائة المختارة من رواية جحظة عن أصحابه

وخلّ كنت عين الرّشد منه *** إذا نظرت وستمعا سميعا

أطاف بغية(1) فعدلت عنه *** وقلت له أرى أمرا فظيعا

الشعر لعروة بن الورد، والغناء في اللحن المختار لسياط ثاني ثقيل بالبنصر عن عمرو بن بانه. وفيه لإبراهيم ما خوري بالوسطى عن عمرو أيضا.

ص: 51

1- في ط، ح، ء: ((بغية)).

21 - أخبار عروة بن الورد و نسبه

نسبه، شاعر جاهلي فارس جواد مشهور:

عروة بن الورد بن زيد، وقيل: ابن عمرو بن زيد بن عبد الله بن ناشب بن هريم(1) بن لديم بن عوذ(2) بن غالب بن قطيعة بن عيس بن بغيض بن الريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، شاعر من شعراء الجاهلية و فارس من فرسانها و صعلوك(3) من صعاليكها المعدودين المقدمين الأجواد.

كان يلقب بعروة الصعاليك و سبب ذلك

و كان يلقب عروة(4) الصعاليك لجمعه إيتاهم و قيامه بأمرهم إذا أخفقوا في غزواتهم و لم يكن لهم معاش و لا مغزى، و قيل: بل لقب عروة الصعاليك لقوله:

لحي الله صعلوكا إذا جنّ ليله *** مصافي(5) المشاش ألفا كل مجزر

يعدّ الغنى من دهره كلّ ليلة *** أصاب قراها من صديق ميسر(6)

و لله صعلوك(7) صفيحة وجهه *** كضوء شهاب القابس المتثور

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال بلغني أن معاوية(8) قال:

شرف نسبه و تمنى الخلفاء أن يصابه أو ينتسبوا إليه:

لو كان لعروة بن الورد ولد لأحببت أن أتزوج إليهم.

/أخبرني محمد بن خلف قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدّثني العمريّ عن الهيثم بن عديّ، و حدّثنا إبراهيم بن أيّوب عن عبد الله بن مسلم قال جميعا:

قال عبد الملك بن مروان: ما يسرّني أن أحدا من العرب ولدني(9) ممّن لم يلدني إلا عروة بن الورد لقوله:

ص: 52

1- في ط، ح، ء: «هرم» و ضبط في ط بتشديد الراء.

2- كذا في ط، ء. و هو الصواب كما في «شرح القاموس». و في سائر النسخ: «عود» بالدال المهملة.

3- الصعلوك: الفقير الذي لا مال له، و صعاليك العرب: لصوصها و فقرها.

4- يقال: لقب بكذا، و قد اعتاد أبو الفرج إسقاط هذه الباء في أسلوبه.

5- كذا في ط، ء، و هو موافق لما جاء في «ديوان الحماسة». و مصافي المشاش: ألفه و ملازمه و المنكب عليه. و في سائر النسخ: «مضى في المشاش» و هو تحريف. و المشاش: كل عظم هش دسم واحدته مشاشة. و لم تظهر الفتحة على الياء هنا للضرورة.

6- يسر الرجل: سهلت ولادة إبله و غنمه و لم يعطب منها شيء.

7- في «ديوان الحماسة»: «ولكن صعلوكا» و خبر لکن في البيت الثاني بعده (انظر «شرح التبريزي على الحماسة» ص 219 ج 1 طبع بولاق).

8- كذا في ط، ء. وفي سائر النسخ: «ابن معاوية».

9- في جميع النسخ: «أن أحدا من العرب ممن ولدني لم يلدني». وقد أثبتنا ما بالصلب لأنه هو الذي يؤدي المعنى المراد من التمدح بالنسب إلى عروة.

إنّي (1)

امرؤ عافي إنائي شركة *** و أنت امرؤ عافي إنائك واحد

/أ تهزأ منّي أن سمنت و أن ترى *** بجسمي مسّ (2) الحقّ و الحقّ جاهد

أفرق (3) جسمي في جسوم كثيرة *** و أحسوقراح الماء و الماء بارد

قال الحطيئة لعمر بن الخطاب كنا نأتم في الحرب بشعره:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثني عمر بن شبة قال:

بلغني أن عمر بن الخطّاب رضي الله عنه قال للحطيئة: كيف كنتم في حربكم؟ قال: كنّا ألف حازم، قال:

و كيف؟ قال: كان فينا قيس بن زهير و كان حازما و كنا لا نعصيه، و كنا نقدم إقدام عنتره، و نأتمّ بشعر عروة بن الورد، و ننقاد لأمر الزبيح بن زياد.

قال عبد الملك إنه أجود من حاتم:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال:

و يقال: إن عبد الملك قال: من زعم أن حاتما أسمح الناس فقد ظلم عروة بن الورد.

منع عبد الله بن جعفر معلّم ولده من أن يرويههم قصيدة له يحث فيها على الاغتراب:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا عمر بن شبة قال أخبرنا إبراهيم بن المنذر قال حدّثنا معن بن عيسى قال:

سمعت أن (4) عبد الله بن جعفر بن أبي طالب قال لمعلّم ولده: لا تروّهم قصيدة عروة بن الورد التي يقول فيها:

دعيني للغنى أسعى فإنّي *** رأيت الناس شرّهم الفقير

و يقول: إن هذا يدعوهم إلى الاغتراب عن أوطانهم.

خبر عروة مع سلمى سبيته و فداء أهلها بها:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني محمد بن يحيى قال حدّثني عبد العزيز بن عمران الزّهريّ عن

عامر بن جابر قال:

أغار عروة بن الورد على مزينة فأصاب منهم امرأة من كنانة ناكحا، فاستاقها ورجع و هو يقول:

تبّع عديّا (5) حيث حلّت ديارها *** و أبناء عوف في القرون الأوائل

- 1- كذا في أكثر النسخ، وبذا يكون قد دخله الخرم وهو حذف الأول من فعولن. وفي ب، س، ح: «وإني» بالواو.
- 2- كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س، ح: «شحوب» وفي «ديوان الحماسة» «بوجهي شحوب» إلخ.
- 3- في «ديوان الحماسة» «أقسّم».
- 4- كلمة «أن» ساقطة من أ، م.
- 5- في ب، س، ح: «عداء».
- 6- كذا في ط، ء. و الأدغال: جمع دغل، وله معان كثيرة أنسبها هنا الوادي أو المنخفض من الأرض. وفي سائر النسخ: «الأوعال».
- 7- كذا في أ، م و ذو السلائل: واد بين الفرع والمدينة. وفي باقي النسخ: «الشلائل» بالشين المعجمة وهو تصحيف.

ثم أقبل سائرا حتى نزل بني النضير، فلما رأوها أعجبتهن فسقوه الخمر، ثم استوهبوا منه فوهبها لهم، وكان لا يمَس النساء، فلما أصبح و صحا ندم فقال:

سقوني الخمر ثم تكتفوني

الآيات. قال: و جلاها(1) النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع من جلا من بني النضير.

او ذكر أبو عمرو الشَّيبانيّ من خبر عروة بن الورد و سلمى هذه أنه أصاب امرأة من بني كنانة بكرا يقال لها سلمى و تكنى أم وهب، فأعتقها و اتخذها لنفسه، فمكثت عنده بضع عشرة سنة و ولدت له أولادا و هو لا يشكّ في أنها أرغب الناس فيه، و هي تقول له: لو حججت بي فأمرّ على أهلي و أراهم! فحجّ بها، فأتى مكة ثم أتى المدينة، و كان يخالط من أهل يثرب بني النضير فيقرضونه إن احتاج و يبايعهم(2) إذا غنم، و كان قومها يخالطون بني النضير، فأتوهم و هو عندهم؛ فقالت لهم سلمى: إنه خارج بي قبل أن يخرج الشهر الحرام، فتعالوا إليه و أخبروه أنكم تستحيون أن تكون امرأة منكم معروفة النسب صحيحة سبيّة، و افتدوني منه فإنه لا يرى أنّي أفارقه و لا أختار عليه أحدا، فأتوه فسقوه الشَّراب، فلما ثمل قالوا له: فادنا بصاحبتنا فإنها وسيطة(3) النسب فينا معروفة، و إنّ علينا سبّة أن تكون سبيّة، فإذا صارت إلينا و أردت معاودتها فاحطبها إلينا فإننا نكحك؛ فقال لهم: ذاك لكم، و لكن لي الشرط فيها أن تخيروها، فإن اختارتني انطلقت معي إلى ولدها و إن اختارتكم انطلقتم/بها؛ قالوا: ذاك لك؛ قال:

دعوني أله بها الليلة و أفادها(4) غدا، فلما كان الغد جاءوه فامتنع من فدائها؛ فقالوا له: قد فاديتنا بها منذ البارحة، و شهد عليه بذلك جماعة ممّن حضر، فلم يقدر على الامتناع و فادها، فلما فادوه بها خيروها فاختارت أهلها، ثم أقبلت عليه فقالت: يا عروة أما إنّني أقول فيك و إن فارتكت الحقّ؛ و الله ما أعلم امرأة من العرب ألقّت سترها على بعل خير منك و أغصّ طرفا و أقلّ فحشا و أجود يدا و أحمى لحقيقة(5)؛ و ما مرّ عليّ يوم منذ كنت عندك إلا و الموت فيه أحبّ إليّ من الحياة بين قومك، لأنّني لم أكن أشاء أن أسمع امرأة من قومك تقول: قالت أمة عروة كذا و كذا إلا سمعته؛ و والله لا انظر في وجه غطفائيّة أبدا، فارجع راشدا إلى ولدك و أحسن إليهم. فقال عروة في ذلك:

سقوني الخمر ثم تكتفوني

و أولها:

أرقت و صحبتي بمضيق عمق(6) *** لبرق من تهامة مستطير

سقى سلمى و أين ديار سلمى *** إذا كانت مجاورة السّرير(7)

ص: 54

1- كذا في ح. و جلا متعدّد و لازم كأجلى. و في سائر النسخ «أجلاها».

2- و يبايعهم: يعقد معهم البيع.

3- وسيطة النسب: حسبية في قومها كريمة.

4- في جميع النسخ: «و أفادها» بإثبات الياء.

5- في ب، س، ح: «لحقيقته» و الحقيقة: ما يجب على الرجل أن يحميه و ما لزمه الدفاع عنه من أهل بيته.

6- عمق: موضع قرب المدينة من بلاد مزينة.

7- كذا في إحدى روايتي ط وهو الموافق لما ذكره ياقوت في «معجمه» من أن السرير موضع في بلاد بني كنانة مستشهدا بهذا البيت. وفي سائر النسخ: «السدير» وهو تحريف.

إذا حلت بأرض بني عليّ *** وأهلي بين إمرة (1) و كير

ذكرت منازل من أم وهب *** محلّ الحيّ أسفل من نقير (2)

وأحدث معهد (3) من أم وهب *** معرّسنا بدار بني التّصير

وقالوا ما تشاء فقلت ألهو *** إلى الأصباح آثر ذي أثير (4)

بآسة الحديث رضاب فيها *** بعيد النوم كالعنب العصير

وأخبرني عليّ بن سليمان الأخفش عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ بهذه الحكاية كما ذكر أبو عمرو، وقال فيها:

إنّ قومها أغلوا بها الفداء، وكان معه طلق و جبار أخوه و ابن عمه، فقالا- له: و الله لئن قبلت ما أعطوك لا تفتقر أبدا، و أنت على النساء قادر/متى شئت، و كان قد سكر فأجاب إلى فدانها، فلما صحا ندم فشهدوا (5) عليه بالفداء فلم يقدر على الامتناع. و جاءت سلمى تشني عليه فقالت: و الله إنك ما علمت لضحوك مقبلا كسوب مدبرا خفيف على متن الفرس (6) ثقيل على العدو (7) طويل العماد كثير الرّماذ راضي الأهل و الجانب (8)، فاستوص ببنيك خيرا، ثم فارقت. فتروّجها رجل من بني عمّها، فقال لها يوما من الأيام: يا سلمى، أثني عليّ كما أثنت على عروة - و قد كان قولها فيه شهر - فقالت له: لا تكلفني ذلك فإني إن قلت الحقّ غضبت و لا و اللاتّ و العزّي لا أكذب؛ فقال: عزمت عليك لتأتيني في مجلس قومي فلتنين عليّ بما تعلمين، و خرج فجلس في نديّ القوم، و أقبلت فرماها القوم بأبصارهم، فوقف عليهم و قالت: أنعموا صباحا، إنّ هذا عزم عليّ أن أثني عليه بما أعلم. ثم أقبلت عليه فقالت:

و الله إنّ شملتك لالتحاف، و إنّ شربك لاشتفاف (9)، و إنك لتنام ليلة تخاف، و تشبع ليلة تضاف، و ما ترضي الأهل و لا الجانب، ثم انصرفت. فلما هم قومه و قالوا: ما كان أغناك عن هذا القول منها.

كان يجمع الصعاليك و يكرمهم و يغير بهم:

أخبرني الأخفش عن ثعلب عن ابن الأعرابيّ قال حدّثني أبو فقحس قال:

كان عروة بن الورد إذا أصابت الناس سنة شديدة تركوا في دارهم المريض و الكبير و الضعيف، و كان عروة بن الورد يجمع أشباه هؤلاء من دون الناس من عشيرته في الشدّة ثم يحفر لهم الأسراب و يكنف عليهم الكنف (10) و يكسبهم (11)، و من اقوي منهم - إما مريض يبرأ من مرضه، أو ضعيف تثوب قوّته - خرج به معه فأغار، و جعل

ص: 55

1- كذا في ح، و هو الموافق لما في «معجم ياقوت» من أن إمرة منزل في طريق مكة من البصرة و هو منهل. و في سائر الأصول: «زامرة» و هو تحريف. و كير: جبلان في أرض غطفان.

2- نقير: موضع بين هجر و البصرة. و رواية «ياقوت» «أسفل ذي النقير».

3- كذا في ط، ء، ح. و في سائر النسخ: «معهدا».

4- آثر ذي أثير: أول كل شيء، يقال: افعل هذا آثرا ما وآثر ذي أثير أي قدّمه على كل عمل.

5- في أ، م «فشهدا» بألف التثنية.

6- كذا في ط، ء. وفي سائر النسخ: «الفراش».

7- في ب، س، ح: «على ظهر العدو».

8- الجانب: الغريب والمراد به الضيف.

9- الاشتفاف: شرب كل ما في الإناء.

10- يكنف عليهم الكنف: يتخذ لهم حظائر يؤويهم إليها، واحدها «كنيف».

11- كذا في ط، ء، يقال كسب لأهله: طلب المعيشة ويتعدى بنفسه إلى مفعول ثان كما هنا. وفي سائر النسخ: «يكسيهم» بالياء المثناة

لأصحابه الباقين في ذلك نصيباً، حتى إذا أخصب الناس والنبوا وذهبت السنة ألحق كل إنسان بأهله وقسم له نصيبه من غنيمته إن كانوا غنموها، فربما أتى الإنسان منهم أهله وقد استغنى، فلذلك سمّي عروة الصعاليك، فقال في ذلك (1) بعض السنين وقد ضاقت حاله:

لعلّ ارتيادي (2) في البلاد وبغيتي *** وشدي حيازيم المطية بالرحل

سيدفعني يوماً إلى ربّ هجمة (3) *** يدافع عنها بالعقوق وبالبلخ

أغار مع جماعة من قومه على رجل فأخذ إبله و امرأته ثم اختلف معهم فهجاهم:

فزعموا أن الله عز وجل قيض له وهو مع قوم من هلاك (4) عشيرته في شتاء شديد ناقتين دهماوين، فنحر لهم إحداهما وحمل متاعهم وضعفاءهم على الأخرى، وجعل ينتقل بهم من مكان إلى مكان، وكان بين النقرة (5) والرّيدة (6) فنزل بهم ما بينهما بموضع يقال له: ماوان (7). ثم إن الله عز وجل قيض له رجلاً صاحب مائة من الإبل قد فرّ بها من حقوق (8) قومه - وذلك أول ما ألبن الناس - فقتله وأخذ إبله و امرأته، وكانت من أحسن النساء، فأتى بالإبل أصحاب الكنيف فحلبها لهم وحملهم عليها، حتى إذا دنوا من عشيرتهم أقبل يقسمها بينهم وأخذ مثل نصيب أحدهم، فقالوا: لا (9) واللات/ والعزى لا نرضى حتى تجعل المرأة نصيباً فمن شاء أخذها، فجعل يهّم بأن يحمل عليهم فيقتلهم وينزع الإبل منهم، ثم يذكر أنهم صنيعته وأنه إن فعل ذلك أفسد ما كان يصنع، فأفكر طويلاً ثم أجابهم إلى أن يردّ عليهم الإبل إلا راحلة يحمل عليها المرأة حتى يلحق بأهله، فأبوا ذلك عليه، حتى انتدب رجل منهم فجعل له راحلة من نصيبه؛ فقال عروة في ذلك قصيدته التي أولها:

ألا إن أصحاب الكنيف وجدتهم *** كما الناس لمّا أمرعوا وتمولوا

وإني لمدفوع إليّ ولأؤهم *** بماوان إذ نمشي وإذ نتململ

وإي وإيّاهم كذي الأمّ أرهنت (10) *** له ماء عينيها تقديّ وتحمل (11)

ص: 56

1- كذا في ط، ء. وفي سائر النسخ: «فقال في بعض السنين إلخ».

2- في «ديوان الحماسة»: لعل انطلاقي في البلاد ورحلتي

3- الهجمة من الإبل: أولها أربعون إلى ما زادت أو ما بين السبعين إلى المائة أو إلى دوينها فإذا بلغت المائة فهي «هنيدة».

4- كذا في أكثر النسخ والهالك: الصعاليك. وفي ب، س، ح: «هلال» بلامين وهو تحريف.

5- النقرة - بفتح أوله وسكون ثانيه أو بفتح أوله وكسر ثانيه -: من منازل حاج الكوفة بين أضاح و ماوان.

6- الريدة: من قرى المدينة على ثلاثة أميال قريبة من ذات عرق على طريق الحجاز إذا رحلت من قيد تريد مكة، وبها قبر أبي ذر الغفاري.

7- ماوان: قرية في أودية العلاة من أرض اليمامة.

8- في «شرح الحماسة»: «عقوق» بالعين.

9- كذا في ب، س، ح، ياثبات «لا» وقد سقطت من باقي النسخ.

10- أرهنت: أدامت، وقد جاء في «ديوان الحماسة» ص 230 طبع أوروبا شرحاً لهذا البيت ما نصه: وهذا مثل، تقول المرأة لولدها ربيتك

ماء عيني فضلا عن كل شيء.
11- في «ديوان الحماسة» «تجمل» أي ترفق.

فبات بحدّ (1) المرفقين كليهما (2) *** توحوح ممّا نالها و تولول (3)

تخيّر من أمرين ليسا بغبطة *** هو الشّكل إلا أنّها قد تجمّل (4)

سبي ليلي بنت شعواء ثم اختارت أهلها فقال شعرا:

وقال ابن الأعرابي في هذه الرواية أيضا: كان عروة قد سبى امرأة من بني هلال بن عامر بن صعصعة يقال لها:

ليلى بنت شعواء، فمكثت عنده زمانا وهي معجبة له تراه أنّها تحبّه، ثم استزارته أهلها فحملها حتّى أتاهم بها، فلمّا أراد الرجوع أبت أن ترجع معه، و توعدّه قومها بالقتل فانصرف عنهم، و أقبل عليها فقال لها: يا ليلي، خبّري صواحبك (5) عني كيف أنا؛ فقالت: ما أرى لك عقلا! أتراني قد اخترت عليك و تقول: خبّري عني! فقال في ذلك:

/

تحنّ إلى ليلي بجرّ (6) بلادها *** و أنت عليها بالملأ (7) كنت أقدر

و كيف ترجّيتها و قد حيل دونها *** و قد جاوزت حيّا بتيماء منكر

العلك يوما أن تسري (8) ندامة *** عليّ بما جسّمتني يوم غضورا (9)

و هي طوبلة. قال: ثم إن بني عامر أخذوا امرأة من بني عيس ثم من بني سكين يقال لها أسماء، فما لبثت عندهم إلا يوما حتّى استنقذها قومها؛ فبلغ عروة أنّ عامر بن الطفيل فخر بذلك و ذكر أخذه إيّاها، فقال عروة يعيّرهم (10) بأخذه ليلي بنت شعواء الهلالية:

إن تأخذوا أسماء موقف ساعة *** فمأخذ ليلي و هي عذراء أعجب

لبسنا زمانا حسنها و شبابها *** و ردّت إلى شعواء و الرّأس أشيب

ص: 57

1- كذا في ط. و في ب، س: «تحدّ». و في ح: «لحدّ» و المراد أنها باتت متكئة على مرفقيها.

2- في «ديوان الحماسة» «مكبة».

3- بين هذا البيت و البيت الذي قبله بيت يتوقف عليه فهم الأبيات و هو: فلما ترجت نفعه و شبابه أتت دونه أخرى جديد نكحل

4- في ح: «أنها تتجمّل» و في ء: «قد تحمل».

5- في أ، م، ط، ء: «صواحبك» و هو صحيح أيضا، حكى الفارسي عن أبي الحسن: «هن صواحبات يوسف» جمعوا صواحب جمع السلامة.

6- كذا في أكثر الأصول. و في ء، ط: «بحرّ» و حر البلاد (بضم الحاء): وسطها، يقال نزل في حرّ الدار أي في وسطها، و حرّ كل أرض وسطها.

7- الملا: المتسع من الأرض.

8- تسري: تكشف.

9- غضور: مدينة فيما بين المدينة إلى بلاد خزاعة وكنانة، وبهذا شرح ابن السكيت غضور في قول عروة: عفت بعدنا من أم حسان غضور و في الرمل منها آية لا تغير (انظر «معجم البلدان» لياقوت في اسم «غضور»).

10- أنكر صاحب «القاموس» استعمال «عير» متعديا بالباء وقال: وعيره الأمر ولا تقل بالأمر. وقال صاحب «اللسان»: والعامة تقول عيره بكذا. ولكن المرزوقي في «شرح الحماسة» صرح بأنه يتعدى بالباء قال: و«المختار» تعديته بنفسه (انظر «شرح القاموس» للسيد مرتضى).

كما أخذنا حسناء كرها ودمعها *** غداة اللوي معصوبة يتصتّب

خرج ليغير فمئنته امرأته فعصاها و قال في ذلك شعرا:

وقال ابن الأعرابي: أجذب ناس من بني عيس في سنة أصابتهم فأهلكت أموالهم وأصابهم جوع شديد وبؤس، فأتوا عروة بن الورد فجلسوا أمام بيته، فلمّا بصروا به صرخوا وقالوا: يا أبا الصّ عاليلك، أغثنا؛ فرقّ لهم و خرج ليغزو بهم/و يصيب معاشا، فنهته امرأته عن ذلك لما تخوّفت عليه من الهلاك، فعصاها و خرج غازيا، فمرّ بمالك بن حمار الفزاريّ ثمّ السّمخيّ (1)؛ فسأله: أين يريد؟ فأخبره، فأمر له بجزور فنحرها فأكلوا منها؛ وأشار عليه مالك أن يرجع، فعصاه و مضى حتّى انتهى إلى بلاد بني القين، فأغار عليهم فأصاب هجمة (2) عاد بها على نفسه وأصحابه؛ و قال في ذلك:

أرى أمّ حسان الغداة تلومني *** تخوّفني الأعداء و النفس أخوف

تقول سليمانى لو أقمّت لسرّنا *** و لم تدر أنّى للمقام أطوّف

لعلّ الذي خوّفتنا من أماننا *** يصادفه في أهله المتخلف

و هي طوبيلة.

و قال في ذلك أيضا:

أليس ورائي أن أدبّ على العصا *** فيشمت (3) أعدائي و يسأمني أهلي

رهينة قعر البيت كلّ عشية *** يطيف بي (4) الولدان أهدج (5) كالرّأل

أقيموا بني لبني صدور ركابكم *** فكلّ منايا النفس (6) خير من الهزل (7)

فإنكم لن تبلغوا كلّ همّتي *** و لا أربى (8) حتّى تروا منبت الأثل (9)

لعلّ ارتيادي في البلاد و حيلتي (10) *** و شديّ حيازيم المطيّة بالرحل

سيدفعني يوما إلى ربّ هجمة *** يدافع عنها بالعقوق و بالبخل

ص: 58

1- انظر الكلام عليه في الحاشيتين رقم 2، 3 ص 329 من الجزء الثاني من هذا الكتاب.

2- انظر الكلام عليه في الحاشية رقم 3 ص 79 من هذا الجزء.

3- في «ديوان الحماسة» «فيأمن».

4- في «ديوان الحماسة»: «يلاعيني الولدان».

5- أهدج: وصف من الهدج أو الهدجان، و هو اضطراب المشي من الكبر. و لهذا سموا مشية الشيخ هدجانا. و الرأل: ولد النعام أو حويله.

- وشبه الشيخ به في مشيته لأن في مشيته ارتعاشا، يقال: هـج الظليم يهـج هـجانا إذا مشى وعدا في ارتعاش.
- 6- في ط: «فكل منايا القوم». وفي «ديوان الحماسة»: فإن منايا القوم شر من الهزل وهو لا يؤدّي المعنى المراد.
- 7- الهزل: الضعف وقلة الشحم واللحم وهو نقيض السمن.
- 8- في ط، ء، أ، م: «أرتي».
- 9- يريد بلاد بني القين وفي «ديوان الحماسة»: «منبت النخل» وهو يشرب.
- 10- الرواية فيما تقدّم ص 79: «وبغيتي».

نسخت من «كتاب أحمد بن القاسم بن يوسف» قال حدثني حرّ (1) بن قطن أنّ ثمامة بن الوليد دخل على المنصور؛ فقال: يا ثمامة، أتُحفظ حديث ابن عمّك عروة الصّدّعاليك بن الورد العبسيّ؟ فقال: أيّ حديثه يا أمير المؤمنين؟ فقد كان كثير الحديث حسنه؛ قال: حديثه مع الهذليّ الذي أخذ فرسه؛ قال: ما يحضرني ذلك فأرويه يا أمير المؤمنين؛ فقال المنصور: خرج عروة حتّى دنا من منازل هذيل فكان منها على نحو ميلين وقد جاع فإذا هو بأرنب فرماها ثم أورى ناراً فشاها وأكلها ودفن التّار على مقدار ثلاث أذرع وقد ذهب اللّيل و غارت النّجوم، ثمّ أتى سرحة (2) فصعدها وتخوّف الطّلب، فلما تغيب فيها إذ الخيل قد/جاءت وتخوّفوا البيات (3). قال:

فجاءت جماعة منهم ومعهم رجل على فرس فجاء حتى ركز رمحه في موضع التّار وقال: لقد رأيت التّار هاهنا؛ فنزل رجل فحفّر قدر ذراع فلم يجد شيئاً، فأكبّ القوم على الرّجل (4) يعدّلونه ويعيبون أمره ويقولون: عنيتنا في مثل هذه اللّيلة القرّة وزعمت لنا شيئاً كذبت فيه؛ فقال: ما كذبت، ولقد رأيت التّار في موضع رمحي؛ فقالوا: ما رأيت شيئاً ولكن تحذلقك (5) وتدهيك (6) هو الذي حملك على هذا، / ما نعجب إلاّ لأنفسنا حين أطعنا أمرك واتبعناك؛ ولم يزالوا بالرجل حتّى رجع عن قوله لهم. واتبعهم عروة، حتّى إذا وردوا منازلهم جاء عروة فتكّمّن (7) في كسر (8) بيت؛ وجاء الرّجل إلى امرأته وقد خالفه إليها عبد أسود، وعروة ينظر، فأتاها العبد بعلبة فيها لبن فقال: اشربي؛ فقالت لا، أو تبدأ، فبدأ الأسود فشرب؛ فقالت للرجل حين جاء: لعن الله صلفك (9) عنيت قومك منذ اللّيلة؛ قال: لقد رأيت ناراً، ثمّ دعا بالعلبة ليشرب، فقال حين ذهب ليكرع: ريح رجل وربّ الكعبة! فقالت امرأته: وهذه أخرى، أيّ (10) ريح رجل تجده في إنائك غير ريحك! ثم صاحت، فجاء قومها فأخبرتهم خبره، فقالت: يتهمني ويظنّ بي الظّنون! فأقبلوا عليه باللّوم حتّى رجع عن قوله؛ فقال عروة: هذه ثانية. قال ثم أوى الرجل إلى فراشه، فوثب عروة إلى الفرس وهو يريد أن يذهب به، فضرب الفرس بيده وتحرك (11)، فرجع عروة إلى موضعه، ووثب الرجل فقال: ما كنت لتكذّبيني (12) فمالك؟ فأقبلت عليه امرأته لوماً وعدلاً. قال: فصنع عروة ذلك

ص: 59

- 1- في ط، ء: «جزء». وفي أ، م: «جز» بدون همزة. والذي في «شرح القاموس» مادة: قطن «وقطن أبو حرب» وكلاهما محدّث، وورد له ذكر في الطبري قسم 2 ص 1980 طبع أوروبا، فلعل ما هاهنا تحريف عن «حرب».
- 2- السرحة: واحدة السرح وهو شجر كبار عظام طوال لا ترعى وإنّما يستظل به، وقيل: السرح كل شجر طال.
- 3- البيات: الإيقاع بالقوم ليلاً- من دون أن يعلموا، وهو اسم مصدر لبيت كالكلام من كلم، يقال: بيتنا القوم أي أوقعنا بهم ليلاً وهم لا يعلمون.
- 4- في ء، ح، ط: «فركب القوم الرجل يعدّلونه» والمعنى علوه بعدلهم.
- 5- التحذلق: إظهار الإنسان الحذق، أو ادعاؤه أكثر مما عنده.
- 6- كذا في أكثر النسخ، والتدهي: أن يفعل الإنسان فعل الدهاة. وفي ب، س، ح: «تدهيك» ولم نجد في «اللسان» ولا في «القاموس» «تفاعل» من هذه المادة.
- 7- كذا في أكثر الأصول. ولم نجد في «اللسان» ولا في «القاموس» «تفعل» من هذه المادة، وإنما يقال: «كمن» و«اكتمن» أي اختفى. وفي ط: «فتمكّن».
- 8- كسر البيت: جانبه.
- 9- كذا في أكثر النسخ، والصلف: مجاوزة الرجل قدر الظرف و ادعاؤه فوق ذلك إعجاباً و تكبراً. وفي ب، س، ح: «صلبك» بالباء.
- 10- كذا في أكثر النسخ. وفي ب، س، ح: «وأي ريح» بزيادة الواو.

11- كذا في أ، م. وفي سائر النسخ: «ونخر».

12- في ب، س: «التكذبيني» وهو تحريف، والفرس يقع على الذكر والأنثى والمراد به هنا الذكر كما يدل عليه السياق فيما بعد.

ثلاثا وصنعه (1) الرجل، ثم أوى الرجل إلى فراشه وضجر من كثرة ما يقوم، فقال: لا أقوم إليك الليلة؛ وأتاه عروة فحال (2) في متنه وخرج ركضاً، وركب الرجل/فرسا عنده أثى. قال عروة: فجعلت أسمع خلفي يقول: الحقي فإنك من نسله. فلما انقطع عن البيوت، قال له عروة بن الورد: أيها الرجل قف، فإنك لو عرفتني لم تقدم عليّ، أنا عروة بن الورد، وقد رأيت الليلة منك عجباً، فأخبرني به وأردّ إليك فرسك؛ قال: و ما هو؟ قال: جئت مع قومك حتى ركزت رمحك في موضع نار قد كنت أوقدتها فثنوك عن ذلك فانشيت وقد صدقت، ثم اتبعتك حتى أتيت منزلك وبينك وبين النار ميلان فأبصرتها منهنما، ثم شممت رائحة رجل في إنائك، وقد رأيت الرجل حين آثرته زوجته بالإناء، وهو عبدك الأسود وأظن أن بينهما ما لا تحبّ، فقلت: ربح رجل؛ فلم تزل تشيك عن ذلك حتى انشيت، ثم خرجت إلى فرسك فأردته فاضطرب و تحرك فخرجت إليه، ثم خرجت و خرجت، ثم أضربت عنه، فرأيتك في هذه الخصال أكمل الناس و لكنك تنشي و ترجع؛ فضحك و قال: ذلك لأحوال السوء، و الذي رأيت من صرامتي فمن قبل أعمامي و هم هذيل، و ما رأيت من كعاعتي (3) فمن قبل أخوالي و هم بطن من خزاعة، و المرأة التي رأيت عندي امرأة منهم و أنا نازل فيهم، فذلك الذي يشيني عن أشياء كثيرة، و أنا لا حق بقومي و خارج عن أخوالي هؤلاء و مخلّ سبيل المرأة، و لولا ما رأيت من كعاعتي لم يقو على مناواة قومي أحد من العرب. فقال عروة: خذ فرسك راشداً؛ قال: ما كنت لأخذه منك و عندي من نسله جماعة مثله، فخذه مباركا لك فيه. /قال ثمامة: إنّ له عندنا أحاديث كثيرة ما سمعنا له بحديث هو أظرف من هذا.

قصة غزوة لماوان و حديثه مع غلام تبين بعد أنه ابنه:

قال المنصور: أفلا أحدثك له بحديث هو أظرف من هذا؟ قال: بلى يا أمير المؤمنين، فإن الحديث إذا جاء منك كان له فضل على غيره؛ قال: خرج عروة و أصحابه حتى أتى ماوان/فنزل أصحابه و كنف عليهم كنيفا من الشجر، و هم أصحاب الكنيف الذي سمعته قال فيهم:

ألا إنّ أصحاب الكنيف وجدتهم *** كما الناس لما أمرعوا و تمولوا

و في هذه الغزاة يقول عروة:

أقول لقوم (4) في الكنيف ترّوحوا *** عشية قلنا حول ماوان رزح (5)

و في هذه القصيدة يقول:

ليبلغ (6) عذرا أو يصيب غنيمة *** و مبلغ نفس عذرها مثل (7) منجح

ص: 60

1- في ب، س: «لتكذبيني» و هو تحريف، و الفرس يقع على الذكر و الأثى و المراد به هنا الذكر كما يدل عليه السياق فيما بعد.

2- كذا في أكثر النسخ. و في ب، س، ح: «و منعه» بالميم و هو تحريف.

3- الكعاعة: الجبن و الضعف. كذا في أكثر النسخ. و في «اللسان»: حال في متن فرسه حثولا إذا وثب و ركب. و في ب، س: «فجال» بالجيم.

4- كذا في ح. و في باقي الأصول: «أقول لأصحاب الكنيف...» و في ط، ء، مع ذكرهما هذه الرواية الأخيرة، زيادة تؤيد رواية ح و هي: «الرواية أقول لقوم في الكنيف، ليكون رزح محمولاً عليه». و في «ديوان الحماسة». و هي: «الرواية أقول لقوم في الكنيف، ليكون رزح

محمولا عليه». و في «ديوان الحماسة». قلت لقوم في الكنيف ترّوحوا عشية بتنا عند ماوان رزح

5- و رزح جمع رازح، و الرازح: الهالك هزالا.

6- في الأصل: «لتبلغ، و نصيب» و الصواب ما أثبتناه لقوله قبل هذا البيت: و من يك مثلى ذا عيال و مقترا من المال يطرح نفسه أي مطرح

7- في ب، س: «منك منجح» و هو تحريف.

ثم مضى يتبعي لهم شيئا وقد جهدوا، فإذا هو بأبيات شعر و بامرأة قد خلا من سنّها و شيخ كبير كالحقء(1)الملقى، فكمن في كسر بيت منها، وقد أجدب الناس و هلكت الماشية، فإذا هو في البيت بسحور ثلاثة مشوية - فقال ثمامة: و ما السّحور؟ قال: الحلقوم بما فيه - و البيت خال فأكلها، و قد مكث قبل ذلك يومين لا يأكل شيئا فاشبعته و قوي، فقال: لا أبالي من لقيت بعد هذا. و نظرت المرأة فظنت أنّ الكلب أكلها فقالت للكلب: أفعلتها يا خبيث! و طردته. فإنه كذلك إذا هو عند المساء بإبل قد ملأت الأفق و إذا هي تلتفت فرقا، فعلم أن راعيها جلد شديد الضرب لها، فلما أتت المناخ بركت، و مكث الراعي قليلا ثم أتى ناقة منها فمرى(2) أخلافاها، ثم وضع العلبة على ركبتيه و حلب حتى ملأها، ثم أتى الشيخ فسقاه، ثم أتى ناقة أخرى ففعل بها ذلك(3) و سقى العجوز، ثم أتى أخرى ففعل بها كذلك فشرب هو، ثم التفع بثوب و اضطجع ناحية، فقال الشيخ للمرأة و أعجبه ذلك: كيف ترين ابني؟ فقالت: ليس بابنك! قال: فابن من وملك؟ قالت: ابن عروة بن الورد، قال: و من أين؟ قالت: أتذكر يوم مرّ بنا يريد(4) سوق ذي المجاز فقلت: هذا عروة بن الورد، و وصفته لي بجلد فإني استطرفته(5). قال: فسكت، حتى إذا نؤم(6) و ثب عروة و صاح بالإبل فاقتطع منها نحو من النصف و مضى و رجا ألا يتبعه الغلام - و هو غلام حين بدا شاربه - فاتّبعه. قال: فاتخذ(7) و عالجه، قال: فضرب به الأرض فيقع قائما، فتخوّفه على نفسه، ثم واثبه فضرب به و بادره، فقال: إنني عروة بن الورد، و هو يريد أن يعجزه عن نفسه. قال: فارتدع، ثم قال مالك وملك! لست أشكّ أنك قد سمعت ما كان من أمي؛ قال قلت نعم. فاذهب معي أنت و أمك و هذه الإبل و دع هذا الرجل فإنه لا ينهك(8) عن شيء، قال: الذي بقي من عمر الشيخ قليل، و أنا مقيم معه ما بقي، فإن له حقّا و ذماما، فإذا هلك فما أسرعني إليك، و خذ من هذه الإبل بعيرا؛ قلت: لا يكفيني، إنّ معي/أصحابي(9) قد خلّفتهم؛ قال: فثانيا، قلت لا؛ قال: فثالثا، و الله لا زدتك على ذلك(10). فأخذها و مضى إلى أصحابه، ثم إنّ الغلام لحق به بعد هلاك الشيخ.

قال: و الله يا أمير المؤمنين لقد زيّتته عندنا و عظّمته في قلوبنا؛ قال: فهل أعقب عندكم؟ قال لا، و لقد كنا نتشاءم/بأبيه، لأنه هو الذي أوقع الحرب بين عبس و فزارة بمراهنته حذيفة، و لقد بلغني أنه كان له ابن أسنّ من عروة فكان يؤثره على عروة فيما يعطيه و يقربّه، فقبيل له: أتوثر الأكبر مع غناه عنك على الأصغر مع ضعفه! قال: أترون هذا الأصغر! لئن بقي مع ما رأى ما شدّة نفسه ليصيرنّ الأكبر عيالا عليه.

ص: 61

- 1- كذا في أكثر النسخ. و الحقاء: الإزار. و في ب، س، ح: «كالخباء».
- 2- مري أخلافاها: مسح ضرعها لتدرّ.
- 3- كذا في أكثر الأصول. و في ب، س، ح: «كذلك».
- 4- كذا في أ، م. و في أكثر الأصول: «مرّ بنا و نحن نريد».
- 5- كذا في ط، ء. و استطرفته: عدده طريفا. و لعلها: استطرفته. و في باقي الأصول: «استطرفته» بالقاف.
- 6- نؤم: مبالغة في نام.
- 7- كذا في ط، ء. يقال اتخذ القوم إذا أخذ بعضهم بعضا في القتال. و في ح: «فاتحدا». و في باقي الأصول: «فانحدرا».
- 8- كذا في ء و هامش ط. و معنى لا ينهك عن شيء أنه لا غناء فيه فلا ينهك عن تطلب غيره. و في ب، س: «لا يهنك» و في باقي الأصول «لا ينهيك» و كلاهما تحريف.
- 9- في ح: «أصحابا».
- 10- كذا في أكثر النسخ. و في ب، س، ح: «و الله لا زدتك على ذلك شيئا» بزيادة كلمة شيء.

أزرى بنا أننا شالت نعمتنا *** فخالني دونه بل خلته دوني

فإن تصبك من الأيام جائحة *** لم أبك منك على دنيا ولا دين

الشعر لذي الإصبع العدواني، والغناء لفيل(1) مولى العبلات هزج خفيف بإطلاق الوتر في مجرى البنصر.

معنى قوله أزرى بنا: قصّر بنا، يقال: زريت عليه إذا عبت عليه فعله، وأزريت به إذا قصّرت به في شيء. وشالت نعمتهم إذا انتقلوا بكليتهم،

يقال: شالت نعمتهم، وزفّ رألهم، إذا انتقلوا(2) عن الموضوع فلم يبق فيه منهم أحد ولم يبق لهم فيه شيء. وخالني: ظنني، يقال: خلت

كذا وكذا فأنا أخاله إذا ظننته. والجائحة: النازلة التي تجتاح ولا تبقى على ما نزلت به.

ص: 62

1- كذا في ط، ء. وفي باقي النسخ «نفيل» بزيادة نون. وقد اضطربت فيه النسخ فيما سيأتي عند ذكر ترجمته، فذكر في ط، ء، «فيل» وفي

باقي الأصول «قيل» بالقاف. وستأتي ترجمته في هذا الجزء.

2- في ط، ء: «إذا استقلوا».

22 - ذكر ذي الإصبع العدواني. ونسبه و خبره

نسبه و هو شاعر فارس جاهلي:

هو حرثان بن الحارث بن محرث بن ثعلبة بن سيّار(1) بن ربيعة بن هبيرة بن ثعلبة بن ظرب بن عمرو بن عباد(2) بن يشكر بن عدوان بن عمرو بن سعد(3) بن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار، أحد بني عدوان وهم بطن من جديلة. شاعر فارس من قدماء الشعراء في الجاهلية و له غارات كثيرة في العرب و وقائع مشهورة.

فنيت عدوان فرثاها:

إشارة

أخبرنا محمد بن خلف و كيع و ابن عمّار و الأسدّي، قالوا حدّثنا الحسن بن عليل العنزّي قال حدّثنا أبو عثمان المازنيّ عن الأصمعيّ قال: نزلت عدوان على ماء فأحصوا فيهم سبعين ألف غلام أغرل(4) سوى من كان مختونا لكثرة عددهم، ثم وقع بأسهم بينهم فتنفانوا فقال ذو الإصبع:

صوت

عذير الحيّ من عدوا *** ن كانوا حيّة الأرض(5)

بغى بعضهم بعضا *** فلم يبقوا على بعض

فقد صاروا أحاديث *** برفع القول و الخفض(6)

أو منهم كانت السّادا *** ت و الموفون بالقرض

و منهم من يجيز النا *** س بالسّنة و الفرض

و منهم حكم يقضي *** فلا ينقض ما يقضي

غنى في هذه الأبيات مالك ثقبلا(7) أوّل بالوسطى على مذهب إسحاق من رواية عمرو.

ص: 63

1- كذا في جميع النسخ. و الذي جاء في «شرح ابن الأنباري» على «المفضليات» للضبيّ ص 313 طبع بيروت: «شباب». و في «الخرّانة» للبيدادي ج 2 ص 408: «شبابة».

2- كذا في جميع النسخ. و الذي في «شرح المفضليات» و «الخرّانة» للبيدادي: «عياذ».

3- كذا في أكثر النسخ و «شرح المفضليات» و «الخرّانة». و في ب، س: «سعيد».

4- الأغرل: الذي لم يختن.

5- يقول: هات عذرا فيما فعل بعضهم ببعض من التباعد و التباغض و القتل بعد ما كانوا حية الأرض التي يحذرهما كل أحد، و العرب تقول للرجل الصعب المنيع الجانب حية الأرض.

6- يعني بقوله هذا: أنهم صاروا أحاديث للناس يرفعونها و يخفضونها، و معنى يخفضونها: يسرونها.

7- كذا في ب، س، ح و في باقي النسخ: «ثقل الأول» بالإضافة.

أو أما قول ذي الإصبع:

و منهم حكم يقضي

فإنه يعني عامر بن الظرب العدواني، كان حكما للعرب تحتكم إليه.

من قرعت له العصا:

حدّثنا محمد بن العباس اليزيدي عن محمد بن حبيب قال:

قيس تدّعي هذه الحكومة و تقول: إنّ عامر بن الظرب العدواني هو الحكم و هو الذي كانت العصا تفرع له، و كان قد كبر فقال له الثاني من ولده: إنك ربّما أخطأت في الحكم فيحمل عنك؛ قال: فاجعلوا لي أمانة أعرفها فإذا زغت فسمعتها رجعت إلى الحكم و الصواب، فكان يجلس قدام بيته و يقعد ابنه في البيت و معه العصا، فإذا زاغ(1) أو هفا قرع له الجفنة فرجع إلى الصواب. و في ذلك يقول المتلمّس:

لذي الحلم قبل اليوم ما تفرع العصا *** و ما علّم الإنسان إلا ليعلما

قال ابن حبيب: و ربيعة تدّعي لعبد الله بن عمرو بن الحارث بن همّام. و اليمن تدّعي لربيعة بن مخاشن، و هو ذو الأعواد، و هو أوّل من جلس على منبر أو سرير و تكلم؛ و فيه يقول الأسود بن يعفر:

و لقد علمت لو أنّ علمي نافع *** أنّ السبيل سبيل ذي الأعواد

/أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي أبو دلف قال أخبرنا الرياشي قال حدّثنا الأصمعي قال:

زعم أبو عمرو بن العلاء أنه ارتحلت عدوان من منزل، فعدّ فيهم أربعون ألف غلام أكلف(2). قال الرياشي و أخبرني رجل عن هشام بن الكلبي قال: وقع على إباد البق فأصاب كلّ رجل منهم بقتان.

استعراض عبد الملك بن مروان أحياء العرب و سؤاله عن ذي الإصبع:

أخبرني أحمد بن عبيد(3) الله بن عمّار قال حدّثني يعقوب بن نعيم قال حدّثنا أحمد بن عبيد أبو عبيدة قال أخبرني محمد بن زياد الزيّادي، و أخبرني به أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدّثني عمر بن شبة و لم يسنده إلى أحد و روايته أتمّ:

أنّ عبد الملك بن مروان لما قدم الكوفة بعد قتله مصعب بن الزبير جلس لعرض(4) أحياء العرب - و قال عمر بن شبة: إنّ مصعب بن الزبير كان صاحب هذه القصّة - فقام إليه معبد بن خالد الجدلي، و كان قصيرا دميما، فتقدّمه إليه رجل منا حسن الهيئة؛ قال معبد: فنظر عبد الملك إلى الرجل و قال: ممن أنت؟ فسكت و لم يقل شيئا و كان متّا، فقلت من خلفه: نحن يا أمير المؤمنين من جديلة؛ فأقبل على الرجل و تركني، فقال: من أيكم ذو الإصبع؟ قال الرجل: لا. أدري؛ قلت: كان عدواتيا؛ فأقبل على الرجل و تركني و قال: لم سمّي ذا الإصبع؟ قال الرجل: لا أدري؛ فقلت: نهشته حية في إصبعه فبيست؛ فأقبل على الرجل و تركني، فقال: و بم كان يسمّى قبل

1- في ح، ء: «زل».

2- الألف: الذي لم يختن.

3- تقدم هذا الاسم غير مرة «أحمد بن عبيد الله». وقد ذكر هنا باتفاق النسخ: «أحمد بن عبد الله».

4- في ء، ط: «يعترض».

ذلك؟ قال الرجل: لا أدري؛ قلت: كان يسمّى حرثان؛ فأقبل على الرجل و تركني، فقال: من أيّ عدوان كان؟ فقلت من خلفه: من بني ناج الذين يقول فيهم الشاعر:

/

وأما بنونا ج فلا تذكرنهم *** ولا تتبعن عينيك ما كان هالكا

إذا قلت معروفا لأصلح بينهم *** يقول وهيب لا أسالم ذلكا

وروى عمر بن شبة: لا أسلم.

فأضحى كظهر الفحل جبّ سنامه *** يدبّ إلى الأعداء أحذب باركا

فأقبل على الرجل و تركني وقال أنشدني قوله:

عذير الحيّ من عدوان

قال الرجل: لست أرويهها؛ قلت: يا أمير المؤمنين إن شئت أنشدتك؛ قال: ادن منّي، فإنّي أراك بقومك عالما؛ فأنشدته:

وليس المرء في شيء *** من الإبرام والنقض

إذا أبرم أمرا خا *** له يقضي و ما يقضي

يقول اليوم أمضيه *** و لا يملك ما يمضي

عذير الحيّ من عدوا *** ن كانوا حيّة الأرض

بغى بعضهم بعضا *** فلم يبقوا على بعض

فقد صاروا أحاديث *** برفع القول و الخفض

و منهم كانت السادا *** ت و الموفون بالقرض

و منهم حكم يقضي *** فلا ينقض ما يقضي

و منهم من يجيز لنا *** س بالسنة و الفرض

و هم من ولدوا أشبوا(1) *** بسرّ الحسب المحض

و ممّن ولدوا عام *** ر ذو الطول و ذو العرض(2)

وهم بؤوا(3) ثقيفا دا ***ر لا ذلّ ولا خفض

/فأقبل على الرجل و تركني وقال: كم عطاؤك؟ فقال: ألفان، فأقبل عليّ فقال: كم عطاؤك؟ فقلت:

خمسمائة؛ فأقبل على كاتبه وقال: اجعل ألفين لهذا و الخمسمائة لهذا؛ فانصرفت بها.

وقوله: «و منهم من يجيز الناس» فإنّ إجازة الحج كانت لخزاعة فأخذتها منهم عدوان فصارت إلى رجل منهم

ص: 65

1- يقال: أشبى فلان إذا ولد له ولد كيس.

2- كذا في ب، س. وفي أ، م: «و ممن ولدوا عامر ذا الطول إلخ». وفي ط، ء: «و هم من ولدوا عامر ذا الطول إلخ».

3- بؤوا: أنزلوا، و الأصل بوءوا، و حذف الهمز للتخفيف.

يقال له أبو سيّارة أحد بني وابش (1) بن زيد (2) بن عدوان. وله يقول الراجز:

خلّوا السبيل عن أبي سيّاره *** وعن مواليه بني فزاره

حتى يجيز سالما حماره *** مستقبل الكعبة يدعو جاره

قال: وكان أبو سيّارة يجيز الناس في الحج بأن يتقدّمهم على حمار، ثم يخطبهم فيقول: اللهم أصلح بين نساءنا، وعاد بين رعائنا، واجعل المال في سمحائنا، أوفوا بعهدكم، وأكرموا جاركم، واقروا ضيفكم، ثم يقول:

أشرق (3) ثبير كيما نغير، وكانت هذه إجازته، ثم ينفر (4) ويتبعه الناس. ذكر ذلك أبو عمرو والشيبانيّ والكلبيّ وغيرهما.

قصته مع بناته الأربع و قد أردن الزواج:

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا أبو بكر العليميّ قال حدّثنا محمد بن داود الهشاميّ قال: كان لذي الإصبع أربع بنات وكنّ يخطبن إليه فيعرض ذلك عليهنّ فيستحينّ ولا يزوّجهنّ، وكانت أمهنّ تقول: لو زوّجتهنّ! فلا يفعل. قال: فخرج ليلة إلى متحدّث لهنّ فاستمع عليهنّ وهنّ لا يعلمنّ فقلنّ:

تعالين نتمتّي ولنصدق، فقالت الكبرى:

ألا ليت زوجي من أناس ذوي غنى *** حديث الشباب (5) طيب الريح والعطر (6)

طبيب بأدواء النساء كأنه *** خليفة جان لا ينام على وتر

/فقلنّ لها: أنت تحبّين رجلا ليس من قومك. فقالت الثانية:

ألا هل أراها ليلة وضجيعها *** أشمّ كنصل السيف غير مبلّد

لصوق بأكباد النساء وأصله *** إذا ما انتمى من سرّ أهلي ومحتدي

فقلنّ لها: أنت تحبّين رجلا من قومك. فقالت الثالثة:

ألا ليته يملا الجفان لضيفه (7) *** له جفنة يشقى بها النيب (8) والجزر (9)

ص: 66

1- كذا في أ، ط. وقد أورد صاحب «القاموس» هذا الاسم في مادة «وابش» قال: «و بنو وابش بن زيد بن عدوان بطن من قيس عيلان»، و في باقي النسخ: «قايش» وهو تحريف.

2- كذا في ط، ع، ح وهو الصواب. وفي باقي النسخ: «يزيد» وهو تحريف.

3- هذا مثل، ومعناه ادخل يا ثبير في الشروق وهو ضوء الشمس كما تقول: أشمل أي دخل في الشمال وأجنب أي دخل في الجنوب. و

- كيما نغير أي كيما نسرع للنحر من قولهم أغار إغارة الثعلب أي أسرع و دفع في عدوه. و ثبير: جبل بمكة. قال عمر رضي الله عنه: كان المشركون يقولون ذلك و لا يفيضون، حتى تطلع الشمس فخالفهم رسول الله صلى الله عليه و سلم. و هو يضرب في الإسراع و العجلة.
- 4- في ط، ء: «ينفذ» بالذال المعجمة.
- 5- في ب، س، ح: «حديث شباب».
- 6- في ح: «و النشر».
- 7- روي هذا الشطر في «الكامل» للمبرد طبع أوروبا ص 317 هكذا: ألا ليته يعطي الجمال بديهية
- 8- النيب جمع ناب و هي الناقة المسنة، و قيل لها ناب لطول نابها.
- 9- الجزر بضم الزاي و سكن للضرورة جمع جزور، و هي الناقة المجزورة، وإنما عطفت على النيب لأن من الإبل ما يكون جزورا للنحر لا غير.

الدَّهر من غير كبرة *** تشين ولا الفاني ولا الضَّرع الغمر (2)

أفقلن لها: أنت تحيين رجلا شريفا. وقلن للصَّغرى: تمَّني؛ فقالت: ما أريد شيئا؛ قلن: والله لا تبرحين حتَّى نعلم ما في نفسك؛ قالت: زوج من عود خير من قعود. فلَمَّا سمع ذلك أبوهنَّ زَوَّجهنَّ أربعتهنَّ. فمكثن برهة ثم اجتمعن إليه، فقال للكبرى: يا بنيَّة، ما مالكم؟ قالت: الإبل؛ قال: فكيف تجدونها؟ قالت: خير مال، نأكل لحومها مزعا (3)، ونشرب ألبانها جرعا، وتحملنا وضعيفنا معا؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: خير زوج يكرم الحليلة، ويعطي الوسيلة (4)؛ قال: مال عميم وزوج كريم. ثم قال للثانية: يا بنيَّة ما مالكم؟ قالت: البقر؛ قال: فكيف تجدونها؟ قالت: خير مال، تألف الفناء، وتودِّك (5) السَّقاء، وتملأ الإناء، ونساء في نساء؛ قال:

فكيف تجدين زوجك؟ قالت: خير زوج يكرم أهله وينسى فضله؛ قال: حظيت ورضيت. ثم قال للثالثة: ما مالكم؟ قالت: المعزى؛ قال: فكيف تجدونها؟ قالت: لا بأس بها نولدها فظما (6)، ونسلخها أداما (7)؛ قال:

فكيف تجدين زوجك؟ قالت: لا بأس به ليس بالبخیل الحكر (8) ولا بالسَّمح البذر، قال: جدوى (9) مغنية. ثم قال للرابعة: يا بنيَّة، ما مالكم؟ قالت: الضَّان؛ قال: وكيف تجدونها؟ قالت: شرَّ مال، جوف (10) لا يشبعن، وهيم (11) لا ينقعن، وصم (12) لا يسمعن، وأمر مغويتهنَّ يتبعن (13)؛ قال: فكيف تجدين زوجك؟ قالت: شرَّ زوج، يكرم نفسه ويهين عرسه؛ قال: «أشبه امرأ بعض بزة» (14).

وذكر الحسن بن عليل العنزي في خبر عدوان الذي رواه عن أبي عمرو بن العلاء أنه لا يصحَّ من أبيات ذي الإصبع الضَّادِيَّة إلا الأبيات التي أنشدها وأنَّ سائرَها منحول.

ص: 67

1- كذا في «الكامل» للمبرد طبع أوروبا ص 317؛ والحكمات جمع حكمة وأصلها الحديدية في اللجام تمنع الفرس من مخالفة راکبه. والمراد بها هنا التجارب لأنها تمنع من ارتكاب ما لا يليق. وفي أكثر الأصول: «به محكمات الشيب». وفي بعضها: «له حكيمات الحي» و كلاهما تحريف.

2- الضرع: الضعيف، والغمر مثلث الغين: من لم يجرب الأمور.

3- مزعا جمع مزعة بضم الميم وكسرهما وهي القطعة من اللحم.

4- الوسيلة: ما يتقرَّب به إلى الغير. وفي «الكامل» للمبرد: «و يقرب الوسيلة».

5- تودِّك السَّقاء: تجعل فيه الودك وهو الدسم.

6- جمع فطيم وهو ما يفصل عن الرضاع.

7- الأدم: اسم لجمع الأديم وهو الجلد أو الأحمر منه أو مدبوغه.

8- الحكر: المستبد بالشيء.

9- كذا في جميع النسخ والجدوى: الغناء والنفع. وفي «الكامل» للمبرد طبع أوروبا ص 318 روى: «جذو مغنية» وقال في تفسيره: الجذو جمع جذوة وأصل ذلك في الخشب ما كان منه فيه نار.

10- جوف: عظام الأجواف.

11- الهيم: العطاش واحده أهيم أو هيماء، ولا ينقعن: لا يروين.

12- هذا وارد على وجه التمثيل، و شبهت الضأن بما لا يسمع لبلادتها. و العرب يقولون: أبلد ما يرعى الضأن.

13- قال علي بن عبد الله: قلت لأبي عائشة: ما قولها: «و أمر مغويتهن يتبعن» فقال: أ ما تراهن يمرون فتسقط الواحدة منهن في ماء أو و

حل و ما أشبه ذلك فيتبعنها إليه. انظر «الكامل» للمبرد طبع أوروبا ص 318.

14- كذا في الأصول و هي إحدى روايتين، و ثانيتهما «أشبه امرؤ بعض بزه» انظر «الكامل» للمبرد ص 318؛ و فيه: أنه أرسله مثلاً و لم

نجده في «مجمع الأمثال» للميداني و لا في «لسان العرب».

إشارة

أخبرني عمي قال حدّثني محمد بن عبد الله الحزنبل قال حدّثني عمرو بن أبي عمرو الشّيباني عن أبيه قال: عمّر ذو الإصبع العدواني عمرا طويلا حتى خرف(1) و أهتر و كان يفرّق ماله، فعذله أصهاره و لاموه و أخذوا على يده(2)؛ فقال في ذلك:

أهلكنا الليل و النهار معا *** و الدهر يعدو مصمّما جذعا(3)

فليس فيما أصابني عجب *** إن كنت شيئا أنكرت أو صلعا

و كنت إذ رونق الشّباب به *** ماء شبابي تخاله شرعا

و الحيّ فيه الفتاة تر مقني *** حتّى مضى شأو ذاك فانقشعا(4)

صوت

إنكما صاحبيّ لم تدعا *** لومي و مهما أضق فلن تسعا

لم تعقلا جفوة عليّ و لم *** أشتم صديقا و لم أنل طبعا(5)

إلا بأن تكذبا عليّ و ما *** أملك أن تكذبا و أن تلعا(6)

لابن سريح في هذه الأبيات لحنان: أحدهما ثاني ثقيل بالسبابة و البنصر عن يحيى المكيّ، و الآخر ثقيل أوّل عن الهشاميّ.

و إنني سوف أبتدي بندي *** يا صاحبيّ الغداة فاستمعا

ثمّ سلا جارتي و كنتها *** هل كنت فيمن أراب أو خدعا(7)

أو دعتاني فلم أجب، و لقد *** تأمن منّي حليلتي الفجععا(8)

آبي فلا أقرب الخباء إذا *** ما ربّه بعد هدأة هجععا

و لا أروم الفتاة زورتها *** إن نام عنها الحليل أو شسععا(9)

و ذاك في حقبة خلت و مضت *** و الدهر يأتي على الفتى لمعا(10)

لكن الوصف منه مهتر على صيغة اسم المفعول شذوذا.

2- أخذوا على يده: حجروا عليه و منعوه مما يريد أن يفعل.

3- الجذع: الشاب الحدث.

4- في ء، ح: «فانقطعا».

5- الطبع: الدنس و العيب.

6- تلعا: من الولع و هو الكذب، يقال: ولع يلع ولعا وولعانا أي كذب.

7- كذا في أ. و في ح: «قذعا» و قذع: رمى بالفحش و سوء القول. و في باقي الأصول: «فدعا» و ليس له معنى يناسب المقام.

8- في ح: «الفزعا».

9- شسع: بعد.

10- لمعا: ألوانا لاختلاف ما يأتي به من خير و شر. و اللمع: واحده لمعة و هي كل لون خالف لونا آخر.

إن تزعمًا أنني كبرت فلم *** ألف ثقيلًا نكسا و لا ورعا(1)

إما تري شكّتي(2) رميح أبي *** سعد فقد أحمل السلاح معا

أبو سعد: ابنه، و رميح: عصا كانت لابنه يلعب بها مع الصبيان يطاعنهم بها كالرّمح، فصار يتوكأ هو عليها و يقوده ابنه هذا بها(3).

السيف و الرّمح و الكنانة قد *** أكملت فيها معا بلا(4) صنعا(5)

و المهر صافي الأديم أصنعه(6) *** يطير عنه عفاؤه قزعا(7)

أقصر من قيده و أردعه *** حتّى إذا السّرب ريع أو فزعا

كان أمام الجياد يقدمها *** يهزّ لدنا و جوجوا تلعا(8)

فغامس(9) الموت أو حمى ظعنا(10) *** أو ردّ نهبا لأيّ ذاك سعى

وصيته لابنه عند موته:

إشارة

قال أبو عمرو: و لما احتضر ذو الإصبع دعا ابنه أسيدا(11) فقال له: يا بني، إن أباك قد فني و هو حيّ و عاش حتّى سئم العيش، و إني موصيك بما إن حفظته بلغت في قومك ما بلغته، فاحفظ عني: ألن جانبك لقومك يحبوك، و تواضع لهم يرفعوك، /و ابسط لهم وجهك يطيعوك، و لا تستأثر عليهم بشيء يسودوك؛ و أكرم صغارهم كما تكرم كبارهم يكرمك كبارهم و يكبر على مودّتك صغارهم، و اسمح بمالك، و احم حريمك، و أعزز جارك، و أعن من استعان بك، و أكرم ضيفك، و أسرع النهضة(12) في الصّريخ، فإن لك أجلا لا يعدوك، و صن وجهك عن مسألة أحد شيئا، فبذلك يتم سوددك؛ ثم أنشأ يقول:

ص: 69

1- النكس: الرجل الضعيف الذي لا خير فيه. و الورع: الضعيف لا غناء عنده.

2- الشكة: السلاح.

3- في «لسان العرب» مادة رمح: «و أخذ الشيخ رميح أبي سعد: اتكأ على العصا من كبره، و أبو سعد أحد وفد عاد، و قيل هو لقمان الحكيم، قال: إما تري شكّتي رميح أبي سعد فقد أحمل السلاح معا و قيل: «أبو سعد كنية الكبر». و في «القاموس» مادة رمح مثل هذا الذي ذكره صاحب «اللسان» في تفسير «رميح أبي سعد». و لم يرد فيهما شيء مما ذكره أبو الفرج.

4- كذا في أكثر الأصول. و المعابل: جمع معبلة و هي نصل عريض طويل. و في ب، س، ح: «مقابلا» و هو تحريف.

5- صنعا: جمع صنيع و هو المجربّ المجلو، يقال: سيف صنيع و سهم صنيع أي مجرب مجلو.

6- أصنعه: أحسن القيام عليه، يقال: صنعت فرسي صنعا و صنعة أي أحسنت القيام عليه.

7- العفاء: الشعر الطويل. و القزع: القطع المتفرقة، و كل شيء يكون قطعاً متفرقة فهو قزع.

8- اللدن: اللبن من كل شيء، و لعل المراد منه هنا الكفل. و الجؤجؤ: الصدر. و تلح: منبسط.

9- غامس الموت: ورده.

10- ظعنا: جمع ظعينة و هي الزوجة، يقال: هي ظعينة فلان أي زوجته، و هؤلاء ظواعنه أي نساؤه، و سميت الزوجة ظعينة لأن الرجل يظعن بها.

11- سمي بأسيد كزبير و بأسيد كأمير، و لم نعثر على نص خاص في هذا الاسم.

12- استعمل ابن جني أسرع متعديا فقال: «و يسرع قبول ما يسمعه» قال صاحب «اللسان»: فهذا إما أن يكون يتعدى بحرف و بغير حرف، و إما أن يكون أراد إلى قبول فحذف و أوصل.

أأسيد إن مالا ملك *** ت فسر به سيرا جميلا

آخ الكرام إن استطع *** ت إلى إخوانهم سبيلا

و اشرب بكأسهم وإن *** شربوا به السّم الثّميلا (1)

أهن اللّثام ولا تكن *** لإخوانهم جملا ذلولا

إنّ الكرام إذا توا *** خيهم وجدت لهم فضولا (2)

ودع الذي يعد العشي *** رة أن يسيل ولن (3) يسبلا

/أبنيّ إن المال لا *** يبكي إذا فقد البخيلا

صوت

أأسيد إن أزمعت من *** بلد إلى بلد رحبلا

فاحفظ و إن شحط المزأ *** ر أخوا أخيك أو الرّميلا (4)

/و اركب بنفسك إن همم *** ت بها الحزونة والسّهولا

و صل الكرام و كن لمن *** ترجو مودّته وصولا

الغناء للهدليّ خفيف ثقيل أوّل بالوسطى عن عمرو.

ودع التّواني في الأمو *** ر و كن لها سلسا ذلولا

و ابسط يمينك بالتّدى *** و امدد لها باعا طويلا

و ابسط يديك بما ملك *** ت و شيّد الحسب الأثيلا

و اعزم إذا حاولت أم *** را يفرج الهمّ الدّخيلا

و ابذل لضيفك ذات رح *** لك (5) مكرما حتّى يزولا

و احلل على الأيفاع لل *** عافين و اجتنب المسيلا

و إذا القروم تخاطرت *** يوما و أرعدت النّصيلا (6)

- 1- الظاهر أن التّميل هنا الناقع، و لكننا لم نجد في كتب اللغة التي بأيدينا التّميل بهذا المعنى، وإنما الوارد الشمال، بضم أوله، و المثل و هو السم المنقع أي الذي أنقع فبقي و ثبت.
- 2- كذا في ط، ء. و الفضول: جمع فضل، و في باقي الأصول: «قبولا».
- 3- كذا في أكثر الأصول. و في، ط، ء: «ولا».
- 4- كذا في أكثر الأصول، و الزميل: الرفيق في السفر الذي يعينك على أمورك. و في ط، ء، أ: «النزيلا».
- 5- الرحل: المثوى و المنزل.
- 6- الخصيل: جمع خصلة و هي كل لحمة فيها عصب.
- 7- في ء، ط: «يخضب».
- 8- كذا في أكثر النسخ. و التليل: العنق. و في ء، ط: «الغليلا» و الغليل: الشعر المجتمع.

و انزل إلى الهييجا إذا *** أبطالها كرهوا النزولا

و إذا دعيت إلى المة *** م فكن لفادحه حمولا

استنشد معاوية قيسيا شعره و زاد في عطائه:

أخبرني عمي قال حدّثنا الكرائي قال حدّثنا العمري عن العتيبي قال:

جرى بين عبد الله بن الزبير و عتبة بن أبي سفيان لحاء(1) بين يدي معاوية، فجعل ابن الزبير يعدل بكلامه عن عتبة و يعرض بمعاوية، حتى أطال و أكثر [من ذلك](2)، فالتفت إليه معاوية متمثلا و قال:

/

ورام بعوران(3) الكلام كأنها *** نوافر صبح نفرتها المراتع

و قد يدحض(4) المرء الموارب بالخنا *** و قد تدرك المرء الكريم المصانع

ثم قال لابن الزبير: من يقول هذا؟ فقال: ذو الإصبع؛ فقال: أترويه؟ قال لا؛ فقال: من هاهنا يروي هذه الأبيات؟ فقام رجل من قيس فقال: أنا أرويها يا أمير المؤمنين؛ فقال: أنشدني؛ فأنشده حتى أتى على قوله:

و ساع برجليه لآخر قاعد *** و معط كريم ذو يسار و مانع

و بان لأحساب الكرام و هادم *** و خافض مولاه سفاها و رافع

و مغضض على بعض الخطوب(5) و قد بدت *** له عورة من ذي القرابة ضاجع

و طالب حوب باللسان و قلبه *** سوى(6) الحق لا تخفى عليه الشرائع

فقال له معاوية: كم عطاؤك؟ قال: سبعمائة؛ قال: اجعلوها ألفا، و قطع الكلام بين عبد الله و عتبة.

شعره في ابن عمه و قد عاداه:

قال أبو عمرو(7): و كان لذي الإصبع ابن عمّ يعاديه فكان يتدسّس إلى مكارهه/و يمشي(8) به إلى أعدائه و يؤلّب عليه و يسعى بينه و بين بني عمّه و يبيغيه عندهم شرًا؛ فقال فيه - و قد أنشدنا الأخفش هذه الأبيات [أيضا](9) عن ثعلب و الأحول السّكري:

/

يا صاحبي قفا قليلا *** و تخبراً عنّي لميسا

- 1- اللحاء: المنازعة.
- 2- الزيادة عن ط، ء.
- 3- كذا في أكثر النسخ و كذلك أصلحه الأستاذ الشنقيطي بهامش نسخته طبع بولاق و ورد كذلك في «اللسان» مادة عور. و عوران الكلام: ما تنفيه الأذن، الواحدة عوراء (انظر «اللسان» مادة عور) و في ب، س: «بعورات».
- 4- كذا في ء، ط، أ: «و يدحض: يزلق و يزل». و في سائر النسخ: «يرخص».
- 5- في ب، س: «الخصوم».
- 6- سوى الحق: وسطه، يعني أن قلبه ملازم الحق.
- 7- كذا في ء، ط. و في سائر النسخ: «ابن عمر».
- 8- في ء، ط: «ويشي».
- 9- الزيادة عن ط، ء.

عَمَّنْ أَصَابَتْ قَلْبَهُ *** فِي مَرَّهَا فَعْدَا (1) نَكَيْسَا (2)

وَلِي ابْنِ عَمِّ لَا يَزَا *** لَ إِلَيَّ مِنْكَرَهُ (3) دَسَيْسَا

دَبَّتْ لَهُ فَاحْسٌ بَع *** دَ الْبَرِّ مِنْ سَقَمِ رَسَيْسَا (4)

إِمَّا عَلَانِيَةً وَإِمَّ *** أَمَخْمَرَا (5) أَكَلَا (6) وَهَيْسَا

إِنِّي رَأَيْتُ بَنِي أَبِي *** كَ يَحْمَجُونَ (7) إِلَيَّ شَوْسَا (8)

حَتَقَا عَلَيَّ وَ لَنْ تَرَى *** لِي فِيهِمْ أَثْرًا بَثَيْسَا (9)

أَنْحُوا (10) عَلَى حَرِّ الْوَجْوِ *** هَ بَحْدَ مَشَارِ (11) ضَرْوَسَا

لَوْ كُنْتُ (12) مَاءَ لَمْ تَكُنْ *** عَذْبَ الْمَذَاقِ وَلَا مَسْوَسَا (13)

مَلْحًا بَعِيدَ الْقَعْرِ قَدْ *** فَلَّتْ حَجَارَتُهُ الْفُنُوسَا

مَتَاعَ مَا مَلَكَتْ يَدَا *** كَ (14) وَسَائِلَ لَهُمْ نَحْوَسَا

/وَأُنشِدُنَا الْأَخْفَشَ عَنْ هَوْلَاءِ الرِّوَاةِ بِعَقَبِ هَذِهِ الْأَبْيَاتِ - وَ لَيْسَ مِنْ شَعْرِ ذِي الْإِصْبَعِ وَ لَكِنَّهُ يَشْبَهُ مَعْنَاهُ -:

لَوْ كُنْتُ مَاءً كُنْتُ غَيْرَ عَذْبٍ *** أَوْ كُنْتُ سَيْفًا كُنْتُ غَيْرَ عَضْبٍ

أَوْ كُنْتُ طَرْفًا كُنْتُ غَيْرَ نَدْبٍ (15) *** أَوْ كُنْتُ لَحْمًا كُنْتُ لَحْمَ كَلْبٍ

قال: وفي مثله أنشدنا:

ص: 72

1- في ب، س: «قعدا» وهو تحريف.

2- النكيس: المريض.

3- في ط، ء: «مئبره». والمئبر: اللسان.

4- الرسيس: أول الحمى.

5- من أخمر الشيء إذا ستره.

6- كذا في ط، ء، والأكل الوهيس: الشديد. وفي باقي النسخ: «كهلا» وهو تحريف.

7- كذا في ط، ح ومعناه يديمون النظر. وقد ورد هذا البيت في «اللسان» في مادة شوس هكذا: «إن رأيت بني أبي ك محمجين إليك شوسا

وفي باقي النسخ: يحمحمون إليّ سوسا وهو تحريف.

8- الشوس بالتحريك: النظر بمؤخر العين تكبرا أو تغيظا.

- 9- البئس: الشديد المكروه.
- 10- كذا في ء، ط. وفي باقي النسخ: «أنحى».
- 11- المئثار لغة في المنشار.
- 12- في ط، ء: «لو كنت ماء كنت لا».
- 13- المسوس: الماء بين العذب والملح.
- 14- كذا في ط، ء: في باقي الأصول: «يداه».
- 15- يقال: فرس ندب أي ماض نشيط.

لو كنت ممحًا كنت ممحًا ريرا(1) *** أو كنت بردا كنت زمهريرا

أو كنت ريحا كانت الدبورا

سبب تفرق عدوان و تقائلهم:

قال أبو عمرو، و كان السبب في تفرق عدوان و قتال بعضهم بعضا حتى تقانوا: أن بني ناج بن يشكر بن عدوان أغاروا على بني عوف بن سعد بن ظرب بن عمرو بن عباد بن يشكر بن عدوان، و نذرت(2) بهم بنو عوف فاقتتلوا، فقتل بنو ناج ثمانية نفر، فيهم عمير بن مالك سيد بني عوف، و قتلت بنو عوف رجلا منهم يقال له سنان بن جابر، و تفرقوا على حرب. و كان الذي أصابوه من بني وائلة(3) بن عمرو بن عباد و كان سيّدا، فاصطلح سائر الناس على الديات أن يتعاطوها و رضوا بذلك، و أبى مرير بن جابر أن يقبل بسنان بن جابر دية، و اعتزل هو و بنو أبيه و من أطاعهم و من(4) و الاهم، و تبعه(5) على ذلك كرب بن خالد(6) أحد بني عيس بن ناج، فمشى إليهما ذو الإصبع و سألهما قبول الدية و قال: قد قتل منّا ثمانية نفر قبلنا الدية و قتل/منكم رجل فاقبلوا ديته؛ فأبيا ذلك و أقاما على الحرب، فكان ذلك مبدأ حرب بعضهم بعضا حتى تقانوا و تقطعوا. فقال ذو الإصبع في ذلك:

و يا بؤس للأيام و الدهر هالكا *** و صرف الليالي يختلفن كذلكا

/أبعد بني ناج و سعيك فيهم *** فلا تتبعن عينيك ما كان هالكا

إذا قلت معروفا لأصلح بينهم *** يقول مرير لا أحاول ذلكا

فأضحوا كظهر العود جبّ سنامه *** تحوم(7) عليه الطير أحذب باركا

فإن تك عدوان بن عمرو تفرقت *** فقد غنيت(8) دهرا ملوكا هنالكا

قصيدته النونية:

و قال أبو عمرو: و في مرير بن جابر يقول ذو الإصبع - و هذه القصيدة هي التي منها [الغناء](9) المذكور - و أولها:

يا من لقلب شديد(10) الهّم محزون *** أمسى تذكر ريا أمّ هارون

أمسى تذكرها من بعد ما شحطت *** و الدهر ذو غلظ(11) حيننا و ذولين

ص: 73

1- يقال: مخ رير أي فاسد من الهزال.

2- يقال: نذر بالشيء أي علمه فحذره.

3- فيء، ط: «وائلة».

4- كذا في أ. و في باقي النسخ: «و ما».

5- في ء، ط: «و تابعه».

6- في ء، ط: «جبله».

7- كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «يدب إلى الأعداء أحذب باركا».

8- كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «غبيت».

9- التكملة من ط، ء.

10- في «أمالى القالى» ج 1 ص 255 طبع دار الكتب: «طويل البث».

11- كذا في ب، س، ح. وفي باقى النسخ و«أمالى القالى»: «ذو غلظة».

فإن يكن حبّها أمسى لنا شجنا *** وأصبح الولي (1) منها لا يواتيني
فقد غنينا (2) وشمل الدار يجمعنا *** أطيع ريًا وريًا لا تعاصيني
نرمي الوشاة فلا نخطي مقاتلهم *** بخالص (3) من صفاء الودّ مكنون
ولي ابن عمّ على ما كان من خلق *** مختلفان فأقلبيه (4) ويقليني
أزرى بنا أننا شالت نعمتنا *** فخالني دونه بل خلته دوني
الاه (5) ابن عمّك لا أفضلت في حسب *** شيئا ولا أنت ديتاني (6) فتخزوني
ولا تقوت عيالي يوم مسغبة *** ولا بنفسك في العزاء (7) تكفيني
فإن ترد عرض الدنيا بمنقصتي *** فإنّ ذلك ممّا ليس يشجيني
ولا ترى في غير الصبر منقصة *** وما سواه فإنّ الله يكفيني
لو لا أواصر قربي لست تحفظها *** ورهبة الله في مولى يعادينني
إذا بريتك برياً لا انجبار له *** إني رأيتك لا تنفك تبريني
إنّ الذي يقبض الدنيا و يبسطها *** إن كان أغناك عني سوف يغنيني
الله يعلمكم والله يعلمني *** والله يجزيكم عني ويجزيني
ما ذا عليّ وإن كنتم ذوي رحمة *** ألا أحبكم إن لم تحبوني
لو تشربون دمي لم يرو شاربكم *** ولا دماؤكم جمعا ترويني
ولي ابن عمّ لو أنّ الناس في كبدي *** لظلّ محتجزا (8) بالتبّل يرميني
يا عمرو وإن لا (9) تدع شتمتي ومنقصتي *** أضربك حتى تقول الهامة اسقوني (10)
كلّ امرئ صائر يوماً لشيئته *** وإن تخلّق أخلاقاً إلى حين
إني لعمرك ما بابي بذى غلق (11) *** عن (12) الصديق ولا خيري بممنون

- 1- كذا في ء، ط. و الولي: القرب. وفي سائر النسخ: «الوأي». و الوأي: الوعد.
- 2- غنينا: أقمنا.
- 3- في «أمالى القالى» ج 1 ص 255 طبع دار الكتب: «بصادق».
- 4- أقلية: أبغضه.
- 5- أصله: لله ابن عمك، حذف منه اللام الخافضة.
- 6- الديان: القائم بالأمر. و تخزوني: تسوسني و تقهرني.
- 7- العزاء: الشدة.
- 8- كذا في ء، ط، و المحتجز: الشادّ منزره على وسطه و هو كناية عن التهيؤ للأمر و التشمير له. و في ب، س: «منحجزا».
- 9- كذا في ح و «الأمالى» طبع دار الكتب ج 1 ص 256، و في ط، ء: «إنك إن لا تدع إلخ». و في أ، م: «يا عمرو إن لم تدع إلخ».
- 10- هذا وارد على ما يزعمه العرب في جاهليتهم من أن روح القتيل الذي لم يدرك بثأره قصير هامة فتزقو عند قبره و تقول: اسقوني اسقوني، فإذا أدرك بثأره طارت.
- 11- الغلق: ما يعلق به الباب.
- 12- كذا في «المفضليات» ص 326 طبع بيروت. و في جميع الأصول: «على الصديق».

ولا لساني على الأدنى بمنطلق *** بالمنكرات ولا فتكي بمأمون
لا يخرج القسر (1) مّتي غير مغضبة (2) *** ولا ألين لمن لا يتبغي ليني
وأنتم معشر زيد على مائة *** فأجمعوا أمركم شتي فكيديني
فإن علمتم سبيل الرشد فانطلقوا *** وإن غببتم (3) طريق الرشد فأتوني
يا ربّ ثوب حواشيه كأوسطه *** لا عيب في الثوب من حسن و من لين
يوما شددت على فرغاء (4) فاهقة *** يوما من الدهر تارات تماريني
ما ذا على إذا تدعونني فزعا *** ألا أجيبكم إذ لا تجيبوني
و كنت (5) أعطيكم مالي و أمنحك *** ودي على مثبت في الصدر مكنون
ياربّ حيّ شديد الشغب ذي لجب (6) *** ذعرت (7) من راهن منهم و مرهون
رددت باطلهم في رأس قائلهم *** حتى يظّلوا خصوما (8) ذا أفانين
يا عمرو لو كنت لي ألفتني يسرا (9) *** سمحا كريما أجازي من يجازيني

قصيدته في رثاء قومه:

قال أبو عمرو: وقال ذو الإصبع يرثي قومه:
وليس المرء في شيء *** من الإبرام و النقض
إذا يفعل شيئا خا *** له يقضي و ما يقضي
جديد العيش ملبوس *** و قد يوشك أن ينضى (10)
أو قد مضى بعض هذه القصيدة متقدّما في صدر هذه الأخبار، و تمامها:
و أمر اليوم أصلحه *** و لا تعرض لما (11) يمضي

- 1- كذا في ء، ط، ح و «المفضليات». وفي سائر النسخ: «لا تخرج النفس».
- 2- في «المفضليات»: «مأبئة» و معناه: إذا أكرهت على شيء لم يكن عندي إلا الإباء له.
- 3- كذا في ط، ء. وفي ب، س: «عبيتم». وفي «المفضليات» و «أمالي القالي»: «جهلتم».
- 4- كذا في س، و الفرغاء: الواسعة و المراد طعنة واسعة، وفي ء، ط: «فوها»، و الفوها: الواسعة. و الفاهقة: التي تفهق بالدم أي تصب.
- 5- في ء، ط: «قد كنت».
- 6- اللجب: ارتفاع الأصوات و اختلاطها.
- 7- كذا في ط، ء. وفي سائر النسخ: «دعوت».
- 8- كذا في ء، ط و «المفضليات» ص 326 طبع بيروت، وفي باقي النسخ: «حصونا» و هو تحريف.
- 9- اليسر: السهل الاتقياد.
- 10- كذا في ط، ء. و بذلك يكون في هذه الأبيات إقواء، و الإقواء: اختلاف يقع في حركة القافية، و أكثر ما يكون ذلك بين الرفع و الجر، و أما مخالطة النصب لواحد منهما - كما في هذه الأبيات - فقليل، و قد استشهد صاحب «اللسان» لهذا القليل بشواهد كثيرة. وفي سائر النسخ: «يغضي».
- 11- كذا في «شعراء النصرانية» طبع بيروت. وفي جميع النسخ: «لمن».

فبينما المرء في عيش *** له من عيشة خفض

أتاه طبق (1) يوماً *** على مزقة دحض

وهم كانوا فلا تكذب *** ذوي القوة و التّهض

وهم إن ولدوا أشبوا (2) *** بسرّ الحسب المحض

لهم كانت أعالي الأر *** ض فالسرّان فالعرض (3)

إلى ما حازه الحزن *** فما أسهل للحمض (4)

إلى الكفرين من نخل *** ة فالذّاءة (5) فالمرض

لهم كان جمام (6) الما *** ء لا المزجى (7) ولا البرض

فكان الناس إذا همّوا *** بيسر خاشع مغضي

تنادوا ثم ساروا ب *** رئيس لهم مرضي

أفمن ساجلهم حرباً *** ففي الخيبة و الخفض

وهم نالوا على الشّنا *** ن و الشّحناء و البغض

معالي لم ينلها التّا *** س في بسط و لا قبض

شعر أمامة بنت ذي الإصبع في رثاء قومها:

قال أبو عمرو: قالت أمامة بنت ذي الإصبع و كانت شاعرة ترثي قومها:

كم من فتى كانت له ميعة (8) *** أبلج مثل القمر الزاهر

قد مرّت الخيل بحافاته (9) *** كمرّ غيث لجب (10) ماطر

ص: 76

1- الطبق: الشدة، و به فسر قوله تعالى: لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ.

2- كذا في «اللسان» مادة «شبا» و في جميع النسخ: و هم من ولدوا أشبوا يقال: أشبى فلان إذا ولد له ولد كيّس.

3- لم نعثر على السران اسماً لموضع خاص و لعله تشبیه السر و هو اسم لمواضع في بلاد العرب (انظر «معجم ياقوت» في اسم السرّ). و العرض: وادي اليمامة. و يقال لكل واد فيه قرى و مياه: عرض.

- 4- كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «للمحض».
- 5- كذا في ء، ط و الداءة (بوزن داعة): اسم للجبل الذي يحجز بين نخلتين الشامية واليمانية من نواحي مكة. وفي باقي النسخ: «فالدارة» بالراء.
- 6- الجمام: جمع جم وهو الكثير من كل شيء.
- 7- المزجى: القليل، ومنه بضاعة مزجاة أي قليلة. و البرض: القليل أيضا، يقال: ماء برض، في مقابلة ماء غمر. وفي المثل: «برض من عدّ» أي قليل من كثير.
- 8- الميعة: أول الشباب وأنشطه.
- 9- كذا في ط، ء، وفي سائر النسخ: «بحافاتهم».
- 10- يقال: غيث لجب أو سحاب لجب، لما فيه من قعقة الرعد.

لقيت فهم وعدوانها *** قتلا و هلكا آخر الغابر

كانوا ملوكا سادة في الذرى (1) *** دهرا لها الفخر على الفاخر

حتى تساقوا كأسهم بينهم *** بغيا فيا للشارب الخاسر

بادوا فمن يحلل بأوطانهم *** يحلل برسم مقفر دائر (2)

شعره في الكبر:

قال أبو عمرو: و لأمامة ابنته هذه يقول ذو الإصبع ورأته قد نهض فسقط (3) و توگأ على العصا فبكت فقال:

جزعت أمامة أن مشيت على العصا *** و تذكّرت إذ نحن م الفتیان

فلقبل ما رام الإله بكيده *** إرما و هذا الحي من عدوان

بعد الحكومة و الفضيلة و التهي *** طاف الزمان عليهم بأوان

و تفرّقوا و تقطّعت أشلاؤهم *** و تبدّدوا فرقا بكلّ مكان

جذب البلاد فأعقمت أرحامهم *** و الدّهر غيرهم مع الحدثان

حتى أبادهم على أخراهم *** صرعى بكلّ نقيرة و مكان

لا تعجبنّ أمام من حدث عرا *** فالدّهر غيرنا مع الأزمان

ص: 77

1- في ب، س: «الورى».

2- كذا في ط، و الداثر: الدارس العافي. و في سائر النسخ: «داسر» بالسین و هو تحريف.

3- كذا في ط. و في سائر النسخ: «و سقط» بالواو.

إشارة

23 - ذكر قيل (1) مولى العبلات

ولأوه و غناؤه:

إشارة

قال هارون بن محمد بن عبد الملك: أخبرني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

كان يحيى قيل عبدا للثريّا و رضيا و أخواتهما بنات [عليّ بن] (2) عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس مولات الغريض.

قال و حدّثني حمّاد قال [حدّثني] (2) أبي قال حدّثني ابن أبي جناح قال حدّثنا مقاحف (3) بن ناصح مولى عبد الله بن عباس قال قال حدّثني هشام بن المريّة - وهي أمّه، و هو مولى بني مخزوم - قال:

كان يحيى قيل عبدا لامرأة من العبلات، و له من الغناء:

صوت

و أخرجتها من بطن مكة بعد ما *** أصوات المنادي للصلاة و أعتما (4)

فمرّت ببطن اللّيث (5) تهوي كأنما *** تبادر بالإصباح نهبا مقسّما

و الشعر لأبي دهب الجمحيّ. و أوّل هذه القصيدة:

ألا علق القلب المتيمّ كلثما

أبو دهب الجمحي:

و أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثني الزبير بن بكار قال حدّثني يحيى بن المقداد الزمعيّ قال حدّثني عمّي موسى بن يعقوب الزمعيّ قال أنشدني أبو دهب الجمحيّ لنفسه:

ألا علق القلب المتيمّ كلثما *** لجوجا و لم يلزم من الحبّ ملزما

خرجت بها من بطن مكة بعد ما *** أصوات المنادي للصلاة و أعتما

- 1- تقدّم هذا الاسم في الجزء الثاني من هذا الكتاب و اضطربت فيه النسخ فبعضها يذكره «قيل» بالقاف، وبعضها يذكره «فيل» بالفاء، ولم تقف على تحقيقه بالمراجع التي بأيدينا.
- 2- التكملة عن ء، ط.
- 3- كذا ورد هذا الاسم في أكثر النسخ. وفي ء، ط ورد مرسوما هكذا: «معاهد» ولم نعثر فيما بين أيدينا من المراجع ولا في موالى ابن عباس على من تسمى بذلك، وقد وجد في موالى ابن عباس من اسمه «نافذ» بالفاء و الذال المعجمة، فلعله محرّف عنه.
- 4- أعتّم: دخل في العتمة وهي ثلث الليل الأول بعد مغيب الشفق.
- 5- كذا في ء، ط، وهو الموافق لما في معجم «ياقوت» من أن الليث (بكسر اللام): واد بأسفل السراة يدفع في البحر أو موضع بالحجاز. و في باقي النسخ: «البيت».

فما نام من راع(1)

ولا ارتدّ سامر *** من الحيّ حتى جاوزت بي يللمما(2)

ومرت ببطن الليث تهوي كأنها *** تبادر بالإدلاج نهبا مقسّما

أجازت على البزواء(3) والليل كاسر *** جناحين بالبزواء وردا(4) وأدهما

فما ذرّ قرن الشمس حتى تبيّنت *** بعليّب(5) نخلا مشرفا ومخيّما

ومرت على أشطان(6) دومة(7) بالضحى *** فما خزرت(8) للماء عينا ولا فما

أو ما شربت حتى ثنيت زمامها *** وخفت عليها أن تحزّ(9) وتكلما

أفقلت لها قد تعت(10) غير ذميمة *** وأصبح وادي البرك(11) غيثا مديّما

قال فقلت [له](12): يا عمّ ما كنت إلا على الريح! فقال: يا ابن أخي إنّ عمّك كان إذا همّ فعل، وهي العجاجة، أما سمعت قول أخي ببني مرّة(13):

إذا أقبلت قلت مشحونة *** أقلّت(14) لها الريح قلعا(15) جفولا

وإن أدبرت قلت مذعورة *** من الرمد(16) تتبع هيقا(17) ذمولا

ص: 79

- 1- كذا في «ياقوت» (في الكلام على يللمم) وإحدى روايتي ط. وفي جميع النسخ: (داع).
- 2- يللمم: موضع على ليلتين من مكة وهو ميقات أهل اليمن، وفيه مسجد معاذ بن جبل رضي الله عنه.
- 3- كذا في «معجم ياقوت» في اسم البزواء واستشهد بهذا الشعر. والبزواء: موضع في طريق مكة قريب من الجحفة. وفي ط «النزواء» بالنون والتحريف فيها واضح. وفي باقي الأصول: «السرواء» وهو تحريف أيضا إذ لم نجد في الأماكن ما يسمى بهذا الاسم.
- 4- الورد: وصف من الوردة وهي لون أحمر يضرب إلى صفرة، يقال: ورد الفرس يورد وردة وورودة إذا صار وردا أي كلون الورد وهو ما بين الكميت والأشقر، والمراد بالورد هنا الفجر عند انبثاقه، والأدهم آخر ما بقي من سواد الليل.
- 5- كذا في أكثر الأصول، وعليب: موضع بتهامة. وفي ء وإحدى روايتي ط: «بطيبة».
- 6- الأشطان: جمع شطن وهو الحبل الطويل الشديد القتل يستقى به.
- 7- كذا في أكثر النسخ والظاهر أن المراد به الدومة وهو واد بين المدينة وخيبر به آبار. انظر «معجم ما استعجم» ص 331، وفي ء، ط: «روقة» بالراء والقاف ولم نجده في أسماء الأماكن.
- 8- كذا في ء، ط، وفي باقي الأصول: «حدرت».
- 9- كذا في ء، وإحدى روايتي ط. وفي باقي النسخ: «تجنّ».

- 10- كذا في ط و تعت أسرع في السير، من تاع الماء يتبع تيعا أي سال على وجه الأرض، وعلى هامش هذه النسخة «تاع يتبع: انقاد». و في ء: «نغت» بالنون والغين، ولم يظهر له معنى مناسب. وفي باقي الأصول: «بعت».
- 11- كذا في ء، ط و هو كما في «معجم ياقوت»: ناحية باليمن بين ذهبان و حلي و هو نصف الطريق بين حلي و مكة، وفي باقي الأصول: «البزل» و هو تحريف.
- 12- الزيادة عن ء، ط.
- 13- هو بشامة بن عمرو والغدير كما في «معجم ياقوت» و البكري في الكلام على «كشب».
- 14- في ء، ط: «أطاعت».
- 15- كذا في ء، ط. و القلع: شراع السفينة، وفي باقي النسخ: «خلعا» و هو تحريف.
- 16- كذا في ء، ط و «المفضليات» للضبي ص 86 طبع بيروت، و الرمذ: جمع رمداء و هي النعامة التي فيها سواد منكسف كلون الرماد، و في باقي النسخ: «الدبر» و هو النحل و الزنابير.
- 17- كذا في ء، ط. و الهيق: الظليم و هو ذكر النعام. وفي باقي النسخ: «هيفا» بالفاء و هو تحريف، و ذمولا: سريعا.

وإن أعرضت (1) خال فيها البصي *** ر ما لا يكلفه أن يفيلاً (2)

/أيدا (3) سرحا مائراً (4) ضبعها *** تسوم (5) و تقدم رجلا زجولا

فمرت على كشب (6) غدوة *** و مرت فوق أريك (7) أصيلاً

تخبط بالليل حزانه (8) *** كخبط القوي العزيز الذليلاً

أخبرنا الحرمي قال حدثنا الزبير بن بكار قال حدثني ابن (9) أصبغ السلمي قال: جاء إنسان يغني إلى عياش المنقري بالعقيق فجعل يغنيه قول أبي دهبيل:

ألا علق القلب المقيم كلثما

و جعل يعيده فلما أكثر قال له عياش: كم تنذر (10) بالعجوز عافاك الله! اسم أمي كلثم، قال: و تسمع العجوز، فقالت: لا والله ما كان بيني وبينه شيء. قال: و من غنائه:

/

أزرى بنا أننا شالت نعامتنا *** فخالني دونه بل خلته دوني

فإن تصبك من الأيام جائحة *** لا نبك (11) منك على دنيا و لا دين

[و أول هذه الأبيات فيما أشدناه علي بن سليمان الأخفش عن ثعلب] (12).

صوت من المائة المختارة

لي ابن عم علي ما كان من خلق *** مختلفان فأقلبه و يقليني

ص: 80

1- أعرضت: رأيتها من عرضها و أحد جانبيها.

2- كذا في ء، ط، و يفيل: يخطئ، من فال رأيه إذا أخطأ، و المراد أنها إذا رؤيت لم يخطئ البصير في نجابتها. و في باقي النسخ: «يقيلاً» بالقاف و هو تحريف.

3- كذا في ء، ط و «المفضليات» للضبي ص 86 طبع بيروت. و في باقي النسخ: «يد سرح مائر ضبعها».

4- يقال: مارت الناقة تمور فهي مائة إذا كانت نشيطة في سيرها. و الضبع: العضد، و قيل: هو ما بين الإبط إلى نصف العضد.

5- كذا في ط و «المفضليات» للضبي، و تسوم: تعدو على وجهها، و قيل: تمرّ مرا سهلاً. و زجولا بالزاي و الجيم من الزجل و هو الدفع، و المراد تدفع نفسها. و في ب، س: «يسوم و يقدم».

6- كذا في «معجم ياقوت» في مادة كشب و البكري، و قد اختلف ضبطه في «ياقوت» و «البكري» و «شرح القاموس» فقد روى بضم أوله

- و تشديد ثانيه المفتوح كما روى ككتب و ككتف و هو جبل مما يلي حدود اليمن. وفي جميع النسخ و «ياقوت» في الكلام على أريك:
«فمرت بذي خشب إلخ» و ذو خشب: موضع قرب المدينة.
- 7- أريك: جبل في بلاد بني مرة، قال جابر بن حني التغلبي: تصعد في بطحاء عرق كأنها ترقى إلى أعلى أريك بسلم و قال الأخفش: إنما سمي أريكا لأنه جبل كثير الأراك.
- 8- كذا في «المفضليات» و «شرح القاموس» «مادة أرك» و الحزان بكسر الحاء و ضمها: جمع حزين و هو المكان الغليظ الصلب من الأرض، و في الأصول: «حزانة» بالتاء المنقوطة و هو تحريف.
- 9- في ء، ط: «أبو الأصبغ».
- 10- كذا في أكثر الأصول. و في ء، ط: «كم تذرنا بالعجوز».
- 11- في ء، ط: «لا أبك».
- 12- هذه الزيادة عن ط.

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب ***عني ولا أنت ديتاني فتخزوني

غني في هذين البيتين الهذليّ ثاني(1) ثقيل بالوسطى.

وقد عجبت و ما في الدهر من عجب *** يد تشحّ(2) وأخرى منك تأسوني

صوت من المائة المختارة

ارفع ضعيفك لا يحرك بك ضعفه *** يوما فتدركه العواقب قد نما(3)

يجزيك أو يثنى عليك وإنّ من *** أثنى عليك بما فعلت فقد جزى(4)

/ [عروضه من الكامل](5). الشعر لغريص(6) اليهودي وهو السموأل(7) بن عادياء، وقيل إنه لابنه سعية(8) بن غريص، وقيل إنه لزيد(9) بن عمرو بن نفيل، وقيل إنه لورقة بن نوفل، وقيل إنه لزهير بن جناب(10)، وقيل إنه لعامر بن المجنون الجرمي(11) الذي يقال له: مدرج الرّيح، والصحيح أنه لغريص أو لابنه.

ص: 81

1- كذا في ء، ط، ح. وفي باقي الأصول: «غني في هذين البيتين للهذليّ».

2- كذا في ء، ط. وفي باقي الأصول: «تشح» بالحاء وهو تحريف.

3- انظر الشرح رقم 2 صحيفة 117.

4- في ط. «كمن جزى».

5- الزيادة عن ط، ء.

6- كذا ورد هذا الاسم في جميع الأصول بالغين المعجمة وفي «شرح القاموس» مادة عرض ذكر ابنه سعية فقال: «و كزبير سعية بن عريض ويقال بالغين المعجمة أيضا» وقد جاء في «الإصابة» ج 3 ص 167 في الكلام على سعية أنه سعية بن غريص بفتح الغين المعجمة.

7- ذكر أبو الفرج هذا الاسم هنا فقال: إن الغريص اليهودي هو السموأل بن عادياء وفي ترجمة السموأل ج 19 ص 18 طبع بولاق قال: إنه السموأل بن غريص بالغين المعجمة، وقال «صاحب معاهد التنصيص شرح شواهد» التلخيص «إنه السموأل بن عريض» بالعين المهملة.

8- صحح الأستاذ الشنقيطي في نسخته طبع بولاق هذا الاسم هكذا: سعية بالسين والعين والياء وسعنة بالسين والعين والنون وكتب فوقه كلمة «معا» إشارة إلى أن كليهما صحيح، وقد ذكرهما كذلك ابن حجر في كتاب «الإصابة»، وجاء في «شرح القاموس» مادة سعي «وسعية بن عريض شاعر». وفي جميع الأصول: «شعبة بن غريص».

9- كذا في ء، ط وهو الصواب، وفي باقي النسخ: «يزيد».

10- كذا في ء، ط وهو الصواب. وفي ح: «خنا». وفي باقي النسخ: «خباب» وكلاهما تحريف.

11- كذا في ء، ط بالجيم وهو الصواب كما في «حماسة البحتري» ص 113 طبعة ليدن و «شرح القاموس» مادة «درج». وفي باقي النسخ: «الجرمي» بالحاء وهو تحريف.

24 - خبر غريضة (1) اليهودي

نسبه و أصل قومه:

وغريضة هذا من اليهود من ولد الكاهن بن هارون بن عمران صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكان موسى عليه الصلاة والسلام وجه جيشا إلى العماليق وكانوا قد طغوا (2) وبلغت غاراتهم إلى الشام وأمرهم إن ظفروا بهم أن يقتلوهم أجمعين، فظفروا بهم فقتلوهم أجمعين سوى ابن لملكهم (3) كان غلاما جميلا فرحموه واستبقوه، وقدموا الشام بعد وفاة موسى عليه السلام فأخبروا بني إسرائيل بما فعلوه؛ فقالوا: أنتم عصاة لا تدخلون الشام علينا أبدا، فأخرجوهم عنها. فقال بعضهم لبعض: ما لنا بلد غير البلد الذي ظفرنا به وقتلنا أهله؛ فرجعوا إلى يثرب فأقاموا بها وذلك قبل ورود الأوس والخزرج إياها عند وقوع سبيل العرم (4) باليمن، فمن هؤلاء اليهود قريظة والتضير وبنو قينقاع وغيرهم، ولم أجد لهم نسبا فأذكره لأنهم ليسوا من العرب فتدون العرب أنسابهم إنما هم حلفاؤهم، وقد شرحت أخبارهم وما يغني به من أشعارهم في موضع آخر من هذا الكتاب.

والغناء في اللحن المختار لابن صاحب الوضوء واسمه محمد وكنيته أبو عبد الله، وكان أبوه على الميضة (5) بالمدينة فعرف بذلك، وهو يسير الصناعة ليس ممن خدم الخلفاء ولا شهر عندهم شهرة غيره. وهذا الغناء ماخوري بالبنصر وفيه ليونس ثاني ثقيل بالبنصر.

نسب له شعر هو لورقة بن نوفل:

أخبرني محمد بن العباس اليزيدي قال حدثنا الرباشي وعبد الرحمن ابن أخي الأصمعي عن الأصمعي عن ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة قال:

ارفع ضعيفك لا يحركك ضعفه *** لغريضة اليهودي

تمثلت عائشة أمام رسول الله صلى الله عليه وسلم بشعر نزل بمعناه الوحي:

وأخبرنا أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا أحمد بن عيسى قال حدثنا مؤمل بن عبد الرحمن الثقفي قال حدثني سهل (6) بن المغيرة عن الزهري عن عروة عن عائشة قالت:

ص: 82

1- الزيادة عن ء، ط.

2- كذا في ء، ط وهو الصواب. وفي باقي النسخ: «قطعوا» وهو تحريف.

3- كذا في ء، ط. وفي باقي النسخ: «ابن لملك لهم».

4- كذا في ء، ط. وفي باقي النسخ: «السيل العرم» بالتعريف فيهما والعرم: اسم واد وقيل: السيل الذي لا يطاق، وقيل: المطر الشديد.

5- الميضة: مطهرة كبيرة يتوضأ منها، والعامية تقول: ميضة.

6- في ب، س: «إسماعيل» ولم نجد في الرواة من اسمه سهل بن المغيرة ولا إسماعيل بن المغيرة و الظاهر أنه سهل أبو حريز مولى المغيرة، قال عنه ابن حبان يروي عن الزهري العجائب، وله ترجمة في «ميزان الاعتدال» ج 1 ص 431 وفي «لسان الميزان» ج 3

دخل عليّ رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وأنا أتمثل بهذين البيتين:

ارفع ضعيفك لا يحرك بك ضعفه *** يوما فتدركه العواقب قد نما(1)

يجزيك أو يثني عليك وإنّ من *** أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

فقال صلّى الله عليه وسلّم: «ردّي عليّ قول اليهوديّ قاتله الله! لقد أتاني جبريل برسالة من ربي: أيما رجل صنع إلى أخيه صنيعة فلم يجد له جزاء إلا الثناء عليه والدعاء له فقد كافأه».

/قال أبو زيد: وقد حدّثني أبو عثمان محمد بن يحيى أن هذا الشعر لورقة بن نوفل، وقد ذكر الزبير بن بكار أيضا أنّ هذا الشعر لورقة بن نوفل وذكر هذين البيتين في قصيدة أولها:

رحلت قتيلة غيرها قبل الضحى *** وأخال أن شحطت بجارتك(2) التوى

أو كلّما رحلت قتيلة غدوة *** وغدت مفارقة لأرضهم بكى

ولقد ركبت على السفين ملججا(3) *** أذر الصديق وأتحي دار العدا

ولقد دخلت البيت يخشى أهله *** بعد الهدوء وبعد ما سقط الندى

فوجدت فيه حرّة(4) قد زينت *** بالحلي تحسبه بها جمر الغضا

فنعمت بالا إذ أتيت(5) فراشها *** وسقطت منها حين جنّت على هوى

فلتلك لذات الشباب قضيتها *** عني فسائل بعضهم ما ذا(6) قضى

فرج(7) الرباب فليس يؤدي فرجه *** لا حاجة قضى ولا ماء بغى

فارفع ضعيفك لا يحرك بك ضعفه *** يوما فتدركه العواقب قد نما

يجزيك أو يثني عليك وإنّ من *** أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

ص: 83

1- جاء في الجزء الثالث من «العقد الفريد» لابن عبد ربه صحيفة 119 في باب (فضائل الشعر): «و سماع النبيّ صلّى الله عليه وسلّم عائشة وهي تشد شعر زهير بن حباب - وصوابه جناب - تقول: ارفع ضعيفك لا يحرك بك ضعفه يوما فتدركه عواقب ما جنى يجزيك أو يثني عليك فإن من أثنى عليك بما فعلت كمن جزى فقال النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: «صدق يا عائشة لا شكر الله من لا يشكر الناس» و يرى المتأمل أن في هذه الرواية والبيتين اختلافا عما هو وارد في «الأغاني».

2- كذا في ء، ط، وفي ب، س، ح: «تجاريك». وفي أ، م: «تحاريك» بالحاء المهملة وكلاهما تحريف.

- 3- ملججا: خائضا اللجة و هي معظم الماء.
- 4- في ء، ط «طفلة» بفتح الطاء و هي المرأة الناعمة الرخصة.
- 5- في ء، ط: «حين زرت فراشها».
- 6- كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «ما قد قضى».
- 7- هذا البيت ساقط في ء، ط: وقد ورد هكذا في باقي النسخ و هو غير واضح.

نسبه و هو جاهلي اعتزل عبادة الأوثان:

هو ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّي بن قصي، و أمه هند بنت أبي كثير(1) بن عبد بن قصي. / او هو أحد من اعتزل عبادة الأوثان في الجاهلية و طلب الدّين و قرأ الكتب و امتنع من أكل ذبائح الأوثان.

نسبة ما في هذا الشعر من الغناء

إشارة

غير

ارفع ضعيفك...

صوت

و لقد طرقت البيت يخشى أهله *** بعد الهدوء و بعد ما سقط الندى

فوجدت فيه حرّة قد زينت *** بالحلي تحسبه بها جمر الغضا

الشعر لورقة بن نوفل(2). و الغناء لابن محرز من القدر الأوسط من الثقل الأول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق.

أخبرنا الطّوسيّ قال حدّثنا الزّبير بن بكار قال حدّثنا عبد الله بن معاذ عن معمر عن الزّهرّي عن عروة بن الزّبير قال:

سئل رسول الله صلّى الله عليه و سلّم عن ورقة بن نوفل كما بلغنا فقال: «قد رأيته في المنام كأنّ عليه ثيابا بيضا فقد(3) أظنّ أن لو كان من أهل النار لم أر عليه البياض».

قال الزبير و حدّثنا عبد الله بن معاذ عن معمر عن الزّهرّي عن عائشة:

أنّ خديجة بنت خويلد انطلقت بالنبيّ صلّى الله عليه و سلّم حتى أتت به ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزّي و هو ابن عمّ خديجة أخي أبيها، و كان امرأ تنصّر في الجاهلية، و كان يكتب الكتاب(4) العبرانيّ فيكتب بالعبرانيّة من الإنجيل ما شاء أن يكتب، و كان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت خديجة: أي ابن عمّ، اسمع من ابن أخيك؛ قال ورقة: يا ابن أخي

ص: 84

1- في ء، ط: «ابن أبي كبير» بالباء الموحدة.

2- ذكر في «شرح شواهد الرضى» أن هذه الأبيات لزيد بن عمرو بن نفيل، و قيل لأمية بن أبي الصلت.

3- كذا في ء، ط. و في باقي النسخ: «فقال» و قد ورد الحديث في ص 88 جزء خامس من «أسد الغابة في معرفة الصحابة» في حديث

عائشة قالت: «سئل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ورقة فقالت له خديجة: إنه كان صدقك وإنه مات قبل أن تظهر، فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رأيتُه في المنام وعليه ثياب بياض ولو كان من أهل النار لكان عليه لباس غير ذلك»، وقد روى قريبا من ذلك في الجزء السادس من هذا الكتاب ص 319.

4- الكتاب: مصدر كالكتابة.

ما ذا ترى؟ فأخبره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خبر ما رأى فقال ورقة: هذا الناموس (1) الذي أنزله الله تبارك وتعالى على موسى؛ يا ليتني فيها جذع (2)، ليتني أكون حيا إذ يخرجك قومك؛ قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أ و مخرجي هم» قال ورقة: نعم، لم يأت رجل قط بمثل (3) ما جئت به إلا عودي، وإن يدركني يومك لأنصرتك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي.

رأى بلالا يعذب لإسلامه فقال شعرا:

قال الزبير حدثني عثمان عن الضحّاك بن (4) عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال عروة: كان بلال لجارية من بني جمح بن عمرو، و كانوا يعدّبونه برمضاء (5) مكة، يلصقون ظهره بالرمضاء ليشرك بالله؛ فيقول: أحد أحد؛ فيمرّ عليه ورقة/بن نوفل وهو على ذلك يقول: أحد أحد، فيقول ورقة بن نوفل: أحد أحد والله يا بلال! والله لئن قتلتموه لاتخذته حنانا (6) كأنه يقول: لأتمسّحنّ به. وقال ورقة بن نوفل في ذلك:

لقد نصحت لأقوام وقلت لهم *** أنا النذير فلا يغركم أحد

لا تعبدن (7) إلها غير خالقكم *** فإن دعوكم فقولوا بيننا حدد (8)

سبحان ذي العرش سبحانا نعوذ به *** وقبل قد سبح الجوديّ والجمد (9)

مسخر كلّ ما تحت السماء له *** لا ينبغي أن يناوي ملكه أحد

لا شيء مما ترى تبقى بشاشته *** يبقى الإله و يودي المال و الولد

لم تغن عن هر مز يوما خزائنه *** و الخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

و لا سليمان إذ دان الشعوب له *** و الجنّ و الإنس تجري بينها البرد (10)

ص: 85

1- الناموس في الأصل: صاحب السر أو صاحب سر الوحي، والمراد به جبريل عليه السلام.

2- الجذع: الشاب الحدث، أي يا ليتني أكون شابا حين تظهر نبوّته حتى أبلغ في نصرته.

3- كذا في «صحيح البخاري». وفي جميع الأصول: «بما جئت إلخ».

4- كذا في ط و سيذكر كذلك أكثر من مرة باتفاق الأصول، وفي أكثر الأصول هنا، «الضحّاك عن عثمان عن عبد الرحمن...» وهو تحريف. و الضحّاك بن عثمان إما أن يكون الضحّاك بن عثمان بن عثمان المتوفى سنة ثمانين و مائة وهو الذي وصفه الزبير بن بكار بأنه كان علامة قريش بأخبار العرب و أيامها و أشعارها و أحاديث الناس وهو الذي يروي الزبير بن بكار عن ابنه محمد كما سيأتي في ص 123، و إما أن يكون الضحّاك بن عثمان جده المتوفى سنة ثلاث و خمسين و مائة، لأن كلا منهما عاصر عبد الرحمن بن أبي الزناد الذي ولد سنة مائة و توفي سنة أربع و سبعين و مائة.

5- الرمضاء: الأرض الحامية من شدة حر الشمس.

6- شرح «اللسان» هذه العبارة في مادة «حنن» فقال: الحنان: الرحمة و العطف، و الحنان: الرزق و البركة؛ أراد لأجعلن قبره موضع حنان

أي مظنة من رحمة الله تعالى فأتسمح به متبركا كما يتمسح بقبور الصالحين الذين قتلوا في سبيل الله من الأمم الماضية فيرجع ذلك عارا عليكم وسبة عند الناس، و ضعف هذا الحديث بأن ورقة مات قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم و بلال ما عذب إلا بعد أن أسلم، و هو ضعيف الإسناد لأنه مرسل و عروة تابعي لم يدرك عصر النبوة.

7- في ب، س، أ، م: «لا تعبدون».

8- كذا في ط، و «اللسان» مادة «حدد»، و الحدد (بالتحريك): المنع، يقال: دونه حدد أي منع. و في باقي الأصول: «جدد» بالجيم و هو تحريف.

9- في أ، م، ح: «نعود له» و هي رواية الرياشي: أي نعاوده مرة بعد أخرى، و في «اللسان» في مادتي جود و حمد: «يعود له» و في «معجم ياقوت»: «يدوم له» و الجودي: جبل بالجزيرة استوت عليه سفينة نوح عليه السلام، و الحمد: جبل بنجد.

10- البرد: جمع بريد و هو الرسول: و قد ورد البيت الثالث من هذه الأبيات في «كتاب سيبويه» غير معزو لأحد ذهب أكثر شراحه إلى أنه لأمية بن الصلت و قال بعضهم: إنه لزيد بن عمرو بن نفيل، و صوّب البغدادي في «الخرزانه» ج 2 ص 39 أن هذا الشعر لورقة بن

مدح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ له و النهي عن سبه:

قال الزبير حدّثني عمي قال حدّثنا الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة:

أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لأخي ورقة بن نوفل أو لابن أخيه: «شعرت أنّي قد رأيت لورقة جنة، أو جنتين»، يشكّ هشام.

قال عروة: ونهى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن سبّ ورقة.

وقال الزبير و حدّثني عمي قال حدّثني الضحّاك عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه:

أن خديجة كانت تأتي ورقة بما يخبرها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه يأتيه، فيقول ورقة: لئن كان ما يقول حقًا إنه ليأتيه ناموس الأكبر ناموس عيسى ابن مريم الذي لا يجيزه أهل الكتاب إلا بثمان (1)، ولئن نطق وأنا حيّ لأبليّن فيه لله بلاء حسنا.

ص: 86

1- هذه الكلمة محرفة في جميع الأصول ولها أشكال متباينة لم ننتين تصويبها. وفي «شرح المواهب اللدنية» للزرقاني ج 1 ص 259 طبع بولاق: «إنه ليأتيه ناموس عيسى الذي لا يعلمه بنو إسرائيل أبناءهم».

نسبه من قبل أبويه:

هو زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزّي بن رياح(1) بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدّي بن كعب بن لؤيّ بن غالب. و أمه جیداء بنت خالد بن جابر بن أبي حبيب بن فهم. و كانت جیداء عند نفيل بن عبد العزّي فولدت له الخطّاب أبا عمر بن الخطّاب و عبدنهم(2)، ثم مات عنها نفيل فتزوّجها(3) ابنه عمرو فولدت له زيدا، و كان هذا نكاحا ينكحه أهل الجاهليّة.

اعتزل عبادة الأوثان و كان يعيب قريشا:

و كان زيد بن عمرو أحد من اعتزل عبادة الأوثان و امتنع من أكل ذبائحهم، و كان يقول: يا معشر قريش، أيرسل الله قطر السماء و ينبت بقل الأرض و يخلق السائمة فترعى فيه و تذبحوها(4) لغيره(5)! و الله ما أعلم على ظهر الأرض أحدا على دين إبراهيم غيري.

أخرجه عن مكة خطّاب بن نفيل و قريش لمخالفته دينهم:

أخبرنا الطّوسيّ قال حدّثنا الزّبير قال حدّثني عمّي مصعب بن عبد الله و محمد بن الضحّاك عن أبيه، قال:

كان الخطّاب بن نفيل قد أخرج زيد بن عمرو من مكة و جماعة من قريش و منعه أن يدخلها حين فارق أهل الأوثان، و كان أشدّهم عليه الخطّاب بن نفيل. / و كان زيد بن عمرو إذا خلص إلى البيت استقبله ثم قال(6): لبيك حقّا حقّا؛ تعبدا و رقّا؛ البرّ(7) أرجو لا الخال(8)، و هل مهجّر(9) كمن قال(10)! [ثم يقول](11):

عدت بما عاذ به إبراهيم *** مستقبل الكعبة و هو قائم

ص: 87

- 1- كذا في «شرح القاموس» مادة روح فقد ذكر أسماء من تسموا برياح ككتاب وعدّ هذا منها. وفي ب، س، ء: «رياح» بالباء الموحدة. و في سائر النسخ: «دياح» بالدال و كلاهما تحريف.
- 2- كذا في ط، ء، و هي محرّفة في سائر النسخ، و نهم بالضم: شيطان أو صنم لمزينة، و به سموا «عبدنهم».
- 3- في ط: «فتزوّجت ابنه عمرا».
- 4- في ط، ء: «و تذبحونها».
- 5- كذا في ط، ء. وفي سائر النسخ: «لغير الله».
- 6- كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «ثم قال: يا مولاي لبيك... إلخ».
- 7- البر: الطاعة و الخير.
- 8- الخال: الخيلاء.
- 9- المهجّر: السائر في الهاجرة.
- 10- قال: أقام في القائلة.
- 11- زيادة في ط، ء.

يقول أنفي (1) لك عان راغم *** مهما تجشمني فإني جاشم (2)

ثم يسجد. قال محمد بن الضحّاك عن أبيه: [و] (3) هو الذي يقول:

لا همّ إني حرم لا حلّه (4) *** وإنّ داري أوسط المحلّة

عند الصّفا ليست بها مضلّه

شعره في ترك عبادة الأوثان:

قال الزبير و حدّثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر أنها قالت: قال زيد بن عمرو بن نفيل:

عزلت الجنّ و الجنّان عني (5) *** كذلك يفعل الجلد الصّبور

/فلا العزّي أدين و لا ابنتيها *** و لا صنمي بني غنم (6) أزور (7)

/و لا هبلا (8) أدين و كان ربّا *** لنا في الدهر إذ حلمي صغير

أربّا واحدا أم ألف ربّ *** أدين إذا تقسّمت الأمور

ألم تعلم بأنّ الله أفنى *** رجالا كان شأنهم الفجور

و أبقى آخرين ببرّ قوم *** فيربو منهم الطفل الصغير

و بينا المرء يعثر ثاب (9) يوما *** كما يتروّح الغصن النّضير

فقال ورقة بن نوفل لزيد بن عمرو بن نفيل:

رشدت و أنعمت ابن عمرو و إنما *** تجنّبت تنورا من النار حاميا

بدينك ربّا ليس رب كمثلته *** و تركك جنّان (10) الجبال كما هيا

ص: 88

1- كذا في ط، و هي في بقية الأصول مضطربة و محرفة.

2- جاشم: وصف من جشم الأمر إذا تجشمه و تكلفه على مشقة.

3- زيادة في ط، ء.

4- كذا ورد «حرم» و «حلّه» مضبوطين في بعض الأصول، و هذا الضبط هو الذي يتزن به الشعر، فلعلهما مصدران وصف بهما، إذ

- الوصف الذي ورد في كتب اللغة من هذه المادة في هذا المعنى: «حرم» و «حل» بالكسر و «حرام» و «حلال».
- 5- كذا في جميع الأصول؛ وفي «بلوغ الأرب في أحوال العرب» ج 2 ص 220 طبع مطبعة دار السلام ببغداد: تركت اللات والعزى جميعاً
- 6- كذا في «كتاب الأصنام» لابن الكلبي ص 22 طبع المطبعة الأميرية و «بلوغ الأرب في أحوال العرب»، والذي في الأصول: «بني طسم» و طسم من القبائل البائدة فلم يكن لها في عهد زيد بن عمرو أصنام يهجرها.
- 7- كذا في ط، ء و «كتاب الأصنام» و «بلوغ الأرب» ج 2 ص 220، والذي في بقية الأصول: «أدير».
- 8- كذا في «كتاب الأصنام» لابن الكلبي، وهبل كصرد: صنم كان لقريش في الكعبة يعبدونه. وفي ط، ء: «و لا غنما». وفي باقي الأصول: «و لا غمًا»، ولم نجد لكليهما مسمى من الأصنام.
- 9- كذا في ط، ء، ورسمت كلمة «ثاب» على وجه تقرأ به «ثاب» و «بات»، وفي بقية الأصول: «فبيننا المرء يعثر ذات يوم»، و ثاب: عاد إلى ما كان عليه من استقامة.
- 10- جنّان الجبال: الذين يأمرّون بالفساد من شياطين الإنس أو من الجنّ. (انظر «اللسان» مادة جنّ).

أقول إذا ما زرت أرضا مخوفة *** حنانيك لا تظهر عليّ الأعدايا

حنانيك إنّ الجحّ كانت رجاءهم *** وأنت إلهي ربّنا ورجائيا

أدين لربّ يستجيب ولا أرى *** أدين لمن لا يسمع الدهر داعيا

أقول إذا صلّيت في كلّ بيعة *** تباركت قد أكثرت باسمك داعيا

يقول: خلقت خلقا كثيرا يدعون باسمك.

أقال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله قال حدثني الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عقبة قال سمعت من أرضي يحدث:

امتناعه عن ذبائح قريش و قصته مع النبي صلي الله عليه و سلم في ذلك:

أن زيد بن عمرو كان يعيب على قريش ذبائحهم ويقول: الشاة خلقها الله وأنزل من السماء ماء وأنبت لها من الأرض نباتا ثم تذبحونها على غير اسم الله! إنكارا لذلك وإعظاما له.

قال الزبير: وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان بن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله أنه سمع عبد الله بن عمر يحدث عن رسول الله صلي الله عليه و سلم: أنه لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح(1)، وكان قبل أن ينزل على رسول الله صلي الله عليه و سلم الوحي، فقدم إليه رسول الله صلي الله عليه و سلم سفرة(2) فيها لحم، فأبى أن يأكل، وقال: إني لا آكل إلا ما ذكر اسم الله عليه.

اجتماع بالشأم مع يهودي و نصراني فسألهما عن الدين و اعتنق دين إبراهيم:

قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن موسى بن عقبة عن سالم بن عبد الله قال - قال موسى: لا أراه إلا حدثه عن عبد الله بن عمر -:

إن زيد بن عمرو خرج إلى الشأم يسأل عن الدين و يتبعه، فلقي عالما من اليهود فسأله عن دينهم فقال: لعليّ أدين بدينكم فأخبرني بدينكم؛ فقال اليهودي: إنك لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله؛ فقال زيد بن عمرو: /لا أفرّ إلا من غضب الله و ما أحمل من غضب الله شيئا أبدا و أنا أستطيع، فهل تدلّني على دين ليس فيه هذا؟ قال: ما أعلمه إلا أن يكون(3) حنيفا؛ قال: و ما الحنيف؟ قال: دين إبراهيم؛ فخرج من عنده و تركه.

فأتى عالما من علماء النصارى فقال له نحو ما قال لليهودي(4)، فقال له النصراني: إنك لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله؛ فقال: إني لا أمل من لعنة الله و لا من غضبه شيئا أبدا و أنا أستطيع، فهل تدلّني على دين ليس فيه هذا؟ فقال له نحو ما قال لليهودي: /لا أعلمه إلا أن يكون حنيفا؛ فخرج من عندهما و قد رضي بما أخبراه و اتفقا عليه من دين إبراهيم، فلما برز رفع يديه و قال: اللهم [إني](5)

على دين إبراهيم.

- 1- بلدح: واد قبل مكة من جهة الغرب. قال ابن قيس الرقيات: فمني فالجمار من عبد شمس مقفرات فبلدح فحراء
- 2- السفرة: جلد مستدير يحمل فيه المسافر طعامه، وهي في الأصل اسم لنفس الطعام ثم نقلت إلى الجلد لأنه يحمل فيها.
- 3- كذا في ء، ط. وفي سائر الأصول: «تكون» وهو تصحيف.
- 4- كذا في ء، ط. وفي سائر الأصول: «اليهودي» وهو تحريف.
- 5- زيادة في ء، ط.

بلغته البعثة فخرج من الشام فقتله أهل ميفعة:

قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن بن أبي الزناد قال قال هشام بن عروة:

بلغنا أن زيد بن عمرو كان بالشام، فلما بلغه خبر النبي صلى الله عليه وسلم أقبل يريد فقتله أهل ميفعة(1).

قال عنه النبي صلى الله عليه وسلم: إنه يأتي يوم القيامة أمة وحده:

قال الزبير وحدثني مصعب بن عبد الله عن الضحّاك بن عثمان عن عبد الرحمن ابن أبي الزناد عن هشام بن عروة عن أبيه عن سعيد بن زيد بن عمرو قال:

سألت أنا وعمر بن الخطاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن زيد فقال: «يأتي يوم القيامة أمة وحده».

أو أنشد محمد بن الضحّاك عن الحزامي عن أبيه لزيد بن عمرو:

أسلمت وجهي لمن أسلمت *** له المزن تحمل عذبا زلالا

وأسلمت وجهي لمن أسلمت *** له الأرض تحمل صخرًا ثقالا

دحاها فلما استوت شدّها *** سواء و أرسى عليها الجبالا

زهير بن جناب وشعره في الكبر:

وأما زهير بن جناب الكلبي فإنه أحد المعمّرين، يقال: إنه عمّر مائة وخمسين سنة وهو - فيما ذكر - أحد الذين شربوا الخمر في الجاهلية حتى قتلتهم؛ وكان قد بلغ من السنّ الغاية التي ذكرناها، فقال ذات يوم: إنّ الحيّ طاعن، فقال عبد الله [ابن عليم](2) بن جناب: إنّ الحيّ مقيم؛ فقال زهير: إنّ الحيّ مقيم؛ فقال عبد الله: إنّ الحيّ طاعن؛ فقال: من هذا الذي يخالفني منذ اليوم! قيل: ابن أخيك عبد الله بن عليم؛ فقال: أو ما هاهنا أحد ينهأ عن ذلك! قالوا: لا؛ فغضب وقال: لا أراني قد خولفت، ثم دعا بالخمر فشرّبها(3) صرفا بغير مزاج و على غير طعام حتى قتلته. وهو الذي يقول في ذمّ الكبر و طول الحياة:

الموت خير للفتى *** فليهلكن وبه بقية

من أن يرى الشيخ(4) البجا *** ل إذا تهدى بالعشية

أبني إن أهلك فقد *** أورتكم مجدا بنية

أو تركتكم أبناء سا *** دات زنادكم وريّه

- 1- كذا في «معجم ما استعجم» للبكري ص 569 و«شرح القسطلاني على البخاري» ج 6 ص 206 طبع بولاق، وهي قرية من أرض البلقاء من الشام، وقد وردت محرّفة في جميع الأصول.
- 2- الزيادة عن كتاب «شعراء النصرانية» ج 1 ص 207 وقد جاء في «القاموس» وشرحه مادة علم «وكزبير اسم رجل وهو عليم بن جناب أخوزهير من بني كلب بن وبرة».
- 3- كذا في ء، ط. وفي باقي الأصول: «يشربها».
- 4- البجال: الكبير العظيم، ونقل صاحب «اللسان» في مادة يحل عن أبي عمرو: أنّ البجال: الرجل الشيخ السيّد و استشهد له بهذه الأبيات.

بل كل (1) ما نال الفتى *** قد نلتها إلا التَّحِيَّة (2)

مدرج الريح و سبب هذه التسمية:

إشارة

و أمّا مدرج الرِّيح فاسمه عامر بن المجنون الجرّمي، وإنما سُمِّي مدرج الريح بشعر قاله في امرأة كان يزعم أنّه يهواها من الجنّ و أنّها تسكن الهواء (3) و تتراءى له، و كان محمّقا؛ و شعره هذا:

صوت

لابنة الجنّي في الجوّ طلل *** دارس الآيات عاف كالخلل

درسته الرِّيح من بين صبا *** و جنوب درجت حينا و طلّ

الغناء فيه لحنين ثقيل أوّل بالوسطى عن الهشاميّ و ابن المكيّ، و ذكر حبش أنّه لمعبد، و ذكر عمرو بن بانه أنّ لحن حنين من خفيف الثّقيل الأوّل بالبصر. و أخبار عامر بن المجنون تذكر في موضع آخر إن شاء الله تعالى.

سعية بن غريض و شعره و هو يحتضر:

إشارة

و أما سعية بن غريض فقد كان ذكر خبر جدّه/السّموعل بن غريض بن عاديا في موضع غير هذا. و كان سعية بن غريض شاعرا، و هو الذي يقول لمّا حضرته الوفاة يرثي نفسه:

صوت

يا ليت شعري حين يذكر صالح (4) *** ما ذا توبّني به أنواحي (5)

أيقن لا تبعد، فربّ كريهة *** فرّجتها ببشارة و سماح

و إذا دعيت لصعبة سهّلتها *** أدعى بأفّح تارة و نجاح

/ - غنّاه ابن سريج ثاني ثقيل بالبصر على مذهب إسحاق من رواية عمرو - و أسلم (6) سعية و عمّر عمرا طويلا و يقال: إنّه مات في آخر (7) خلافة معاوية.

سعية بن غريض و معاوية بن أبي سفيان:

إشارة

فأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثني أحمد بن معاوية عن الهيثم بن عدي قال:

ص: 91

1- كذا في الأصول. وفي «اللسان» مادة حيي: «ولكل».

2- مما يطلق عليه التحية الملك والبقاء. قال ابن بري: والمراد هنا البقاء، لأن زهير بن جناب كان ملكاً في قومه (انظر «اللسان» مادة حيي).

3- كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «وأنه يسكن إليها في الهواء».

4- كذا في جميع الأصول. وفي هامشها: «حين أندب هالكا».

5- الأنواع: النائحات.

6- كذا في ء، ط. وفي باقي الأصول: «فاسلم» بالفاء.

7- كذا في أكثر الأصول. وفي ء، ط: «أول».

حجّ معاوية حجّتين في خلافته، وكانت له ثلاثون بغلة يحجّ عليها نساؤه و جواريه. قال: فحجّ في إحداهما فرأى شيخاً (1) يصلّي في المسجد الحرام عليه ثوبان أبيضان، فقال: من هذا؟ قالوا: سعية بن غريص، وكان من اليهود، فأرسل إليه يدعوه، فأتاه رسوله فقال: أجب أمير المؤمنين؛ قال: أو ليس قد مات أمير المؤمنين! قيل:

فأجب معاوية؛ فأتاه فلم يسلم عليه بالخلافة؛ فقال له معاوية: ما فعلت أرضك التي بتيماء؟ قال: يكسى منها العاري ويردّ فضلها على الجار؛ قال: أفتبيعها (2)؟ قال: نعم؛ قال: بكم؟ قال: بستين ألف دينار، ولو لا خدّة أصابت الحيّ لم أبعها؛ قال: لقد أغليت! قال: أما لو كانت لبعض أصحابك لأخذتها بستمائة ألف دينار ثم لم تبل (3)؛ قال: أجل، وإذ بخلت بأرضك فأنشدني شعر أبيك يرثي [به] (4) نفسه؛ فقال: قال أبي:

يا ليت شعري حين أندب هالكا *** ما ذا توّبني به أنواحي

أيقظن لا تبع (5)، فربّ كريهة *** فرّجتها بشجاعة (6) و سماح

ولقد ضربت بفضل مالي حقه *** عند الشتاء وهبة الأرواح

ولقد أخذت الحقّ غير مخاصم *** ولقد رددت الحقّ غير ملاحى

وإذا دعيت لصعبة سهلتها *** أدعى بأفصح مرّة ونجاح

فقال: أنا كنت بهذا الشعر أولى من أبيك؛ قال: كذبت ولومت؛ قال: أما كذبت فنعم، وأما لومت فلم، قال: لأنك كنت ميّت الحقّ في الجاهلية وميّه في الإسلام، أمّا في الجاهلية فقاتلت النبيّ صلّى الله عليه وسلّم والوحي حتى جعل الله [عزّ وجلّ] (7) كيدك المردود، و أمّا في الإسلام فمنعت ولد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم الخلافة، وما أنت وهي! وأنت طليق (8) ابن طليق! فقال معاوية: قد خرف (9) الشيخ فأقيموه، فأخذ بيده فأقيم.

أو سعية هذا هو الذي يقول:

صوت

يا دار سعدى بأقصى (10) تلعة (11) التعم *** حيّيت دارا على الإقواء والقدم

وما بجزعك إلا الوحش ساكنة *** وهامد من رماد القدر والحمم

ص: 92

1- كذا في ء، ط و «الإصابة» لابن حجر طبع مصر ج 3 ص 167، وفي سائر الأصول: «شخصا».

2- كذا في ب، س، وفي أ، م: «أتبعها».

- 3- كذا في أكثر الأصول. وفي ء، ط: «لم تبال» وكلاهما صحيح تقول: «لم أبال» وهو الأصل «ولم أبل» حذفت منها الياء تخفيفاً، و نزلت اللام منزلة النون من يكن فسكنت للجازم و حذفت الألف لالتقاء الساكنين.
- 4- زيادة في ء، ط.
- 5- كذا في أكثر الأصول. وفي ء، ط: «لا يبعد» بالياء.
- 6- كذا في أكثر الأصول. وفي ب، س: «ببشارة» وقد تقدّمت هذه الرواية في ص 129 من هذا الجزء.
- 7- الزيادة عن ء، ط.
- 8- أي من الطلقاء وهم الذين حاربوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من قريش و آذوه، فلما غلبهم عام الفتح خطبهم فقال: «يا معشر قريش ما ترون أنني فاعل فيكم؟» قالوا: خيراً، أخ كريم وابن أخ كريم، فقال: «اذهبوا فأنتم الطلقاء» (انظر «سيرة ابن هشام» ص 821 طبع أوروبا).
- 9- كذا في أكثر الأصول. وفي ء، ط: «خرق» بالقاف.
- 10- في ء، ط و «ياقوت»: «بمفضي».
- 11- تلعة النعم: موضع بالبادية استشهد له «ياقوت» بهذا البيت.

عجنا فما كلمتنا الدار إذ سئلت *** وما بها عن جواب خلت من صمم

الشعر لسعية بن غريض، والغناء لابن محرز ثقيل أول بالسبابة في مجرى البنصر.

27 - أخبار ابن صاحب الوضوء و نسبه

نسبه و ولاؤه و سب تسمية أبيه:

اسمه محمد بن عبد الله، ويكنى أبا عبد الله، مولى بني أمية، وهو من أهل المدينة؛ وكان أبوه على ميسنة المدينة فسُمي صاحب الوضوء. وهو قليل الصنعة لم يذكر له إسحاق إلا صوتين كلاهما في خفيف الثقيل الثاني المعروف بالماخوري ولا ذكر له غير إسحاق سواهما إلا ما هو مرسوم في الكتاب الباطل المنسوب إلى إسحاق فإن له فيه شيئاً كثيراً لا أصل له، وفي كتاب حبش [الصيني] (1). وهو رجل لا يحصل ما يقوله و يرويّه.

مدح يونس الكاتب غناءه:

أخبرني محمد بن يزيد قال حدثنا حماد بن إسحاق عن أبيه [عن] (2) جدّه عن سباط عن يونس الكاتب قال:

غنيّ ابن صاحب الوضوء في شعر النابغة:

خطاطيف حجن (1) في حبال متينة *** تمدّ بها أيد إليك نوازع

وفي شعر بعض اليهود:

ارفع ضعيفك لا يحركك ضعفه *** يوماً فتدركه العواقب قد نما

فأجاد فيهما ما شاء وأحسن غاية الإحسان؛ فقليل له: ألا تزيد وتصنع شيئاً [آخر] (4)؟ فقال: لا والله حتى أرى غيري قد صنع مثل ما صنعت وأزيد، وإلا فحسبي هذا.

نقل أبو مسلمة لعبد الله بن عامر صوتاً فغناه في المحراب:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهري وإسماعيل بن يونس (2) الشيعي، قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا عيسى بن عبد الله بن محمد بن عمر بن عليّ - قال ابن عامر في خبره: وكان يسمّى المبارك - قال حدثنا أبو مسلمة (3) المصبحي قال:

قدم علينا أسود من أهل الكوفة فعنّي:

ارفع ضعيفك لا يحركك ضعفه *** يوماً فتدركه العواقب قد نما

قال: فمررت بعبد الله بن عامر الأسلمي، وكان يؤمنا وهو قائم يصلّي الظهر، فقلت [له] (7): قدم علينا أسود من الكوفة يغني كذا وكذا

[فأجاده](8)؛ فأشار إليّ بيده أن اجلس؛ فلما قضى صلاته قال: أخذته عنه؟

ص: 93

-
- 1- حجن: معوجة، جمع أحجن و حجناء.
 - 2- كذا في ء، ط وهو الموافق لما تقدّم في الجزء الأول من هذا الكتاب ص 36 طبعة الدار. وفي باقي الأصول: «يزيد».
 - 3- في ء، ط: «أبو سلمة». (8،7) زيادة في ء، ط.

قلت (1): نعم؛ قال: فأمره عليّ، ففعلت؛ قال: فلما كان بالليل صلّي بنا فأذاه في المحراب.

صوت من المائة المختارة التي رواها علي بن يحيى

يا ليلتي (2) تزداد نكرا *** من حبّ من أحببت بكرا

حوراء إن نظرت إلي *** ك سقتك بالعينين خمرا

الشعر لبشار، والغناء في اللحن الغناء ليزيد حوراء رمل بالبنصر عن عمرو ويحيى المكيّ وإسحاق. وفيه لسياط خفيف رمل بالوسطى عن عمرو وإبراهيم الموصليّ.

ص: 94

1- كذا في ء، ط وهو الموافق للسياق. وفي سائر النسخ: «قال».

2- كذا في ء، ط وهو الموافق لما سيأتي بصفحة 155 في شعر بشار. وفي باقي النسخ: «يا ليلتي أزداد».

28 - أخبار بشار(1) بن برد و نسبه

نسبه و كنيته و طبقة في الشعراء:

هو، فيما ذكره الحسن بن عليّ عن محمد بن القاسم بن مهرويه عن غيلان(2) الشّعوبيّ، /بشار بن برد بن يرجوخ بن أزد كرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز بن كرديه بن ماهفيدان بن دادان بن بهمن بن أزد كرد بن حسيب بن مهران بن خسروان بن أخشين بن شهرداد بن نبوذ بن ماخرشيدا نماذ بن شهريار بن بنداد سيحان بن مكرر بن أدريوس بن يستاسب [بن لهراسف](3). قال: و كان يرجوخ من طخارستان(4) من سبي المهلب بن أبي صفرة. و يكنى بشّار أبا معاذ. و محلّه في الشعر و تقدّمه طبقات المحدثين فيه بإجماع الرّواة و رئاسته عليهم من غير اختلاف في ذلك يغني عن وصفه و إطالة ذكر محلّه(5). و هو من مخضرمي شعراء الدولتين العبّاسية و الأموية، قد شهر فيهما و مدح و هجا و أخذ(6) سنّي الجوائز مع الشعراء.

أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى المنجّم قال قال حميد بن سعيد.

كان بشار من شعب أدريوس بن يستاسب الملك بن لهراسف الملك. قال: و هو بشار بن برد بن بهمن بن أزد كرد بن شروستان بن بهمن بن دارا بن فيروز. قال: و كان يكنى أبا معاذ.

ولأوه لبني عقيل:

و أخبرني يحيى بن عليّ و محمد بن عمران الصّيرفيّ و غيرهما عن الحسن بن عليل العنزّيّ عن خالد بن يزيد(7) بن وهب بن جرير بن حازم عن أبيه قال:

كان بشار بن برد بن يرجوخ و أبوه برد من قن(8) خيرة القشيريّة امرأة المهلب بن أبي صفرة، و كان مقيما لها

ص: 95

1- قال ابن خلكان في ترجمته لبشار: «ذكر له أبو الفرج الأصبهاني في كتاب «الأغاني» ستة و عشرين جدّا أسماؤهم أعجمية، فأضربت عن ذكرها لطولها و استعجامها، و ربما يقع فيها التصحيف و التحريف فإنه لم يضبط شيئا منها، فلا حاجة إلى الإطالة فيها بلا فائدة». و قد حاولنا وجه الصواب في هذه الأسماء و ضبطها فلم نوفق، فأثبتناها هنا كما وردت في «الأغاني» طبعة بولاق و نسخة ط و ذلك لاختلافها و اضطرابها في الأصول التي بين أيدينا و الإطالة فيها بلا فائدة كما قال ابن خلكان.

2- في ط، ء: «علان».

3- الزيادة عن ط.

4- ضبطها ابن خلكان في كتابه «وفيات الأعيان» في ترجمته لبشار ج 1 ص 125 بضم الطاء و ضم الراء و ضبطها «ياقوت» بفتح الطاء.

5- في ط، ء: «و إطالة بذكر محلّه».

6- كذا في ط، ء. وفي باقي الأصول: «فأخذ».

7- في ء، ط: «خالد بن يزيد» وقد ذكره صاحب «لسان الميزان» في موضعين، فقد ذكره في خالد بن بريد بالباء الموحدة والراء المهملة، و في خالد بن يزيد وقد ذكر أجداده في الموضعين كما هنا.

8- كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ «في ء».

في ضيعتها بالبصرة المعروفة «بخيرتان»⁽¹⁾ مع عبيد لها وإماء، فوهبت بردا بعد أن زوجته لامرأة من بني عقيل كانت متصلة بها، فولدت له امرأته وهو في ملكها بشارا فأعتقته العقيليّة.

و أخبرني محمد⁽²⁾ بن يزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال: كان برد أبو بشار مولى أمّ الطّباء العقيليّة السّدوسية، فادّعى بشار أنه مولى بني عقيل لنزوله فيهم.

و أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدّثنا العنزّيّ قال حدّثني رجل من ولد بشار يقال له حمدان كان قصّاراً⁽³⁾ بالبصرة، قال: ولاؤنا لبني عقيل؛ فقلت: لأيّهم؟ فقال: لبني ربيعة بن عقيل.

و أخبرني وكيع قال حدّثني سليمان المدنيّ⁽⁴⁾ قال قال أحمد بن معاوية الباهليّ: كان بشار وأمه لرجل من الأزد، فتزوّج امرأة من بني عقيل، فساق إليها بشارا وأمه في صداقها، و كان بشار ولد مكفوفاً⁽⁵⁾ فأعتقته العقيليّة.

/أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ قال حدّثني الحسن⁽⁶⁾ بن عليل العنزّيّ قال حدّثنا قعنب بن المحرز الباهليّ قال حدّثني محمد بن الحجاج قال:

باعت أمّ بشار بشارا على أمّ الطّباء السّدوسية بدينارين فأعتقته. و أمّ الطّباء امرأة أوس بن ثعلبة أحد بن تيم اللات بن ثعلبة، وهو صاحب قصر أوس بالبصرة؛ و كان أوس أحد فرسان بكر بن وائل بخراسان.

كان أبوه طيانا و قد هجاه بذلك حماد عجرد:

أخبرني الحسن بن عليّ الخفّاف قال حدّثنا العنزّيّ قال حدّثنا محمد بن زيد العجليّ قال أخبرني بدر بن مزاحم:

أنّ بردا أبا بشار كان طيانا يضرب اللّبن، و أراني أبي بيتين [لنا]⁽⁷⁾ فقال لي: لبني⁽⁸⁾ هذين البيتين من ضرب برد أبي بشار. فسمع هذه الحكاية حمّاد عجرد فهجاه فقال:

يا بن برد إخسأ إليك فمثل ال *** كلب في الناس أنت لا الإنسان

بل لعمرى لأنت شرّ من الكل *** ب و أولى منه بكلّ هوان

و لريح الخنزير أهون من ري *** حك يا ابن الطيّان ذي التّبّان⁽⁹⁾

ص: 96

1- قال «ياقوت» عند الكلام على خطط البصرة وقراها: خيرتان منسوب إلى خيرة بنت ضمرة امرأة المهلب بن أبي صفرة. قال: و من اصطلاح أهل البصرة أن يزيدوا في الاسم الذي تنسب إليه القرية ألفا و نونا: نحو قولهم: طلحتان: نهرب ينسب إلى طلحة بن أبي رافع (انظر «ياقوت» في اسم البصرة).

2- كذا في ط، ع، ح وهو الصواب. وفي باقي النسخ: «عمرو» وهو تحريف.

3- القصار: محوّر الثياب أي مبيضها.

4- في ء، ط: «المديني».

5- كذا في ء، ط و هو الصواب. وفي باقي النسخ: «و كان لبشار ولد مكفوف» و هو تحريف.

6- كذا في ء، ط، و هو الصواب. وفي سائر النسخ: «أحمد» و هو تحريف.

7- زيادة في ط، ء.

8- كذا في ء، ط. وفي باقي النسخ: «فقال لي: هذان البيتان من ضرب برد... إلخ».

9- التبان (بالضم و تشديد الباء): سراويل صغير يكون للملاحين و المصارعين.

أنشد للمهدي شعرا في أنه عجمي بحضور أبي دلامة:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ عن أبي الصّلت البصريّ عن أبي عدنان قال حدّثني يحيى بن الجون العبديّ راوية بشّار قال:

/قال: لما دخلت على المهديّ قال لي: فيمن تعتدّ يا بشّار؟ فقلت: أمّا اللّسان والزّيّ فعربيّان، وأمّا الأصل فعجميّ، كما قلت في شعري يا أمير المؤمنين:

وتبتت قوما بهم جنّة *** يقولون من ذا و كنت العلم

ألا أيّها السائلي جاهدا(1) *** ليعرفني أنا أنف الكرم

نمت في الكرام بني عامر *** فروعي وأصلي قريش العجم

فإني لأغني مقام الفتى *** وأصبي الفتاة فما تعصم

قال: و كان أبو دلامة حاضرا فقال: كلاً! لوجهك أقبح من ذلك و وجهي مع وجهك؛ فقلت: كلاً! و الله ما رأيت رجلا أصدق على نفسه و أكذب على جلسه منك، و الله إني لطويل القامة عظيم الهامة تامّ الألواح أسجح(2) الخدين، و لربّ(3) مسترخي المذروين(4) للعين فيه مراد قد جلس من الفتاة حجرة(5) و جلست منها حيث أريد، فأنت مثلي يا مرضعان(6)! [قال(7)]: فسكت عني، ثم قال لي المهديّ: فمن أيّ العجم أصلك؟ فقلت: من أكثرها في الفرسان، و أشدها على الأقران، أهل طخارستان(8)؛ فقال بعض القوم: أولئك الصّغد؛ فقلت: لا، الصّغد تجار؛ فلم يردد ذلك المهديّ.

كان كثير التلون في ولائه للعرب مرة و للعجم أخرى:

و كان بشّار كثير التلون في ولائه، شديد الشّغب(9) و التعصّب للعجم، مرّة يقول يفتخر بولائه في قيس:

أمنت مضرة الفحشاء(10) أنى *** أرى قيسا تضّر(11) و لا تضار

كأن الناس حين تغيب عنهم *** نبات الأرض أخطأه القطار(12)

ص: 97

1- في ء، ط: «جاهلا».

2- يقال: سجح الخدّ: سهل و لان.

3- في ء، ط: «أسجح الخدين مسترخي المذروين للعين فيه مراد، و مثلك قد جلس إلخ».

4- كذا في ء، ط، و المذروان: طرفا الأليتين أو طرفا كل شيء، و لعله يريد أنه بض سمين يجذب النظر إليه. و في باقي الأصول: «المزورين» بالزاي و تقديم الواو على الراء و هو تحريف.

5- حجرة: ناحية.

- 6- المرضعان: اللّيم، من الرضاعة وهي اللؤم.
- 7- الزيادة عن ء، ط.
- 8- انظر الحاشية رقم 3 ص 135.
- 9- كذا في ء، ط. وفي سائر النسخ: «التشعب».
- 10- الفحشاء: جمع فاحش كجاهل و جهلاء. و الفاحش: السيئ الخلق.
- 11- كذا في ء وإحدى روايتي ط. وفي أ، م: «تسب». وفي باقي النسخ: «تشب» وهو تحريف.
- 12- القطار: جمع قطر وهو المطر.

وقد كانت بتدمر خيل قيس *** فكان لتدمر فيها دمار

بحي من بني عيلان شوس(1) *** يسير الموت حيث يقال ساروا

و ما نلقاهم إلا صدرنا *** بري منهم و هم حرار(2)

و مرة يتبرأ من ولاء العرب فيقول:

أصبحت مولى ذي الجلال و بعضهم *** مولى العريب فخذ(3) بفضلك فافخر

مولاك أكرم من تميم كلها *** أهل الفعال(4) و من قريش المشعر

فارجع إلى مولاك غير مدافع *** سبحان مولاك الأجل الأكبر

و قال يفتخر بولاء بني عقيل:

إتني من بني عقيل بن كعب *** موضع السيف من طلى(5) الأعناق

كان يلقب بالمرعث و سب ذلك:

و يكنى بشار أبا معاذ، و يلقب بالمرعث.

/أخبرني عمي و يحيى بن عليّ قالا حدّثنا أبو أيوب المدنيّ قال حدّثني محمد بن سلام قال: بشار المرعث هو بشار بن برد، و إنما سمّي المرعث بقوله:

/

قال ريم مرعث *** ساحر الطّرف و النّظر

لست و الله نائلي *** قلت أو(6) يغلب القدر

أنت إن رمت وصلنا *** فانج، هل تدرك القمر

قال أبو أيوب: و قال لنا ابن سلام مرّة أخرى: إنّما سمّي بشار المرعث، لأنّه كان لقميصه جيبان: جيب عن يمينه و جيب عن شماله، فإذا أراد لبسه ضمّه عليه من غير أن يدخل رأسه فيه، و إذا أراد نزع حلّ أزراره و خرج منه، فشبهت تلك الجيوب بالرّعاث لاسترسالها و تدليها، و سمّي من أجلها المرعث.

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثني أبو حاتم قال قال لي أبو عبيدة:

لقب بشار بالمرعث لأنّه كان في أذنه و هو صغير رعاث. و الرّعاث: القرطة، و واحدتها رعثة و جمعها رعاث، [ورعاثات](7). و رعاثات

-
- 1- شوس: جمع أشوس وهو الذي ينظر بمؤخر عينيه.
 - 2- حرار: جمع حرّان وهو الشديد العطش.
 - 3- كذا في ء، ط. وفي باقي الأصول: «فجد». بالجيم والdal المهملة.
 - 4- الفعال (بالفتح): اسم للفعل الحسن من الجود والكرم ونحوه.
 - 5- الطلي: أصول الأعناق؛ واحدتها طلية أو طلاة.
 - 6- أو هنا بمعنى بل.
 - 7- زيادة في أكثر النسخ.

سقيت أبا المصبرع(1) إذ أتاني *** و ذو الرعثنات منتصب يصيح

شرابا يهرب الذبان منه *** ويلتغ حين يشربه الفصيح

قال: و الرعث: الاسترسال و التساقط. فكأن اسم القرطة اشتق منه.

كان أشد الناس تبرما بالناس:

أخبرني محمد بن عمران قال حدّثني العنزيّ قال حدّثنا محمد(2) بن بدر العجليّ قال: سمعت الأصمعيّ يذكر أن بشارا كان من أشدّ الناس تبرّما بالناس، و كان يقول: الحمد لله الذي ذهب ببصري؛ فليل له: و لم يا أبا معاذ؟ قال: لئلا أرى من أبغض. و كان يلبس قميصا له لبنتان(3)، فإذا أراد أن ينزعه نزعه من أسفله، فبذلك سمّي المرعّث.

صفاته:

أخبرني هاشم بن محمد أبو دلف الخزاعيّ قال حدّثنا قعنّب بن محرز عن الأصمعيّ قال:

كان بشار ضخما، عظيم الخلق و الوجه، مجدورا، طويلا، جاحظ المقلتين قد تغشاهما لحم أحمر، فكان أقبح الناس عمى و أفضعه(4) منظرا، و كان إذا أراد أن ينشد صفّق يديه و تنحج و بصق عن يمينه و شماله ثم ينشد فيأتي بالعجب.

ولد أعمى و هجى بذلك و شعره في العمى:

أخبرنا يحيى بن عليّ عن أبي المدينيّ عن محمد بن سلام قال:

ولد بشار أعمى، و هو الأكمه. و قال في تصدّاق ذلك أبو هشام الباهليّ يهجوه:

و عبدي فقا(5) عينيك في الرّحم أيره *** فجئت و لم تعلم لعينيك فاقيا

أأمك يا بشار كانت عفيفة؟ *** عليّ إذا مشي إلى البيت حافيا

قال: و لم يزل بشار منذ قال فيه هذين البيتين منكسرا.

/أخبرنا هاشم بن محمد قال حدّثنا الرّياشيّ عن الأصمعيّ قال:

ولد بشار أعمى فما نظر إلى الدنيا قطّ، و كان يشبه الأشياء بعضها ببعض في شعره فيأتي بما لا يقدر البصراء أن يأتوا بمثله؛ فليل له يوما و قد أنشد قوله:

كأنّ مثار النقع فوق رءوسنا *** و أسيافنا ليل تهاوى كواكبه

- 1- كذا في أكثر النسخ، وفي ء، ط: «المطوّح»، وفي ح: «المطرّح».
- 2- هكذا وقع هذا الاسم هنا باتفاق جميع النسخ: «محمد بن بدر العجلي»، وقد تقدّم في ص 137 من هذا الجزء باتفاق النسخ جميعها أيضاً: «محمد بن زيد العجلي» مع اتحاد رجال السند في الموضوعين. فليُنظر.
- 3- اللبنة: بنية القميص وهي زيقة الذي يفتح في النحر.
- 4- كذا في جميع الأصول بإفراد الضمير. وهو استعمال عربيّ فصيح، يقال: أحسن الناس خلقاً وأحسنه وجهاً، والمراد أحسنهم، وهو كثير من أفصح الكلام. انظر «اللسان» مادة «حنا».
- 5- فقاً: قلع، والأصل فيه الهمز فسهل.

ما قال أحد أحسن من هذا التشبيه، فمن أين لك هذا ولم تر الدنيا قَطَّ ولا شيئاً فيها؟ فقال: إن عدم النظر يقوِّي ذكاء القلب ويقطع عنه الشغل بما ينظر إليه من الأشياء فيتوقَّر حسَّه و تذكو قريحته؛ ثم أنشدتهم قوله:

/

عميت جنينا و الذكاء من العمى *** فجئت عجيب الظنَّ للعلم موثلاً

و غاض ضياء العين للعلم رافداً *** لقلب (1) إذا ما ضيَّع الناس حصلاً

و شعر كنور الروض (2) لاءمت بينه *** بقول إذا ما أحزن الشعر أسهلاً

أخبرنا هاشم قال حدَّثنا العنزِّي عن قعنب بن محرز عن أبي عبد الله الشرادني (3) قال: كان بشار أعمى طويلاً [ضحماً] (4) آدم مجدورا.

و أخبرني يحيى بن عليّ عن أبي أيوب المدنيّ قال قال الحمراي (5) قالت لي عمّتي: زرت قرابة لي في بني عقيل فإذا أنا بشيخ أعمى ضخم ينشد:

من المفتون بشار بن برد *** إلى شيبان كهلهم و مرد

بأن (6) فتاتكم سلبت فؤادي *** فنصف عندها و النصف عندي

فسألت عنه فقيّل لي: هذا بشار.

كان يقول أزري بشعري الأذان:

/أخبرني محمد بن يحيى الصيرفي قال حدَّثنا العنزِّي قال حدَّثنا أبو زيد قال سمعت أبا محمد التّوزي يقول:

قال بشار: أزري بشعري الأذان. يقول: إنه إسلاميّ.

قال الشعر و هو ابن عشر سنين:

و أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدَّثنا عمر بن شبة قال قال أبو عبيدة:

قال بشار الشعر و لم يبلغ عشر سنين، ثم بلغ الحلم و هو مخشيّ معرّة لسانه.

هجا جريرا فأعرض عنه استصغارا له:

قال: و كان بشار يقول: هجوت جريرا فأعرض عنيّ و استصغرني، و لو أجابني لكنت أشعر الناس.

كان الأصمعي يقول هو خاتمة الشعراء:

و أخبرنا يحيى بن عليّ بن يحيى و أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قالوا حدَّثنا عمر بن شبة قال:

كان الأصمعيّ يقول: بشار خاتمة الشعراء، والله لو لا أنّ أيامه تأخّرت لفضّلتها على كثير منهم.

ص: 100

-
- 1- كذا في ء، ط. وفي باقي الأصول: «بقلب» بالباء.
 - 2- كذا في ء، ط. وفي أكثر النسخ: «كنور الأرض».
 - 3- في ط، ء: «السرادر».
 - 4- زيادة في ط، ء.
 - 5- في أ، م: «الحمداني».
 - 6- كذا في ء، ط، وفي باقي الأصول: «فإن».

قال أبو زيد: كان راجزا مقصدا(1).

جودة نقده للشعر:

أخبرني أبو الحسن الأسدي قال حدثنا محمد بن صالح بن النطّاح(2) قال حدثني أبو عبيدة: قال سمعت بشارا يقول وقد أنشد(3) في شعر الأعشى:

وأنكرتني و ما كان الذي نكرت *** من الحوادث إلا الشيب و الصلعا

فأنكره، وقال: هذا بيت مصنوع ما يشبه كلام الأعشى؛ فعجبت لذلك. فلما كان بعد هذا بعشر سنين كنت جالسا عند يونس، فقال: حدثني أبو عمرو بن العلاء أنه صنع هذا البيت وأدخله في شعر الأعشى:

/

وأنكرتني و ما كان الذي نكرت *** من الحوادث إلا الشيب و الصلعا

فجعلت حينئذ أزداد عجبا من فطنة بشار و صحّة قريحته و جودة نقده للشعر.

أخبرني عمي قال حدثني الكراني قال حدثني أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:

له اثنا عشر ألف قصيدة:

قال بشار: لي اثنا عشر ألف بيت عين؛ فقليل له(4): هذا ما لم يكن يدّعيه أحد قطّ سواك؛ فقال: لي اثنا عشرة ألف قصيدة، لعنها الله و لعن قائلها إن لم يكن في كل واحدة منها بيت عين.

و أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثنا عليّ بن مهديّ عن أبي حاتم قال:

رأى أبي عبيدة فيه و في مروان بن أبي حفصة:

قلت لأبي عبيدة: أمروان عندك أشعر أم بشار؟ فقال: حكم بشار لنفسه بالاستظهار أنه قال ثلاثة عشر ألف بيت جيّد، و لا يكون عدد الجيّد من شعر شعراء الجاهليّة و الإسلام هذا العدد، و ما أحسبهم برزوا في مثلها، و مروان أمدح للملوك.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا الأصمعيّ قال:

قال بشار الشعر و له عشر سنين، فما بلغ الحلم إلّا و هو مخشيّ معرّة اللسان بالبصرة. قال: و كان يقول:

هجوت جريرا فاستصغرنني و أعرض عنيّ، و لو أجابني لكنت أشعر أهل زمانني.

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثنا أبو العواذل زكريّا بن هارون قال:

اقال بشار: لي اثنا عشر ألف بيت جيّدة؛ فقليل له: كيف(5)؟ قال: لي اثنتا عشرة ألف قصيدة، أما في كل قصيدة منها بيت جيّدًا!

ص: 101

1- يقال: قصد الشاعر وأقصد: أطال وواصل عمل القصائد.

2- كذا في إحدى روايتي ط. وفي جميع النسخ: «محمد بن صالح النطاح» بدون كلمة «ابن» وقد تقدّم هذا الاسم غير مرّة في «الأغاني» كالرواية الأولى، (انظر ص 1؛ 3 ج 1 من هذه الطبعة).

3- كذا في ط، ط. وفي باقي النسخ: «وقد أنشدني».

4- كذا في ط. وفي باقي الأصول: «فقليل لي».

5- كذا في ط، ط، ط. وفي باقي الأصول: «قال فكيف» وهو تحريف.

وقال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين وقد ذكره: كان بشار [شاعرا] (1) خطيبا صاحب منشور و مزدوج (2) و سجع و رسائل، و هو من المطبوعين أصحاب الإبداع و الاختراع المفتنين (3) في الشعر القائلين في أكثر أجناسه و ضرابه؛ قال الشعر في حياة جرير و تعرض له، و حكى عنه أنه قال: هجوت جريرا فأعرض عني، و لو هاجاني لكنت أشعر الناس.

كان يدين بالرجعة و يكفر جميع الأمة:

قال الجاحظ: و كان بشار يدين بالرجعة (4)، و يكفر جميع الأمة، و يصوب رأي إبليس في تقديم النار على الطين، و ذكر ذلك (5) في شعره فقال:

الأرض مظلمة و النار مشرقة *** و النار معبودة مذ كانت النار

هجا واصل بن عطاء فخطب الناس بالحادثة و كان يتجنب في خطبه الراء:

قال: و بلغه عن أبي حذيفة واصل بن عطاء إنكار لقوله و هتف به، فقال يهجو:

ما لي أشابع غزالا (6) له عنق *** كنتنق الدوّ (7) إن ولى و إن مثلا

عنق الزرافة ما بالي و بالكم *** تكفرون رجلا كفروا (8) رجلا!

قال: فلما تتابع على واصل منه ما يشهد على إحداه (9) خطب به واصل، و كان أثنى على الراء فكان يجتنبها في كلامه، فقال: أ ما لهذا الأعمى الملحد، أ ما لهذا المشنف المكني بأبي معاذ من يقتله؟ أما و الله لو لا [أن] (10) الغيلة سجيّة من سجايا الغالية لدست إليه من يبعج بطنه في جوف منزله أو في حفله (11)، ثم كان لا يتولّى ذلك إلا عقيلي أو سدوسي! فقال أبا معاذ (12) و لم يقل بشارا، و قال المشنف و لم يقل المرعث، و قال: من سجايا الغالية و لم يقل الراضة، و قال: في منزله و لم يقل في داره، و قال: يبعج بطنه و لم يقل يبقر، للثغة التي كانت به في الراء.

ص: 102

1- زيادة في ط، ء.

2- المزدوج: ما أشبه بعضه بعضا في السجع أو الوزن.

3- كذا في أكثر النسخ. و في ب، س: «المتفنين»، و كلاهما صحيح.

4- الرجعة: الإيمان بالرجوع بعد الموت إلى الدنيا و هو مذهب قوم من العرب في الجاهلية، و مذهب طائفة من أولى البدع و الأهواء من المسلمين يقولون إن الميت يرجع إلى الدنيا و يكون فيها حيا (انظر «شرح القاموس» للسيد مرتضى و «اللسان» في مادة رجع).

5- كذا في ط، ء و في سائر الأصول: «و ذكر مثل ذلك». بزيادة كلمة «مثل».

6- عرف واصل بن عطاء بالغزال لكثرة جلوسه في سوق الغزالين إلى أبي عبد الله مولى قطن الهلالي (عن «البيان و التبيين» للجاحظ ج 1 ص 20).

7- النتنق: الظلم و هو ذكر النعام. و الدوّ: الفلاة.

8- كذا في ط، ء. و في باقي الأصول: «أ تكفرون رجالا أكفروا» بالهمزة في الفعلين، و كفره بالتضعيف، و أكفره بالهمز: نسبة للكفر.

9- كذا في أكثر النسخ، و في ب، س: «على إحداد» بدون الهاء.

10- زيادة في ط، ء، ح.

11- الحفل: الجمع من الناس. و في ط، ء: «في يوم حفله» بزيادة كلمة «يوم»، و في أكثر النسخ: «في جفله» بالجيم و هو تحريف.

12- في جميع الأصول: «فقال أبو معاذ و لم يقل بشار» و لا وجه لرفع أبي معاذ و بشار هنا، لأن القول ينصب المفرد إذا لم يكن في إسناد.

قال: و كان واصل قد بلغ من اقتداره على الكلام و تمكّنه من العبارة أن حذف الراء من جميع كلامه و خطبه و جعل مكانها ما يقوم مقامها.

هو أحد أصحاب الكلام الستة:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي عن عافية بن شبيب قال حدّثني أبو سهيل قال حدّثني سعيد بن سلام قال:

كان بالبصرة ستّة من أصحاب الكلام: عمرو بن عبيد، و واصل بن عطاء، و بشار الأعمى، و صالح بن عبد القدّوس، و عبد الكريم بن أبي العوجاء، و رجل من الأزديّ - قال أبو أحمد: يعني جرير بن حازم - فكانوا يجتمعون في منزل الأزديّ و يختصمون عنده. فأما عمرو و واصل فصارا إلى الاعتزال. و أما عبد الكريم/و صالح فصحّحا التوبة. و أمّا بشار فبقي متحيّرا مخلّطا. و أمّا الأزديّ فمال إلى قول السّمنيّة(1)، و هو مذهب من مذاهب الهند، و بقي ظاهره على ما كان عليه. قال: فكان عبد الكريم يفسد الأحداث؛ فقال له عمرو بن عبيد: قد بلغني أنّك تخلو بالحدث من أحداثنا فتفسده [و تسترّله](2) و تدخله في دينك، فإن خرجت من مصرنا و إلّأقت فيك مقاما آتي فيه على نفسك؛ فلحق بالكوفة، فدلّ عليه محمد بن سليمان فقتله و صلبه بها. و له يقول بشار:

قل لعبد(3) الكريم يا ابن أبي العو *** جاء بعث الإسلام بالكفر موقا(4)

لا تصلّي و لا تصوم فإن صم *** ت فبعض النهار صوما رقيقا

لا تبالي إذا أصبت من الخم *** رعتقا ألا تكون عتيقا

ليت شعري غداة حلّيت في الجي *** د حنيفا حلّيت أم زنديقا

أنت ممّن يدور في لعنة الل *** ه صديق لمن ينيك الصديقا(5)

رأى الأصمعي فيه و في مروان بن أبي حفصة:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني الرّياشيّ قال: سئل الأصمعيّ عن بشار و مروان أيهما أشعر؟ فقال:

بشار؛ فسئل عن السبب في ذلك، فقال: لأنّ مروان سلك طريقا كثر من يسلكه فلم يلحق من تقدّمه، و شركه فيه من كان في عصره، و بشار سلك طريقا لم يسلك و أحسن فيه و تفرّد به، و هو أكثر تصرّفا و فنون شعر و أغزر و أوسع بديعا، و مروان لم يتجاوز مذاهب الأوائل.

/أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثني العنزّيّ عن أبي حاتم قال سمعت الأصمعيّ و قد عاد إلى البصرة من بغداد فسأله رجل عن مروان بن أبي حفصة، فقال: وجد أهل بغداد قد ختموا به الشعراء و بشار أحقّ بأن يختموهم به من

1- السمنية (بضم السين و فتح الميم): قوم من أهل الهند دهيون. و قال الجوهري: السمنية: فرقة من عبدة الأصنام تقول بالتناسخ و تنكر وقوع العلم بالأخبار، و هي نسبة إلى «سومنا» بلد بالهند؛ و الدهريون: هم الذين ذهبوا إلى قدم الدهر و إسناد الحوادث إليه، و هم قوم

ملحدون لا يؤمنون بالآخرة.

2- زيادة في ط، ء. و تسترله: توقعه في الزلل.

3- كذا في ء، ط. وفي باقي الأصول: «قلت عبد الكريم».

4- موقفا: حمقا و غباوة.

5- في ب، س، ح: «صديقا» بالتنكير.

مروان؛ فقيل له: ولم؟ فقال: وكيف لا يكون كذلك و ما كان مروان في حياة بشار يقول شعرا حتى يصلحه له بشار ويقومه! وهذا سلم الخاسر من طبقة مروان يزاحمه بين أيدي الخلفاء بالشعر ويساويه في الجوائز، و سلم معترف بأنه تبع لبشار.

مقارنته بامرئ القيس و القطامي:

إشارة

أخبرني جحظة قال سمعت علي بن يحيى المنجم يقول: سمعت من لا أحصي من الرّواة يقولون: أحسن الناس ابتداء في الجاهلية امرؤ القيس حيث يقول:

ألا انعم صباحا أيها الطلل البالي

و حيث يقول:

قفانك من ذكرى حبيب و منزل

و في الإسلام القطاميّ حيث يقول:

إنّا محيوك فاسلم أيها الطلل

و من المحدثين بشار حيث يقول:

صوت

أبي طلل بالجزع أن يتكلّمًا *** و ما ذا عليه لو أجاب متيما

و بالفرع (1) آثار بقين و باللوى (2) *** ملاعب لا يعرفن إلا توهما

و في هذين البيتين لابن المكي ثاني ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى (3) من كتابه. و فيهما لابن جؤذر رمل.

مقارنة بينه و بين مروان بن أبي حفصة:

أخبرني عمي عن الكرائي عن أبي حاتم قال:

كان الأصمعي يعجب بشعر بشار لكثرة فنونه و سعة تصرّفه، و يقول: كان مطبوعا لا يكلف طبعه شيئا متعذرا لا كمن يقول البيت و يحكّكه أياما. و كان يشبه بشارا بالأعشى و التابغة الدّيباني، و يشبه مروان بزهير و الحطيئة، و يقول: هو متكلف.

قال الكرائي: قال أبو حاتم: و قلت لأبي زيد: أيما أشعر بشار أم مروان؟ فقال: بشار أشعر، و مروان أكفر.

- 1- كذا في ب، س، ح، و ذكر «ياقوت» أن الفرع بالفتح ثم السكون: موضع من وراء الفك، ولم يزد على هذا، و الفرع بالضم و السكون: قرية بينها و بين المدينة ثمانية برد على طريق مكة. فيها نخل و مياه كثيرة، و منهم من ضبط اسم هذه القرية بضم أوله و ثانية. (انظر «ياقوت» في اسم «فرع»)، و في ء و إحدى روايتي ط: «و بالقاع»، و القاع: منزل بطريق مكة بعد العقبة، و في أ، م: «و بالجزع».
- 2- اللوى في الأصل: منقطع الرمل، و هو اسم موضع بعينه. قال «ياقوت»: «قد أكثر الشعراء من ذكره و خلطت بين ذلك اللوى و الرمل فعز الفصل بينهما» ثم قال: «و هو واد من أودية بني سليم».
- 3- كذا في أكثر الأصول. و في أ، م، ح: «في مجرى البصر».

قال أبو حاتم: وسألت أبا زيد مرة أخرى عنهما فقال: مروان أجدّ و بشار أهزل؛ فحدثت الأصمعيّ بذلك؛ فقال: بشار يصلح للجدّ و الهزل، و مروان لا يصلح إلا لأحدهما.

كان شعره سيارا يتناشده الناس:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى قال حدثنا عليّ بن مهديّ قال حدثنا نجم بن النّطّاح قال:

عهدي بالبصرة/و ليس فيها غزل و لا غزلة إلا يروي من شعر بشار، و لا نائحة و لا مغنية إلا لتكسّب به، و لا ذو شرف إلا و هو يهابه و يخاف معرّة لسانه.

لم يأت في شعره بلفظ مستنكر:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمّد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أحمد بن المبارك قال حدثني أبي قال:

قلت لبشار: ليس لأحد من شعراء العرب شعر إلاّ و قد قال فيه شيئا استنكرته العرب من ألفاظهم و شكّ فيه، و إنه ليس في شعرك ما يشكّ فيه؛ قال: و من/أين يأتيني الخطأ! ولدت هاهنا و نشأت في حجور ثمانين شيخا من فصحاء بني عقيل ما فيهم أحد يعرف كلمة من الخطأ، و إن دخلت إلى نسائهم فمساؤهم أفصح منهم، و أيفعت(1) فأبديت(2) إلى أن أدركت، فمن أين يأتيني الخطأ!

أخبرني حبيب بن نصر المهلبيّ و أحمد بن عبد العزيز و يحيى بن عليّ قالوا حدثنا عمر بن شبة قال:

كان الأصمعيّ يقول: إن بشارا خاتمة الشعراء، و الله لو لا أن آيامه تأخرت لفضّلته على كثير منهم.

هو أول الشعراء في جملة من أغراض الشعر:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدثني أبو الفضل المروزيّ قال حدثني قعنب بن المحرز الباهليّ قال قال الأصمعيّ:

لقي أبو عمرو بن العلاء بعض الرّواة فقال له: يا أبا عمرو، من أبدع الناس بيتا؟ قال: الذي يقول:

لم يطل ليلي و لكن لم أنم *** و نفى عنّي الكرى طيف ألمّ

روّحي عنّي قليلا و اعلمي *** أنني يا عبد من لحم و دم

قال: فمن أمدح الناس؟ قال: الذي يقول:

لمست بكفّي كفّه أبتغي الغنى *** و لم أدر أنّ الجود من كفّه يعدي

فلا أنا منه ما أفاد ذوو الغنى *** أفدت و أعداني فأتلفت(3) ما عندي

/قال: فمن أهجى الناس؟ قال: الذي يقول:

رأيت السّهيّلين استوى الجود فيهما *** على بعد ذا من ذلك في حكم حاكم

ص: 105

-
- 1- يفع الغلام و أيفع إذا راهق البلوغ فهو يافع و لا يقال: موفع.
 - 2- أبديت (بالبناء للمفعول): أخرجت إلى البادية.
 - 3- في ء، ط. «فبذرت».

سهيل بن عثمان وجود بماله *** كما جاد بالوجعاء (1) سهيل بن سالم

قال: وهذه الأبيات كلّها لبشار.

نسبة ما في هذا الخبر من الأشعار التي يغنى فيها صوت

لم يطل ليلي ولكن لم أنم *** ونفى عتي الكرى طيف ألم

وإذا قلت لها جودي لنا *** خرجت بالصمت عن لا ونعم

نفسى (2) يا عبد عتي و اعلمي *** أنني يا عبد من لحم و دم

إن في برديّ جسما ناحلا *** لو توكت عليه لانهدم

حتم الحب لها في عنقي *** موضع الخاتم من أهل الذمم

غناه إبراهيم هزجا بالسبابة في مجرى الوسطى عن ابن المكيّ و الهشاميّ. وفيه لقعب الأسود خفيف ثقيل.

فأما الأبيات التي ذكر أبو عمرو أنّه فيها أمدح الناس و أولها:

لمست بكفي كفه أبتغي الغنى

فإنه ذكر أنها لبشار. و ذكر الزبير بن بكار أنها لابن الخياط/في المهديّ، و ذكر له فيها معه خبرا طويلا قد ذكرته في أخبار ابن الخياط في هذا الكتاب (3).

هجا صديقه ديسما لأنه يروي هجاءه:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ الكسرويّ قال حدّثنا أبو حاتم قال:

/كان بشار كثير الولوع بديسم العنزّيّ و كان صديقا له و هو مع ذلك يكثر هجاءه، و كان ديسم لا يزال يحفظ شيئا من شعر حمّاد و أبي هشام الباهليّ في بشار؛ فبلغه ذلك فقال فيه:

أديسم يا ابن الذئب من نحل زارع *** أتروي هجائي سادرا (4) غير مقصر

قال أبو حاتم: فأنشدت أبا زيد هذا البيت و سألتها ما يقول فيه، فقال: لمن هذا الشعر؟ فقلت: لبشار [يقوله] (5) في ديسم العنزّيّ؛ فقال: قاتله الله ما أعلمه بكلام العرب! ثم قال: الديسم: ولد الذئب من الكلبة، و يقال للكلاب: أولاد زارع. و العسبار: ولد الصّبع من الذئب (6). و السّمع: ولد الذئب (7) من الصّبع. و تزعم

- 1- الوجعاء: الدبر.
- 2- ورد فيما تقدم: «رّوحي».
- 3- (انظر ج 18 ص 94 «أغاني» طبع بولاق).
- 4- السادر: الذي لا يهتمّ لشيء ولا يبالي ما صنع.
- 5- زيادة في م، و هامش أ.
- 6- أي إن أمه ضبع وأباه ذئب كما ذكره الدميري في «حياة الحيوان» في الكلام على الضبع.
- 7- اتفقت كتب اللغة على هذا التفسير ولعله «الذئبة» بالناء لأن الذئب لا يذكر ويؤنث كالضبع. وفي كتاب «الحيوان» للجاحظ جزء 6 ص 45 ما يؤيد ذلك حيث قال: «و الأعراب تزعم أن الله تعالى لم يدع ما كسا إلا أنزل فيه بلية وأنه مسخ منهم اثنين ضبعا و ذئبا

العرب أن السَّمع لا يموت حتف أنفه، وأنه أسرع من الريح وإنما هلاكه بعرض من (1) أعراض الدنيا.

مزاحه مع حمدان الخراط:

أخبرنا حبيب بن نصر المهلبّي قال حدّثنا عمر بن شبّة قال:

كان بالبصرة رجل يقال له: حمدان الخراط، فاتخذ جاما لإنسان كان بشار عنده، فسأله بشار أن يتخذ له جاما فيه صور طير تطير، فاتخذه له وجاء به، فقال له: ما في هذا الجام؟ فقال: صور طير تطير؛ فقال [له: قد] (2) كان ينبغي أن تتخذ فوق/هذه الطير طائرا من الجوارح كأنه يريد صيدها، فإنه كان أحسن؛ قال: لم أعلم؛ قال: بلى قد علمت، ولكن علمت (3) أني أعمى لا أبصر شيئا! وتهدّده بالهجاء، فقال له حمدان: لا تفعل فإنك تدم؛ قال:

أو تهدّدني أيضا! قال: نعم؛ قال: فأني شيء تستطيع أن تصنع بي إن هجوتك! قال: أصورك على باب داري بصورتك هذه وأجعل من خلفك قردا ينكحك حتى يراك الصّادر والوارد؛ قال (4) بشار: اللّهم أخزه، أنا أمازحه وهو يأبى إلا الجدّا!

مفاخرة جرير بن المنذر السدوسي له وما قاله فيه بشار من الشعر:

أخبرنا يحيى بن علي بن يحيى والحسن بن عليّ و محمد بن عمران الصّيرفيّ قالوا: حدّثنا العنزيّ قال حدّثني جعفر بن محمد [العدويّ] (5) عن محمد [بن سلام] قال حدّثني مخلد أبو سفيان قال:

كان جرير بن المنذر السّدوسيّ يفاخر بشارا؛ فقال فيه بشار:

أمثل بني مضر وائل *** فقدتكَ من فاخر ما أجنّ

أفي النوم هذا أبا منذر *** فخيّر رأيت وخيرا يكن

رأيتك والفخر في مثلها *** كعاجنة غير ما تطحن

وقال يحيى في خبره: فحدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني عاصم (6) بن وهب أبو شبل الشاعر البرجميّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج السّرادنيّ (7) قال:

/كنا عند بشار وعنده رجل ينازعه في اليمانية والمضريّة إذ أذن المؤذن، فقال له بشار: رويدا، تفهّم هذا الكلام؛ فلما قال: أشهد أنّ محمدا رسول الله، قال له بشار: أهذا الذي نودي باسمه مع اسم الله عزّ وجلّ من مضرّ

ص: 107

1- هكذا في ء، ط، ح. وفي سائر النسخ: «بغرض من أغراض» بالغين وهو تصحيف.

2- زيادة في ء، ط.

3- في ء، ط: «و لكن قد عملت على أني أعمى».

4- في ء، ط: «فقال» بالفاء.

5- زيادة عن، ء، ط وبها يستقيم السند.

6- كذا في ترجمته في ج 13 ص 22 «أغاني» طبع بولاق، وفي مواضع أخرى من هذا الكتاب. ووقع في هذا الموضوع في أكثر النسخ «عصيم». وفي ء، ط: «عصم» وهو تحريف.

7- هكذا ورد هذا الاسم في جميع الأصول وفي «معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص» ص 131 طبع بولاق «السوادي» ولم نعثر على تصحيحه.

هو أم من صداء وعك و حمير؟ فسكت الرجل.

نقده للشعر:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدّثنا الرياشي قال أنشد(1) بشار قول الشاعر:

وقد جعل الأعداء ينتقصوننا *** و تطمع فينا ألسن و عيون

ألا إنما ليلى عصا خيزرانة *** إذا غمزوها بالأكفّ تلين

/فقال: و الله لو زعم أنها عصا مَحّ أو عصا زبد، لقد كان جعلها جافية خشنة بعد أن جعلها عصا! أ لا قال كما قلت:

ودعجاء المحاجر من معدّ *** كأن حديثها ثمر الجنان

إذا قامت لمشيبتها(2) تثت *** كأن عظامها من خيزران

اعتداده بنفسه:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدّثنا عمر بن شبة قال أخبرني محمد بن [صالح بن] (3) الحجاج قال:

قلت لبشار: إني أنشدت فلانا قولك:

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى *** ظمئت و أيّ الناس تصفو مشاربه

فقال لي: ما كنت أظنه إلا لرجل كبير؛ فقال لي بشار: ويملك! أفلا قلت له: هو و الله لأكبر الجنّ و الإنس!.

وعدته امرأة و اعتذرت فعاتبها بشعر:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أبو الشّبل عن محمد بن الحجاج قال:

كان بشار يهوى امرأة من أهل البصرة فراسلها يسألها زيارته، فوعده بذلك ثم أخلفته، و جعل ينتظرها ليلته حتى أصبح، فلما لم تأته أرسل إليها يعاتبها فاعتذرت بمرض أصابها؛ فكتب إليها بهذه الأبيات:

يا ليلتي تزداد نكرا *** من حبّ من أحببت بكرا

حوراء إن نظرت إليّ *** ك سقتك بالعينين خمرا

و كأن رجع حديثها *** قطع الرياض كسين زهرا

و كأن تحت لسانها *** هاروت ينفث فيه سحرا

1- كذا في ء، ط. وفي باقي الأصول: «أنشدنا بشار».

2- كذا في جميع الأصول وفي «كامل» المبرّد ج 2 ص 497 طبع أوروبا: «لسبحتها» و السّبحه: صلاة التطوّع و النافلة. و المشهور في

رواية هذا البيت: إذا قامت لحاجتها تثنت

3- زيادة في ء، ط.

و كأنها برد الشرا *** ب صفا و وافق منك فطرا

جتيّة إنسيّة *** أو بين ذاك أجلّ أمرا

و كفاك آني لم أحط *** بشكاة من أحببت خبرا

إلا مقالة زائر *** نثرت لي الأحزان نثرا

متخشّعا تحت الهوى *** عشرا و تحت الموت عشرا

كان إسحاق الموصلي لا يعتدّ به و يفضل عليه مروان:

حدّثني جحظة قال حدّثني عليّ بن يحيى قال:

كان إسحاق الموصلي لا يعتدّ ببشار و يقول: هو كثير التخليط في شعره(1)، و أشعاره مختلفة، لا يشبه بعضها بعضا؛ أليس هو القائل:

/

إنما عظم سليمي حبّتي(2) *** قصب السّكر لا عظم الجمل

و إذا أدنيت منها بصلا *** غلب المسك على ريح البصل

لوقال كلّ شيء جيّد ثم أضيف إلى هذا لزيّفه. قال: و كان يقدّم عليه مروان و يقول: هذا هو أشدّ استواء شعر منه، و كلامه و مذهبه أشبه بكلام العرب و مذاهبها، و كان لا يعدّ أبا نواس البتة و لا يرى فيه خيرا.

أنشد إبراهيم بن عبد الله هجوه للمنصور و لما قتل غيرها و جعلها في هجو أبي مسلم:

حدّثنا محمد بن عليّ(3) بن يحيى قال حدّثنا محمد بن زكريّا قال حدّثنا محمد بن عبد الرحمن التّيميّ قال:

دخل بشار إلى إبراهيم بن عبد الله بن حسن، فأنشده قصيدة يهجو فيها المنصور و يشير عليه برأي يستعمله في أمره، فلما قتل إبراهيم خاف بشار، فقلب الكنية، و أظهر أنه كان قالها في أبي مسلم و حذف منها أبياتا و أولها:

أبا جعفر ما طول عيش بدائم *** و لا سالم عمّا قليل بسالم

قلب هذا البيت فقال: «أبا مسلم».

على الملك الجبار يقتحم الردى *** و يصرعه في المأزق المتلاحم

كأنك لم تسمع بقتل متوّج *** عظيم و لم تسمع بفتك(4) الأعاجم

تقسّم كسرى رهطه بسيوفهم *** و أمسى أبو العباس أحلام نائم

يعني الوليد بن يزيد.

وقد كان لا يخشى انقلاب مكيدة *** عليه ولا جري التحوس الأشائم

مقيما على اللذات حتى بدت له *** وجوه المنايا حاسرات العمائم

ص: 109

1- كذا في أكثر النسخ. وفي س، أ، م: «في ثره».

2- كذا في أكثر النسخ. وفي أ، م، ح: «خلتي» وكلاهما بمعنى الصديقة والمحبوبة.

3- كلمة «ابن علي» ساقطة في أ، م، ح.

4- في ء، ط: «ولم تعلم بقتل الأعاجم».

وقد ترد الأيام غمًا وربّما *** وردن كلوحا باديات الشكائم

و مروان(1) قد دارت على رأسه الرحي *** وكان لما أجمت نزر الجرائم

فأصبحت تجري سادرا في طريقهم *** ولا تتقي أشباه تلك النقام

تجردت للإسلام تعفو(2) سييله *** وتعري مطاه(3) لليوث الصراغم

فما زلت حتى استنصر الدين أهله *** عليك فعاذوا بالسيوف الصوارم

فرم وزرا ينجيك يا ابن سلامة *** فلست بناج من مضيم و ضائم

جعل موضع «يا ابن سلامة» «يا ابن وشيكة»(4) وهي أم أبي مسلم.

لحا الله قوما رأسوك عليهم *** وما زلت مرءوسا خبيث المطاعم

أقول لبسام عليه جلالة *** غدا أريحيًا عاشقا للمكارم

من الفاطميين الدعاة إلى الهدى *** جهارا و من يهديك مثل ابن فاطم(5)

هذا البيت الذي [خافه و](6) حذفه بشار من الأبيات.

سراج لعين المستضيء و تارة *** يكون ظلما للعدو المزاحم

إذا بلغ الرأي المشورة فاستعن *** برأي نصيح أو نصيحة حازم

و لا تجعل الشورى عليك غضاضة *** فإن الخوافي قوة للقوادم

و ما خير كفّ أمسك الغل(7) أختها *** و ما خير سيف لم يؤيد بقائم

أو خلّ الهوينا للضعيف و لا تكن *** نثوما فإن الحزم ليس بنائم

و حارب إذا لم تعط إلا ظلامة *** شبا الحرب خير من قبول المظالم

قال محمد بن يحيى: فحدّثني الفضل بن الحباب قال سمعت أبا عثمان المازني يقول سمعت أبا عبيدة يقول:

ميمية بشار هذه أحب إليّ من ميميتي جرير و الفرزدق.

قال محمد: و حدّثني ابن الرياشي قال حدّثني أبي قال:

قال الأصمعيّ قلت لبشار: يا أبا معاذ، إن الناس يعجبون من أبياتك في المشورة؛ فقال لي: يا أبا سعيد، إن

ص: 110

-
- 1- يريد به مروان الحمار آخر ملوك بني أمية الذي قتله أبو العباس السفاح بمصر.
 - 2- تعفو: تمحو، يقال: عفت الريح المنزل أي محته ودرسته.
 - 3- المطا: الظهر.
 - 4- كذا في أكثر الأصول: وهو الموافق لما في «وفيات الأعيان» لابن خلكان (ج 1 ص 397) في ترجمة أبي مسلم الخراساني. وفي ط: «وشيلة».
 - 5- أصله فاطمة فرخمة بحذف تاء التانيث، والترخيم في غير النداء جائز للضرورة.
 - 6- زيادة في ط.
 - 7- الغل بالضم: الحديدية التي تجمع بين يد الأسير و عنقه، وتسمى الجامعة.

المشاورة بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك/في مكروهه؛ فقلت له: أنت والله في قولك هذا أشعر منك في شعرك.

بشار و المعلى بن طريف:

حدّثني الحسن بن عليّ قال حدّثنا الفضل بن محمد الزبيديّ عن إسحاق و حدّثني به محمد بن يزيد بن أبي الأزهر عن حمّاد عن أبيه قال:

كان بشار جالسا في دار المهديّ و الناس ينتظرون الإذن، فقال بعض موالي المهديّ لمن حضر: ما عندكم في قول الله عزّ و جلّ:

(وَ أَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ) فقال له بشار: النحل التي يعرفها الناس؛ قال هيهات يا أبا معاذ، النحل: بنو هاشم، وقوله: (يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ) يعني العلم؛ فقال له بشار: أراني الله طعامك و شرابك و شفائك فيما يخرج من بطون بني هاشم، فقد أوسعنا غثاثة؛ فغضب و شتم بشارا؛ و بلغ المهديّ الخبر فدعا بهما فسألهما عن القصة، فحدّثه بشار بها؛ فضحك حتى أمسك على بطنه، ثم قال للرجل: أجل! فجعل الله طعامك و شرابك مما يخرج من بطون بني هاشم، فإنك بارد غثّ. و قال/محمد بن يزيد في خبره: إنّ الذي خاطب بشارا بهذه الحكاية و أجابه عنها من موالي المهديّ المعلى بن طريف.

بشار و يزيد بن منصور الحميري:

أخبرنا الحسين بن يحيى عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

دخل يزيد بن منصور الحميريّ على المهديّ و بشار بين يديه ينشده قصيدة امتدحه بها، فلما فرغ منها أقبل عليه يزيد بن منصور الحميريّ، و كانت فيه غفلة، فقال له: يا شيخ، ما صناعتك؟ فقال: أتقب اللؤلؤ؛ فضحك المهديّ ثم قال لبشار: أعزب(1) و يلك؛ أ تتنادر على خالي! فقال له: و ما أصنع به! يرى شيئا أعمى ينشد الخليفة شعرا و يسأله عن صناعته!.

ترك جواب رجل عاب شعره للؤمه:

أخبرني الحسين عن حمّاد عن أبيه قال:

وقف على بشار بعض المجان و هو ينشد شعرا؛ فقال له: استر شعرك هذا كما تستر عورتك؛ فصقّ بشار بيديه و غضب و قال له: من أنت و يلك؟ قال: أنا أعزك الله رجل من باهلة(2)، و أخوالي [من] سلول(3)، و أصهاري عكل(5)، و اسمي كلب، و مولدي بأضاخ(6)، و منزلي بنهر(7) بلال؛ فضحك بشار ثم قال: اذهب

ص: 111

1- أعزب: أبعده. و في ء، ط، ح: «أعرب» بالغين المعجمة و الراء المهملة و هي بمعناها.

2- باهلة: قبيلة من قيس عيلان و هو اسم امرأة من همدان كانت تحت معن بن أعصر بن سعد بن قيس عيلان فنسب ولده إليها.

3- زيادة في ء، ط.

4- سلول: قبيلة من هوازن و هم بنو مرة بن صعصعة بن معاوية بن بكر بن هوازن و سلول أمهم نسبوا إليها.

5- عكل: قبيلة فيهم غباوة و قلة فهم، و لذلك يقال لكل من فيه غفلة و يستحمق: عكليّ.

6- أضاخ: قرية من قرى اليمامة لبني نمير.

7- كذا فيء، ط. ونهر بلال بالبصرة احتفراه بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري، و جعل على جنبه حوانيت و نقل إليها السوق.

ويلك! فأنت عتيق لؤمك، قد علم الله أنك استترت مني بحصون من حديد.

وصف قاص قصرا كبيرا في الجنة فعابه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني الفضل بن سعيد قال حدّثني أبي قال:

مرّ بشار بقاصّ بالبصرة(1) فسمعه يقول في قصصه: من صام رجبا وشعبان ورمضان بنى الله له قصرا في الجنة صحنه ألف فرسخ في مثلها وعلوه ألف فرسخ وكلّ باب من أبواب بيوته ومقاصره عشرة فراسخ في مثلها، قال: فالتفت بشار إلى قائده. فقال: بسّست والله الدار هذه في كانون الثاني(2).

سمع صخبا في الجيران فقال كأن القيامة قامت:

قال الفضل بن سعيد و حدّثني رجل من أهل البصرة ممن كان يتزوّج بالنّهاريّات(3) قال: تزوّجت امرأة منهن فاجتمعت معها في علو بيت وبشار تحتنا، أو كنا في أسفل البيت وبشار في علوه مع امرأة، فنهق حمار في الطريق فأجابه حمار في الجيران و حمار في الدار فارتجت الناحية بنهيقها، وضرب الحمار الذي في الدار الأرض برجله وجعل يدقّها بها دقا شديدا فسمعت بشارا يقول للمرأة: نفخ - يعلم الله - في الصّور وقامت القيامة أما تسمعين كيف يدقّ على أهل القبور حتى يخرجوا منها! قال: ولم يلبث أن فزعت شاة كانت في السطح فقطعت حبلها وعدت فألقت طبقا وغضارة(4) إلى الدار فانكسرا، وتطاير حمار ودجاج كثر في الدار لصوت الغضارة وبكى صبيّ في الدار؛ فقال بشار: صحّ والله الخبر ونشر أهل القبور من قبورهم أذفت - يشهد الله - الآزفة وزلزلت الأرض زلزالها؛ فعجبت من كلامه و غاظني ذلك؛ فسألت من المتكلم؟ فقيل لي: بشار، فقلت: قد علمت أنه لا يتكلّم بمثل هذا غير بشار.

نكتة له مع رجل رمحته بغلة فشكر الله:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا أحمد بن محمد جدار(5) قال حدّثني قدامة بن نوح قال:

مرّ بشار برجل قد رمحته(6) بغلة وهو يقول: الحمد لله شكرا، فقال له بشار: استزده يزدك. قال: و مرّ به قوم يحملون جنازة وهم يسرعون المشي بها، فقال: ما لهم مسرعين! أ تراهم سرقوه فهم يخافون أن يلحقوا فيؤخذ منهم!

مات ابن له فرثاه:

ص: 112

1- كذا في ء، ط. وفي باقي الأصول: «بالمدينة».

2- كانون الأول و كانون الثاني: شهران شمسيان يقعان في قلب الشتاء، معربان عن الرومية.

3- كذا في جميع الأصول ولعلها نسبة إلى بني النهاري: قبيلة من الأشراف باليمن.

4- في ء، ط: «فألقت طبقا فيه غضارة» والغضارة: القصة الكبيرة فارسية. وفي أ، م: «فألقت طبقا وغزارة».

5- هكذا ورد هذا الاسم في أكثر الأصول. وفي ء هكذا: «محمد بن حصار» وفي ط هكذا: «محمد بن صعار». وفي العرب من تسمى بجدار و حصار. ولم نوفق إلى تحقيقه في الكتب التي بأيدينا.

أخبرني يحيى بن علي بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شبيب، وأخبرني به وكيع عن محمد بن عمر بن محمد بن عبد الملك عن الحسن بن جمهور، قال(1):

توفى ابن لبشار فجزع عليه؛ فقليل له: أجر قدمته، وفرط افتراطته، وذخر أحرزته، فقال: ولد دفنته، وثلث تعجلته، وغيب وعدته فانتظرتة؛ والله لئن لم أجزع للنقص لا أفرح للزيادة. وقال يرثيه:

أجارتنا لا تجزعي وأنيبي *** أأاني من الموت المطل نصيبي

بني علي رغمي و سخطي رزته *** وبدل أحجارا و جال(2) قليب

و كان كريحان الغصون(3) تخاله *** ذوي بعد إشراق يسر و طيب

أصيب بني حين أورك غصنه *** وألقى علي الهمة كل قريب

عجبت لإسراع المنية نحوه *** و ما كان لو مليته(4) بعجيب

نوادره:

أخبرني يحيى بن علي قال ذكر عافية بن شبيب عن أبي عثمان الليثي، وحدثني به الحسن بن علي عن ابن مهرويه عن أبي مسلم، قال:

رفع غلام بشار إليه في حساب نفقته جلاء مرآة عشرة دراهم، فصاح به بشار وقال: والله ما في الدنيا أعجب من جلاء مرآة أعمى بعشرة دراهم، والله لو صدنت عين الشمس حتى يبقى العالم في ظلمة ما بلغت أجرة من يجلوها عشرة دراهم.

أخبرنا محمد بن يحيى الصولي قال حدثني المغيرة بن محمد المهلب قال حدثنا أبو معاذ التميمي قال: قلت لبشار: لم مدحت يزيد بن حاتم ثم هجوته؟ قال: سألتني أن أنيكه فلم أفعل؛ فضحكت ثم قلت: فهو كان ينبغي له أن يغضب، فما موضع الهجاء! فقال: أظنك تحب أن تكون شريكه؛ فقلت: أعوذ بالله من ذلك ويلك(5)!

سئل عن شعره الفأجاب:

حدثني الحسن بن علي قال حدثنا ابن مهرويه قال حدثنا أحمد بن خالد، وأخبرنا يحيى بن علي و محمد بن عمران الصيرفي، قال حدثنا العنزى قال حدثنا أحمد بن خالد قال حدثني أبي قال قلت لبشار: إنك لتجيء بالشيء الهجين(6) المتفاوت، قال: و ما ذاك؟ قال قلت: بينما تقول شعرا تثير(7) به النقع و تخلع به القلوب، مثل قولك:

إذا ما غضبنا غضبة مضرية *** هتكنا حجاب الشمس أو تمطر الدما

ص: 113

1- كذا في ء، ط. وفي باقي الأصول: «قال» بالإفراد.

2- الجال: الجانب، و القليب في الأصل: البئر لأنها قلبت الأرض بالحفر، والمراد هنا القبر.

- 3- كذا في ء وإحدى روايتي ط. وفي أ، م ورواية في ط: «الغروس». وفي ب، س: «العروس».
- 4- مليته: متعت به، يقال ملاك الله حبيبك أي متعتك به وأعاشك معه طويلا.
- 5- كذا في ء، أ. وفي باقي النسخ: «وبك»، وهو تحريف.
- 6- كذا في أكثر الأصول، وفي ء، ط: «المهجن».
- 7- كذا في ء، ط. وفي باقي الأصول: «يثير النقع».

إذا ما أعرنا سيّدا من قبيلة *** ذرى منبر صلّى علينا وسلّما

/تقول:

ربابة ربّة البيت *** تصبّ الخلّ في الرّيت

لها عشر دجاجات *** وديك حسن الصّوت

فقال: لكلّ وجه و موضع، فالقول الأوّل جدّ، وهذا قلته في ربابة جاريتي، وأنا لا آكل البيض من السّوق، وربابة [هذه] (1) لها عشر دجاجات وديك فهي تجمع لي البيض [و تحفظه عندها] (1)، فهذا عندها من قولي أحسن من:

قفانك من ذكرى حبيب و منزل

عندك.

كان يحشو شعره بما لا حقيقة له تكميلا للقافية:

أخبرني الحسن [بن عليّ] (2) قال حدّثني أحمد بن محمد جدار قال حدّثني قدامة بن نوح قال:

كان بشّار يحشو شعره إذا أعوزته القافية و المعنى بالأشياء التي لا حقيقة لها، فمن ذلك أنه أنشد يوما شعرا له فقال فيه:

غنّني للغريض يا بن قنان

فقيل له: من ابن قنان هذا، لسنا نعرفه من مغنّي البصرة؟ قال: و ما عليكم منه! ألكم قبله دين فتطالبوه به، أو ثار تريدون أن تدركوه، أو كفلت لكم به فإذا غاب طالبتموني بإحضاره؟ قالوا: ليس بيننا و بينه شيء من هذا، وإنما أردنا أن نعرفه، فقال: هو رجل يغنّي لي و لا يخرج من بيتي؛ فقالوا له: إلى متى؟ قال: مذ يوم ولد و إلى يوم يموت. قال: و أنشدنا أيضا في هذه القصيدة:

..... (3) و وافا *** نبي هلال السماء في البردان

/فقلنا: يا أبا معاذ. أين البردان هذا؟ لسنا نعرفه بالبصرة، فقال: هو بيت في بيتي سمّيته البردان، أفعليكم من تسميتي داري و بيوتها شيء فتسالوني عنه!

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثني أبو غسان دماذ - و اسمه رفيع بن سلمة - قال حدّثني يحيى بن الجون العبديّ راوية بشّار قال:

كنا عند بشّار يوما فأنشدنا قوله:

و جارية خلقت وحدها *** كأن النساء لديها خدم

1- زيادة عن ء، ط.

2- زيادة عن ء.

3- بياض في جميع الأصول.

دوار(1) العذارى إذا زرنها *** أظفن بحوراء مثل الصنم(2).

ظمئت إليها فلم تسقني *** برّي و لم تشفني من سقم

وقالت هويت فمت راشدا *** كما مات عروة(3) غمّا بغمّ

فلما رأيت الهوى قاتلي *** و لست بجار و لا بابن عمّ

دسست إليها أبا مجلز *** و أيّ فتى إن أصاب اعتزم

فما زال حتى أنابت له *** فراح و حلّ لنا ما حرم

فقال له رجل: و من أبو مجلز هذا يا أبا معاذ؟ قال: و ما حاجتك إليه! لك عليه دين أو تطالبه بطائلة(4)! هو رجل يتردّد بيني و بين معارفي في رسائل. قال: و كان كثيرا ما يحشو شعره بمثل هذا.

شعره في قينة:

أخبرني محمد بن مزيد بن أبي الأزهر قال حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

كانت بالبصرة قينة لبعض ولد سليمان بن عليّ و كانت محسنة بارعة الطّرف، و كان بشار صديقا لسيدّها و مدّاحا له، فحضر مجلسه يوما و الجارية تغني؛ فسرّ بحضوره و شرب حتى سكر و نام، و نهض بشار؛ فقالت: يا أبا معاذ، أحبّ أن تذكر يومنا هذا في قصيدة و لا تذكر فيها اسمي و لا اسم سيدي و تكتب بها إليه؛ فانصرف و كتب إليه:

و ذات دلّ كأن البدر صورتها *** باتت تغني عميد(5) القلب سكرانا:

/ (إنّ العيون التي في طرفها حور *** قتلنا ثم لم يحيين قتلانا)

فقلت أحسنت يا سؤلي و يا أملي *** فأسمعيني جزاك الله إحسانا:

(يا حبّذا جبل الرّيان(6) من جبل *** و حبّذا ساكن الرّيان من كانا)

قالت فهلا، فدتك النفس، أحسن من *** هذا لمن كان صبّ القلب حيرانا:

(يا قوم أذني لبعض الحيّ عاشقة *** و الأذن تعشق قبل العين أحيانا)

فقلت أحسنت أنت الشمس طالعة *** أضرمت في القلب و الأحشاء نيرانا

فأسمعيني صوتا مطربا هزجا(7) *** يزيد صبّا محبّا فيك أشجانا

يا ليتني كنت تقّاحا مفلّجة(8) *** أو كنت من قصب الرّيحان ريحانا

- 1- كذا في جميع النسخ و الدوار بضم الدال وفتحها مع تخفيف الواو و قد تشدّد: صنم كانت العرب تنصبه، يجعلون موضعا حوله يدورون به، و هو وارد هنا على وجه التشبيه؛ وفي «زهر الآداب» ج 2 ص 119 طبع المطبعة الرحمانية: «رواء».
- 2- كذا في «زهر الآداب» وفي جميع الأصول: «الضمم» بالضاد المعجمة و الميم، و هو تحريف.
- 3- يشير إلى عروة بن حزام العذري صاحب عفرأ، أحد العشاق المشهورين الذين قتلهم العشق.
- 4- الطائفة: الذحل و الثأر.
- 5- عميد القلب: مريضه، يقال: قلب عميد إذا هدّه العشق و كسره.
- 6- الريان: جبل في ديار طيء لا يزال يسيل منه الماء، و هو في مواضع كثيرة منها.
- 7- الهزج: ضرب من ضروب الأغاني فيه تطريب بتدارك الصوت و تقاربه.
- 8- مفلّجة: مقسمة، و يريد بذلك أنها إذا قسمت كانت أسطع نفحا و أضوع شذا و طيبا.

حتى إذا وجدت ريحي فأعجبها *** ونحن في خلوة مثلث إنسانا

فحرّكت عودها ثم انثت طربا *** تشدوبه ثم لا تخفيه كتماناً:

(أصبحت أطوع خلق الله كلّهم *** لأكثر الخلق لي في الحبّ عصياناً)

/فقلت أطربتنا يا زين مجلسنا *** فهات إنك بالإحسان أولانا

لو كنت أعلم أنّ الحبّ يقتلني *** أعددت لي قبل أن ألقاك أكفانا

فغنّت الشّرب صوتاً مؤثّقاً(1) رملاً *** يذكي السّرور ويبكي العين ألواناً:

(لا يقتل الله من دامت مودّته *** والله يقتل أهل الغدر أحياناً)

ووجه بالأبيات إليها، فبعث إليه سيدها بألفي دينار و سرّ بها سروراً شديداً.

أغضبه أعرابي عند مجزأة بن ثور فهجاه:

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدثني الحسن بن عليل قال حدثني عليّ بن منصور أبو الحسن الباهليّ قال حدّثني أبو عبد الله المقرئ الجحدريّ الذي كان يقرأ في المسجد الجامع بالبصرة، قال:

دخل أعرابيّ على مجزأة بن ثور السّدوسيّ و بشّار عنده و عليه بزّة الشعراء، فقال الأعرابيّ: من الرجل؟ فقالوا: رجل شاعر؛ فقال: أم مولى هو أم عربيّ؟ قالوا: بل مولى؛ فقال الأعرابيّ: و ما للموالي و للشعر! فغضب بشّار و سكت هنيهة، ثم قال: أ تأذن لي يا أبا ثور؟ قال: قل ما شئت يا أبا معاذ؛ فأنشأ بشّار يقول:

خليلي لا أنام على اقتسار *** و لا آبي على مولى و جار

سأخبر فاخر الأعراب عنّي *** و عنه حين تأذن بالفخار

أ حين كسيت بعد العري خزّاً *** و نادمت الكرام على العقار

تفاخر يا ابن راعية و راع *** بني الأحرار حسبك من خسار

و كنت إذا ظممت إلى قراح *** شركت الكلب في ولغ الإطار(2)

تريغ(3) بخطبة كسر المواني *** و ينسبك المكارم صيد فار

او تغدو(4) للقنافذ تدّريها(5) *** و لم تعقل(6) بدّراج(7) الدّيار

و تشّح(8) الشّمال للابسيها *** و ترعى الضأن بالبلد القفار

- 1- مؤنقا: معجبا، يقال: آتقني الشيء فهو مؤنق و أنيق كما يقال مؤلم و أليم؛ و الرمل: ضرب من الأغاني.
- 2- من معاني الإطار: ما حول البيت فلعله المراد هنا و أن الكلب بلغ في المياه الراكدة حول الدور.
- 3- تريخ: تريد و تطلب و هو المناسب لسياق الكلام، و في جميع لأصول: «تريخ» بالعين المهملة.
- 4- كذا في أكثر الأصول بالعين المعجمة. وى ح: «تعدو» بالعين المهملة.
- 5- تدريها: تختلها لتصيدها.
- 6- كذا في جميع النسخ، و لعله «تعلق»، يريد أنه يحاول صيد القنفاذ و لا يلحقها.
- 7- الدرّاج: القنفذ.
- 8- كذا في جميع النسخ، و لعله «و تنتسج» بمعنى «تنسج»، و الشمال: جمع شملة و هي الكساء يتشح به؛ و في حديث عليّ قال للأشعث بن قيس: «إن أبا هذا كان ينسج الشمال باليمين»؛ و لا يخفى ما في هذه المقابلة من الحسن.

مقامك بيننا دنس علينا *** فليتك غائب في حرّ نار

/وفخرك بين خنزير و كلب *** على مثلي من الحدث الكبار

فقال مجزأة للأعرابي: فبحك الله! فأنت كسبت هذا الشرّ لنفسك ولأمثالك!.

خشي لسانه حاجب محمد بن سليمان فأذن له بالدخول:

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدّثني العنزّي عن الرّياشيّ قال:

حضر بشّار باب محمد بن سليمان، فقال له الحاجب: اصبر؛ فقال: إنّ الصبر لا يكون إلا على بليّة؛ فقال له الحاجب: إنّي أظنّ أنّ وراء قولك هذا شرّاً ولن أتعرّض له، فقم فادخل.

بشار و هلال الرّأي:

أخبرني وكيع قال حدّثنا أبو أيّوب المدينيّ عن محمد بن سلام قال:

قال هلال الرّأي (1) - وهو هلال بن عطية - لبشّار وكان له صديقاً يمازحه: إنّ الله لم يذهب بصر أحد إلا عوّضه بشيء، فما عوّضك؟ قال: الطويل العريض؛ قال: وما هذا؟ قال: ألا أراك ولا أمثالك من الثقلاء. ثم قال له: يا هلال أطيعني/في نصيحة أخصّك بها؟ قال نعم؛ قال: إنك كنت تسرق الحمير زماناً ثم تبت وصرت رافضيّاً، فعد إلى سرقة الحمير، فهي والله خير لك من الرّفص (2).

قال محمد بن سلام: وكان هلال يستقل، وفيه يقول بشّار:

و كيف يخفّ لي بصري و سمعي *** و حولي عسكريان من الثّقال

قعودا حول دسكرتي (3) و عندي *** كأنّ لهم عليّ فضول مال

إذا ما شئت صبّحتني هلال *** و أيّ الناس أثقل من هلال

و أخبرني أبو دلف الخزاعيّ بهذا الخبر عن عيسى بن إسماعيل عن ابن عائشة، فذكر أنّ الذي خاطب بشّاراً بهذه المخاطبة ابن سيّابة، فلما أجابه بشّار بالجواب المذكور، قال له: من أنت؟ قال: ابن سيّابة؛ فقال له: يا ابن سيّابة، لو نكح الأسد ما افترس؛ قال: وكان يتّهم بالأبنة.

ذم أناسا كانوا مع ابن أخيه:

قال أيّوب و حدّثني محمد بن سلام وغيره قالوا: مرّ ابن أخي بشّار به و معه قوم؛ فقال لرجل معه: من هذا؟ فقال: ابن أخيك؛ قال: أشهد أنّ أصحابه أنذال؛ قال: و كيف علمت؟ قال: ليست لهم نعال.

1- في جميع الأصول «الرائي» و ما أثبتناه هو الموجود في «كتب التراجم»، يذكرونه بهذا الاسم ويقولون: هو هلال بن يحيى بن مسلم البصري، أخذ الفقه عن أبي يوسف المتوفى سنة 182 و زفر المتوفى سنة 158، ويقولون مع هذا: إنه توفي سنة 245 انظر «الفوائد البهية في تراجم الحنفية» و «تاج التراجم في طبقات الحنفية» و «الفهرست» لابن النديم ص 205، و ذكره ابن حجر في «لسان الميزان» ص 202 ج 6 و بعد أن ذكر أنه توفي سنة 245 قال: وفي «الأغانى» لأبي الفرج الأصبهاني «هلال الرأي هو هلال بن عطية» و ذكر له قصة مع بشار بن برد، فهذا يدل على أنه متقدّم جدا لأن بشارا قتل في زمن المهدي.

2- الرفض (بالكسر): مذهب الرافضة و هم فرقة من الشيعة بايعوا زيد بن عليّ ثم قالوا له: تبرأ من الشيخين فأبى فرفضوه و انفضوا عنه فسموا الرافضة.

3- الدسكرة: بناء كالقصر، و هي أيضا: الأرض المستوية.

أخبرنا محمد بن عليّ قال حدّثني أبي قال حدّثني عافية بن شبيب عن أبي دهمان الغلابيّ (1)، قال:

مررت ببشار يوما وهو جالس على بابه وحده وليس معه خلق وبيده مخصرة (2) يلعب بها وقدّامه طبق فيه تفّاح وأترج (3)، فلما رأيته و ليس عنده أحد تاقت نفسي إلى أن أسرق ما بين يديه، فجنّت قليلا قليلا وهو كافّ [يده] (4) حتى مددت يدي لأتناول منه، فرفع القضيب و ضرب به يدي ضربة كاد يكسرها، فقلت [له] (1): قطع الله يدك يا ابن الفاعلة، أنت الآن أعمى! فقال: يا أحمق، فأين الحسّ!

حديثه مع نسوة أتينه يأخذن شعره لينحن به:

إشارة

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني العنزّي قال حدّثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال:

كان لبشار في داره مجلسان: مجلس يجلس فيه بالغداة يسمّيه «البردان» و مجلس يجلس فيه بالعشيّ اسمه «الرقيق»، فأصبح ذات يوم فاحتجم وقال لغلامه: أمسك عليّ بابي و اطبخ لي من طيب طعامي و صفّ نبيذي؛ قال:

فإنه لكذلك إذ قرع الباب قرعا عنيفا؛ فقال: ويحك يا غلام! انظر من يدقّ الباب دقّ الشرط؛ قال: فنظر الغلام، فقال له: نسوة خمس بالباب يسألن أن تقول لهنّ شعرا ينحن به؛ فقال: أدخلهنّ، فلمّا دخلن نظرن إلى النبيذ مصفّى في قناتيّه في جانب بيته؛ قال: فقالت واحدة منهنّ: هو خمر، وقالت الأخرى: هو زبيب و عسل، وقالت الثالثة: نقيع زبيب؛ فقال: لست بقائل لكنّ حرفا أو تطعمن من طعامي و تشربن من شرابي؛ قال: فتماسكن ساعة، ثم قالت واحدة منهنّ: ما عليكم! هو أعمى فكلن [من] (5) طعامه و اشربن من شرابه و خذن شعره؛ فبلغ ذلك الحسن البصريّ فعابه و هتف ببشار؛ فبلغه ذلك - و كان بشار يسمّي الحسن البصريّ القسّ - فقال:

لما طلعت من الرقيّ *** ق عليّ بالبردان خمسا

و كأنهنّ أهلة *** تحت الثياب زفن شمسا

باكرن عطر لطيمة (6) *** و غمسن في الجاديّ (7) غمسا

صوت

لما طلعتن حفنهنّا *** و أصخن ما يهمسن همسا

فسألنني من في البيو *** ت فقلت ما يؤوين إنسا

ليت العيون الطارفا (8) *** ت طمسن عتا اليوم طمسا

- 1- كذا في أكثر النسخ و هو الصواب، و في ب، س: «الغلال» و هو تحريف.
- 2- المخرصة: ما اختصر الإنسان بيده فأمسكه من عصا أو قضيب، و قيل المخرصة: شيء يأخذه الرجل بيده ليتوكأ عليه.
- 3- الأترج: ثمر شجر بستاني من جنس الليمون ناعم الورق و الحطب.
- 4- الزيادة عن «معاهد التنصيص شرح شواهد التلخيص» ص 133 طبع بولاق.
- 5- زيادة في ح.
- 6- اللطيمة: نافجة المسك.
- 7- الجادي: الزعفران.
- 8- في جميع الأصول: «الطارقات» بالقاف، و هو تحريف.

فأصب من طرف الحدي *** ث لذاذة و خرجن ملسا(1)

لولا تعرّضهنّ لي *** يا قسّ كنت كانت قسّا

عنتي في هذه الأبيات يحيى المكي، و لحنه رمل بالبصر عن عمرو.

نهاه مالك بن دينار عن التشيب بالنساء فقال شعرا:

أخبرنا يحيى قال حدّثني العنزّي قال حدّثنا عليّ بن محمد قال حدّثني جعفر بن محمد النوفليّ - و كان يروي شعر بشار بن برد - قال: جنّت بشارا ذات يوم فحدّثني، قال: ما شعرت منذ أيام إلا بقارح يقرع بابي مع الصّبح، فقلت: يا جارية انظري من هذا، فرجعت إليّ وقالت: هذا مالك بن دينار؛ فقلت: ما هو من أشكالي و لا أضرابي، ثمّ قلت: انذني له، فدخل فقال: يا أبا معاذ، أتشتّم أعراض الناس و تشبّب بنسائهم! فلم يكن عندي إلا أن دفعت عن نفسي و قلت: لا أعود، فخرج عني، و قلت في أثره:

غدا مالك بملاماته *** عليّ و ما بات من باليه

تناول خودا هضيم الحشي *** من الحور محظوظة(2) عاليه

لقلت دع اللوم في حبّها *** فقبلك أعيت عدّاليه

و إني لأكتهم سرّها *** غداة تقول لها الجالية(3)

عبيدة مالك مسلوّبة *** و كنت معطرة حاليه

فقلت على رقبة(4): إني *** رهنت المرعّث(5) خلخاليه

بمجلس يوم سأوفي به *** و لو أجلب الناس أحواليه(6)

شعره في محبوبته فاطمة:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا العنزّي قال حدّثني السّميدع(7) بن محمّد الأزديّ قال حدّثني عبد الرحمن بن

ص: 119

1- كذا في جميع النسخ و القلس: الشرب الكثير من النبيذ، فلعلها مصدر وقع موقع الحال، أو لعلها محرفة عن «ملسا» بمعنى أنهن ملس من العيب أي ليس فيهن عيب. قال العجاج: و حاصن من حاصنات ملس و قد فسره بذلك اللسان في مادة «قنس».

2- كذا في جميع النسخ و المحظوظة ذات الحظ و ربما كانت محرّفة عن محظوظة قال في «اللسان»: و جارية محظوظة المتين: ممدودتها و قال الأزهري: ممدودة حسنة مستوية و قد جاء ذلك في الشعر العربي كثيرا كقول الشاعر: محظوظة المتن هضيم الحشي لا يطببها الورع الواغل و كقول القطامي: بيضاء محظوظة المتين بهكنة و لا يخفى ما بين اللفظين «محظوظة و عالية» من المقابلة.

3- الجالية: الماشطة التي تجلو المرأة و تزينها.

4- على رقبة: على تحفظ واحتراس.

5- لقب بشار كما تقدم.

6- أحواليه: من حولي.

7- كذا في أكثر الأصول، وفي ب، س: «السميدع» بالذال المعجمة. وقد ذكر صاحب «القاموس» أن هذا اللفظ مما سمي به الرجال

الجهم عن هشام بن الكلبي قال:

كان أول بدء بشار أنه عشق جارية يقال لها فاطمة، وكان قد كفّ وذهب بصره، فسمعها تغني فهوربها وأنشأ يقول:

/

درة بحرية مكنونة *** مازها التاجر من بين الدرر

عجبت فطمة من نعتي لها *** هل يجيد التعت مكفوف البصر

أمتا(1) بدد هذا لعبي *** وشاحي حلّه حتى انثر

/فدعيني معه يا أمتا(2) *** علنا في خلوة نقضي الوطر

أقبلت مغضبة تضربها *** واعتراها كجنون مستعر

بأبي والله ما أحسنه *** دمع عين يغسل الكحل قطر

أيها التوام هبوا ويحكم *** واسألوني اليوم ما طعم السهر

عبث به رجل من آل سوار فلم يجبه:

أخبرني محمد بن عمران الصيرفي قال حدّثنا العنزي قال حدّثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير قال حدّثني أبي عن الحكم بن مخلد بن حازم قال: مررت أنا ورجل من عكل من أبناء سوار بن عبد الله بقصر أوس(3)، فإذا نحن ببشار في ظلّ القصر وحده، فقال لي العكلي: لا بدّ لي من أن أعبث ببشار؛ فقلت: ويحك، مه لا تعرّض بنفسك و عرضك له؛ فقال: إني لا أجده في وقت أخلى منه في هذا الوقت؛ قال فوقفت ناحية و دنا منه فقال:

يا بشار؛ فقال: من هذا الذي لا يكنيني ويدعوني باسمي؟ قال: سأخبرك من أنا، فأخبرني أنت عن أمك: أ ولدتك أعمى أم عميت بعد ما ولدتك؟ قال: وما تريد إلى ذلك؟ قال: وددت أنه فسح(4) لك في بصرك ساعة لتنظر إلى وجهك في المرأة، فعسى أن تمسك عن هجاء الناس و تعرف قدرك؛ فقال: ويحكم! من هذا؟ أما أحد يخبرني من هذا؟ فقال له: على رسلك، أنا رجل من عكل و خالي يبيع الفحم بالعبلاء(5) فما تقدر أن تقول لي؟ قال: لا شيء، اذهب، بأبي أنت، في حفظ الله.

ص: 120

1- كذا في الأصول وفي «زهر الآداب»: «أمتي»، و أمتا: أمة (وهي المملوكة) مضافة إلى ياء المتكلم المنقلبة ألفا، و يحتمل أن يكون أصلها يا أمي حذف منه حرف النداء ثم حذفت ياء المتكلم و عوض عنها التاء، و يجوز في هذه التاء الفتح و الكسر و هو الأكثر، و إذا فتحت لا تلحقها الألف إلا للضرورة.

2- كذا في الأصول وفي «زهر الآداب»: «أمتي».

3- قصر أوس بالبصرة ينسب إلى أوس بن ثعلبة بن زفر بن وديعة، و كان قد ولي خراسان في عهد الدولة الأموية.

4- في أ، م، ء: «فتح».

5- ذكره ياقوت في «معجمه» فقال: العبلاء اسم علم لصخرة بيضاء إلى جنب عكاظ، وعندها كانت الوقعة الثانية من وقعات الفجار، ثم قال: والعبلاء وقيل العבלاة بلدة كانت لخشعم بها كان ذو الخلصة بيت وصنم. وذكره البكري في «معجمه» (ص 492، 641) فقال: العبلاء: قرية وتربة واد من أودية الحجاز، أسفله لبني هلال والضباب وسلول، وأعلاه لخشعم، وهناك كان ذو الخلصة بيتهم الذي يحجون إليه.

أخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدّثني هارون بن علي بن يحيى المنجم قال حدّثني علي بن مهديّ قال حدّثني العباس بن خالد البرمكيّ قال:

كان الزوّار يسمّون في قديم الدّهر إلى أيّام خالد بن برمك السّؤال؛ فقال خالد: هذا والله أسْتثقله (1) لطلاب الخير، وأرفع قدر الكريم عن أن يسمّي به أمثال هؤلاء المؤمنّين، لأنّ فيهم الأشراف والأحرار وأبناء النّعيم ومن لعلّه خير ممن يقصد وأفضل أدبا، ولكنّا نسمّيهم الزوّار؛ فقال بشار يمدحه بذلك:

حذا خالد في فعله حذو برمك *** فمجد له مستطرف وأصيل

و كان ذوو الآمال يدعون قبله *** بلفظ على الإعدام فيه دليل

يسمّون بالسّؤال في كلّ موطن *** وإن كان فيهم نابه و جليل

فسمّاهم الزوّار سترأ عليهم *** فأستاره في المجتدين (2) سدول

قال: وقال بشار هذا الشعر في مجلس خالد في الساعة التي تكلم خالد بهذا الكلام في أمر الزوّار، فأعطاه لكلّ بيت ألف درهم.

بشار و صديقه تسنيم بن الحواري:

أخبرني عمّي قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أبو شبيل عاصم (3) بن وهب قال: نهق حمار ذات يوم بقرب بشار، فخطر بباله بيت فقال:

ما قام أير حمار فامتلا شبقا *** إلا تحرّك عرق في است تسنيم

قال: ولم يرد تسنيما بالهجاء؛ ولكنه لمّا بلغ إلى قوله: «إلا تحرّك عرق» قال: في است من؟ و مرّ به تسنيم بن الحواري (4) وكان صديقه، فسلم عليه وضحك، فقال: في است تسنيم علم الله؛ فقال له: أيش (5) ويحك؟! فأنشده البيت؛ فقال له: عليك لعنة الله! فما عندك فرق بين صديقك وعدوك، أي شيء حملك على هذا! ألا قلت: «في است حماد» الذي هجأك وفضحك وأعيأك، وليست قافيتك على الميم فأعذرك! قال: صدقت والله في هذا كلّ، ولكن ما زلت أقول: في است من؟ في است من؟ ولا يخطر ببالي أحد حتّى مررت و سلّمت فرزقته؛ فقال له تسنيم: إذا كان هذا جواب السّلام عليك فلا سلّم الله عليك ولا عليّ حين سلّمت عليك؛ وجعل بشار يضحك ويصفق بيديه و تسنيم يشتمه.

أخبرنا عيسى بن الحسين قال حدّثنا علي بن محمّد النوفليّ عن عمّه قال:

1- في جميع النسخ: «أستقبله»، ولكن السياق يعين ما أثبتناه.

2- في ب، س: «المهتدين».

3- كذا في ح. وفي سائر النسخ: «عاصب» بالباء وهو تحريف، (انظر الحاشية رقم 4: ص 153 من هذا الجزء).

4- لم نعر على هذا الاسم ولا على ضبطه، وقد سمى بالحواري بفتح أوله و ثانيه وفي آخره ياء مشددة، و بالحواري بضم أوله و بعده واو مشددة مفتوحة وراء مفتوحة، ولم نستطع ترجيح أحد الضبطين.

5- أيش: بمعنى أي شيء خفف منه كما يقال: ويلمه في معنى: ويل لأمه، على الحذف لكثرة الاستعمال. وقد قيل: إنه سمع من العرب كما قيل إنه مولد.

قالت امرأة لبشار: ما أدري لم يهابك الناس مع قبج وجهك! فقال لها بشار: ليس من حسنه يهاب الأسد.

الملاحاة بينه وبين عقبة بن رؤبة في حضرة عقبة بن سلم:

أخبرني حبيب بن نصر المهلهبي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن الحجاج قال:

دخل بشار على عقبة(1) بن سلم، فأنشده بعض مدائحه فيه و عنده عقبة بن رؤبة ينشده رجزا يمدحه به، فسمعه بشار و جعل يستحسن ما قاله إلى أن فرغ؛ ثم أقبل على بشار فقال: هذا طراز لا تحسنه أنت يا أبا معاذ؛ فقال له بشار: ألي يقال هذا! أنا و الله أرجز منك و من أبيك و جدك؛ فقال له عقبة: أنا و الله و أبي فتحنا للناس باب الغريب و باب الرجز، و و الله إني لخليق أن أسده عليهم؛ فقال بشار: ارحمهم رحمك الله! فقال عقبة: أتستخف بي يا أبا معاذ و أنا شاعر ابن شاعر! فقال له بشار: فأنت إذا من أهل البيت الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيرا؛ ثم خرج من عنده عقبة مغضبا. فلما كان من غد غدا على عقبة بن سلم و عنده عقبة بن رؤبة، فأنشده أرجوزته التي مدحه فيها:

يا طلل الحى بذات الصمد(2) *** بالله خبر كيف كنت بعدي

أوحشت من دعد و ترب دعد *** سقيا لأسماء ابنة الأشد

قامت تراءى إذ رأيتي وحدي *** كالشمس تحت الزبرج(3) المنقد

صدت بخد و جلت عن خد *** ثم انثنت كالنفس المرتد

عهدي بها سقيا له من عهد *** تخلف وعدا و تقي بوعد

فنحن من جهد الهوى في جهد *** و زاهر من سبط و جعد

أهدى له الدهر و لم يستهد(4) *** أفواف(5) نور الحبر المجد

يلقى الصّحى ريحانه بسجد *** بدلت من ذاك بكى لا يجدي

وافق حظا من سعى بجد *** ما ضرّ أهل النوك ضعف الجد

الحرّ يلحى و العصا للعبد *** و ليس للملحف مثل الرد

او التصف(6) يكفيك من التعدي *** و صاحب كالدمل الممد(7)

احملته في رقعة من جلدي *** أرقب منه مثل يوم الورد(8)

حتى مضى غير فقيد الفقد *** و ما درى ما رغبتى من زهدي

- 1- كان عقبة واليا على البصرة من قبل أبي جعفر المنصور و كان عاتيا جبارا.
- 2- في «معجم ما استعجم» للبكري: الصمد: موضع في ديار بني يربوع. وفي «معجم ياقوت»: الصمد: ماء للضباب.
- 3- الزبرج: السحاب، و المنتقد: المتقطع.
- 4- استهدى فلان: طلب أن يهدي له.
- 5- الأفواف: جمع فوف و هو نوع من برود اليمن تشبه به الأزهار. و الحبر: جمع حبرة كعنبة و قصبية و هي ضرب من برود اليمن منمر.
- 6- النصف: الإنصاف.
- 7- يقال: أمد الجرح: حدثت فيه المدة فهو ممد.
- 8- الورد: من أسماء الحمى.

اسلم و حَيِّت أبا الملدِّ *** مفتاح باب الحدث المنسَدِّ

مشارك التَّيل وريِّ الرِّند *** أغرَّ لباس ثياب الحمد

ما كان مَتِّي لك غير الودِّ *** ثم ثناء مثل ربح الورد

نسجته في محكمات النَّدِّ *** فالبس طرازي(1) غير مستردِّ

للَّه أيامك في معدِّ *** وفي بني قحطان غير عدِّ

يوما بذى طخفة(2) عند الحدِّ *** و مثله أودعت أرض الهند

بالمرهفات و الحديد السرد(3) *** و المقربات المبعديات الجرد

إذا الحيا(4) أكدي بها لا تكدي *** تلحم أمرا و أمورا تسدي(5)

و ابن حكيم إن أتاكَ يردي(6) *** أصمَّ لا يسمع صوت الرعد

حَيِّته(7) بتخفة المعدِّ *** فانهدَّ مثل الجبل المنهدِّ

كلَّ امرئٍ رهن بما يؤدِّي *** و ربَّ ذي تاج كريم الجدِّ

كآل كسرى و كآل برد *** أنكب(8) جاف عن سبيل القصد

فصلته عن ماله و الولد

لفطرب عقبة بن سلِّم و أجزل صلته، و قام عقبة بن رؤبة فخرج عن المجلس بخزي، و هرب من تحت ليلته فلم يعد إليه.

و ذكر لي أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعيِّ هذا الخبر عن الجاحظ، و زاد فيه الجاحظ قال: فانظر إلى سوء أدب عقبة بن رؤبة و قد أجمل بشار محضره و عشرته، فقابله بهذه المقابلة القبيحة، و كان أبوه أعلم خلق الله به، لأنه قال له و قد فاخره بشعره: أنت يا بني ذهبان(9) الشَّعر إذا متَّ مات شعرك معك، فلم يوجد من يرويه بعدك؛ فكان كما قال له، ما يعرف له بيت واحد و لا خبر غير هذا الخبر القبيح الإخبار عنه الدالَّ على سخفه و سقوطه و سوء أدبه.

كان يهوى امرأة من البصرة و قال فيها الشعر لما رحلت:

إشارة

ص: 123

- 1- الطراز: ما نسج للسلطان من الثياب.
- 2- طخفة: موضع بعد النجاج وبعد إمرة في طريق البصرة إلى مكة، وفيه يوم طخفة لبني يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء.
- 3- السرد: اسم جامع للدروع وسائر الحلق.
- 4- الحيا: المطر. وأكدي: بخل.
- 5- تلحم: تنسج اللحمة وهي ما نسج في الثوب عرضا بخلاف السدي وهو ما مدّ من خيوطه طولاً، وفي المثل: «ألحم ما أسديت» أي تمم ما بدأتها.
- 6- يردي: يعدو.
- 7- في الأصول: «حبيته» بالباء الموحدة، وهو تحريف.
- 8- الأنكب: المائل، يقال: رجل أنكب عن الحق وناكب عنه أي مائل.
- 9- كذا في جميع الأصول والمعنى ظاهر، ولم نجد في كتب اللغة التي بأيدينا وصفاً من «ذهب» على هذا الوزن.

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا أبو غسان دماذ قال حدّثنا أبو عبيدة قال:

كان بشار يهوى امرأة من أهل البصرة يقال لها عبيدة(1)، فخرجت عن البصرة إلى عمان(2) مع زوجها، فقال بشار فيها:

صوت

هوى صاحبي ريح الشمال إذا جرت *** و أشفى لقلبي أن تهبّ جنوب

و ما ذاك إلا أنها حين تنتهي *** تناهى و فيها من عبيدة طيب

عذيري من العذال إذ يعذلونني *** سفاها و ما في العاذلين لبيب

صوت

يقولون لو عزّيت قلبك لارعوى *** فقلت و هل للعاشقين قلوب

إذا نطق القوم الجلوس فإتني *** مكبّ(3) كأني في الجميع غريب

بشار و أبو الشمقمق:

أخبرني هاشم قال حدّثني دماذ قال حدّثني رجل من الأنصار قال:

جاء أبو الشّمقمق إلى بشار يشكو إليه الصّيقة(4) و يحلف له أنه ما عنده شيء؛ فقال له بشار: و الله ما عندي شيء يغنيك و لكن قم معي

إلى عقبة بن سلّم، فقام معه فذكر له أبا الشمقمق و قال: هو شاعر و له شكر و ثناء، فأمر له بخمسمائة درهم؛ فقال له بشار:

يا واحد العرب الذي *** أمسى و ليس له نظير

لو كان مثلك آخر *** ما كان في الدنيا فقير

فأمر لبشار بألفي درهم؛ فقال له أبو الشمقمق: نفعتنا و نفعناك يا أبا معاذ؛ فجعل بشار يضحك.

بشار و أبو جعفر المنصور:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا زكريّا بن يحيى أبو السّكين(5) الطائيّ قال حدّثني زحر بن حصن

قال:

حجّ المنصور فاستقبلناه بالرّضم الذي بين زباله(6) و الشّقوق، فلما رحل من الشّقوق رحل في وقت الهاجرة

1- كذا في ح، س و هو الموافق لما في الأبيات الآتية. وفي سائر النسخ: «عبدة».

2- اسم كورة عربيّة على ساحل بحر اليمن و الهند.

3- مكب: مطرق.

4- الضيقة بالكسر و يفتح: الفقر و سوء الحال.

5- كذا في «تهذيب التهذيب» و «الخلاصة في أسماء الرجال» و هو الصواب. و في ب، س: «أبو مسكين». و في ء، أ، م: «أبو المسكين» و كلاهما تحريف.

6- زباله: منزلة معروفة بطريق مكة من الكوفة و هي قرية عامرة بها أسواق. و الشقوق: منزل بطريق مكة بعد واقصة من الكوفة.

فلم يركب القبة (1) وركب نجيبا فسار بيننا، فجعلت الشمس تضحك (2) بين عينيه، فقال: إني قائل بيتا فمن أجازته وهبت له جيتي هذه؛ فقلنا: يقول أمير المؤمنين، فقال:

و هاجرة نصبت لها جيني *** يقطع ظهرها ظهر العظايه (3)

/فبدر بشار الأعمى فقال:

وقفت بها القلوص ففاض دمعي *** على خدي وأقصر واعظايه

فنزح الجبة و هو راكب فدفعها إليه. فقلت لبشار بعد ذلك: ما فعلت بالجبة؟ فقال بشار: بعثها والله بأربعمائة دينار.

كان له شعر غث يعبر به:

إشارة

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدثني علي بن محمد التوفلي قال حدثني عبد الرحمن بن العباس بن الفضل بن عبد الرحمن بن عيَّاش بن أبي ربيعة (4) عن أبيه قال:

كان بشار منقطعاً إليّ وإلى إختي فكان يغشانا كثيراً، ثم خرج إبراهيم بن عبد الله فخرج معه عدّة منّا، فلما قتل إبراهيم توارينا، وحبس المنصور منّا عدّة من إختي، فلما ولي المهديّ أمنّ الناس جميعاً وأطلق المحبوسين، فقدمت بغداد أنا وإختي نلتمس أماناً من المهديّ، وكان الشعراء يجلسون بالليل في مسجد (5) الرصافة ينشدون ويتحدّثون، فلم أطلع بشاراً على نفسي إلا بعد أن أظهر لنا المهديّ الأمان، وكتب أخي إلى خليفته بالليل، فصحت به: يا أبا معاذ من الذي يقول:

أحبّ الخاتم الأحم *** ر من حبّ مواليه

/فأعرض عنيّ وأخذ في بعض إنشاده شعره، ثم صحت: يا أبا معاذ من الذي يقول:

إنّ سلمى خلقت من قصب (6) *** قصب السكر لا عظيم الجمل

و إذا أدنيت منها بصلاً *** غلب المسك على ريح البصل

فغضب و صاح: من الذي يقرّعنا بأشياء كنا نعبث بها في الحداثة فهو يعيّرنا بها! فتركته ساعة ثم صحت به:

يا أبا معاذ من الذي يقول:

ص: 125

1- القبة: الهودج.

2- تضحك: تتلأأ.

3- العظاية: دويبة ملساء تعدو و تتردد تشبه سام أبرص.

4- في جميع النسخ: «ابن ربيعة» بدون كلمة «أبي».

5- كذا في ء، أ، ح. وفي باقي النسخ: «سجن الرصافة» و هو تحريف، و الرصافة: اسم لمواضع كثيرة و المرادة هنا هي «رصافة بغداد» بالجانب الشرقي، ذكرها ياقوت فقال: لما بنى المنصور مدينته بالجانب الغربي و استتمّ بناءها أمر ابنه المهدي أن يعسكر في الجانب الشرقي و أن يبني له فيها دورا، و جعلها معسكرا له، فالتحق بها الناس و عمروها، فصارت مقدار مدينة المنصور و عمل المهدي بها جامعا أكبر من جامع المنصور و أحسن. و كان فراغ المهدي من بناء الرصافة و الجامع بها في سنة 159 هـ و هي السنة الثانية من خلافته.

6- كذا في الأصول و في «زهر الآداب» ج 1 ص 206 طبع المطبعة الرحمانية. إنما عظم سليمانى خلتى قصب..... إلخ

أخشاب حقا أن دارك تزعج *** وأن الذي بيني وبينك ينهج (1)

فقال: ويحك! عن مثل هذا فسل، ثم أنشدها حتى أتى على آخرها، وهي من جيد شعره، وفيه غناء:

صوت

فوا كبدا قد أنضج الشوق نصفها *** ونصف على نار الصبابة ينضج

ووا حزنا منهمن يحففن هودجا *** وفي الهودج المحفوف بدر متوج

فإن جنتها بين النساء فقل لها *** عليك سلام مات من يتزوج

بكيت وما في الدمع منك خليفة *** ولكن أحزاني عليك توهج

الغناء لسليم بن سلام رمل بالوسطى. ووجدت هذا الخبر بخط ابن مهبويه فذكر أنه قال هذه القصيدة في امرأة كانت تغشى مجلسه و كان إليها مائلا يقال لها خشابة، فارسيّة، فزوجت وأخرجت عن البصرة.

أنشده أبو النضير شعره فاستحسنه:

أخبرني عمي قال حدّثني الكرائي قال حدّثني أبو حاتم:

/قال أبو النضير الشاعر: أشدت بشارا قصيدة لي، فقال لي: أيجيئك شعرك هذا كلما شئت أم هذا شيء يجيئك في الفينة (2) بعد الفينة إذا تعمّلت (3) له؟ فقلت: بل هذا شعر يجيئني كلما أردته؛ فقال لي: قل فإنك شاعر؛ فقلت له: لعلك حابيتني أبا معاذ و تحمّلت (4) لي؛ فقال: أنت أبقاك الله أهون عليّ من ذلك.

حاول تقبيل جارية لصديق له و قال شعرا يعتذر فيه عن ذلك:

أخبرني عمي قال حدّثنا الكرائي عن العمري عن عباس بن عباس الرّنادي عن رجل من باهلة، قال:

كنت عند بشار الأعمى فأتاه رجل فسلم عليه، فسأله عن خبر جارية عنده وقال: كيف ابنتي؟ قال: في عافية، تدعوك اليوم؛ فقال بشار: يا باهليّ انهض بنا، فجننا إلى منزل نظيف وفرش سريّ (5)، فأكلنا، ثم جيء بالنبيد فشربنا مع الجارية، فلما أراد الانصراف قامت فأخذت بيد بشار، فلما صار في الصحن أو ما إليها ليقبّلها، فأرسلت يدها من يده، فجعل يجول في العرصة (6)؛ و خرج المولى فقال: مالك يا أبا معاذ؟ فقال: أذنبت ذنبا ولا أبرح أو أقول شعرا، فقال:

أتوب إليك من السيئات *** وأستغفر الله من فعلتي

تناولت ما لم أرد نيله *** على جهل أمري وفي سكرتي

-
- 1- ينهج: يبلى.
 - 2- الفينة: الحين.
 - 3- كذا في ح، و عملت له: تكلفت و تعنيت و اجتهدت. وفي باقي الأصول: «تعقلت».
 - 4- كذا في الأصول. ولعله «و تجملت لي» بالجيم أي تكلفت الجميل و تظاهرت لي به.
 - 5- سرّي: جيد.
 - 6- العرصة: ساحة الدار.

وإلا فمت إذا ضائعا *** وعذبني الله في ميتي

فمن نال خيرا على قبلة *** فلا بارك الله في قبلي

كتب شعرا على باب عقبة يستنجزه وعده:

أخبرنا هاشم بن محمد الخزاعي قال حدثنا الرياشي عن الأصمعي قال:

لما أنشد بشار أرجوزته:

يا طلل الحى بذات الصمد

أبا الملد (1) عقبة بن سلم أمر له بخمسين ألف درهم، فأخرها عنه وكيله ثلاثة أيام، فأمر غلامه بشار أن يكتب على باب عقبة عن يمين الباب:

ما زال ما منيتني من همي *** والوعد غم فأزح من غمي

إن لم ترد حمدي فراقب ذمي

فلما خرج عقبة رأى ذلك، فقال: هذه من فعلات بشار، ثم دعا بالقهرمان (2)، فقال: هل حملت إلى بشار ما أمرت له به؟ فقال: أيها الأمير نحن مضيقون (3) وغدا أحملها إليه؛ فقال: زد فيها عشرة آلاف درهم واحملها إليه الساعة؛ فحملها من وقته.

نهى المهدي له عن التشيب بالنساء و سب ذلك:

أخبرني هاشم قال حدثنا أبو غسان دماذ قال:

سألت أبا عبيدة عن السبب الذي من أجله نهى المهدي بشارا عن ذكر النساء قال: كان أول ذلك استهتار نساء البصرة وشبانها بشعره، حتى قال سوار بن عبد الله الأكبر ومالك بن دينار؛ ما شيء أدعى لأهل هذه المدينة إلى الفسق من أشعار هذا الأعمى؛ وما زالا يعظانه؛ وكان واصل بن عطاء يقول: إن من أذع حبائل الشيطان وأغواها لكلمات هذا الأعمى الملحد. فلما كثر ذلك وانتهى خبره من وجوه كثيرة إلى المهدي، وأنشد المهدي ما مدحه به، نهاه عن ذكر النساء وقول التشيب، وكان المهدي من أشد الناس غيرة؛ قال: فقلت له: ما أحسب شعر/هذا أبلغ في هذه المعاني من شعر كثير وجميل وعروة بن حزام وقيس بن ذريح وتلك الطبقة؛ فقال: ليس كل من يسمع تلك الأشعار يعرف المراد منها، وبشار يقارب النساء حتى لا يخفى عليهن ما يقول وما يريد، وأي حرة حصان تسمع قول بشار فلا يؤثر في قلبها، فكيف بالمرأة الغزلة والفتاة التي لا هم لها إلا الرجال! ثم أنشد قوله:

قد لا مني في خليلتي عمر *** واللوم في غير كنهه ضجر (4)

قال أفق قلت لا فقال بلى *** قد شاع في الناس منكما الخبر

- 1- هكذا وردت هذه الكنية لعقبة المذكور في هذه الأرجوزة فيما تقدّم قريبا ص 176. وفي أ، م: «أبا المتلد» وهو تحريف. وفي ب، س: «أبا الملك».
- 2- القهرمان: الوكيل أو أمين الدخل و الخرج.
- 3- مضيقون: ضيقو الحال.
- 4- في ح: «ضرر».

قلت وإذ شاع ما اعتذارك *** ممّا ليس لي فيه عندهم عذر
ما ذا عليهم و ما لهم خرسوا *** لو أنّهم في عيوبهم نظروا
أعشق وحدي و يؤخذون به *** كالترك تغزو فتؤخذ الحزر
يا عجباً للخلاف يا عجباً *** بفي الذي لام في الهوى الحجر
حسبيّ و حسب الذي كلفت به *** منّي و منه الحديث و التّنظر
أو قبلة في خلال ذاك و ما *** بأس إذا لم تحلّ لي الأزّر
أو عصّة في ذراعها و لها *** فوق ذراعي من عصّها أثر
أو لمسة دون مرطها(1) بيدي *** و الباب قد حال دونه السّتر
و الساق برّاقة مخلخلها *** أو مصّ ريق و قد علا البهر(2)
و استرخت الكفّ للعراك و قا *** لت إيه عنّي و الدّمع منحدر
انهض فما أنت كالذي زعموا *** أنت و ربّي مغازل أشر
قد غابت اليوم عنك حاضنتي *** و الله لي منك فيك ينتصر
يا ربّ خذ لي فقد ترى ضرعي *** من فاسق جاء ما به سكر
أهوى إلى معصدي(3) فرضّضه *** ذو قوّة ما يطاق مقتدر
ألصق بي لحيّة له خشنت *** ذات سواد كأنها الإبر
حتّى علاني و أسرتي غيب(4) *** ويلي عليهم لو أنّهم حضروا
أقسم بالله لا نجوت بها *** فاذهب فأنّت المساور الظّفر
كيف بأمي إذا رأت شفّتي *** أم كيف إن شاع منك ذا الخبر
قد كنت أخشى الذي ابتليت به *** منك فما ذا أقول يا عبر(5)
قلت لها عند ذاك يا سكني *** لا بأس إني مجرّب(6) خبر
قولي لها بقّة لها ظفر *** إن كان في البقّ ما له ظفر

ثم قال له: بمثل هذا الشعر تميل القلوب و يلين الصّعب.

ص: 128

-
- 1- المرط: كساء من خز أو كتان يؤتزر به.
 - 2- البهر بسكون ثانية: تتابع النفس و انقطاعه من الإعياء و قد حرك للضرورة.
 - 3- المعضد: الدمليج، و هو حلي يلبس في المعصم.
 - 4- غيب: جمع غائب.
 - 5- العبر (بتثليث العين و سكون الباء). الجريء القويّ الذي يشقّ ما مر به، فلعل هذا هو المراد هنا، و حركت الباء بحركة ما قبلها لضرورة الشعر.
 - 6- المجرب بصيغة المفعول: من جرّبه الأمور و أحكمته؛ و المجرب بصيغة الفاعل: من عرف الأمور و جرّبها، و كلاهما في هذا الموضع صحيح.

قال دماذ قال لي أبو عبيدة: قال رجل يوما لبشار في المسجد الجامع يعابته: يا أبا معاذ، أيعجبك الغلام الجادل(1)؟ فقال غير محتشم ولا مكترث: لا، ولكن تعجبني أمه.

ورد على خالد البرمكي بفارس وامتدحه:

أخبرني عمي قال حدّثنا العنزيّ قال حدّثني محمد بن سهل عن محمد بن الحجّاج قال:

ورد بشار على خالد بن برمك وهو بفارس فامتدحه؛ فوعده وطله؛ فوقف على طريقه وهو يريد المسجد، فأخذ بلجام بغلته وأنشده:

/

أظلت علينا منك يوما سحابة *** أضاءت لنا برقاً وأبطأ رشاشها(2)

فلا غيمها يجلي فيس طامع *** ولا غيثها يأتي فيروى عطاشها

فحبس بغلته وأمر له بعشرة آلاف درهم، وقال: لن تنصرف السحابة حتى تبلّك إن شاء الله.

تظاهر بالحج و خرج لذلك مع سعد بن القعقاع:

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا الحسن بن عليل قال حدّثني عليّ بن حرب الطائيّ قال حدّثني إسماعيل بن زياد الطائيّ قال:

كان رجل منا يقال له سعد بن القعقاع يتنّدم(3) بشاراً في المجانة، فقال لبشار وهو ينادمه: ويحك يا أبا معاذ! قد نسبنا الناس إلى الرّندقة، فهل لك أن تحجّ بنا حجّة تنفي ذلك عنا؟ قال: نعم ما رأيت! فاشترى بعيرا ومحملاً وركباً، فلما مرّاً بزرارة(4) قال له: ويحك يا أبا معاذ! ثلاثمائة فرسخ متى تقطعها! مل بنا إلى زرارة نتنعم فيها، فإذا قفل الحاجّ عارضناهم بالقادسية(5) وجززنا رءوسنا فلم يشكّ الناس أنّا جئنا من الحجّ؛ فقال له بشار:

نعم ما رأيت لو لا خبث لسانك، وإني أخاف أن تفضحنا. قال: لا تخف. فمالا إلى زرارة فما زالوا يشربان الخمر ويفسقان، فلما نزل الحاجّ بالقادسية راجعين، أخذوا بعيرا ومحملاً وجزّاء رءوسهما وأقبلا وتلقّاهما الناس يهنّونهما؛ فقال سعد بن القعقاع:

/

ألم ترني وبشاراً حججنا *** وكان الحجّ من خير التّجارة

خرجنا طالبي سفر بعيد *** فمال بنا الطريق إلى زرارة

فآب الناس قد حجّوا وبرّوا *** وأبنا موقرين من الخساره

- 1- الغلام الجادل: اليافع الذي قوي واشتدّ.
- 2- الرشاش (بكسر الراء): جمع رش (بالفتح) وهو المطر الخفيف.
- 3- كذا في أكثر الأصول، وفي ب، س: «يتندم» بتقديم النون على التاء، ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا صيغة من هاتين الصيغتين مستعملة في المعنى الذي يدل عليه سياق الكلام وهو كثرة المنادمة؛ ولعلها «يتقدّم بشارا في المجانة» أي أنه كان أكثر منه مجونا.
- 4- زرارة (بضم أوله): محلة بالكوفة.
- 5- القادسية: بلدة بينها وبين الكوفة خمسة عشر ميلا، وبينها وبين العذيب أربعة أميال، كانت بها وقعة سعد بن أبي وقاص المشهورة مع الفرس في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أنكر عليه داود بن رزين أشياء فأجابهُ:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم الدّينوريّ قال حدّثني محمد بن عمران بن مطر الشاميّ قال حدّثني محمد بن الحسّان (1) الصّبّيّ قال حدّثني محمود الورّاق قال حدّثني داود بن رزين قال:

أتينا بشاراً فأذن لنا والمائدة موضوعة بين يديه فلم يدعنا إلى طعامه، فلما أكل دعا بطست فكشف عن سوائته فبال؛ ثم حضرت الظهر و العصر فلم يصلّ، فدنونا منه فقلنا: أنت أستاذنا وقد رأينا منك أشياء أنكرناها؛ قال: وما هي؟ قلنا: دخلنا و الطعام بين يديك فلم تدعنا إليه؛ فقال: إنما أذنت لكم أن تأكلوا و لو لم أرد أن تأكلوا لما أذنت لكم (2)؛ قال: ثم ما ذا؟ قلنا: و دعوت بطست و نحن حضور فبلت و نحن نراك؛ فقال: أنا مكفوف و أنتم بصراء و أنتم المأمورون بغضّ الأبصار، ثم قال: و مه (3)؛ قلنا: حضرت الظهر و العصر و المغرب فلم تصلّ؛ فقال: إن الذي يقبلها تفارق يقبلها جملة.

أخبرنا يحيى قال حدّثني أبو أيّوب المدنيّ عن بعض أصحاب بشار قال:

كنا إذا حضرت الصلاة نقوم و يقعد بشار فنجعل حول ثيابه تراباً لننظر هل يصلّي، فنعود و التراب بحاله.

بشار و الثقلاء:

أخبرنا يحيى قال أخبرنا أبو أيّوب عن الحرمازيّ قال:

قعد إلى بشار رجل فاستثقله فضرط عليه ضرطة، فظنّ الرجل أنّها أفلتت منه، ثم ضرط أخرى، فقال:

أفلتت، ثم ضرط ثالثة (4)، فقال: يا أبا معاذ، ما هذا؟ قال: مه! أ رأيت أم سمعت؟ قال: بل سمعت صوتاً قبيحاً، فقال: فلا تصدّق حتى ترى.

قال: و أنشد أبو أيّوب لبشار في رجل استثقله:

ربّما يثقل المجلس و إن كا *** ن خفيفاً في كفة الميزان

كيف لا تحمل الأمانة أرض *** حملت فوقها أبا سفيان

و قال فيه أيضاً:

هل لك في مالي و عرضي معا *** و كلّ ما يملك جيرانه

و اذهب إلى أبعد ما ينتوى (5) *** لا ردّك الله و لا ماله

أنشد الوليد بن يزيد شعره في المزاج بالريق فطرب:

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثني محمد بن إبراهيم الجيليّ (6) قال حدّثني محمد بن عمران

- 1- في «تهذيب التهذيب»: «حسان» بدون الألف و اللام.
- 2- يريد «لما أذنت لكم بالدخول».
- 3- و مه: أصله «و ما» فأبدلت الألف هاء للوقف و السكت.
- 4- بالأصول: «ثالثا».
- 5- ينتوى: يقصد.
- 6- في ح: «الجبلي» بالباء.

الضَّبِّي قال أنشدنا الوليد بن يزيد قول بشار الأعمى:

أيها الساقيان صببا شرابي *** و اسقياني من ريق بيضاء رود(1)

إن دائي الظما وإن دوائي *** شربة من رضاب ثغر برود

و لها مضحك كغزّ الأفاحي *** و حديث كالوشي وشي البرود

نزلت في السواد من حبة القل *** ب و نالت زيادة المستزيد

ثم قالت نلتاك بعد ليال *** و الليالي بيلين كلّ جديد

عندها الصبر عن لقائي و عندي *** زفرات يأكلن قلب الحديد

/قال: فطرب الوليد وقال: من لي بمزاج كاسي هذه من ريق سلمى فيروى ظمئي و تطفأ غلّتي! ثم بكى حتى مزج كأسه بدمعه، وقال: إن فاتنا ذاك فهذا.

مجا جاره أبا زيد فهجاه:

أخبرني عمي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن محمد بن سليمان الطّفاويّ قال حدّثني عبد الله بن أبي بكر - و كان جلسا لبشار - قال: كان لنا جار يكنى أبا زيد و كان صديقا لبشار، فبعث إليه يوما يطلب منه ثيابا بنسيئة(2) فلم يصادفها عنده، فقال يهجو:

ألا إن أبا زيد *** زنى في ليلة القدر

و لم يرع، تعالى اللّ *** ه ربّي، حرمة الشهر

و كتبها في رقعة و بعث بها إليه، و لم يكن أبو زيد ممن يقول الشعر، فقلبها و كتب في ظهرها:

ألا إن أبا زيد *** له في ذلكم عذر

/أته أمّ بشار *** و قد ضاق بها الأمر

فوائها فجامعها *** و ما ساعده الصبر

قال: فلما قرئت على بشار غضب و ندم على تعرّضه لرجل لا نباهة له، فجعل ينطح الحائط برأسه غيظا، ثم قال: لا تعرّضت لهجاء سفلة(3) مثل هذا أبدا.

شعره في قينة:

أخبرني عمي قال حدّثنا ابن مهوريه قال حدّثني بعض ولد أبي عبيد الله وزير المهديّ، قال:

دخل بشار على المهديّ وقد عرضت عليه (4) جارية مغنّية فسمع غناءها فأطربه وقال لبشار: قل في صفتها شعرا؛ فقال:

ص: 131

-
- 1- الرود: الشابة الحسنة الشباب و الأصل فيها الهمز وقد سهلت للضرورة.
 - 2- النسيئة: التأخير، يقال: باعه بنسيئة: إذا أخر له عن الشيء المبيع.
 - 3- سفلة الناس و سفلتهم: أسافلهم و غوغاؤهم.
 - 4- في ح: «عرضت له».

للعين فيها محيلة(2)*** إذا برقت لم تسق بطن صعيد

من المستهلات السّرور على الفتى *** خفا(3) برقها في عبقر(4) و عقود

كأن لسانا ساحرا في كلامها *** أعين بصوت للقلوب صيود

تميت به ألبابنا وقلوبنا *** مرارا و تحييهنّ بعد همود

شعره في عقبة بن سلّم:

إشارة

أخبرني عمّي قال حدّثنا أبو أيّوب المدنيّ قال قال أبو عدنان حدّثني يحيى بن الجون قال:

دخل بشار يوما على عقبة بن سلّم فأنشده قوله فيه:

صوت

إنّما لذّة الجواد ابن سلّم *** في عطاء و مركب للقاء

ليس يعطيك للرجاء و لا الخو *** ف و لكن يلدّ طعم العطاء

يسقط الطير حيث ينتثر الح *** بّ و تغشى منازل الكرماء

لا أبالي صفح اللّيم و لا تج *** ري دموعي على الحرون الصّفاء

فعلى عقبة السلام مقيما *** و إذا سار تحت ظلّ اللواء

فوصله(5) بعشرة آلاف درهم. وفي هذه الأبيات خفيف رمل مطلق في مجرى البنصر لرذاذ، و هو من مختار صنّعه و صدورها و مما تشبّه فيه بالقدماء و مذاهبيهم.

كان خلف الأحمر و خلف بن أبي عمرو يرويان عنه شعره:

أخبرني أحمد بن العباس العسكريّ قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزّيّ قال حدّثنا أحمد بن خلاد عن الأصمعيّ، و أخبرني به الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أحمد بن خلاد عن الأصمعيّ قال:

كنت أشهد خلف بن أبي عمرو بن العلاء و خلف الأحمر يأتیان بشارا و يسلمان عليه بغاية التعظيم ثم يقولان: يا أبا معاذ، ما أحدثت؟ فيخبرهما و ينشدهما و يسألانه و يكتبان عنه متواضعين له حتى يأتي وقت الظهر ثم ينصرفان عنه، فأتياه يوما فقالا له: ما هذه القصيدة التي

-
- 1- الرائحة: واحدة الروائح وهي السحب التي تجيء رواحا، ويقابلها «الغادية».
 - 2- المخيلة (بفتح الميم): الظنّ.
 - 3- خفا البرق يخفو خفوا و خفوا: لمع و ظهر.
 - 4- يريد ثيابها، و تنسب إلى قرية باليمن تسمى عبقر توشى بها الثياب و البسط، و ثيابها أجود الثياب.
 - 5- في الأصول: «و وصله».
 - 6- في ب، س، ح: «مسلم» و هو تحريف.

قالا: بلغنا أنك أكثرت فيها من الغريب؛ فقال: نعم، بلغني أن سلما يتباصر(1) بالغريب فأحببت أن أورد عليه ما لا يعرفه؛ قالوا: فأنشدناها، فأنشدهما:

بكرًا صاحبي قبل الهجير *** إن ذاك النجاح في التبكير

حتى فرغ منها؛ فقال له خلف: لو قلت يا أبا معاذ مكان «إن ذاك النجاح»:

بكرًا فالنجاح في التبكير

كان أحسن؛ فقال بشار: بنيتها أعرابية و حشية، فقلت: «إن ذاك النجاح» كما يقول الأعراب البديون، و لو قلت: «بكرًا فالنجاح» كان هذا من كلام المولدين و لا يشبه ذلك الكلام و لا يدخل في معنى القصيدة؛ فقام خلف فقَبِلَ بين عينيه؛ و قال له خلف بن أبي عمرو يمازحه: لو كان علاقة(2) ولدك يا أبا معاذ لفعلت كما فعل أخي، و لكنت مولى، فمدَّ بشار يده فضرب بها فخذ خلف و قال:

أرفق بعمرو إذا حرّكت نسبه *** فإنه عربيّ من قوارير

فقال له: أفعلتها يا أبا معاذ! قال: و كان أبو عمرو يغمز في نسبه.

و أخبرني ببعض هذا الخبر حبيب بن نصر عن عمر بن شبة عن أبي عبيدة، فذكر نحوه و قال فيه: إن سلما يعجبه الغريب.

قيل له إن فلانا سبك عند الأمير فهجاه:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال قال حدّثنا محمد بن سلام قال قال لي خلف:

كنت أسمع بشار قبل أن أراه، فذكروه لي يوما و ذكروا بيانه و سرعة جوابه و جودة شعره، فاستنشدتهم شيئا من شعره، فأنشدوني شيئا لم يكن بالمحمود عندي، فقلت: و الله لآتيته و لأطأطأ منهُ، فأتيته و هو جالس على بابه، فرأيته(3) أعمى قبيح المنظر عظيم الجثة، فقلت: لعن الله من يبالي بهذا، فوقفت أتأمّله طويلا، فبينما أنا كذلك إذ جاءه رجل فقال: إن فلانا سبك عند الأمير محمد بن سليمان و وضع منك؛ فقال: أو قد فعل؟ قال: نعم؛ فأطرق، و جلس الرجل عنده و جلست، و جاء قوم فسلموا عليه فلم يرد عليهم، فجعلوا ينظرون إليه و قد درّت(4) أوداجه، فلم يلبث إلا ساعة حتى أنشدنا بأعلى صوته و أفخمه:

نبت نائك أمه يغتابني *** عند الأمير و هل عليّ أمير

ناري محرّقة و بيتي واسع *** للمعتفين و مجلسي معمور

و لي المهابة في الأحبة و العدا *** و كأنني أسد له تامور(5)

ص: 133

1- يتباصر بالغريب: يظهر أنه بصير به.

2- يريد أنه لو كان عربيا لقبه كما يدل على ذلك السياق. و يظهر أنه لا يريد بعلاقة اسما بعينه. و لكنه أتى بهذا الاسم لأنه خاص بالعرب.

3- في أ، م، ء: «فرايت».

4- درت: امتلأت دما؛ والأوداج: جمع ودج وهو عرق في العنق يقطعه الذابح فلا تبقى معه حياة.

5- التامور: عرين الأسد.

غرثت(1) حليلته و أخطأ صيده *** فله على لقم(2) الطريق زئير

قال: فارتعدت و الله فرائصي و اقشعرّ جلدي و عظم في عيني جدًا، حتى قلت في نفسي: الحمد لله الذي أبعدني من شرك.

شعر له في مدح خالد بن برمك:

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدّثني علي بن مهدي قال حدّثنا العباس بن خالد قال:

مدح بشّار خالد بن برمك فقال فيه:

لعمري لقد أجدى عليّ ابن برمك *** و ما كلّ من كان الغنى عنده يجدي

حلبت بشعري راحتيه فدرتا *** سماحا كما درّ السحاب مع الرعد

إذا جنّته للحمد أشرق وجهه *** إليك و أعطاك الكرامة بالحمد

له نعم في القوم لا يستشيبها *** جزاء وكيل التاجر المدّ بالمدّ

مفيد و متلاف، سبيل تراثه(3) *** إذا ما غدا أورا ح كالجزر و المدّ

أ خالد إنّ الحمد يبقى لأهله *** جمالا و لا تبقى الكنوز على الكدّ

فأطعم و كل من عارة مستردّة *** و لا تبقيها، إن العواري للردّ

فأعطاه خالد ثلاثين ألف درهم، و كان قبل ذلك يعطيه في كلّ وفادة خمسة آلاف درهم، / أو أمر خالد أن يكتب هذان البيتان(4) في صدر

مجلسه الذي كان يجلس فيه. و قال ابنه يحيى بن خالد: آخر ما أوصاني به أبي العمل بهذين البيتين.

عمر بن العلاء و مدائح الشعراء فيه:

إشارة

أخبرني عمي قال حدّثنا عبد الله بن عمر بن أبي سعد قال حدّثني محمد بن عبد الله بن عثمان قال:

كان أبو الوزير مولى عبد القيس من عمّال الخراج، و كان عفيفا بخيلا، فسأل عمر(5) بن العلاء، و كان جوادا شجاعا، في رجل فوهب له

مائة ألف درهم؛ فدخل أبو الوزير على المهديّ فقال له: يا أمير المؤمنين، إن عمر بن العلاء خائن؛ قال: و من أين علمت ذلك؟ قال: كلّم

في رجل كان أقصى أمله ألف درهم فوهب له مائة ألف درهم؛ فضحك المهديّ ثم قال: (قُلْ كُلُّ يَعْمَلُ عَلَيَّ شَاكِلَتِهِ) (6)، أ ما سمعت

قول بشّار في عمر:

1- غرثت: جاءت، ورواية «اللسان» في مادة لقم: «غابت حليلته».

2- لقم الطريق: متنه ووسطه.

3- كذا في الأصول. و التراث (بضم التاء): ما يخلفه الرجل لورثته و هو بهذا المعنى لا يتمشى مع كلمات البيت و لا المعنى الذي يريد الشاعر من أن الممدوح كسوب متلاف، فماله دائما لذلك يعتور، النقص و الزيادة و الظاهر أن كلمة «تراثه» محرّفة عن «ثرائه».

4- يريد البيتين الأخيرين.

5- كذا في أكثر الأصول و «تاريخ الطبري» (قسم 3 ج 1 ص 136) و «معجم ياقوت» في كلامه على طبرستان. و في ب، س: «عمرو» و هو تحريف.

6- سورة الإسراء آية: 84.

إذا دهمتك عظام الأمور *** فنّبّه لها عمرا ثم نم

فتى لا ينام على دمنة (1) *** ولا يشرب الماء إلا بدم

أو ما سمعت قول أبي العتاهية فيه:

صوت

إنّ المطايا تشتكك لأنها *** قطعت إليك سباسبها ورمالا

فإذا وردن بنا وردن مخفّة *** وإذا رجعن بنا رجعن ثقالا

- الغناء لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن بانه - أو ليس الذي يقول فيه أبو العتاهية:

يا ابن العلاء ويا ابن القرم مرداس *** إني لأطريك في صحبي و جلاسي

حتى إذا قيل ما أعطاك من نشب *** ألفت من عظم ما أسديت كالناسي

ثم قال: من اجتمعت ألسن الناس على مدحه كان حقيقا أن يصدّقها بفعله.

شعره في جارية له سوداء كان يفترشها:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أبو بكر الرّبعيّ قال:

كانت لبشار جارية سوداء وكان يقع عليها، وفيها يقول:

وغادة سوداء براقّة *** كالماء في طيب وفي لين

كأنها صيغت لمن نالها *** من عنبر بالمسك معجون

ليم في مبالغته في مدح عقبة بن سلّم فأجاب:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني أبو الشّبل البرجميّ قال: قال رجل لبشار: إنّ مدائحك عقبة بن سلّم فوق مدائحك

كلّ أحد؛ فقال لبشار: إنّ عطاياه إياي كانت فوق عطاء كلّ أحد، دخلت إليه يوما فأنشدته:

حرّم الله أن ترى كابن سلّم *** عقبة الخير مطعم الفقراء

ليس يعطيك للرجاء ولا الخو *** ف ولكن يلدّ طعام العطاء

يسقط الطير حيث ينتثر الح *** بّ و تغشى منازل الكرماء

فأمر لي بثلاثة آلاف دينار، وها أنا قد مدحت المهديّ وأبا عبيد الله وزيهه - أو قال يعقوب بن داود - وأقمت بأبوابهما حولاً فلم يعطيني شيئاً، أفلام على مدحي هذا!

طلب منه أبو الشتمق الجزية فرده فهجاه فأعطاه:

ونسخت من كتاب هارون بن عليّ أيضاً حدّثني [عليّ قال حدّثني] (2) عبيد الله بن أبي الشيص عن دعبل بن عليّ قال:

ص: 135

1- الدمنة: الحقد، وقيل لا يكون الحقد دمنة حتى يأتي عليه الدهر.

2- هذه الزيادة ساقطة من ب، س.

كان بشار/يعطي أبا الشَّمقمق في كلِّ سنة مائتي درهم، فأتاه أبو الشَّمقمق في بعض تلك السنين فقال له: هلمَّ الجزية يا أبا معاذ؛ فقال: ويحك! أجزية هي! قال: هو ما تسمع؛ فقال له بشار يمازحه: أنت أفصح منِّي؟ قال:

لا؛ قال: فأعلم منِّي بمثالب الناس؟ قال: لا؛ قال: فأشعر منِّي؟ قال: لا؛ قال: فلم أعطيك؟ قال: لئلاَّ أهجوك؛ فقال له: إنَّ هجوتني هجوتك؛ فقال له أبو الشَّمقمق: هكذا هو؟ قال: نعم، فقل ما بدا لك؛ فقال أبو الشَّمقمق:

إني إذا ما شاعر هجانيه *** ولجَّ في القول له لسانيه

أدخلته في است أمه علانيه *** بشار يا بشار.....

أو أراد أن يقول: «يا ابن الزانية»؛ فوثب بشار فأمسك فاه، وقال: أراد والله أن يشتمني، ثم دفع إليه مائتي درهم ثم قال له: لا يسمعنَّ هذا منك الصبيان يا أبا الشَّمقمق.

أخبرني أحمد بن العباس العسكري قال حدَّثني الحسن بن عليل العنزِّي قال حدَّثني محمد بن بكر قال حدَّثني الأصمعي قال:

أمر عقبة بن سلِّم [الهنائي] (1) لبشار بعشرة آلاف درهم، فأخبر أبو الشَّمقمق بذلك فوافى بشارا فقال له:

يا أبا معاذ، إني مررت بصبيان فسمعتهم يشدون:

هللينه هللينه *** طعن قثاة لتينه (2)

إنَّ بشار بن برد *** تيس أعمى في سفينه

فأخرج إليه بشار مائتي درهم فقال: خذ هذه ولا تكن راوية الصبيان يا أبا الشَّمقمق.

شعره في هجاء العباس بن محمد بن علي:

أخبرني أحمد قال حدَّثنا أبو محمد الصَّعترِّي قال حدَّثنا محمد بن عثمان البصري قال:

استمنح بشار بن برد العباس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس فلم يمنحه، فقال يهجوه:

ظلَّ اليسار على العباس ممدود *** وقلبه أبدا في البخل معقود

إنَّ الكريم ليخفي عنك عسرته *** حتى تراه غنياً وهو مجهود

و للبخيل على أمواله علل *** زرق العيون عليها أوجه سود

إذا تكرَّهت أن تعطي القليل ولم *** تقدر على سعة لم يظهر الجود

أورق بخير ترجى للتوال فما *** ترجى الثمار إذا لم يورق العود

بثّ النّوال ولا تمنعك قلته *** فكلّ ما سدّ فقرا فهو محمود

اجتمع بعباد بن عباد و سلّم عليه:

أخبرني أحمد قال حدّثنا العنزّي قال حدّثني المغيرة بن محمد المهلبّي قال حدّثني أبي عن عبّاد بن عبّاد قال:

ص: 136

1- زيادة في أ، م، ء نسبة إلى هناة بن مالك، و بنو هناة هم رهط عقبة بن سلّم.

2- في ح: «طعن قثاة بتينه».

مررت ببشّار فقلت: السّلام عليك يا أبا معاذ؛ فقال: و عليك السلام، أعبّاد؟ فقلت: نعم؛ قال: إني لحسن الرّأي فيك؛ فقلت: ما أحوجني إلى ذلك منك يا أبا معاذ!

جاري امرأ القيس في تشبيهه شيئين بشيئين:

أخبرني يحيى بن عليّ قال أخبرني محمد بن عمر الجرجانيّ عن أبي يعقوب الخريمي (1) الشاعر أنّ بشّارا قال: لم أزل منذ سمعت قول امرئ القيس في تشبيهه شيئين بشيئين في بيت واحد حيث يقول:

كأنّ قلوب الطير رطبا و يابساً *** لدى و كرها العنّاب و الحشف البالي

أعمل نفسي في تشبيه شيئين بشيئين في بيت حتى قلت:

/

كأنّ مثار التّع فوق رعوسنا *** و أسيفنا ليل تهاوى كواكبه

قال يحيى: و قد أخذ هذا المعنى منصور النّمريّ فقال و أحسن:

ليل من التّع لا شمس و لا قمر *** إلا جبينك و المذروبة الشّرع (2)

كان إسحاق الموصليّ يطعن في شعره و لما أنشد منه سكت:

إشارة

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبي قال: كان إسحاق الموصليّ يطعن على شعر بشّار و يضع منه و يذكر أنّ كلامه مختلف لا يشبه بعضه بعضا؛ فقلنا: أتقول هذا القول لمن يقول:

صوت

إذا كنت في كلّ الأمور معاتبا *** صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فحش واحدا أوصل أخاك فإنه *** مقارف (3) ذنب مرّة و مجانيه

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى *** ظمّنت و أيّ الناس تصفو مشاربه

- لأبي العبيس بن حمدون في هذه الأبيات خفيف ثقيل بالبنصر - قال عليّ بن يحيى: و هذا الكلام الذي ليس فوقه كلام من الشعر و لا حشوفيه؛ فقال لي إسحاق: أخبرني أبو عبيدة معمر بن المثنى أن شبيل بن عزرة (4) الصّدّ بعيّ أنشده هذه الأبيات للمتلّمس، و كان عالما بشعره لأنهما جميعا من بني ضبيعة؛ فقلت له: أفليس قد ذكر أبو عبيدة أنه قال لبشّار: إن شبيلاً أخبره أنها للمتلّمس؛ فقال: كذب و الله شبيل، هذا شعري، و لقد مدحت به ابن هبيرة فأعطاني عليه أربعين ألفا. و قد صدق بشّار، قد (5) مدح في هذه القصيدة ابن هبيرة، و قال

- 1- هكذا أورد شارح «القاموس» هذا الاسم في «المستدرک» في مادة «خرم» وقال: «هو أبو يعقوب إسحاق بن حسان بن قوهي الخريمي بالضم من شعراء الدولة العباسية، قيل له ذلك لاتصاله بخريم بن عامر بن الحارث المزني المعروف بالناعم، وقيل: لاتصاله بابنه عثمان بن خريم، وقيل: هو مولاهم» وفي جميع الأصول «الخزيمي» بالزاي وهو تحريف.
- 2- المذروية: المحددة، والشرع: المشروعة والمراد بها السيوف.
- 3- مقارف ذنب: مخالطه ومرتكبه، من قارف الخطيئة إذا خالطها.
- 4- ورد هذا الاسم في «القاموس» مادة شبل «عروة» بالراء والواو واستدرک عليه شارحه فقال: «شبل بن عروة هكذا في النسخ و الصواب ابن عروة بالزاي» وكذلك ورد «عزرة» بالزاي في «تاريخ الطبري» (قسم 2 ج 6 ص 1913 طبع أوروبا).
- 5- في ب، س: «وقد» بالواو.

تصاهل بالعراق جيانا *** كأنك بالضحك قد قام نادبه

وسام لمروان و من دونه الشجا *** و هول كليج البحر جاشت غواربه

أحلت به أم المنايا بناتها *** بأسيفنا، إنا ردى من نحاربه

و كنا إذا دب العدو لسخطنا *** و راقبنا في ظاهر لا نراقبه

ركبنا له جهرا بكل متقف *** و أبيض تستسقي الدماء مضاربه

/ثم قلت لإسحاق: أخبرني عن قول بشار في هذه القصيدة:

فلما تولى الحرّ واعتصر الثرى *** لظى الصّيف من نجم توقد لاهبه

و طارت عصفير الشّقائق(2) و اكتسى *** من الال(3) أمثال المجرة(4) ناضبه

غدت عانة تشكو بأبصارها الصدى *** إلى الجأب إلا أنها لا تخاطبه

- العانة: القطيع من الحمير، و الجأب: ذكرها. و معنى شكواها الصدى بأبصارها أن العطش قد تبين في أحداقها فغارت - قال: و هذا من أحسن ما وصف به الحمار و الأتن، أفهذا للمتلمس أيضا! قال: لا؛ فقلت: أفما هو في غاية الجودة و شبيهه بسائر الشعر، فكيف قصد بشار لسرقة تلك الأبيات خاصّة! و كيف خصه بالسرقة منه وحده من بين الشعراء و هو قبله بعصر طويل! و قد روى الرّواة شعره و علم بشار أنّ ذلك لا يخفى، و لم يعثر على بشار أنه سرق شعرا قطّ جاهليّا و لا إسلاميا. و أخرى فإنّ شعر المتلمس يعرف في بعض شعر بشار؛ فلم يردد/ذلك بشيء.

و قد أخبرني بهذا الخبر هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة أنّ بشارا أنشده:

إذا كنت في كلّ الأمور معاتباً *** صديقك لم تلق(5) الذي لا تعاتبه

و ذكر الأبيات. قال: و أنشدتها شبيل بن عزرة الصّبعيّ، فقال: هذا للمتلمس؛ فأخبرت بذلك بشارا، قال:

كذب و الله شبيل، لقد مدحت ابن هبيرة بهذه القصيدة و أعطاني عليها أربعين ألفا.

لما صار طاهر إلى العراق في حرب الأمين سأل عن ولد بشار ليبرهم:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثنا عليّ بن إبراهيم المروزيّ، و كان أبوه من قواد طاهر، قال حدّثني أبي قال:

لما خلع محمّد المأمون و ندب له عليّ بن عيسى، ندب المأمون للقاء عليّ بن عيسى طاهر بن الحسين

- 1- في «اللسان» (مادة رود): وقال الليث: إذا أردت «برويدا» الوعيد نصبتها بلا تنوين، وأنشد: رويد نصاهل بالعراق جيانا إلخ. وفي الأصول: «رويدا» بالتنوين.
- 2- الشقائق: جمع شقيقة وهي أرض صلبة بين رياض تنبت الشجر والعشب.
- 3- الآل: السراب.
- 4- المجرة: نجوم كثيرة لا تدرك بمجرد البصر وإنما ينتشر ضوأها فيرى كأنه بقعة بيضاء.
- 5- في ح: «لم تلف» بالفاء.

ذا اليمينين (1) و جلس له لعرضه و عرض أصحابه، فمرّ به ذو اليمينين معترضاً و هو ينشد:

رويد (2) تصاهل بالعراق جرادنا *** كأنك بالضحاك قد قام نادبه

فتفاعل المأمون بذلك فاستدناه فاستعاده البيت فأعاد عليه؛ فقال ذو الرئاستين (3): يا أمير المؤمنين هو حجر (4) العراق؛ قال: أجل. فلما صار ذو اليمينين إلى العراق سأل: هل بقي من ولد بشار أحد؟ فقالوا: لا؛ فتوهّمت أنه قد كان همّ لهم بخير.

غضب على سلّم الخاسر لأنه سرق من معانيه:

إشارة

أخبرنا يحيى قال حدّثنا أبي قال أخبرني أحمد بن صالح - و كان أحد الأدباء - قال:

غضب بشار على سلّم الخاسر و كان من تلامذته و رواته، فاستشفع عليه بجماعة من إخوانه فجاءوه في أمره؛ فقال لهم:

كلّ حاجة لكم مقضية إلا سلماً؛ قالوا ما جنناك إلا في سلّم و لا بدّ من أن ترضى عنه لنا؛ فقال: أين هو الخبيث؟ قالوا: ها هو هذا؛ فقام إليه سلّم فقبّل رأسه و مثل بين يديه و قال: يا أبا معاذ، خرّيجك و أديبك؛ فقال: يا سلّم، من الذي يقول:

من راقب الناس لم يظفر بحاجته *** و فاز بالطيبات الفاتك اللّهج

قال: أنت يا أبا معاذ، جعلني الله فداك! قال: فمن الذي يقول:

من راقب الناس مات غمّاً *** و فاز باللذّة الجسور (5)

قال: خرّيجك يقول ذلك (يعني نفسه)؛ قال: أفتأخذ معانيّ التي قد عنيت بها و تعبت في استنباطها، فتكسوها ألفاظاً أخفّ من ألفاظي حتى يروى ما تقول و يذهب شعري! لا أرضى عنك أبداً، قال: فما زال يتصرّع إليه، و يشفع له القوم حتى رضي عنه. و في هذه القصيدة يقول بشار:

لو كنت تلقين ما نلقى قسمت لنا *** يوما نعيش به منكم و نبتهج

صوت

لا خير في العيش إن كُنّا (6) كذا أبداً *** لا نلتقي و سبيل الملتقى نهج (7)

ص: 139

1- ذكر ابن خلكان في «وفيات الأعيان» (ج 1 ص 335) طاهراً هذا و قال في سياق ترجمته: و اختلفوا في تلقيبه بذي اليمينين لأيّ معنى كان فقيل: لأنه ضرب شخصاً في وقته مع عليّ بن ماهان فقدّه نصفين و كانت الضربة يبساره فقال فيه بعض الشعراء: كلتا يديك يمين حين تضربه و ذكر أيضاً في ترجمة الفضل بن سهل (ج 1 ص 589) أن الفضل كان أعلم الناس بعلم النجامة، فلما عزم المأمون على إرسال

- طاهر بن الحسين إلى محاربة أخيه الأمين، نظر الفضل في مسألته فوجد الدليل في وسط السماء و كان ذا يمينين، فأخبر المأمون بأن طاهرا يظفر بالأمين و يلقب بذي اليمينين، فلقب المأمون طاهرا بذلك، و هو أشهر قواده.
- 2- انظر الحاشية رقم 4 من ص 197 من هذا الجزء.
- 3- هو الفضل بن سهل وزير المأمون، و لقب بذي الرئاستين لأنه تقلد الوزارة و السيف.
- 4- يريد أنه الركن الذي يعول عليه.
- 5- هذا البيت و بيت بشار قبله يذكرهما علماء البلاغة شاهدا لحسن أخذ الشاعر الثاني من الأول، و يسمونه حسن الاتباع، لأن بيت سلم أجود سبكا و أخصر لفظا (انظر «معاهد التنصيص» صفحة 506 طبع بولاق).
- 6- كذا في الأصول. و في «معاهد التنصيص»: «إن دمنّا».
- 7- النهج: البين الواضح.

قالوا حرام تلاقينا فقلت لهم *** ما في التلاقي ولا في قبلة حرج

من راقب الناس لم يظفر بحاجته *** و فاز بالطيبات الفاتك اللهج

أشكو إلى الله هما ما يفارقني *** و شرعا(1) في فوادي الدهر تعتلج

أنشد الأصمعي شعره في هجو باهلة فغاضه فخره بنسبه:

/أخبرنا محمد بن عمران الصيرفي قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزي قال حدّثنا أحمد بن خالد قال: أنشدت الأصمعي قول بشار يهجو باهلة:

/

و دعاني معشر كلهم *** حمق دام لهم ذاك الحمق

ليس من جرم ولكن غاظهم *** شرفي العارض قد سدّ الأفق

فاغتاظ الأصمعي فقال: ويلي على هذا العبد القرن ابن(2) القرن!

حديثه مع امرأة في الشيب:

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى قال حدّثني علي بن مهدي. قال حدّثني عباس بن خالد قال سمعت غير واحد من أهل البصرة يحدث:

أن امرأة قالت لبشار: أي رجل أنت لو كنت أسود اللحية والرأس! قال بشار: أما علمت أن بيض البزاة أثنى من سود الغريان؛ فقالت له: أمّا قولك فحسن في السمع، و من لك بأن يحسن شيبك في العين كما حسن قولك في السمع! فكان بشار يقول: ما أفحمني قط غير هذه المرأة.

أحب الأشياء إليه:

و نسخت من كتابه: حدّثني علي بن مهدي قال حدّثني إسحاق بن كلبة قال قال لي أبو عثمان المازني:

سئل بشار: أي متاع الدنيا آثر عندك؟ فقال: طعام مرّ(3)، و شراب مرّ، و بنت عشرين بكر.

دخل إليه نسوة و طلب من إحداهن أن توصله فأبت فقال شعرا:

أخبرني عمي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد، و أخبرنا الحسن بن علي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني أبو توبة عن صالح بن عطية قال:

كان النساء المتظرفات يدخلن إلى بشار في كلّ جمعة يومين، فيجتمعن عنده و يسمعن من شعره، فسمع كلام امرأة منهنّ فعلقها قلبه و راسلها يسألها أن توصله؛ فقالت لرسوله: و أي معنى فيك لي أو لك في! و أنت أعمى لا تراني فتعرف حسني و مقداره، و أنت قبيح الوجه

فلا حظ لي فيك! فليت شعري لأي شيء تطلب وصال مثلي! و جعلت تهزأ به في المخاطبة؛ فأدى الرسول الرسالة، فقال له: عد إليها فقل لها:

ص: 140

-
- 1- الشرع: الرماح و المراد بها هنا الخواطر و ما إليها مجازاً، و تغلج: تتضارب و نتمارس.
 - 2- القن: عبد ملك هو و أبوه.
 - 3- المز: ما كان طعمه بين الحموضة و الحلاوة.

أيرى له فضل على آيارهم *** وإذا أشطَّ (1) سجدن غير أوابي

تلقاه بعد ثلاث عشرة قائما *** فعل المؤذن شك يوم سحاب

و كأن هامة رأسه بطيخة *** حملت إلى ملك بدجلة جابي (2)

اعترض مروان بن أبي حفصة على بيت من شعره فأجابه:

أخبرني علي بن صالح بن الهيثم قال حدثنا أبو هفان قال أخبرني أحمد بن عبد الأعلى الشيباني عن أبيه قال:

قال مروان لبشار لما أنشده هذا البيت:

و إذا قلت لها جودي لنا *** خرجت بالصمت من لا و نعم

جعلني الله فداك يا أبا معاذ! هلا قلت: «خرست بالصمت»؛ قال: إذا أنا في عقلك فصّ الله فاك! أنطير علي من أحب بالخرس!

مدح خالد البرمكي فأجازه:

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: حدثني بعض أصحابنا قال: وفد بشار إلى خالد بن برمك و هو على فارس فأنشده:

أ خالد لم أخط (3) إليك بدمّة *** سوى أنني عاف و أنت جواد

أ خالد بين الأجر و الحمد حاجتي *** فأيهما تأتي فأنت عماد

فإن تعطني أفرغ عليك مدانحي *** و إن تاب لم يضرب علي سداد (4)

اركابي على حرف و قلبي مشيع (5) *** و مالي بأرض الباخلين بلاد

إذا أنكرتني بلدة أو نكرتها *** خرجت مع البازي علي سواد

قال: فدعا خالد بأربعة آلاف دينار في أربعة أكياس فوضع واحدا عن يمينه و واحدا عن شماله و آخر بين يديه و آخر خلفه، و قال: يا أبا معاذ،

هل استقلّ العماد؟ فلمس الأكياس ثم قال: استقلّ و الله أيها الأمير.

مدح الهيثم بن معاوية و أخذ جائزته:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدثنا عمر بن شبة قال قال محمد بن الحجاج حدثني بشار قال:

دخلت على الهيثم بن معاوية و هو أمير البصرة، فأنشدته:

إنّ السلام أيها الأمير *** عليك و الرّحمة و السرور

فسمعتة يقول: إنّ هذا الأعمى لا يدعنا أو يأخذ من دراهمنا شيئاً؛ فطمعت فيه فما برحت حتّى انصرفت بجائزته.

ص: 141

-
- 1- أشط: أنعط، و أوابي: ممتنعات واحدها «آبئة».
 - 2- جاب: وصف من جبي الخراج يجبيه و يجباه أي جمعه.
 - 3- أي لم أسر إليك لطلب معروفك متوسلاً بعهد؛ و رواية «الخرانة» للبغدادي ج 1 ص 540 طبع بولاق. «لم أهبط».
 - 4- السداد بالكسر: ما نسدّ به الثلثة و نحوها.
 - 5- الحرف: الناقة القوية، و المشييع: الشجاع.

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إسماعيل عن محمد بن سلام قال:

وقف رجل من بني زيد شريف، لا أحب أن أسميه، على بشار، فقال له: يا بشار قد أفسدت علينا موالينا، تدعوهم إلى الانتفاء منا وترغبهم في الرجوع إلى أصولهم وترك الولاء، وأنت غير زاكي الفرع ولا معروف الأصل؛ فقال له بشار: والله لأصلي أكرم من الذهب، ولفرعي أذكى من عمل الأبرار، وما في الأرض كلب يود أن نسبك له بنسبه، ولو شئت أن أجعل جواب كلامك كلاما(1) لفعلت، ولكن موعداك/غدا بالمريد؛ فرجع الرجل إلى منزله وهو يتوهم أن بشارا يحضر معه المربرد ليفاخره، فخرج من الغد يريد المربرد فإذا رجل ينشد:

شهدت على الزيدي أن نساء *** ضباع(2) إلى أير العقيلي تفر

فسأل عمن قال هذا البيت؛ ف قيل له: هذا لبشار فيك؛ فرجع إلى منزله من فوره ولم يدخل المربرد حتى مات.

قال ابن سلام: وأنشد رجل يوما يونس في هذه القصيدة وهي:

بلوت بني زيد فما في كبارهم *** حلوم ولا في الأصغر من مطهر

فأبلغ بني زيد وقل لسراتهم *** وإن لم يكن فيهم سراة توقر

لأمكم الويلات إن قصاندي *** صواعق منها منجد و مغور

أجدهم(3) لا يتقون دنية *** ولا يؤثرون الخير والخير يؤثر

يلقون(4) أولاد الزنا في عدادهم *** فعدتهم من عدة الناس أكثر

إذا ما رأوا من دأبه مثل دأبهم *** أطافوا به، والغى للغى أصور(5)

ولو فارقوا من فيهم من دعارة(6) *** لما عرفتهم أمهم حين تنظر

لقد فخروا بالملحقين(7) عشية *** فقلت افخروا إن كان في اللوم مفخر

يريدون مسعاتي(8) و دون لقائها *** قناديل أبواب السماوات تزه(9)

ص: 142

1- كذا في أكثر الأصول. وفي ح: «أن أجعل جواب كلانا شعرا فعلت». ولعله «جواب كلامك شعرا».

2- ضباع: جمع ضبعة وأصله الناقة تشتهي الفحل، يقال: ضبعت الناقة تضبع ضبعا وضبعة أي اشتتهت الفحل، وقد يستعمل في النساء كما وقع في هذا البيت (انظر «اللسان» و «القاموس» مادة ضبع).

3- يقال: أجدك بكسر الجيم وأجدك بفتحها ونصبهما على المصدر، قال الليث: من قال: أجدك بكسر الجيم فإنه يستحلفه بجدّه و حقيقته

وإذا فتح الجيم استحلفه بجدّه و هو بخته.

4- يلفون: يجمعون.

5- أصور: أميل، يقال: صور يصور صوراً أي مال.

6- أي لو فارقوا من انضم إليهم من طريق الدعارة.

7- يريد بالملحقين: الذين استلحقوهم و الصقوهم بهم من أولاد الزنا.

8- المسعاة: المكرمة و المعلاة في أنواع المجد و الجود. و في «اللسان»: «و العرب تسمى مآثر أهل الشرف و الفضل «مساعي» واحداً لها

مسعاة لسعيهم فيها كأنها مكاسبهم و أعمالهم التي أعنوا فيها أنفسهم».

9- تزهّر: تتلألأ.

فقل في بني زيد كما قال معرب *** قوارير حجّام غدا تتكسّر

فقال يونس للذي أنشده: حسبك حسبك! من هيج هذا الشيطان عليهم؟ قيل: فلان؛ فقال: اربّ سفية قوم قد كسب لقومه شرًا عظيمًا.

ضمن مثلاً في شعره عند عقبة بن سلّم و استحق جائزته:

أخبرني عمي قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني عبد الله بن بشر بن هلال قال حدّثني محمد بن محمد البصريّ قال حدّثني النضر بن طاهر أبو الحجاج قال:

قال بشار: دعاني عقبة بن سلّم و دعا بحمّاد عجرد و أعشى باهلة، فلما اجتمعنا عنده قال لنا: إنه خطر بيالي البارحة مثل يتمثله الناس: «ذهب الحمار يطلب قرنين فجاء بلا-أذنين» فأخرجوه من الشعر، و من أخرجه فله خمسة آلاف درهم، و إن لم تفعلوا جلدتكم كلّكم خمسمائة؛ فقال حمّاد: أجّلنا عزّ الله الأمير شهراً؛ و قال الأعشى:

أجّلنا أسبوعين؛ قال: و بشار ساكت لا يتكلّم؛ فقال له عقبة: مالك [يا(1) أعمى] لا تتكلّم! أعمى الله قلبك! فقال:

أصلح الله الأمير، قد حضرني شيء فإن أمرت قلته؛ فقال قل؛ فقال:

شطّ بسلمى عاجل البين *** و جاورت أسد بني القين

ورّت النفس لها رنة *** كادت لها تنشقّ نصفين

يا ابنة من لا أشتهي ذكره *** أخشى عليه علق الشّين

و الله لو ألقاك لا اتقي *** عينا لقبّلتك ألفين

/طالبتها ديني فراغت به *** و علّقت قلبي مع الدّين

فصرت كالعير غدا طالبا *** قرنا فلم يرجع بأذنين

قال: فانصرف بشار بالجائزة.

قصته مع قوم من قيس عيلان نزلوا بالبصرة ثم ارتحلوا:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثنا عليّ بن مهديّ قال حدّثني عبد الله بن عطية الكوفيّ قال حدّثني عثمان بن عمرو الثقفيّ قال قال أبان بن عبد الحميد اللاحتيّ:

نزل في ظاهر البصرة قوم من أعراب قيس(2) عيلان و كان فيهم بيان و فصاحة، فكان بشار يأتيهم و ينشدهم أشعاره التي يمدح بها قيساً فيجلّونه لذلك و يعظّمونه، و كان نساؤهم يجلسن معه و يتحدّثن إليه و ينشدهنّ أشعاره في الغزل و كنّ يعجبن به، و كنت كثيراً ما آتي ذلك الموضوع فأسمع منه و منهم، فأتيتهم يوماً فإذا هم قد ارتحلوا، فجنّت إلى بشار فقلت له: يا أبا معاذ، أعلمت أنّ القوم قد ارتحلوا؟ قال: لا؛

فقلت: فاعلم؛ قال: قد علمت لا علمت! و مضيت، فلمّا كان بعد ذلك بأيام سمعت الناس ينشدون:

دعا بفراق من تهوى أبان *** ففاض الدّمع واحترق الجنان

ص: 143

1- زيادة في ح.

2- في ح: «قيس بن عيلان» و كلتا الروايتين صحيحة (انظر «اللسان» و «القاموس» و شرحه في مادة عيل).

كأن شرارة وقعت بقلبي *** لها في مقلتي و دمي استنان(1)

إذا أنشدت أو نسمت عليها *** رياح الصَّيف هاج لها دخان

فعلمت أنها لبشار، فأتيته فقلت: يا أبا معاذ، ما ذنبي إليك؟ قال: ذنب غراب البين؛ فقلت: هل ذكرتي بغير هذا؟ قال: لا؛ فقلت: أنشدك الله ألا تزيد؛ فقال: امض لسأنك فقد تركتك.

بشار و جعفر بن سليمان:

ونسخت من كتابه: حدَّثني علي بن مهدي قال حدَّثني يحيى بن سعيد الأيوبي(2) المعزلي قال حدَّثني أحمد بن المعدل عن أبيه قال:

أنشد بشار جعفر بن سليمان:

أقلِّي فإنَّا لاحقون وإنما *** يؤخِّرنا أنا يعدُّ لنا عدًّا

و ما كنت إلا كالأغرِّ ابن جعفر *** رأى المال لا يبقى فأبقى به حمدا

فقال له جعفر بن سليمان: من ابن جعفر؟ قال: الطيار(3) في الجنة؛ فقال: لقد ساميت غير مسامي! فقال:

والله ما يقعدني عن شأوه بعد النسب، لكن قلَّة النسب(4)، وإني لأجود بالقليل وإن لم يكن عندي الكثير، وما على من جاد بما يملك ألا يهب البدور(5)؛ فقال له جعفر: لقد هزرت أبا معاذ، ثم دعا له بكيس فدفعه إليه.

سئل عن ميله للهجاء دون المديح فأجاب:

ونسخت من كتابه: حدَّثني علي بن مهدي قال حدَّثني أحمد بن سعيد الرازي عن سليمان بن سليمان العلوي قال:

قيل لبشار: إنك لكثير الهجاء! فقال: إني وجدت الهجاء المؤلم آخذ بضيع(6) الشاعر من المديح الرائع، ومن أراد من الشعراء أن يكرم في دهر اللثام على المديح فليستعد للفقير وإلا فليبالغ في الهجاء ليخاف فيعطى.

بشار في صباه:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدَّثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال:

كان برد أبو بشار طيانا حاذقا بالتطين، و ولد له بشار و هو أعمى، فكان يقول: /ما رأيت مولودا أعظم بركة منه، و لقد ولد لي و ما عندي درهم فما حال الحول حتى جمعت مائتي درهم. و لم يمت برد حتى قال بشار الشعر.

و كان لبشار أخوان يقال لأحدهما: بشر، و للآخر: بشير، و كانا قصَّابين و كان بشار بارًا بهما، على أنه كان ضيق

1- الاستئان: الجريان بشدة.

2- كذا في ب، س، أ، ء، وفي م: «الأيوزردي» وفي ح: «الأريوزدي».

3- الطيار لقب جعفر بن أبي طالب، و سبب هذا اللقب أنه أخذ الراية في غزوة «موتة» بعد زيد بن حارثة فقاتل حتى قطعت يداه و مات، فأخبر النبي صلى الله عليه و سلم بأنه يطير مع الملائكة في السماء، و كان ابن عمر إذا سلم على عبد الله بن جعفر قال: السلام عليك يا ابن ذي الجناحين. (انظر «البخاري بشرح القسطلاني» ج 6 ص 143 طبع بولاق).

4- كذا في ء، أ، ح وفي باقي النسخ: «النسب» و هو تصحيف.

5- البدور: جمع بكرة و هي كيس فيه ألف أو عشرة آلاف درهم أو سبعة آلاف دينار.

6- الضبع: العضد.

الصدر متبرّما بالناس، فكان يقول: اللهم إني (1) قد تبرّمت بنفسي و بالناس جميعا، اللهم فأرحني منهم. و كان إخوته يستعبرون ثيابه فيوسّخونها و ينتنون ريحها، فاتخذ قميصا له جيبان و حلف ألاّ يعيرهم ثوبا من ثيابه، فكانوا يأخذونها بغير إذنه؛ فإذا دعا بثوبه فلبسه فأنكر رائحته فيقول (2) إذا وجد رائحة كريهة من ثوبه: «أينما أتوجّه ألق سعدا» (3). فإذا أعياه الأمر خرج إلى الناس في تلك الثياب على ننتها و وسخها، فيقال له: ما هذا يا أبا معاذ؟ فيقول: هذه ثمرة صلة الرّحم. قال: و كان يقول الشّعور هو صغير، فإذا هجا قوما جاءوا إلى أبيه فشكوه فيضربه ضربا شديدا، فكانت أمّه تقول: كم تضرب هذا الصبيّ الضرير، أ ما ترحمه! فيقول: بلى و الله إني لأرحمه و لكنه يتعرّض للناس فيشكونه إليّ؛ فسمعه بشّار فطمع فيه فقال له: يا أبت إنّ هذا الذي يشكونه منّي إليك هو قول الشعر، و إني إن ألممت عليه أغنيتك و سائر أهلي، فإن شكوني إليك فقل لهم: أ ليس الله يقول: (لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ) (4). فلما عاودوه شكواه قال لهم برد ما قاله بشّار؛ فانصرفوا و هم يقولون: فقه برد أغيظ لنا من شعر بشّار.

أعطاه فتى مائتي دينار لشعره في مطاولة النساء:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني محمد بن عثمان الكريزيّ قال حدّثني بعض الشعراء قال: أتيت بشّارا الأعمى و بين يديه مائتا دينار (5)، فقال لي: خذ منها ما شئت، أو تدري ما سببها؟ قلت: لا؛ قال: جاءني فتى فقال لي: أنت بشّار؟ فقلت: نعم؛ فقال: إني آليت أن أدفع إليك مائتي دينار و ذلك أني عشقت امرأة فجئت إليها فكلمتها فلم تلتفت إليّ، فهملت أن أتركها فذكرت قولك:

لا يؤيسنك من محبّاة *** قول تغلّظه و إن جرحا

عسر النّساء إلى مياسرة *** و الصّعب يمكن بعد ما جمحا

أفعدت إليها فلازمتها حتى بلغت منها حاجتي.

عاب الأخفش شعره ثم صار بعد ذلك يستشهد به لما بلغه أنه همّ بهجوه:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكرائيّ عن أبي حاتم قال:

كان الأخفش طعن عليّ بشّار في قوله:

فالآن أقصر عن سمّيّة باطلاي *** و أشار بالوجلّي عليّ مشير

و في قوله:

عليّ الغزليّ منّي السّلام فربّما *** لهوت بها في ظلّ مرءومة (6) زهر

ص: 145

- 2- كذا بالأصول و اقتران جواب الشرط الصالح للشرطيّة بالفاء خلاف الأصل (انظر «شرح الأشموني» ج 3 ص 60 طبع بولاق).
- 3- هذا مثل يضرب لمن يلقي سوء المعاشرة في كلّ مكان، وأصله أن الأشموني بن قريع كان سيّد قومه فرأى منهم جفوة فرحل عنهم إلى آخرين فرآهم يصنعون بساداتهم مثل ذلك فقال هذا القول.
- 4- سورة النور آية: 61.
- 5- في ء، أ، م: «مائتا درهم»، و كذا فيما يأتي.
- 6- مرءومة: محبوبة مألوفة.

وفي قوله في صفة سفينة:

تلاعب نينان البحور وربّما *** رأيت نفوس القوم من جريها تجري

وقال: لم يسمع من الوجل والغزل فعلى، و لم أسمع بنون و نينان(1)؛ فبلغ ذلك بشّارا فقال: ويلي على القصّارين(2)! متى كانت الفصاحة في بيوت القصّارين! دعوني وإياه؛ فبلغ ذلك الأخفش فبكى و جزع؛ فقبل له: ما يبكيك؟ فقال: و ما لي لا أبكي/وقد وقعت في لسان بشّار الأعمى! فذهب أصحابه إلى بشّار فكذبوا عنه و استوهبوا منه عرضه و سألوه ألاّ يهجوّه؛ فقال: قد وهبته للؤم عرضه. فكان الأخفش بعد ذلك يحتجّ بشعره في كتبه ليبلغه؛ فكفّ عن ذكره بعد هذا.

قال: و قال غير أبي حاتم: إنّما بلغه أنّ سبويه عاب هذه الأحرف(3) عليه لا الأخفش، فقال يهجوّه:

أ سبويه يا ابن الفارسيّة ما الذي *** تحدّثت عن شتمي و ما كنت تنبذ

أظلت تغنّي سادرا(4) في مساءتي *** و أمك بالمصريين تعطي و تأخذ

قال: فتوقّاه سبويه بعد ذلك، و كان إذا سئل عن شيء فأجاب عنه و وجد له شاهدا من شعر بشّار احتجّ به استكفافا لشّره.

ذمّ بني سدوس باستعانة بني عقيل:

أخبرني محمد بن عمران الصّيرفيّ قال حدّثني الحسن بن عليل العنزيّ قال حدّثني أحمد بن عليّ بن سويد بن منجوف قال:

كان بشّار مجاورا لبني عقيل و بني سدوس في منزل الحيين، فكانوا لا يزالون يتفاخرون، فاستعانت عقيل ببشّار و قالوا: له: يا أبا معاذ، نحن أهلك و أنت ابننا و ربيت في حجورنا فأعنا؛ فخرج عليهم و هم يتفاخرون، فجلس ثم أنشد:

كأنّ بني سدوس رهط ثور *** خنافس تحت منكسر الجدار

تحركّ للفخار زبانيها(5) *** و فخر الخنفساء من الصّغار

فوثب بنو سدوس إليه فقالوا: ما لنا و لك يا هذا! نعوذ بالله من شرك! فقال: هذا دأبكم إن عاودتم مفاخرة بني عقيل؛ فلم يعاودوها.

/أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني محمد بن إسماعيل عن محمد بن سلام قال: قال يونس النحويّ: العجب من الأزديّ يدعو هذا العبد ينسب بنسائهم و يهجو رجالهم - يعني بشّارا - و يقول:

ص: 146

1- ورد هذا الجمع في كتب اللغة، فقد جاء في «لسان العرب» و «القاموس» و غيرهما في مادة «نون»: النون: الحوت و الجمع أنوان و نينان.

2- القصّار: من يحوّر الثياب و يدقها.

3- الأحرف: الكلمات.

- 4- السادر: المتحير، والذي يتكلم غير مثبت في كلامه، وقيل: هو اللاهي الذي لا يهتم لشيء ولا يبالي ما صنع.
- 5- كذا في ح، أ، م: تثنية زباني، وزبانيا العقرب: قرناها. وفي ب، س: «زبانتيها» وهو تصحيف.

ألا يا صنم الأزد ال *** ذي يدعونه ربّا

ألا يبعثون إليه من يفتق بطنه!.

ذم أناسا كانوا مع ابن أخيه:

أخبرني الحسن قال حدّثني ابن مهرويه عن أحمد(1) بن إسماعيل عن محمد بن سلام قال:

مرّ ابن أخ لبشار ببشار و معه قوم: فقال لرجل معه و سمع/كلامه: من هذا؟ فقال: ابن أخيك؛ قال: أشهد أنّ أصحابه سفلة؛ قال: و كيف علمت؟ قال: ليس عليهم نعال.

سمع شعره من مغنية فطرب و قال: هذا أحسن من سورة الحشر:

أخبرني الحسن قال حدّثنا محمد بن القاسم قال حدّثني الفضل بن يعقوب قال:

كنّا عند جارية لبعض التجار بالكرخ تغنّينا، و بشار عندنا، فغنّت في قوله:

إنّ الخليفة قد أبى *** و إذا أبى شيئا أبيته

و مخصّب رخص البنا *** ن بكى عليّ و ما بكيته

يا منظرًا حسنا رأي *** ت(2) بوجه جارية فديته

بعثت إليّ تسومني *** ثوب الشّباب و قد طويته

فطرب بشار و قال: هذا و الله يا أبا عبد الله أحسن من سورة الحشر!. و قد روى هذه الكلمة عن بشار غير من ذكرته فقال عنه: إنه قال: هي و الله أحسن من سورة الحشر. الغناء في هذه الأبيات. و تمام الشعر:

/

و أنا المطلّ على العدا *** و إذا غلا الحمد اشتريته

و أميل في أنس التّدي *** م من الحياء و ما اشتهيته

و يشوقني بيت الحبي *** ب إذا غدوت و أين بيته

حال الخليفة دونه *** فصبرت عنه و ما قليته

و أنشدني أبو دلف هاشم بن محمد الخزاعيّ هذه الأبيات و أخبرني أنّ الجاحظ أخبره أنّ المهديّ نهى بشارا عن الغزل و أن يقول شيئا من النسيب، فقال هذه الأبيات. قال: و كان الخليل بن أحمد ينشدها و يستحسنها و يعجب بها.

سألته ابنته لما ذا يعرفه الناس و لا يعرفهم فأجابها:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا دماذ أبو غسان عن محمد بن الحجّاج قال:

ص: 147

1- ورد هذا الاسم هنا «أحمد» و فيما تقدّم بنحو خمسة أسطر «محمد» باتفاق الأصول في الموضوعين مع اتحاد السند و لم نهتد إلى معرفة ما هو الصواب.

2- سيرد هذا البيت مرة أخرى في ترجمة بشار مصرعا هكذا: يا منظرا حسنا رأيت من وجهه جارية فديته و التصريح تقفية المصراع الأوّل.

قالت بنت بشار لبشار: يا أبت، مالك يعرفك الناس ولا تعرفهم؟ قال: كذلك الأمير يا بنيّة.

سب عبد الله بن مسور أبا النضير فدافع عنه بشار:

أخبرني عبد الله بن محمد الرازيّ قال حدّثنا أحمد بن الحارث الخراز عن المدائنيّ قال:

قال عبد الله بن مسور الباهليّ يوما لأبي النضير، وقد تحاورا في شيء: يا ابن اللّخناء، أتكلّمني ولو اشتريت عبدا بمائتي درهم وأعتقته لكان خيرا منك! فقال له أبو النضير: والله لو كنت ولد زنا لكنت خيرا من باهلة كلّها؛ فغضب الباهليّ؛ فقال له بشار: أنت منذ ساعة تزني (1) أمّا ولا يغضب، فلما كلّمك كلمة واحدة لحقك هذا كلّ! فقال له: وأمّه مثل أمّي يا أبا معاذ! فضحك، ثم قال: والله لو كانت أمك أمّ الكتاب ما كان بينكما من المصارمة هذا كلّ!

طلب من يزيد بن يزيد أن يدخله على المهدي فسوّفه فهجاه:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ بن يحيى: حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني سعيد بن عبيد الخزاعيّ قال:

ورد بشار بغداد فقصّد يزيد بن يزيد، وسأله أن يذكره للمهديّ، فسوّفه أشهرا؛ ثم ورد روح (2) بن حاتم فبلغه خبر بشار، فذكره للمهديّ من غير أن يلقاه، وأمر بإحضاره فدخل إلى المهديّ وأنشده شعرا مدحه به، فوصله بعشرة آلاف درهم وهب له عبدا وقينة وكساه كسا كثيرة؛ وكان يحضر قيساً مرّة، فقال بشار يهجو يزيد بن يزيد:

ولمّا التقينا بالجنينة (3) غرّني *** بمعروفه حتى خرجت أفوق (4)

/غرّني: أو جرنني (5) كما يعرّ الصبيّ أو يوجر اللبن.

حباني بعبد قعسريّ (6) وقينة *** وشي وآلاف لهنّ بريق

فقل ليزيد يلعص (7) الشهد خاليا *** لنا دونه عند الخليفة سوق

رقدت فم يا بن الخبيثة إنها *** مكارم لا يستطيعهنّ لصيق

أبي لك عرق من فلانة أن ترى *** جوادا ورأس حين (8) شبت حليق

قصيدته التي مدح بها إبراهيم بن عبد الله فلما قتل جعلها للمنصور:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرّياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال: كان بشار كتب إلى إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بقصيدة يمدحه بها ويحرّضه ويشير عليه، فلم تصل إليه حتى قتل، وخاف بشار أن تشتهر فقلّبها

- 2- كل من سمي بروح فهو بفتح الراء إلا روح بن القاسم فإنه بالضم (انظر «شرح القاموس» في مادة روح في «المستدرک»).
- 3- كذا في ء، م وهو اسم موضع كما في ياقوت. وفي ب، س: «الخببية» وهو تحريف.
- 4- فاق الرجل فثوقا و فواقا: الفواق - ويسمى عند العامة بالزغطة -: ما يأخذ الإنسان من تشنج الحجاب الحاجز تشنجا فجائيا ويصدر من امتلاء المعدة بالطعام؛ وهو هنا كناية عما أثقله به من العطاء.
- 5- أوجره اللبن ونحوه: جعله في فيه.
- 6- القعسريّ: الصلب الشديد.
- 7- يلعص: يلعق.
- 8- في الأصول: «حيث».

و جعل التحريض فيها على أبي مسلم والمدح والمشورة لأبي جعفر المنصور، فقال:

أبا مسلم ما طيب عيش بدائم *** ولا سالم عما قليل بسالم

أو إنما كان قال: «أبا جعفر ما طيب عيش» فغيّره وقال فيها:

إذا بلغ الرأي النصيحة فاستعن *** بعزم نصيح أو بتأييد حازم

و لا نجعل السُّورى عليك غضاضة *** مكان الخوافي نافع للقوادم

و خلّ الهوينى للضعيف و لا تكن *** نئوما فإنّ الحزم ليس بنائم

و ما خير كفّ أمسك الغلّ أختها *** و ما خير سيف لم يؤيد بقائم

و حارب إذا لم تعط إلا ظلامه *** شبا الحرب خير من قبول المظالم

و أدن على القربى المقرب نفسه *** و لا تشهد السُّورى امرأ غير كاتم

فإنك لا تستطرد الهَمّ بالمنى *** و لا تبلغ العليا بغير المكارم

إذا كنت فردا هرك(1) القوم مقبلا *** وإن كنت أدنى لم تفز بالعزائم

و ما قرع الأقوام مثل مسيع(2) *** أريب و لا جلّى العمى مثل عالم

قال الأصمعيّ: فقلت لبشار: إني رأيت رجال الرأي يتعجبون من أبياتك في المشورة؛ فقال: أ ما علمت أنّ المشاورين إحدى الحسينين: بين صواب يفوز بثمرته أو خطأ يشارك في مكروهه؛ فقلت: أنت والله أشعر في هذا الكلام منك في الشعر.

اعترض عليه رجل لوصفه جسمه بالنحول و هو سمين:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثني عليّ بن الصبّاح عن بعض الكوفيين قال:

مررت ببشار و هو متبطّح(3) في دهليزه كأنه جاموس، فقلت له: يا أبا معاذ، من القائل:

/

في حلّتي جسم فتى ناحل *** لو هبّت الريح به طاحا

قال: أنا؛ قلت: فما حملك على هذا الكذب؟ والله إني لأرى أن لو بعث الله الرياح التي أهلك بها الأمم الخالية ما حرّكتك من موضعك! فقال بشار: من أين أنت؟ قلت: من أهل الكوفة؛ فقال: يا أهل الكوفة لا تدعون ثقلكم ومقتكم على كل حال!.

نسخت من كتاب هارون بن عليّ: قال حدّثني عافية بن شبيب قال:

قدم كرديّ بن عامر المسمعيّ من مكة، فلم يهد لبشار شيئا و كان صديقه؛ فكتب إليه:

ص: 149

-
- 1- يقال: فلان هره الناس إذا كرهوا ناحيته، قال الأعشى: أرى الناس هروني و شهّر مدخلي ففي كل ممشى أرصد الناس عقربا
 - 2- المشيع: الشجاع، كأنه قد شيع قلبه بما يركب من الأهوال، أو بقوة قلبه.
 - 3- متبطح: ممتدّ على وجه الأرض بوجهه.

ما أنت يا كرديّ بالهشّ *** ولا أبريك من الغشّ

لم تهدنا (1) نعلا ولا خاتما *** من أين أقبلت؟ من الحشّ! (2)

فأهدى إليه هديّة حسنة و جاءه فقال: عجلت يا أبا معاذ علينا، فأشذك الله ألاّ تزيد شيئا على ما مضى.

أخبر أنه غنى بشعر له فطرب:

و نسخت من كتابه عن عافية بن شبيب أيضا قال حدّثني صديق لي قال:

قلت لبشار: كئنا أمس في عرس فكان أول صوت غنّى به المغنّي:

هوى صاحبي ريح الشمال إذا جرت *** و أشفى لنفسي أن تهبّ جنوب

و ما ذاك إلاّ أنها حين تنتهي *** تناهى و فيها من عبيدة طيب

فطرب و قال: هذا (3) و الله أحسن من فلج (4) يوم القيامة.

مدح المهدي فلم يجزه:

أخبرنا يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبي عن عافية بن شبيب عن أبي جعفر الأسديّ قال:

/مدح بشار المهديّ فلم يعطه شيئا؛ فقليل له: لم يستجد شعرك؛ فقال: و الله لقد قلت شعرا لوقيل في الدهر لم يخش صرفه على أحد، و

لكئنا نكذب في القول فنكذب (5) في الأمل.

هجا روح بن حاتم فحلف ليضربنه ثم بزّ في يمينه فضر به بعرض السيف:

أخبرني عمّي قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني يحيى بن خليفة الدارميّ عن نصر بن عبد الرحمن العجليّ قال:

هجا بشار روح بن حاتم؛ فبلغه ذلك فقفذه و تهدّده؛ فلما بلغ ذلك بشارا قال فيه:

تهدّدني أبو خلف *** و عن أوتاره ناما

بسيف لأبي صفر *** لا يقطع إبهاما

كأنّ الورس يعلوه *** إذا ما صدره قاما

- قال ابن أبي سعد: و من الناس من يروي هذين البيتين لعمر و الظالمي - قال: فبلغ ذلك روحا فقال: كلّ مالي صدقة إن وقعت عيني عليه

لأضربنه ضربة بالسيف و لو أنه بين يدي الخليفة! فبلغ ذلك بشارا فقام من فوره حتى دخل على المهديّ؛ فقال له: ما جاء بك في هذا

-
- 1- الوارد في كتب اللغة: أهدى له كذا وأهدي إليه، فما هاهنا قد حذف منه الجار وصل الفعل بالمفعول.
 - 2- الحش (بتثني الحاء): البستان و موضع قضاء الحاجة لأنهم كانوا يقضون حاجاتهم في البساتين.
 - 3- كذا في ح، وفي باقي الأصول: «هو والله».
 - 4- الفلج (بالضم): الفوز والظفر.
 - 5- في ب، س، ح: «فيكذب» بالياء بدل النون.

وجّه إلى روح من يحضره الساعة؛ فأرسل إليه في الهاجرة، وكان ينزل المخرم (1)، فظنّ هو وأهله أنه دعي لولاية.

قال: يا روح، إني بعثت إليك في حاجة؛ فقال له: أنا عبدك يا أمير المؤمنين فقل ما شئت سوى بشار فإني حلفت في أمره/بيمين غموس (2)؛ قال: قد علمت وإياه أردت؛ قال له: فاحتل ليميني يا أمير المؤمنين؛ فأحضر القضاة والفقهاء فاتفقوا على أن يضربه ضربة على جسمه بعرض السيف، وكان بشار وراء الخيش (3)، فأخرج وأقعد واستلّ روح سيفه فضربه ضربة بعرضه؛ فقال: أوّه باسم الله! فضحك المهديّ و قال له: ويلك! هذا وإنما ضربك بعرضه وكيف لو ضربك بحدّه!

مدح سليمان بن هشام:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثنا أبو عبيدة قال:

مدح بشار سليمان بن هشام بن عبد الملك وكان مقيما بحرّان و خرج إليه فأنشده قوله فيه:

نأتك على طول التجاور زينب *** و ما شعرت أن التوى سوف تشعب (4)

يرى الناس ما تلقى بزيب إذا نأت *** عجيبا و ما تخفي بزيب أعجب

أو قائلة لي حين جدّ رحيلنا *** و أجفان عينيها تجود و تسكب

أغاد إلى حرّان في غير شيعة *** و ذلك شأو عن هواها مغرّب (5)

فقلت لها كلّفنتي طلب الغنى *** و ليس وراء ابن الخليفة مذهب

سيكفي فتى من سعيه حدّ سيفه *** و كور علافيّ و وجناء ذعلب (6)

إذا استوغرت دار (7) عليه رمى بها *** بنات الصوى (8) منها ركوب (9) و مصعب

فعدّي إلى يوم ارتحلت و سائلي *** بزورك و الرّحال من جاء يضرب

لعلك أن تستيقني (10) أن زورتي *** سليمان من سير الهواجر تعقب

ص: 151

1- المخرم (بضم الميم وفتح الخاء و كسر الراء المشدّدة): محلة كانت ببغداد بين الرصافة و نهر المعلى و فيها كانت الدار التي يسكنها السلاطين البويهية و السلجوقية، خربها في سنة 587 هـ الإمام الناصر لدين الله أبو العباس أحمد.

2- كذا في ح، و في باقي الأصول: «حلفت يمين غموس» و اليمين الغموس: التي لا استثناء فيها.

3- الخيش: مراوح تعمل من نسج خشن من الكتان كشراع السفينة تعلق في سقف البيت و يعمل لها حبل تجرّ به و هي مبلولة بالماء فإذا أراد الرحل أن ينام جذب حبلها فيهب منها نسيم بارد يذهب أذى الحرّ، فلعل بشارا كان مختفيا وراء إحداها و هي مدلاة.

4- كذا في ح، و هو الصواب لأن النوى مؤنثة، و في باقي الأصول: «يشعب» بالياء المثناة.

5- مغرّب (بكسر الراء وفتحها): بعيد.

6- الكور: الرحل. والعلافيّ: نسبة إلى علاف (وزان كتاب) ابن طوار لأنه أول من عملها. ووجناء: عظيمة الوجنتين أو صلبة قوية شبهت بالوجين وهو الصعب من الأرض. وذعلب (وزان زبرج): سريعة.

7- يقال: وغرت الهاجرة تغر وغرا من باب ضرب إذا رمضت واشتدّ حرّها، فمعنى استوغرت حميت واثقت غيظا، والمراد أنها ضاقت به. ولم ترد هذه الصيغة من هذه المادة في كتب اللغة التي بين أيدينا. وجاء في أقرب الموارد: «المستوغر: لقب عمرو بن ربيعة بن كعب، قلت وهذا دليل على وجود (استوغر) وإن لم يذكره».

8- الصوى: جمع صوّة، وهي حجارة مجموعة تجعل علما يهتدي بها في المفازة، وبناتها: صغارها.

9- الركوب: المذلل بالركوب، والمصعب: ما لم يركب ولم يمس من الإبل.

10- الأصول مضطربة في رسم هذه الكلمة، وتكاد تجمع على «تستبعني» مع اختلاف في إعجام بعض الحروف.

أغرّ هشاميّ القنّاة إذا انتمى *** نمته بدور ليس فيهنّ كوكب
و ما قصدت يوما مخيلين (1) خيله *** فتصرف إلاّ عن دماء تصبّب

استقل عطاء سليمان فقال شعرا:

فوصله سليمان بخمسة آلاف درهم و كان يبيّخ، فلم يرضها و انصرف عنه مغضبا فقال:

إن أمس منقبض اليدين عن الندى *** و عن العدو مخيس (2) الشيطان

فلقد أروح عن اللثام مسلّطا *** تلج المقييل (3) منعم النّدمان

في ظلّ عيش عشيرة محمودة *** تندى يدي و يخاف فرط لساني

أزمان جنّي الشباب مطاوع *** و إذ الأمير عليّ من حرّان

ريم بأحوية (4) العراق إذا بدا *** برقت عليه أكلة (5) المرجان

/فاكل بعبدة مقلتيك من القذى *** و بوشك رؤيتها من الهملان

فلقرب من تهوى و أنت متيمّ *** أشفى لدانك من بني مروان

فلما رجع إلى العراق برّه ابن هبيرة و وصله، و كان يعظّم بشارا و يقدمه، لمدحه قيسا و افتخاره بهم، فلما جاءت دولة أهل خراسان عظم شأنه.

مدح المهديّ بشعر فيه تشييب حسن فنهاه عن التشييب:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال:

قدم بشار الأعمى على المهديّ بالرّصافة فدخل عليه في البستان فأنشده مديحا فيه تشييب حسن، فنهاه عن التشييب لغيره شديدة كانت فيه، فأنشده مديحا فيه، يقول فيه:

كأنما جنّته أبشره *** و لم أجيء راغبا و محتلبا

يزيّن المنبر الأشمّ بعط *** فيه و أقواله إذا خطبا

تشمّ نعلاه في الندى كما *** يشمّ ماء الرّيحان منتها (6)

فأعطاه خمسة آلاف درهم و كساه و حمّله على بغل و جعل له وفادة في كلّ سنة و نهاه عن التشييب البتّة، فقدم عليه في السنة الثالثة فدخل عليه فأنشده:

-
- 1- كذا بالأصول ولم نعثر له على معنى مناسب.
 - 2- مخيس: مذلل.
 - 3- ثلج المقييل: بارده.
 - 4- أحوية: جمع حواء، و الحواء (بالكسر): جماعة البيوت المتدانية.
 - 5- أكلّة: جمع إكليل، و الإكليل: التاج و شبه عصابة تزيّن بالجواهر.
 - 6- منتهب: مأخوذ و مباح لمن شاء.
 - 7- تجاللت: ترفعت.

وقالت سليمان فيك عتًا جلادة(1) *** محلّك دان و الزيارة عن عفر(2)

أخي في الهوى ما لي أراك جفوتنا *** وقد كنت تقفونا على العسر واليسر

تثاقلت إلا عن يد أستفيدها *** وزورة أملاك أشدّ بها أزي

أو أخرجني من وزر خمسين حجّة *** فتى هاشميّ يقشعر من الوزر

دفنت الهوى حيّا فلست بزائر *** سليمان ولا صفراء ما قرقر(3) القمري

و مصفرة بالزعفران جلودها *** إذا اجتليت مثل المفرطحة الصّفر(4)

فربّ تقال الرّدف هبّت تلومني *** ولو شهدت قبري لصلّت على قبري

تركت لمهديّ الأنام وصالها *** وراعت عهدا بيننا ليس بالخر(5)

و لو لا أمير المؤمنين محمد *** لقبّلت فاها أو لكان بها فطري

لعمرى لقد أوقرت نفسي خطيئة *** فما أنا بالمزداد وقرا على وقر

في قصيدة طويلة امتدحه بها، فأعطاه ما كان يعطيه قبل ذلك و لم يزد شيئا.

توفي ابن له فجزع عليه و تمثل بقول جرير:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا عيسى بن إسماعيل العتكيّ عن محمد بن سلام عن بعض أصحابه قال:

حضرنا جنازة ابن لبّشار توفي، فجزع عليه جزعا شديدا، و جعلنا نعرّيه و نسلّيه فما يغني ذلك شيئا، ثم التفت إلينا وقال: لله درّ جرير حيث يقول و قد عزّي بسواده ابنه:

قالوا نصيبك من أجر فقلت لهم *** كيف العزاء و قد فارقت أشبالي

ودّعنتي حين كفّ الدهر من بصري *** و حين صرت كعظم الرّمة البالي

أودى سواده يجلو مقلتي لحم(6) *** باز يصرصر فوق المرأ(7) العالي

إلا تكن لك بالديرين(8) نائحة *** فربّ نائحة بالرّمّل معوال

ص: 153

- 2- العفر: الحين و طول العهد أو الشهر أو البعد أو قلة الزيارة، و بكل من هذه المعاني فسر قولهم فلان ما يأتينا إلا عن عفر (انظر «القاموس» و «شرح» للمرتضى في مادة عفر).
- 3- قرقر: صوت و ردّد صوته.
- 4- يريد بها الدنانير.
- 5- الختر: شبيه بالصدر و الخديعة، و قيل: هو أسوأ الصدر و أقبحه.
- 6- لحم: صفة لباز مقدّمة عليه، يقال: «باز لحم» أي يأكل اللحم أو يشتهيّه، و كذلك «لاحم».
- 7- المرأب: مكان البازي الذي يقف فيه، و يروي «المرقب» و هو بمعناه.
- 8- لم تقف على الموضوع الذي يعنيه جرير بالديرين هنا، و لكن شراح قوله: لما تذكرت بالديرين أرقني صوت الدجاج و ضرب بالنواقيس يقولون: أراد دير الوليد بالشام، و قد ذكره ياقوت في «معجمه» و قال: لا أدري أين هو.

استشده صديق له شيئاً من غزله فاعتذر بنهي المهديّ له عنه:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني خلاد الأرقط قال:

لما أنشد المهديّ قول بشار:

لا يؤسّتك من مخبأة *** قول تغلّظه وإن جرحا

عسر النساء إلى مياسرة *** والصعب يمكن بعد ما جمحا

فنهاه (1) المهديّ عن قوله مثل هذا، ثم حضر مجلساً لصديق له يقال له عمرو بن سمّان، فقال له: أنشدنا يا أبا معاذ شيئاً من غزلك، فأنشأ يقول:

وقائل هات شوّقنا فقلت له *** أنائم أنت يا عمرو بن سمّان

أما سمعت بما قد شاع في مضر *** وفي الحليّفين من نجر (2) وقحطان

قال الخليفة لا تنسب بجارية *** إياك إياك أن تشقى بعصيان

صدق ظنه في تقدير جوائز الشعر:

أخبرني عيسى بن الحسين الورّاق قال حدّثنا سليمان بن أيوب المدائنيّ قال:

قال مروان بن أبي حفصة: قدمت البصرة فأنشدت بشاراً قصيدة لي واستنصحتني فيها؛ فقال لي: ما أجودها! تقدم بغداد فتعطي عليها عشرة آلاف درهم؛ فجزعت من ذلك وقلت: قتلتني! فقال: هو ما أقول لك؛ و قدمت بغداد فأعطيت عليها عشرة آلاف درهم؛ ثم قدمت عليه قدمة أخرى فأنشدته قصيدتي:

طرتك زائرة فحيّ خيالها

فقال: تعطي عليها مائة ألف درهم؛ فقدمت فأعطيت مائة ألف درهم، فعدت إلى البصرة فأخبرته بحالي في المرّتين، / وقلت له: ما رأيت أعجب من حدسك (3)! فقال: / يا بنيّ، أما علمت أنه لم يبق أحد أعلم بالغيب من عمّك! أخبرنا بهذا الخبر محمد بن يحيى الصّوليّ قال: حدّثنا يزيد بن محمد المهلبيّ عن محمد بن عبد الله بن أبي عيينة عن مروان أنه قدم على بشار فأنشده قوله:

طرتك زائرة فحيّ خيالها

فقال له: يعطونك عليها عشرة آلاف درهم، ثم قدم عليه فأنشده قوله:

أتى يكون وليس ذاك بكائن *** لبني البنات وراثته الأعمام

فقال: يعطونك عليها مائة ألف درهم، و ذكر باقي الخبر مثل الذي قبله.

- 1- كذا في الأصول، والمعروف أن الفاء لا تقع في جواب «لما».
- 2- كذا في ب، س. وفي ح: «بحر» وفي باقي الأصول «نحر» ولم نعثر على هذه الكلمات في أسماء القبائل وإنما قال الجوهري: نجر: علم أرضي مكة والمدينة وقد ورد في كتاب «مهذب الأغاني» ج 4 ص 273 «من بكر وقحطان».
- 3- الحدس: الظن والتخمين، وفي الأصول: «من حديثك» فلعلها محرّفة عنها.

امتنح في صلاته فوجد لا يصلي:

أخبرني عيسى قال حدّثنا سليمان قال:

قال بعض أصحاب بشار: كنا نكون عنده فإذا حضرت الصلاة قمنا إليها و نجعل على ثيابه ترابا حتى ننظر هل يقوم يصلي، فنعود و التراب بحاله و ما صلي.

جعل الحب قاضيا بين المحبين بأمر المهدي:

أخبرني عيسى قال حدّثنا سليمان قال:

قال أبو عمرو: بعث المهدي إلى بشار فقال له: قل في الحب شعرا و لا تطل و اجعل الحب قاضيا بين المحبين و لا تسمّ أحدا؛ فقال:

اجعل الحب بين حبي و بيني *** قاضيا إني به اليوم راضي

فاجتمعنا فقلت يا حبّ نفسي *** إن عيني قليلة الإغماض

أنت عذبتني و أنحلت جسمي *** فارحم اليوم دائم الأمراض

قال لي لا يحلّ حكمي عليها *** أنت أولى بالسقم و الإحراض (1)

قلت لمّا أجابني بهواها *** شمل الجور في الهوى كلّ قاضي

فبعث إليه المهدي: حكمت علينا و وافقنا ذلك، فأمر له بألف دينار.

نسب إليه بعضهم أنه أخذ معنى في شعره من أشعب فردّ عليه:

أخبرني عيسى قال حدّثني سليمان المدنيّ قال حدّثني الفضل بن إسحاق الهاشمي قال:

أنشد بشار قوله:

يروّعه السّرار (2) بكلّ أرض *** مخافة أن يكون به السّرار

فقال له رجل: أظنك أخذت هذا من قول أشعب: ما رأيت اثنين يتساوّان إلا ظننت أنهما يأمران لي بشيء؛ فقال: إن كنت أخذت هذا من قول أشعب فإنك أخذت ثقل الرّوح و المقت من الناس جميعا فانفردت به دونهم، ثم قام فدخل و تركنا. و أخذ أبو نواس هذا المعنى بعينه من بشار فقال فيه:

تركنتي الوشاة نصب المسرّي *** ن و أحوثة بكلّ مكان

ما أرى خالين في السرّ إلا *** قلت ما يخلوان إلا لشاني

-
- 1- كذا في أ، ع. م. و الإحراض: إدناف الحب، و منه قول العرجي: إني امرؤ ليجّ بي حب فأحرضني حتى بليت و حتى شفني السقم و في سائر النسخ: «الأمراض» و هو تحريف.
- 2- السرار: المساواة و هي الكلام في خفية.

استشهد هجوه في حماد عجرد و عمرو الظالمي فأنشد:

أخبرني عمي (1) قال حدثني سليمان قال قال لي أبو عدنان حدثني سعيد - جليس كان لأبي زيد - قال:

أتاني أعشى سليم وأبو حنش فقالا لي: انطلق معنا إلى بشار فتسأله أن ينشدك شيئا من هجائه في حماد عجرد أو في عمرو الظالمي فإنه إن عرفنا لم ينشدنا، فمضيت معهما حتى دخلت على بشار فاستنشدته فأنشد قصيدة له على الدال فجعل يخرج من واد في الهجاء إلى واد آخر وهما يستمعان وبشار لا يعرفهما، فلما خرجا قال أحدهما للآخر: أما تعجب مما جاء به هذا الأعمى؟ فقال أبو حنش: أمّا أنا فلا أعرض - والله - والديّ له أبدا؛ وكانا قد جاء يزورانه، وأحسبهما أرادا أن يتعرضا لمهاجاته.

مدح واصلا قبل أن يدين بالرجعة:

أخبرني/هاشم بن محمد الخزاعي عن الجاحظ قال:

كان بشار صديقا لأبي حذيفة واصل بن عطاء قبل أن يدين بالرجعة (2) ويكفر الأمة، وكان قد مدح واصلا وذكر خطبته التي خطبها فنزع منها كلّها الرأء وكانت على البديهة، وهي أطول من خطبتي خالد بن صفوان وشيب بن شيبه (3)، فقال:

تكلّفوا (4) القول والأقوام قد حفلوا *** وحبّروا خطبا ناهيك من خطب

فقام مرتجلا تغلي (5) بداهته *** كمرجل القين لّمّا حفّ باللّهب

وجانب الرأء لم يشعر به أحد *** قبل التصفّح والإغراق (6) في الطلب

قال: فلمّا دان بالرجعة زعم أن الناس كلّهم كفروا بعد رسول الله صلّى الله عليه وسلّم؛ فقيل له: وعليّ بن أبي طالب؟ فقال:

وما شرّ الثلاثة أمّ عمرو *** بصاحبك الذي لا تصبحينا (7)

قال: ما كان الكميّ شاعرا:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدثنا عيسى بن إسماعيل تينة قال قال لي محمد بن الحجّاج:

قال بشار: ما كان الكميّ شاعرا؛ فقيل له: وكيف وهو الذي يقول!

أنصف امرئ من نصف حيّ يسبني *** لعمرى لقد لاقيت خطبا من الخطب

ص: 156

1- كذا في أكثر النسخ، وفي ح: «عيسى». وقد وردت الأخبار الثلاثة قبل هذا الخبر برواية عيسى عن سليمان.

2- انظر الحاشية رقم 5 ص 145 من هذا الجزء.

3- كذا في أ، ح، ع: وهو الصواب. وشيب بن شيبه هو أبو معمر البصريّ أحد الفصحاء البلغاء والإخباريين. وفي باقي النسخ: «شبة».

- 4- كذا في «البيان والتبيين» للجاحظ، (ج 1 ص 14 طبع مصر) وهو الذي يقتضيه المقام، وفي الأصول: «تكلف».
- 5- كذا في ح وهو الملائم لسياق الكلام. وفي باقي النسخ: «تلفى» بالفاء.
- 6- كذا في ح، وفي باقي النسخ: «التفصح» بتقديم الفاء على الصاد وهو تحريف.
- 7- في أ، ع، ح، ب: «لا تصحينا» وهو تحريف، و تصحينا: تسقينا الصبوح، وهو الشراب أول النهار. وهذا البيت لعمر بن كلثوم من معلقته المشهورة التي يقول في مطلعها: ألا هبّي بصحتك فاصبحينا ولا تبقي خمور الأندرينا

هنيئاً لكلب أن كلبا يسبني *** وأني لم أردد جوابا على كلب

فقال بشار: لا بل (1) شائك، أترى رجلا لو ضرط ثلاثين سنة لم يستحل من ضرطه ضرطة واحدة!

تمثل سفيان بن عيينة بشعر له:

نسخت من كتاب هارون بن علي بن يحيى: حدّثني علي بن مهدي قال حدّثني حجّاج المعلم قال سمعت سفيان بن عيينة يقول:

عهدي بأصحاب الحديث وهم أحسن الناس أدبا ثم صاروا الآن أسوأ الناس أدبا، وصبرنا عليهم حتى أشبهناهم (2)، فصرنا كما قال الشاعر:

وما أنا إلا كالزمان إذا صحا *** صحوت وإن ماق (3) الزمان أموق

و بخ من سأله عن منزل ففهمه و لم يفهم:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال:

كنا مع بشار فأتاه رجل فسأله عن منزل رجل ذكره له، فجعل يفهمه ولا يفهم، فأخذ بيده وقام يقوده (4) إلى منزل الرجل وهو يقول:

أعمى يقود بصيرا لا أبا لكم *** قد ضلّ من كانت العميان تهديه

حتى صار به إلى منزل الرجل، ثم قال له: هذا هو منزله يا أعمى.

أنشده عطاء المملط شعرا فاستحسنه و أنشده شعرا على رويه:

إشارة

أخبرني عمي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال:

زعم أبو دعامة أن عطاء المملط (5) أخبره أنه أتى بشارا فقال له: يا أبا معاذ، أنشدك شعرا حسنا؟ فقال: ما أسرتني بذلك، فأنشده:

أعاذلتي اليوم ويلكما مهلا *** فما جزعاً م الآن أبكي ولا جهلا

فلما فرغ منها قال له بشار: أحسنت (6)، ثم أنشده على رويها ووزنها:

لقد كاد ما أخفي من الوجد والهوى *** يكون جوى بين الجوانح أو خبلا

صوت

-
- 1- لا بل: لا برا. ويجوز بلّ بالبناء للمفعول أيضا بمعنى لا سقي ولا مطر.
 - 2- في جميع الأصول: «استهناهم» و ظاهر فيها التحريف.
 - 3- ماق يموق موقا: حمق في غباوة.
 - 4- في جميع الأصول: «يقومه». و التصحيح للأستاذ الشيخ الشنقيطي مما كتبه بخطه على نسخته طبع بولاق.
 - 5- في أ، م، ع: «عطاء الملك».
 - 6- في الأصول: «أحسن» بدون تاء الخطاب.

فلا يحسب البيض الأوانس أن في *** فؤادي سوى سعدى لغانية فضلا

فأقسم إن كان الهوى غير بالغ *** بي القتل من سعدى لقد جاوز القتلا

فيا صاح خبرني الذي أنت صانع *** بقاتلتي ظلما و ما طلبت ذحلا(1)

سوى أتني في الحب بيني وبينها *** شددت على أكظام(2) سر لها قفلا

- و ذكر أحمد بن المكي أن لإسحاق في هذه الأبيات ثقيلًا أول بالوسطى - فاستحسنت القصيدة و قلت: يا أبا معاذ، قد و الله أجدت و بالغت، فلو تفضلت بأن تعيدها! فأعادها على خلاف ما أنشدنيها في المرة الأولى، فتوهمت أنه قالها في تلك الساعة.

حاوره أحمد بن خالد في ميله إلى الإلحاد:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني أحمد بن خالد(3) قال حدّثني أبي قال:

كنت أكلّم بشّارا و أردّ عليه سوء مذهبه بميله إلى الإلحاد، فكان يقول: لا أعرف إلا ما عاينته أو عاينت مثله؛ و كان الكلام يطول بيننا، فقال لي: ما أظنّ الأمر يا أبا خالد(4) إلا كما تقول، و أن الذي نحن فيه خذلان، و لذلك أقول:

طبعت على ما في غير مخير *** هواي و لو خيرت كنت المهذبًا

أريد فلا أعطي و أعطى(5) و لم أرد *** وقصّر علمي أن أنال المغنيًا

فأصرف عن قصدي و علمي مقصّر *** و أمسي و ما أعقت إلا التعجبا

عاب بشعر فتى من آل منقر بعث إليه في الأضحية بنعجة عجفاء:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني ابن مهرويه قال حدّثني أحمد بن خالد بن المبارك قال حدّثني أبي قال:

كان بالبصرة فتى من بني منقر أمّه عجليّة، و كان يبعث إلى بشّار في كل أضحية بأضحية من الأضحاحي التي كان أهل البصرة يسمّونها سنة و أكثر للأضحاحي ثم تباع الأضحية بعشرة دنانير، و يبعث معها بألف درهم؛ قال: فأمر وكيله في بعض السنين أن يجريه على رسمه، فاشترى له نعجة كبيرة غير سمينية و سرق باقي الثمن، و كانت نعجة عبدليّة من نعاج عبد الله بن دارم و هو نتاج مردول، فلما أدخلت عليه قالت له جاريته ربابة: ليست هذه الشاة من الغنم التي كان يبعث بها إليك؛ فقال: أدنيها منّي فأدنتها و لمسها بيده ثم قال: اكتب يا غلام:

وهبت لنا يا فتى منقر *** و عجل و أكرمهم أولا

1- الذحل: الثأر.

2- كذا في ء، ح، وأكظام بالطاء: جمع كظم (بالفتح) وهو مخرج النفس. وفي باقي النسخ: «أكضام» بالضاد، وهو تحريف.

3- هكذا ورد هذا الاسم في جميع الأصول فيما تقدم في أخبار بشار وفيما سيأتي من أخباره بعد، وقد ورد في هذا الموضع في جميع الأصول «خالد»، فلعله محرف عما أثبتناه إذ هو الذي يروي عنه ابن مهرويه في جميع المواضع التي ورد فيها.

4- في ح: «يا أبا مخلد».

5- في ب، س، ح: «فلم أرد» بالفاء.

و أبسطهم راحة في الندى *** وأرفعهم ذروة في العلا
عجوزا قد أوردتها عمرها *** وأسكنها الدهر دار البلى
سلوحا (1) توهمت أن الرعاء *** سقوها ليسهلها الحنظلا
وأضرت من أم مبتاعها *** إن اقتحمت بكرة حرمل (2)
فلو تأكل الزبد بالترسيان (3) *** و تدمج (4) المسك و المنذلا
لما طيب الله أرواحها *** و لا بلّ من عظمها الأفعال (5)
وضعت يميني على ظهرها *** فخلت حراقفها (6) جنذلا
/ أو هوت شمالي لعروبها *** فخلت عراقبها مغزلا
و قلبت أليتها بعد ذا *** فسبّتها عصعصها (7) منجلا
فقلت أبيع فلا مشربا (8) *** أرجي لديها و لا مأكلا
أم أشوي و أطبخ من لحمها *** و أطيب من ذاك مضغ السلى (9)
إذا ما أمرت على مجلس *** من العجب (10) سبّح أو هللا
/ أو آية خلفها سائق *** يحثّ و إن هرولت هرولا
و كنت أمرت بها ضخمة *** بلحم و شحم قد استكملا
و لكنّ روحا عدا طوره *** و ما كنت أحسب أن يفعلا
فعضّ الذي خان في أمرها *** من است أمّه بظرها الأغرلا (11)
و لو لا مكانك قلّدتّه *** علاطا (12) و أنشقتّه الخردلا
و لو لا استحائك خضبتّها *** و علقت في جيدها جلجلا

ص: 159

1- سلوح: وصف من السّلع و هو للطير و البهائم كالغوّط من الإنسان، و قد يستعمل للإنسان على وجه التشبيه.

2- الحرمل: نبات كالسمسم يعيي آكله.

- 3- الترسيان: نوع من أجود التمر، وفي المثل: «أطيب من الزبد بالترسيان» يضرب مثلاً للأمر يستطاب ويستعذب. والمنديل: العود الرطب.
- 4- كذا في جميع الأصول، وادمج في الشيء مثل اندمج: دخل فيه واستحكم. ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا ادمج متعدياً بنفسه، فلعل ما هنا من قبيل ما جرى فيه النصب على نزع الخافض.
- 5- كذا في أكثر الأصول. والأقحل: وصف من قحل الشيء إذا يبس، وفي ب، س: «الأنحل».
- 6- الحراقف: جمع حرقفة، و الحرقفة: رأس الورك.
- 7- العصعص: عجب الذئب.
- 8- كذا في أ، م، ء، وفي باقي الأصول: «فلا مشتر».
- 9- السلى: الجلدة التي يكون فيها الولد في بطن أمه.
- 10- في أ، م، ء: «من العجف».
- 11- الأغزل: ذو الغرلة أي لم يختن.
- 12- العلاط (بالكسر): حبل يجعل في عنق البعير وسمة تكون في عرض عنقه.

فجاءتك حتى ترى حالها *** فتعلم أنّي بها مبتلى

سألتك لحما لصبياننا *** فقد زدّني فيهم عيلاً

فخذها و أنت بنا محسن *** و ما زلت بي محسنا مجملا

قال: و بعث بالرقعة إلى الرجل؛ فدعا بوكيله و قال له: و يلك! تعلم أنّي أفتدي من بشار بما أعطيه و توقعني في لسانه! اذهب فاشتر أضحية، و إن قدرت أن تكون مثل الفيل فافعل، و ابلغ بها ما بلغت و ابعث بها إليه.

شعره في رثاء بنية له:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال حدّثني عمّي قال أخبرنا أبو عمرو بن العلاء قال:

رأيت بشارا المرعّث يرثي بنية له و هو يقول:

يا بنت من لم يك يهوى بنتا *** ما كنت إلا خمسة أو ستا

حتّى حللت في الحشى و حتّى *** فتّت قلبي من جوى فانفتّا

لأنّك خير من غلام بتّا (1) *** يصبح سكران و يمسي بهتا (2)

مدح نافع بن عقبة بن سلّم بعد موت أبيه:

أخبرني وكيع قال حدّثني أبو أيوب المدنيّ قال:

كان نافع بن عقبة بن سلّم جوادا ممدّحا، و كان بشار منقطعاً إلى أبيه، فلما مات أبوه وفد إليه و قد ولي مكان أبيه، فمدحه بقوله:

و لنافع فضل على أكفائه *** إن الكريم أحقّ بالفضل

يا نافع الشّبرات (3) حين تناوحت *** هوج الرياح و أعقت بوبول

أشبهت عقبة غير ما متشبهه *** و نشأت في حلم و حسن قبول

و وليت فينا أشهراً فكفيتنا *** عنت المريب و سلّة التّضليل (4)

تدعى هلالاً في الزمان و نافعا *** و السّلم نعم أبوة المأمول

فأعطاه مثل ما كان أبوه يعطيه في كلّ سنة إذا وفد عليه.

- 1- بت: انقطع عن العمل، و منه قولهم: سكران باتّ أي منقطع عن العمل بالسكر، و يقال أيضا: بتّ الرجل يبتّ بتوتا أي هزل فلم يقدر أن يقوم.
- 2- البهت: الدهش و التحير أو التعب، و استعمال المصدر هنا مكان اسم الفاعل للمبالغة في الوصف.
- 3- الشبرات: جمع شبرة، و الشبرة (بالكسر): العطية.
- 4- كذا بالأصول، و للسلة معان كثيرة، فلعل أقربها هنا: إخراج السيوف من أغمادها عند القتال، و يكون المراد بسلة التضليل: ظهور التضليل و انتشاره، و لعلها «سنة التضليل».

أجاز شعرا للمهدي في جارية:

أخبرني هاشم بن محمد قال حدّثنا الحسن بن عليل العنزّي قال حدّثني إبراهيم بن عقبة الرفاعي قال حدّثني إسحاق/بن إبراهيم التّمّار البصريّ قال:

دخل المهديّ إلى بعض حجر الحرم فنظر إلى جارية منهن تغتسل، فلما رأته حصرت(1) ووضعت يدها على فرجها، فأنشأ يقول:

نظرت عيني لحيني

/ثم أرتج عليه، فقال: من بالباب من الشعراء؟ قالوا: بشار، فأذن له فدخل؛ فقال له: أجز:

نظرت عيني لحيني

فقال بشار:

نظرت عيني لحيني *** نظرا وافق شيني

سترت لَمّا رأتي *** دونه بالراحتين

فضلت منه فضول *** تحت طيّ العكنتين

فقال له المهديّ: قَبِّحك الله ويحك! أكنت ثالثنا! ثم ما ذا؟ فقال:

فتمنّيت وقلبي *** للهوى في زفرتين

أنّي كنت عليه *** ساعة أو ساعتين

فضحك المهديّ و أمر له بجائزة؛ فقال: يا أمير المؤمنين أقنعت من هذه الصفة بساعة أو ساعتين؟ فقال:

أخرج عني قَبِّحك الله! فخرج بالجائزة.

أنشد شعرا على لسان حمار له مات:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا أبو شبل عاصم بن وهب البرجميّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال:

جاءنا بشار يوما فقلنا له: ما لك مغتَمًا؟ فقال: مات حماري فرأيته في النوم فقلت له: لم متّ؟ ألم أكن أحسن إليك! فقال:

سيّدي خذ بي أتانا *** عند باب الأصبهاني

تيممتي بينان *** وبدل قد شجاني

تيممتي يوم رحنا *** بثناياها الحسان

وبغنج و دلال *** سلّ جسمي و براني

ص: 161

1- حصرت: استحت، وفي حديث زواج فاطمة «فلما رأّت عليا جالسا إلى جنب النبي حصرت و بكت» أي استحت و انقطعت كأن الأمر ضاق بها.

ولها خدّ أسيل *** مثل خدّ الشيفران(1)

فلذا متّ ولو عشت *** ت إذا طال هواني

فقلت له: ما الشيفران؟ قال: ما يدريني! هذا من غريب الحمار، فإذا لقيته فاسأله.

رأيه فيما يكون عليه المجلس:

أخبرني الحسن قال حدّثني محمد بن القاسم قال حدّثني علي بن إياس قال حدّثني السريّ بن الصبّاح قال:

شهد بشار مجلسا فقال: لا تصيروا مجلسنا هذا شعرا كلّه ولا حديثا كلّه ولا غناء كلّه، فإن العيش فرص، ولكن غنّوا وتحدّثوا وتناشدوا و تعالوا نتناهب العيش تناهبا.

وصفه غلام بذرب اللسان وسعة الشدق:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكرائيّ عن ابن عائشة قال:

جاء بشار يوما إلى أبي وأنا على الباب، فقال لي: من أنت يا غلام؟ فقلت: من ساكني الدار؛ قال: فكلمني والله بلسان ذرب و شدق هريت(2).

أبطأ سهيل القرشي فيما كان يهديه له من تمر فكتب إليه ينتجزه:

أخبرني عمّي قال حدّثني الكرائيّ عن أبي حاتم قال:

كان سهيل بن عمر(3) القرشي يبعث إلى بشار في كلّ سنة بقواصر(4) تمر، ثم أبطأ عليه سنة؛ فكتب إليه بشار:

تمركم يا سهيل درّ و هل يط *** مع في الدرّ من يدي متعتي(5)

فاحبني يا سهيل من ذلك التمر *** ر نواة تكون قرطا لبنتي

/فبعث إليه بالتمر وأضعفه له، و كتب إليه يستعفيه من الزيادة في هذا الشعر.

سأله بعض أهل الكوفة ممن كانوا على مذهبه أن ينشدهم شعرا ثم عابثوه:

ونسخت من كتاب هارون بن عليّ: عن عافية بن شبيب عن الحسن بن صفوان قال:

جلس إلى بشار أصدقاء من أهل الكوفة كانوا على مثل مذهبه، فسألوه أن ينشدهم شيئا مما أحدثه، فأنشدهم قوله:

أتى دعاه السّوق فارتاحا *** من بعد ما أصبح جحجا(6)

- 1- في أ، ء: «الشيغران» بالغين.
- 2- كذا في ح، و شذق هريت: واسع. وفي باقي الأصول «هريت».
- 3- في م، أ، ء: «عمرو».
- 4- القواصر: جمع قوصرة (بتخفيف الراء) وقوصرة (بتشديدها) وهي وعاء من قصب يرفع فيه التمر من البواري.
- 5- متعت: مستكبر متجاوز الحد.
- 6- الجحججاح: السيد المسارع في المكارم.

حتّى أتى على قوله:

في حلّتي جسم فتى ناعل *** لو هبّت الرّيح به طاحا(1)

فقالوا: يا ابن الزانية، أتقول هذا وأنت كأنك فيل عرضك أكثر(2) من طولك! فقال: قوموا عتّي يا بني الرّناء؛ فإني مشغول القلب، لست أنشط اليوم لمشاتمكم.

عشق امرأة و ألح عليها فشكته إلى زوجها:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى عن أبيه عن عافية بن شبيب قال:

كان لبشار مجلس يجلس فيه بالعشيّ يقال له البردان، فدخل إليه نسوة في مجلسه هذا فسمعن شعره، فعشق امرأة منهم، وقال لغلامه: عرفها محبّتي لها، و اتبعها إذا انصرفت إلى منزلها؛ ففعل الغلام وأخبرها بما أمره فلم تجبه إلى ما أحبّ، فتبعها إلى منزلها حتّى عرفه، فكان يتردّد إليها حتّى برمت(3) به، فشكته إلى زوجها، فقال لها:

أجيبه و عديه إلى أن يجيئك إلى هاهنا ففعلت، و جاء بشار مع امرأة و جّهت بها إليه، فدخل و زوجها جالس و هو لا يعلم، فجعل يحدّثها ساعة، و قال لها: ما اسمك بأبي أنت؟ فقالت: أمامة؛ فقال:

أمامة قد وصفت لنا بحسن *** و إنا لا نراك فالأمسينا

قال: فأخذت يده فوضعتها على أير زوجها و قد أنعظ، ففزع و وثب قائما و قال:

عليّ أليّة ما دمت حيّا *** أمسك طائعا إلا بعود

و لا أهدي لقوم أنت فيهم *** سلام الله إلا من بعيد

طلبت غنيمة فوضعت كفيّ *** على أير أشدّ من الحديد

فخير منك من لا خير فيه *** و خير من زيارتكم قعودي

و قبض زوجها عليه و قال: هممت بأن أفضحك؛ فقال له: كفاني، فديتك، ما فعلت بي، و لست و الله عائدا إليها أبدا، فحسبك ما مضى، و تركه و انصرف(4). و قد روي مثل هذه الحكاية عن الأصمعيّ في قصّة بشار هذه.

و هذا الخبر بعينه يحكى بإسناد أقوى من هذا الإسناد و أوضح عن أبي العباس الأعمى السائب بن فروخ، و قد ذكرته في أخبار أبي العباس بإسناده.

رثاؤه أصدقاءه:

نسخت من كتاب هارون بن عليّ: قال حدّثني عليّ بن مهديّ قال حدّثني حمدان الأبنوسيّ قال حدّثنا أبو نواس قال:

كان لبشار خمسة ندماء فمات منهم أربعة و بقي واحد يقال له البراء، فركب في زورق يريد عبور دجلة

ص: 163

1- طاح: ذهب و هلك.

2- كذا في ح، و في باقي الأصول: «أثقل».

3- برمت به: سئمته و ضاقت به.

4- كذا في ح، و في باقي الأصول: «و تركه فانصرف».

العوراء(1) فغرق، و كان المهديّ قد نهى بشارا عن ذكر النساء و العشق، فكان بشار يقول: ما خير في الدنيا بعد الأصدقاء؛ ثم رثى أصدقاءه بقوله:

/

يا ابن موسى ما ذا يقول الإمام *** في فتاة بالقلب منها أوام

بتّ من حبّها أوقرّ بالكأ ***س و يهفو على فؤادي الهيام(2)

اويحها كاعبا تدلّ بجهم *** كعبي(3) كأنّه حمّام

لم يكن بينها و بيني إلّا *** كتب العاشقين و الأحلام

يا ابن موسى اسقني ودع عنك سلمى *** إنّ سلمى حمى و فيّ احتشام

ربّ كأس كالسلسبيل تعلّل *** ت بها و العيون عنّي نيام

حبست للشّراة في بيت رأس(4) عتقت عانسا عليها الختام

نفحت نفحة فهزّت نديمي *** بنسيم و انشق عنها الزّكام

و كأنّ المعلول منها إذا را *** ح شج في لسانه برسام(5)

صدمته السّمول حتّى بعيني *** ه انكسار و في المفاصل خام(6)

و هو باقي الأطراف حيّت(7) به الكأ ***س و ماتت أوصاله و الكلام

و فتى يشرب المدامة بالما *** ل و يمشي(8) يروم ما لا يرام

أنفدت كأسه الدنانير حتّى *** ذهب العين و استمرّ السّوام(9)

تركته الصّهباء يرنو بعين *** نام إنسانها و ليست تنام

اجنّ من شربة تعلّل بأخرى *** و بكى حين سار فيه المدام

كان لي صاحبا فأودى به الدّه *** ر و فارقتة عليه السّلام

بقي النّاس بعد هلك نداما *** ي وقوعا لم يشعروا ما الكلام(10)

- 1- دجلة العوراء: دجلة البصرة.
- 2- الهيام: الجنون من العشق.
- 3- الكعشب: الركب (الفرج) الضخم الناتئ، و الجهم: الغليظ.
- 4- بيت رأس: اسم لقريتين، في كل واحدة منهما كروم كثيرة تنسب إليهما الخمر، إحداهما بيت المقدس، و الأخرى من نواحي حلب.
- 5- البرسام: علة يهذى فيها، و هو ورم حاد يعرض للحجاب الحاجز ثم يتصل بالدماع، فارسيّ معرب مركب من «بر» و هو الصدر و «سام» و هو الموت، و يقال لهذه العلة الموم، و لعله يريد بالبرسام هنا أثره و هو الهذيان.
- 6- كذا وردت هذه الكلمة في جميع الأصول و لها معان في كتب اللغة لا تتفق و السياق إلا أن يكون قد أراد الكناية عن ارتخاء المفاصل فجعل ما بها من العظام لتثنيها و تكسرها كأنها خام أي طاقات زرع غضة رطبة.
- 7- حيث بالإدغام لغة في حيي كرضى.
- 8- كذا في أكثر الأصول. و في ح: «و يمسي».
- 9- العين: الذهب. و استمر: ذهب. و السوام: الإبل الراعية، و المراد بها هنا المال الراعي كالسائمة.
- 10- في ح، ء و إحدى روايتي أ، م: «ما الكرام».

كجزور(1)

الأيسار لا كبد في *** ها لباغ ولا عليها سنام

يا ابن موسى فقد الحبيب العي *** ن قذاة وفي الفؤاد سقام

كيف يصفولي النعيم وحيدا *** والأخلاء في المقابر هام(2)

نفستهم(3) عليّ أم المنايا *** فأنا متهم بعنف فناموا

لا يغيض انسجام عيني عنهم *** إنّما غاية الحزين السّجام(4)

وفد علي عمر بن هبيرة فمدحه:

إشارة

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ عن الأصمعيّ:

أنّ بشارا وفد إلى عمر بن هبيرة وقد مدحه بقوله:

يخاف المنايا أن ترحلت صاحبي *** كأنّ المنايا في المقام تناسبه

فقلت له إنّ العراق مقامه *** وخيم إذا هبّت عليك جنائبه

لألقي بني عيلان إنّ فعالهم(5) *** تريد عليّ كلّ الفعال مراتبه

أولئك الألى شقّوا العمى بسيوفهم *** عن العين حتّى أبصر الحقّ طالبه

و جيش كجرح الليل يزحف بالحصا *** والشوك والخطيّ حمرا ثعالبه(6)

/غدونا له و الشمس في خدر أمّها *** تطالعنا و الطلّ(7) لم يجر ذائبه

بضرب يذوق الموت من ذاق طعمه *** و تدرك من نجّى الفرار مثالبه

/كأنّ مثار التّع فوق رءوسنا *** و أسيافنا ليل تهاوى(8) كواكبه

بعشنا لهم موت الفجاءة إنّنا *** بنو الموت خفاق علينا سبائبه(9)

فراحوا فريق في الإسار و مثله *** قتيل و مثل لاذ بالبحر هاربه

إذا الملك الجبار صعرّ خده(10) *** مشينا إليه بالسّيوف نعاتبه

- 1- جزور الأيسار: الناقة التي تنحر للمقامرة عليها.
- 2- هام: أموات، يقال: أصبح فلان هامة أي مات، وهذا هامة اليوم أو غد أي أنه مشف على الموت.
- 3- نفستهم: حسدتهم عليّ.
- 4- السجام (بالكسر): سيلان الدمع.
- 5- الفعال (بالفتح): الجود والكرم.
- 6- كذا في «معاهد التنصيص» ص 191 طبع بولاق. و الثعالب: جمع ثعلب، وهو طرف الريح الداخل في السنان، وفي الأصول: «تغالبه» وهو تحريف.
- 7- كذا في «معاهد التنصيص» (طبع بولاق ص 191) وفي الأصول: «و الظل» بالطاء المعجمة وهو تحريف.
- 8- كذا في «معاهد التنصيص» وأصله تتهاوى أي يتساقط بعضها في أثر بعض، وفي الأصول «تتهادى» بالدال وهو تحريف.
- 9- السبائب: جمع سببية وهي شقة رقيقة من الكتان، والمراد بها هنا الرايات.
- 10- صعر خده: أماله عن النظر إلى الناس تهاونا بهم وكبرا.

فوصله بعشرة آلاف درهم، فكانت أول عطية سنية أعطيها بشّار و رفعت من ذكره، و هذه القصيدة هي التي يقول فيها:

صوت

إذا كنت في كلّ الأمور معاتباً *** صديقك لم تلق الذي لا تعاتبه

فحش واحدا أوصل أخاك فإنه *** مقارف(1) ذنب مّرة و مجانبه

إذا أنت لم تشرب مرارا على القذى *** ظمئت و أيّ الناس تصفو مشاربه

الغناء في هذه الأبيات لأبي العبيس بن حمدون خفيف ثقيل بالبصر في مجراها.

شعره في العشق:

أخبرني يحيى بن عليّ بن يحيى قال ذكر أبو أيّوب المدينيّ عن الأصمعيّ قال:

كان لبشّار مجلس يجلس فيه يقال له البردان، و كان النساء يحضرنه فيه، فبينما هو ذات يوم في مجلسه إذ سمع كلام امرأة في المجلس فعشقتها، فدعا غلامه فقال: /إذا تكلمت المرأة عرفتك فاعرفها، فإذا انصرفت من المجلس فاتبعها و كلّمها و أعلمها أنّي لها محبّ؛ و قال فيها:

يا قوم أذني لبعض الحيّ عاشقة *** و الأذن تعشق قبل العين أحيانا

قالوا: بمن لا ترى تهذي! فقلت لهم *** الأذن كالعين توفي(2) القلب ما كانا

هل من دواء لمشغوف بجارية *** يلقي بلقيانها روحا(3) و ريحانا

و قال في مثل ذلك:

قالت عقيل بن كعب إذ تعلّقها *** قلبي فأضحى به من حبّها أثر

أنّي و لم ترها تهذي! فقلت لهم *** إنّ الفؤاد يرى ما لا يرى البصر

أصبحت كالحائم الحيران مجتنباً *** لم يقض وردا و لا يرجى له صدر

قال يحيى بن عليّ و أنشدني أصحاب أحمد بن إبراهيم عنه لبشّار في هذا المعنى و كان يستحسنه:

يزهّديني في حبّ عبدة معشر *** قلوبهم فيها مخالفة قلبي

فقلت دعوا قلبي و ما اختار و ارتضى *** فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحبّ

فما تبصر العينان في موضع الهوى *** ولا تسمع الأذنان إلا من القلب
وما الحسن إلا كلّ حسن دعا الصّبا *** وألف بين العشق والعاشق الصّبّ
قال أبو أحمد: وقال في مثل ذلك:

ص: 166

-
- 1- مقارن: مخالط.
 - 2- توفي: تبلغ.
 - 3- الرّوح (بالفتح): نسيم الريح والراحة والسرور.

يا قلب ما لي أراك لا تقر(1) *** إياك أعني وعندك الخبر

أذعت بعد الألى مضوا حرقا *** أم ضاع ما استودعوك إذ بكروا

قال أبو أحمد: وقال في مثل ذلك:

إنّ سليمى واللّه يكلؤها *** كالسكر تزداده على السكر

بلغت عنها شكلا(2) فأعجبني *** والسمع بكفيك غيبة البصر

أنشد المهديّ شعرا فلم يعطه شيئا فقال شعرا مداره الحكمة:

أخبرني محمد بن القاسم الأنباريّ قال حدّثني أبي قال:

زعم أبو العالية أنّ بشّارا قدم على المهديّ، فلما استأذن عليه قال له الربيع: قد أذن لك وأمرك ألاّ تنشد شيئا من الغزل والتشبيب فأدخل على ذلك، فأنشده قوله:

يا منظرا حسنا رأيتّه *** من وجه جارية فديته

بعثت إليّ تسومني *** برد الشّباب وقد طويته

واللّه ربّ محمّد *** ما إن غدرت ولا نوبته

أمسكت عنك وربّما *** عرض البلاء وما ابتغيته

إنّ الخليفة قد أبى *** وإذا أبى شيئا أبيته

ومخصّب رخصّ البنا *** ن بكى عليّ وما بكيته

ويشوقني بيت الحبي *** ب إذا اذكرت وأين بيته

قام الخليفة دونه *** فصبرت عنه وما قلبيته

ونهانى الملك الهما *** م عن التّسيب(3) وما عصيته

لا بل وفيت فلم أضع *** عهدا ولا رأيا رأيتّه

وأنا المطلّ على العدا *** وإذا غلا علق(4) شريته

أصفي(5) الخليل إذا دنا *** وإذا نأى عنّي نأيتّه

ثم أنشده ما مدحه به بلا تشبيب، فحرمه ولم يعطه شيئاً؛ فقليل له: إنه لم يستحسن شعرك؛ فقال: والله لقد مدحته بشعر لو مدح به الدهر لم يخش صرفه على أحد، ولكنه كذب أملني لأني كذبت في قولي. ثم قال في ذلك:

ص: 167

-
- 1- لا تقر: لا ترزن ولا تستقر، من الوقار أي الرزانة.
 - 2- الشكل: غنج المرأة ودلالها.
 - 3- كذا في أ، م. وفي باقي الأصول: «النساء».
 - 4- كذا في أكثر الأصول، والعلق: النفيس من كل شيء، وفي أ «شيء» وقد تقدّم في صفحة 212 من هذا الجزء: وإذا غلا الحمد اشتريته
 - 5- أصفى الخليل: أي أصفيه الودّ، يقال: أصفيت فلانا الود أي أخلصته له.

خليلي إن العسر سوف يفيق *** وإن يسارا في غد لخليق

و ما كنت إلا كالزّمان إذا صحا *** صحوت وإن ماق(1) الزّمان أموق

أ أدماء(2) لا أستطيع في قلة الثرى *** خزوزا(3) ووشيا و القليل محيق(4)

خذي من يدي ما قل إن زماننا *** شموس(5) و معروف الرجال رقيق(6)

لقد كنت لا أرضى بأدنى معيشة *** ولا يشتكي بخلا علي رقيق

خليلي إن المال ليس بنافع *** إذا لم ينل منه أخ و صديق

و كنت إذا ضاقت علي محلة *** تيممت أخرى ما علي تضيق

و ما خاب بين الله و الناس عامل *** له في التقى أو في المحامد سوق

و لا ضاق فضل الله عن متعفف *** ولكن أخلاق الرجال تضيق

أنشد المهدي شعرا في النسب فتهدده إن عاد إلى مثله:

أخبرني حبيب بن نصر قال حدّثني عمر بن شبة قال:

بلغ المهدي قول بشار:

/

قاس الهموم تنل بها نجحا *** و الليل إن وراءه صباحا

لا يؤيسّك من مخبأة *** قول تغلّظه و إن جرحا

عسر النساء إلي مياسرة *** و الصّعب يمكن بعد ما جمحا

فلما قدم عليه استنشده هذا الشعر فأنشده إياه، و كان المهديّ غيورا، فغضب و قال: تلك أمك يا عاصّ كذا من أمّه(7)! أ تحصّ الناس على الفجور و تقدف المحصنات المخبّات! و الله لئن قلت بعد هذا بيتا واحدا في نسيب لآتينّ على روحك؛ فقال بشار في ذلك:

و الله لو لا رضا الخليفة ما *** أعطيت ضيما عليّ في شجن

و ربّما خير لابن آدم في ال *** كره و شقّ الهوى على البدن

فاشرب علي ابنة الزّمان فما *** تلقى زمانا صفا من الأبن(8)

- 1- ماق: حمق.
- 2- الأدماء: - لغة - الظبية التي أشرب لونها بياضا، و من معانيها أيضا السمراء مؤنث آدم، و هي هنا علم، كلمياء و عفراء.
- 3- الخزوز: جمع خز و هو نوعان: أحدهما ثياب تنسج من صوف و حرير، و ثانيهما ثياب تنسج من الحرير وحده، و الوشى: نوع من الثياب الموشية أي المنقوشة التي خلط فيه لون بلون.
- 4- محيق: لا خير فيه و هو فعيل من «محقه الله» أي أذهب خيره و بركته.
- 5- شموس: متنكر، و منه فرس شموس: لا يمكن أحدا من ظهره، و رجل شموس: عسر في عداوته شديد الخلاف على من عانده.
- 6- كذا في ح، و في باقي الأصول «رفيق» بالفاء و هو تحريف.
- 7- يريد «يا عاض بظر أمه» و البظر: هنة تقطعها الخافضة من فرج المرأة عند الختان، و في حديث الحديبية «امصص بظر اللات».
- 8- الأبن: جمع ابنة و هي العداوة و الحقد، و المراد هنا الكدر.

اللّه يعطيك من فواضله *** والمرء يغضني عينا على الكمن(1)

قد عشت بين الرّيحان والراح وال *** مزهر(2) في ظلّ مجلس حسن

وقد ملأت البلاد ما بين فغ *** فور(3) إلى القيروان فاليمن

قال عمر بن شبة: فغفور: ملك الصين.

شعرا تصلّي له العواتق(4) وال *** تيب(5) صلاة الغواة للوثن

ثم نهاني المهديّ فانصرفت *** نفسي صنيع الموقّق اللّقن(6)

فالحمد لله لا شريك له *** ليس بباق شيء على الزّمن

ثم أنشده قصيدته التي أولها:

تجاللت عن فهر وعن جارتني فهر

ووصف بها تركه التشبيب، ومدحه فقال:

تسلّى عن الأحباب صرام خلّة *** ووصال أخرى ما يقيم على أمر

وركّاض أفراس الصّبابة والهوى *** جرت حججا ثم استقرّت فما تجري

فأصبحن ما يركبن إلا إلى الوغى *** وأصبحت لا يزرى عليّ ولا أزري

فهذا وإني قد شرعت(7) مع التّقى *** وماتت همومي الطارقات فما تسري

ثم قال يصف السفينة:

وعذراء لا تجري بلحم ولا دم *** قليلة شكوى الأين(8) ملجمة الدّبر

إذا ظعنت(9) فيها الفلول(10) تشخّصت *** بفرسانها لا في وعود(11) ولا وعر

ص: 169

1- الكمن: جمع كمنة وهي جرب و حمرة تبقى في العين من رمد يساو علاجه، وقيل: ورم في الأجفان، وقيل: قرح في المآقي.
2- في ح: «المزمر» ولم نجد في كتب اللغة التي بين أيدينا «مزمر» والوارد «مزمار»، وفي باقي الأصول: «و الراح و الزهر» وهو غير مستقيم الوزن، والظاهر أن كلتا الكلمتين «المزمر»، «و الزهر» محرّفة عن «المزهر» وهو العود يضرب به أو الدف الكبير ينقر عليه.
3- «فغفور» (وزان عصفور): لقب كل من ملك الصين، كالنجاشي للحبشة، وقيصر للروم، و خاقان للترك، و كسرى للفرس؛ وجاء في

أقرب الموارد «و الفغفوري»: الخزف الجيد يؤتى به من الصين نسبة إلى فغفور و هي بلاد الصين»، و لعلها المرادة في هذا الشعر. وفي الأصول: «يغبور» و لعلها تحريف.

4- العواتق جمع عاتق و هي الجارية أول ما أدركت.

5- يريد بقوله: «و الثيب» الثيبات جمع ثيب و هي نقيض البكر؛ و هذا الجمع غير موجود في كتب اللغة و لا يكون كذلك إلا على توهم أن مفردة ثيباه، و لعله مما يقع في الشعر ضرورة، قال ابن الرومي: الآن حين طلعت كل ثنية و وطئت أبكار الكلام و ثيبه

6- اللقن: سريع الفهم.

7- شرعت مع التقى: أظهرت الحق و قمعت الباطل باصطحابي للتقى.

8- الأين: الإعياء.

9- كذا في «مختارات البارودي» (ج 4 ص 1) و في جميع الأصول: «طعنت» بالطاء المهملة.

10- الفلول: الجماعات.

11- و عوث: جمع و عث و هو المكان السهل اللين.

وإن قصدت زلت على متنصب *** ذليل القوى لا شيء يفري كما تفري

تلاعب تيار البحور وربما *** رأيت نفوس القوم من جريها تجري

قال: و كان قال: «نينان البحور» فعابه بذلك سيبويه (1) فجعله «تيار البحور».

/

إلى ملك من هاشم في نبوة *** و من حمير في الملك في العدد الدثر (2)

من المشتريين الحمد تندى من الندى *** يداه ويندي عارضاه من العطر

فألزمت حبلي حبل من لا تعبته *** عفاة الندى من حيث يدري ولا يدري

بني لك عبد الله بيت خلافة *** نزلت بها بين الفراقد و التسر

و عندك عهد من وصاة (3) محمد *** فرعت (4) به الأملاك من ولد التضر

هجا المهدي بعد أن مدحه فلما بلغه ذلك أمر بقتله:

فلم يحظ منه أيضا بشيء، فهجاه فقال في قصيدته:

خليفة يزني بعماته *** يلعب بالدبوق (5) و الصولجان

أبدلنا الله به غيره *** و دس موسى في حر الخيزران (6)

وأنشدها في حلقة يونس النحوي، فسعي به إلى يعقوب بن داود، و كان بشار قد هجاه فقال:

بني أمية هبوا طال نومكم *** إن الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا *** خليفة الله بين الرق و العود

فدخل يعقوب على المهدي فقال له: يا أمير المؤمنين، إن هذا الأعمى الملحد الزنديق قد هجأك؛ فقال: بأي شيء؟ فقال: بما لا ينطق به لساني و لا يتوهمه فكري؛ قال له: بحياتي إلا أنشدتني! فقال: و الله لو خيرتني بين إنشادي إياه و بين ضرب عنقي لاخترت ضرب عنقي؛ فحلف عليه المهدي بالأيمان التي لا فسحة فيها أن يخبره؛ فقال: أما لفظا فلا، و لكتي أكتب ذلك، فكتبه و دفعه إليه؛ فكاد/ينشق غيظا، و عمد على الانحدار إلى البصرة للنظر في أمرها، و ما وكده (7) غير بشار، فانحدر، فلما بلغ إلى البطيحة (8) سمع أذانا في وقت ضحى النهار،

ص: 170

1- جمع نون على نينان أثبتة صاحب «القاموس» و صاحب «اللسان» و استشهد له بحديث علي رضي الله عنه: «يعلم اختلاف النينان في

البحار الغامرات»، و حكى السيد المرتضى في «شرح القاموس» تخطيطه سيوييه لبشار، ثم قال: واستعمله المتنبي وغلطوه أيضا.

2- الدثر: الكثير من كل شيء.

3- الوصاة: الوصية.

4- فرعت: علوت بالشرف، يقال: فرع فلان القوم أي علاهم بالشرف أو الجمال.

5- الدبوق: لعبة يلعب بها الصبيان ذكرها صاحب «القاموس» و صاحب «اللسان» في مادة «دبق» وقالوا: هي لعبة معروفة، ولم يبينها.

قال صاحب السعادة أحمد تيمور باشا فيما كتبه في المجلة السلفية المجلد الثاني ص 94 عن لعب العرب في الكلام على هذه اللعبة بعد

أن استشهد بهذا الشعر: «ولا ندري هل الصولجان من لوازمه ليكون شيئا كالكرة ونحوها أم هما لعبتان قرن بينهما في شعره».

6- الخيزران: جارية من جوارى المهديّ وهي أم ولديه موسى و هارون.

7- كذا في ح. و وكده: قصده، وفي باقي الأصول «وكزه» بالزاي المعجمة.

8- البطيحة: أرض واسعة بين واسط والبصرة.

فقال: انظروا ما هذا الأذان! فإذا بشار يؤذن سكران؛ فقال له: يا زنديق يا عاصٍ بظر أمه، عجبت أن يكون هذا غيرك، أتلهو بالأذان في غير وقت صلاة و أنت سكران! ثم دعا بابت نهيك فأمره بضربه بالسوط فضربه بين يديه على صدر الحراقة (1) سبعين سوطا أتلفه فيها، فكان إذا أوجعه السوط يقول: حسّ - وهي كلمة تقولها العرب للشيء إذا أوجع - فقال له بعضهم: انظر إلى زندقته يا أمير المؤمنين، يقول: حسّ، و لا يقول: باسم الله؛ فقال: ويملك! أ طعام هو فأسمي الله عليه! فقال له الآخر: أفلا قلت: الحمد لله؛ قال: أو نعمة هي حتى أحمد الله عليها! فلما ضربه سبعين سوطا بان الموت فيه، فألقي في سفينة حتى مات ثم رمي به في البطيحة، فجاء بعض أهله فحملوه إلى البصرة فدفن بها.

أخبرني عمي قال حدّثني أحمد بن أبي طاهر قال حدّثني خالد بن يزيد بن وهب بن جرير عن أبيه قال:

لما ولي صالح بن داود أخو يعقوب بن داود وزير المهديّ البصرة، قال بشار يهجو:

هم حملوا فوق المنابر صالحا *** أخاك فضجت من أخيك المنابر

فبلغ ذلك يعقوب فدخل على المهديّ فقال: يا أمير المؤمنين، أبلغ من قدر هذا الأعمى المشرك أن يهجو أمير المؤمنين! قال: ويحك! و ما قال؟ قال: يعنيني/أمير المؤمنين من إنشاده، ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدّمه. فقال خالد بن يزيد بن وهب في خبره: و خاف يعقوب بن داود أن يقدم على المهديّ فيمدحه و يعفو عنه، فوجه إليه من استقبله/فضربه بالسيّاط حتى قتله ثم ألقاه في البطيحة في الخراة (2).

هجا يعقوب بن داود حين لم يحفل به:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا عليّ بن محمد (3) النوفليّ عن أبيه و عن جماعة من رواة البصريين، و أخبرنا يحيى بن عليّ عن أحمد بن أبي طاهر عن عليّ بن محمد، و خبره أتم، قالوا:

خرج بشار إلى المهديّ، و يعقوب بن داود وزيره، فمدحه و مدح يعقوب، فلم يحفل به يعقوب و لم يعطه شيئا، و مرّ يعقوب ببشار يريد منزله، فصاح به بشار:

طال التواء على رسوم المنزل

فقال يعقوب:

فإذا تشاء أبا معاذ فارحل

فغضب بشار و قال يهجو:

بني أمية هبوا طال نومكم *** إنّ الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فالتمسوا *** خليفة الله بين الرّق و العود

قال النوفليّ: فلما طالت أيام بشار على باب يعقوب دخل عليه، و كان من عادة بشار إذا أراد أن ينشد أو

- 1- الحرقاة: واحدة الحراقات و هي سفن بالبصرة فيها مرامي نيران يرمي بها العدو.
- 2- الخرّارة: موضع بالبطيحة، و سيذكر المؤلف ذلك في «ص 248» من هذا الجزء.
- 3- كذا في ح و هو الموافق لما اتفقت عليه النسخ جميعا في هذا السند حين تكرر الإسناد إليه من راوية آخر. وفي باقي النسخ: «حماد».

يتكلم أن يتفل عن يمينه و شماله و يصفق بإحدى يديه على الأخرى، ففعل ذلك و أنشد:

يعقوب قد ورد العفاة عشية *** متعرضين لسبيك المنتاب(1)

فسقيتهم و حسبتني كمونة *** نبت لزارعها بغير شراب

/مهلا لديك فإنتي ريحانة *** فاشمم بأنفك و اسقها بذناب(2)

طال الثواء على تنظر حاجة *** شمطت(3) لديك فمن لها بخضاب

تعطي الغزيرة(4) درّها فإذا أبت *** كانت ملامتها على الحلاب

وفاة بشار:

يقول ليعقوب: أنت من المهديّ بمنزلة الحالب من الناقة الغزيرة التي إذا لم يوصل إلى درّها فليس ذلك من قبلها، إنّما هو من منع الحالب منها، و كذلك الخليفة ليس(5) من قبله لسعة معروفة، إنّما هو من قبل السبب إليه.

قال: فلم يعطف ذلك يعقوب عليه و حرمه، فانصرف إلى البصرة مغضبا. فلما قدم المهديّ البصرة أعطى عطايا كثيرة و وصل الشعراء، و ذلك كلّ على يدي يعقوب، فلم يعط بشارا شيئا من ذلك، فجاء بشار إلى حلقة يونس النحويّ فقال: هل هاهنا أحد يحتشم(6)؟ قالوا له: لا؛ فأنشأ بيتا يهجو فيه المهديّ، فسعى به أهل الحلقة إلى يعقوب؛ فقال يونس(7) للمهديّ: إنّ بشارا زنديق و قامت عليه البيّنة عندي بذلك، و قد هجا أمير المؤمنين، فأمر ابن نهيك بأخذه، و أذف خروجهم فخرجوا و أخرجه ابن نهيك معه في زورق. فلما كانوا بالبطيحة ذكره المهديّ فأرسل إلى ابن نهيك يأمره أن يضرب بشارا ضرب التلف و يلقيه بالبطيحة، فأمر به فأقيم على صدر السفينة و أمر الجلادين أن يضربوه ضربا يتلفون فيه نفسه ففعلوا ذلك، فجعل يسترجع(8)؛ فقال بعض من حضر: أما تراه/لا يحمد الله! فقال بشار: أنعمة هي فأحمد الله عليها! إنّما هي بليّة أسترّجع عليها، فضرب سبعين سوطا مات منها و ألقى في البطيحة.

قال يحيى بن عليّ فحكى قعنب بن محرز الباهليّ قال حدّثني محمد بن الحجّاج قال:

لما ضرب بشار بالسياط و طرح في السفينة قال: ليت عين أبي الشّمقمق رأنتي حين يقول:

/

إنّ بشار بن برد *** تيس أعمى في سفينه(9)

ص: 172

1- المنتاب: الذي يأتي مرة بعد أخرى.

2- ذناب: جمع ذنوب، و الذنوب: الدلو المملأ.

3- شمطت: تأخر قضاؤها و طال عليها الأمد، و أصل الشمط أن يخالط سواد الرأس بياض الشيب.

4- الغزيرة: الكثيرة الدرّ.

5- مرجع ضمير «ليس» المنع.

6- يحتشم: يحذر ويهاب محضره، وقد أنكر صاحب «اللسان» مجيء «احتشم» متعديا فقال: ولا يقال: احتشمته، ثم نقل عن الليث في قول القائل: «ولم يحتشم ذلك» أنه من قبيل حذف من وإيصال الفعل إلى المجرور. وجاء في «أساس البلاغة»: «أنا أحتشمك وأحتشم منك: أي أستحي».

7- تقدم في (ص 242) من هذا الجزء أن الذي أخبر المهدي هو يعقوب فلعل «يونس» هنا سبق قلم من الناسخ.

8- يسترجع: يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

9- كان العرب إذا هجوا إنسانا بالغباوة أو بالنتن قالوا: إنما هو تيس، فإذا أرادوا الغباوة قالوا: ما هو إلا تيس في سفينة. (انظر الحيوان للجاحظ طبع مطبعة التقدم ج 5 ص 136).

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار و حبيب بن نصر المهلبّي قالاً حدّثنا عمر بن شبة قال:

أمر المهديّ عبد الجبار صاحب الزنادقة فضرب بشاراً، فما بقي بالبصرة شريف إلا بعث إليه بالفرش و الكسوة و الهدايا و مات بالبطيحة.
قال: و كانت وفاته و قد ناهز ستّين سنة.

قال عمر بن شبة حدّثني سالم بن عليّ، قال: كنّا عند يونس فنعي بشاراً إلينا ناع، فأنكر يونس ذلك و قال: لم يمت؛ فقال الرجل: أنا رأيت قبره، فقال: أنت رأيت؟ قال: نعم، و إلا فعليّ و عليّ، و حلف له حتّى رضي، فقال يونس: «للّيين و للقم»(1).

قال أبو زيد و حدّثني جماعة من أهل البصرة منهم محمّد بن عون بن بشير(2)، و كان يتّهم بمذهب بشار، فقال:

لما مات بشار ألقيت جثته بالبطيحة في موضع يعرف بالحرازة، فحملة الماء فأخرجه إلى دجلة البصرة فأخذ فأتي به أهله فدفنوه، قال و كان كثيراً ما ينشدني:

ستري حول سريري *** حسراً(3) يلطمن لظما

يا قتيلاً قتلتة *** عبدة الحوراء ظلما

قال: و أخرجت جنازته فما تبعها أحد إلا أمة له سوداء سنديّة عجماء ما تفصح، رأيتها خلف جنازته تصيح:

وا سيّده! وا سيّده!

شماتة الناس بموته و ما قيل في ذلك من الشعر:

قال أبو زيد و حدّثني سالم بن عليّ(4) قال:

لما مات بشار و نعي إلى أهل البصرة تباشر عامّتهم و هنأ بعضهم بعضاً و حمدوا الله و تصدّقوا، لما كانوا منوا(5) به من لسانه.

و قال أبو هشام الباهليّ فيما أخبرنا به يحيى بن عليّ في قتل بشار:

يا بؤس ميت لم يبكه أحد *** أجل و لم يفتقده مفتقد

لا أمّ أولاده بكته و لم *** يبك عليه لفرقة ولد

و لا ابن أخت بكى و لا ابن أخ *** و لا حميم رقت له كبذ

بل زعموا أنّ أهله فرحا *** لما أتاهم نعيّه سجدوا

ص: 173

1- استعمل يونس هاتين الكلمتين في الشماتة بهلاك بشار، و هما في الأصل مثل يقال عند الشماتة بسقوط إنسان، و المراد أسقطه الله على

يديه ورجليه، وفي الحديث أن عمر رضي الله عنه أتى بسكران في رمضان فتعثر بذيله فقال عمر: لليدين ولفم، أولداننا صيام وأنت مفطر!
ثم أمر به فحُدَّ (انظر «مجمع الأمثال» للميداني ج 2 ص 134 طبع بولاق).

2- في ح: «بشر».

3- حسر: جمع حاسر وهي المكشوفة الوجه أو الذراعين.

4- كذا في أكثر الأصول، وفي ح: «سالم بن عبد الله».

5- منوا: ابتلوا.

قال: وقال أيضا في ذلك:

قد تبع الأعمى قفا عجرد *** فأصبحا جارين في دار

قالت بقاع الأرض لا مرحبا *** بروح حمّاد و بشّار

/تجاورا بعد تنائيهما *** ما أبغض الجار إلى الجار

صارا جميعا في يدي مالك *** في النَّار و الكافر في النار

قال أبو أحمد يحيى بن عليّ وأخبرنا بعض إخواني عن عمر بن محمّد عن أحمد بن خلّاد عن أبيه قال:

مات بشّار سنة ثمان و ستين و مائة و قد بلغ نيّقا و سبعين (1) سنة.

ندم المهديّ على قتله:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال:

لما ضرب المهديّ بشّارا بعث إلى منزله من يفّشه، و كان يتّهم بالزندقة فوجد. في منزله طومار (2) فيه:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * إني أردت هجاء آل سليمان بن عليّ لبخلهم فذكرت قرابتهم من رسول الله صلّى الله عليه و سلّم /فأمسكت عنهم إجلالا له صلّى الله عليه و سلّم، على أنّي قد قلت فيهم:

دينار آل سليمان و درهمهم *** كالبابلتين (3) حقّا بالعفاريت

لا يبصران و لا يرجى لقاءهما *** كما سمعت بهاروت و ماروت (4)

فلما قرأه المهديّ بكى و ندم على قتله، و قال: لا جزى الله يعقوب بن داود خيرا، فإنّه لمّا هجاه لفقّ عندي شهودا على أنّه زنديق فقتلته ثمّ ندمت حين لا يغني النّدم.

/أخبرني محمّد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا عمر بن محمّد بن عبد الملك قال حدّثني محمد بن هارون قال:

لما نزل المهديّ البصرة كان معه حمدويه صاحب الزنادقة فدفع إليه بشّارا و قال: اضربه ضرب التلف، فضربه ثلاثة عشر سوطا، فكان كلّما ضربه سوطا قال له: أوجعتني و يلك! فقال: يا زنديق، أ تضرب و لا تقول: باسم الله! قال: و يلك! أ تريد هو فأسمّي (5) [الله] عليه! قال: و مات من ذلك الضّرب.

و لبشّار أخبار كثيرة قد ذكرت في عدّة مواضع: منها أخباره مع عبدة فإنّها أفردت في بعض شعره فيها الذي

- 1- كذا في أكثر الأصول، وفي ح: «و تسعين» و مثل هذا ورد في «معاهد التنصيص» ص 137 طبع بولاق.
- 2- الطومار كالتامور: الصحيفة، قال ابن سيده: قيل هو دخيل، و أراه عربيا محضا لأن سيبويه قد اعتدّ به في الأبنية فقال: هو ملحق بفسطاط (انظر «لسان العرب» مادة «طمر»).
- 3- نسبة إلى بابل و هي ناحية منها الكوفة و الحلة ينسب إليها السحر و الخمر.
- 4- هاروت و ماروت: ملكان، و قد ورد ذكرهما في القرآن الكريم في قوله تعالى: (وَ مَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَ مُارُوتَ).
- 5- زيادة في ح.

غنى فيه المغنون، وأخباره مع حماد عجرد في تهاجيهما فإنها أيضا أفردت، وكذلك أخباره مع أبي هاشم الباهلي فإننا لم نجمع جميعها في هذا الموضوع، إذ كان كل صنف منها مستغنيا بنفسه حسبما شرط في تصدير الكتاب.

29 - أخبار يزيد حوراء

ولاؤه، و هو مغن من طبقة ابن جامع و الموصلية:

يزيد حوراء رجل من أهل المدينة ثم من موالي بني ليث بن بكر بن عبد مناة بن كنانة، ويكنى أبا خالد، مغن محسن كثير الصنعة، من طبقة ابن جامع وإبراهيم الموصلية، و كان ممن قدم على المهدي في خلافته فغناه، و كان حسن الصوت حلو الشمائل.

كان إبراهيم الموصلية يحسده فشاركه في جوار و تعلم إشارته منهن و أبطل عليه ما انفرد به:

و ذكر ابن خردادبه (1) أنه بلغه أن إبراهيم الموصلية حسده على شمائله وإشارته في الغناء، فاشترى عدّة جوار و شاركه فيهنّ، و قال له: علمهن فما رزق الله فيهن من ربح فهو بيننا، و أمرهن أن يجعلن وكدهنّ (2) أخذ إشارته (3) ففعلن ذلك، و كان إبراهيم يأخذها عنهن هو و ابنه و يأمرهن بتعليم كل من يعرفنه ذلك حتى شهرها في الناس؛ فأبطل عليه ما كان منفردا به من ذلك.

كان صديقا لأبي العتاهية و غنى للمهدي من شعره في عتبة فأكرمه:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا محمد بن موسى قال حدّثني جماعة من موالي الرشيد:

أن يزيد حوراء كان صديقا لأبي العتاهية، فقال أبو العتاهية أبياتا في أمر عتبة يتنجز فيها المهدي ما وعد إياه من تزويجها، فإذا وجد المهدي طيب النفس غناه بها، و هي:

و لقد تسّمت الرياح حاجتي *** فإذا لها من راحتك نسيم

أشربت نفسي من رجائك ما له *** عنق يخبّ إليك بي و رسيم (4)

و رميت نحو سماء جودك (5) ناظري *** أرعى مخايل برقه و أشيم

و لربّما استيأست ثم أقول لا، *** إن الذي ضمن النجاح كريم

فصنع فيها لحنًا و توخى لها وقتا و وجد المهديّ فيه طيب النفس فغناه بها، فدعا بأبي العتاهية و قال له: أمّا عتبة فلا سبيل إليها لأن مولاتها منعت من ذلك. و لكن هذه/خمسون ألف درهم فاشتر ببعضها خيرا من عتبة، فحملت إليه و انصرف.

ص: 175

1- (انظر الحاشية رقم 5 ص 344 ج 2 «أغاني» طبع دار الكتب المصرية).

2- الوكد: القصد.

3- في ب، س، ح: «إشاراته».

4- العنق والرسم: ضربان من ضروب السير.

5- الجود (بفتح الجيم): المطر الغزير، و من الجائز أن تكون بضم الجيم بمعنى الكرم. وفي «زهر الآداب»: «صوبك».

كان نظيفا ظريفا حسن الوجه جميل الخصال:

أخبرني عمي قال حدثني أحمد بن المرزبان قال حدثنا شيبه بن هشام عن عبد الله بن العباس الربيعي (1) قال:

كان يزيد حوراء نظيفا ظريفا حسن الوجه شكلا (2)، لم يقدم علينا من الحجاز أنظف ولا أشكل منه، وما كنت تشاء أن ترى خصلة جميلة فيه لا- تراها في أحد منهم إلا رأيتها فيه، وكان يتعصب لإبراهيم الموصلي على ابن جامع، فكان إبراهيم يرفع منه ويشيع ذكره بالجميل وينبّه على مواضع تقدّمه وإحسانه ويبعث بابنه إسحاق إليه يأخذ عنه.

رثاه صديقه أبو مالك حين مات:

إشارة

و كان صديقا لأبي مالك الأعرج التميمي لا يكاد أن يفارقه، فمرض مرضا شديدا واحتضر، فاغتمّ عليه الرشيد وبعث بمسرور الخادم يسأل عنه، ثم مات؛ فقال أبو مالك يرثيه:

صوت

لم يمتّع من الشباب يزيد *** صار في التّربّ و هو غصّ جديد

خانه دهره و قابله من *** ه بنحس و دابرتّه (3) السّعود

/حين زقت دنياه من كل وجه *** و تدانى إليه منه البعيد

فكأن لم يكن يزيد و لم يش *** ج نديما يهزه التّغريد

و في هذه الأبيات لحسين بن محرز لحن من الثقليل الثاني بالبنصر، من نسخة عمرو بن بانه.

توسط لأبي العتاهية حتى ذكره للمهدي فكلم فيه عتبة:

إشارة

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدثني أحمد بن أبي يوسف قال حدثني الحسين بن جمهور بن زياد بن طرخان (4) مولى المنصور قال حدثني أبو محمد عبد الرحمن بن عيينة بن شارية الدوّليّ قال حدثني محمد بن ميمون أبو زيد قال حدثني يزيد حوراء المغنيّ قال:

كلّمني أبو العتاهية في أن أكلم له المهديّ في عتبة، فقلت له: إن الكلام لا يمكنني ولكن قل شعرا أغنّه به، فقال:

صوت

- 1- في جميع الأصول: «الربعي» بدون ياء بعد الباء و هو عبد الله بن العباس بن الفضل بن الربيع و النسبة إليه ربيعيّ بإثبات الياء، و له ترجمة في الجزء السابع عشر من «الأغاني» طبع بولاق.
- 2- شكلا: ذادل و غزل.
- 3- دابرتة: ولته دبرها و لم تقبل عليه.
- 4- طرخان بفتح الطاء و المحدثون يضمونها و يكسرونها، و قد نبه على ذلك صاحب «القاموس» فقال: و لا تضمّ و لا تكسر و إن فعله المحدثون؛ و هي كلمة خراسانية معناها «الرئيس الشريف» و جمعها «طراخنة».

إني لأيس منها ثم يطمعني *** فيها احتقارك للدنيا و ما فيها

قال: فعملت فيه لحنا وغنيته به، فقال: ما هذا؟ فأخبرته خبر أبي العتاهية، فقال: ننظر فيما سأل، فأخبرت أبا العتاهية، ثم مضى شهر فجاءني وقال: هل حدث خبر؟ فقلت: لا، قال: فاذكرني للمهدي، قلت: إن أحببت ذلك فقل شعرا تحركه و تذكره وعده حتى أغنيبه به، فقال:

صوت

ليت شعري ما عندكم ليت شعري *** فلقد أحر الجواب لأمر

ما جواب أولى بكلّ جميل *** من جواب يرّد من بعد شهر

قال يزيد: فغنيته به المهديّ فقال: عليّ بعتبة فأحضرت، فقال: إنّ أبا العتاهية كلّمني فيك، فما تقولين، ولك و له عندي ما تحبان مما لا تبلغه أمانيكما؟ فقالت له: قد علم أمير المؤمنين ما أوجب الله عليّ من حقّ مولاتي، و أريد أن أذكر لها هذا، قال: فافعلي؛ قال: و أعلمت أبا العتاهية، و مضت أيام فسألني معاودة المهديّ، فقلت: قد عرفت الطريق فقل ما شئت حتى أغنيبه به، فقال:

صوت

أشربت قلبي من رجائك ما له *** عنق يخبّ إليك بي و رسيم

و أملت نحو سماء جودك ناظري *** أرعى مخايل برقها و أشيم

و لربّما استيأست ثم أقول لا *** إنّ الذي وعد النجاح كريم

قال يزيد: فغنيته المهديّ، فقال: عليّ بعتبة فجاءت، فقال: ما صنعت؟ فقالت: ذكرت ذلك لمولاتي فكرهته و أبته، فليفعل أمير المؤمنين ما يريد، فقال: ما كنت لأفعل شيئاً تكرهه، فأعلمت أبا العتاهية بذلك، فقال:

قطّعت منك حبال الآمال *** و أرحت من حلّ و من ترحال

ما كان أشأم إذ رجاؤك قاتلي (1) *** و بنات وعدك يعتلجن (2) ببالي

و لئن طمعت لربّ برقة خلب *** مالت بذي (3) طمع و لمعة آل

مغازته لجارية:

أخبرني محمد بن أبي الأزهر قال حدّثني حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال:

قال يزيد حوراء: كنت أجلس بالمدينة على أبواب قريش، فكانت تمرّ بي جارية تختلف إلى الزرقاء تتعلّم منها الغناء، فقلت لها يوماً: افهمي قولني و ردّي جوابي و كوني عند ظنيّ، فقالت: هات ما عندك، فقلت: بالله ما

1- هكذا في جميع الأصول و«الديوان»، وفي كتاب «زهر الآداب»: «قادني».

2- كذا في ح، ويعتلجن ببالي: يقعن و يخطرن، على المجاز من قولهم: اعتلج الموج إذا التطم. وفي باقي الأصول: «يعتجلن» و هو تحريف.

3- في كل الأصول: «مالت به طمع»، و هو تحريف و التصويب عن «ديوان أبي العتاهية» و «كتاب زهر الآداب».

اسمك؟ فقالت: ممنّعة؛ فأطرقت طيرة(1) من اسمها مع طمعي فيها، فقلت: بل باذلة أو مبذولة إن شاء الله، فاسمعي منّي، فقالت وهي تتبسّم: إن كان عندك شيء فقل، فقلت:

ليهنك(2) منّي أنني لست مفشيا *** هوك إلى غيري ولو متّ من كرب

و لا مانحا خلقا سواك موّدتي *** و لا قائلا ما عشت من حبّكم حسي

قال: فنظرت إليّ طويلا، ثم قالت: أنشدك الله، أعن فرط محبّة أم احتياج غلّمة تكلمت؟ فقلت: لا والله ولكن عن فرط محبّة، فقالت:

فو الله ربّ الناس لا خنتك الهوى *** و لا زلت مخصوص المحبّة من قلبي

فتق بي فيأتي قد وثقت و لا تكن *** على غير ما أظهرت لي يا أخا الحبّ

قال: فو الله لكنّما أضرمت في قلبي نارا، فكانت تلقاني في الطريق الذي كانت تسلكه فتحدّثني و أتفرّج(3) بها، ثم اشتراها بعض أولاد الخلفاء، فكانت تكاتبني و تلاطفني دهرا طويلا.

صوت من المائة المختارة

يا ليلة جمعت لنا الأحبابا *** لو شئت دام لنا النعيم و طابا

بتنا نسقاها شمو لا قرقفا(4) *** تدع الصحيح بعقله مرتابا

حمراء مثل دم الغزال و تارة *** عند المزاج تخالها زريابا(5)

من كفّ جارية كأنّ بنانها *** من فضّة قد قمّعت(6) عتابا

و كأنّ يمانها إذا نقرت بها *** تلقي على الكفّ الشّمال حسابا

عروضه من الكامل. الشعر لعكاشة العمّي، و الغناء لعبد الرحيم الدّقّاف، و لحنه المختار هزج بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى.

ص: 178

1- طيرة: شوّما.

2- كذا في الأصول، و قد أنكر صاحب «اللسان» هذا الاستعمال فقال: و العرب تقول ليهنك الفارس بجزم الهمزة و ليهنك الفارس بياء ساكنة و لا يجوز «ليهنك» كما تقول العامة؛ و لكن السيد المرتضى ذكر أنه ورد في «صحيح البخاري» (انظر في مادة هنا).

3- أتفرّج بها: أصير بها ذا فرج نحو تأسف أي صار ذا أسف و تأهل أي صار ذا أهل، و لكننا لم نجد في «كتب اللغة» التي بأيدينا لتفرّج معنى سوى تفرّج مطاوع فرج في نحو قولهم: فرّج الله الكرب فتفرّج و انفرّج.

4- الشمول من أسماء الخمر، سميت بذلك لأنها تشمل الناس بريحها، و القرقف من أسمائها أيضا لأنها ترقف شاربها أي ترعده.

5- الزرياب: الذهب و قيل ماؤه، معرب «زر» أي ذهب و «آب» أي ماء.

6- قمعت عنابا: جعلت له أقماع من عناب، و الأقماع: جمع قمع، و هو الغلاف الذي يكون على رأس التمرة أو البسرة، و العنّاب: شجر له حب كحب الزيتون و أجوده الأ-حمر الحلو؛ و يقال: قمعت المرأة بنانها بالحناء أي خضبت به أطرافها فصارت لها كالأقماع، و أنشد ثعلب على هذا: لطمت ورد خدها ببنان من لجين قمعن بالعقيان

أصل قومه بني العم مدفوع في العرب:

هو عكاشة بن عبد الصمد العمي من أهل البصرة من بني العم. وأصل بني العم كالمدفوع، يقال: إنهم نزلوا ببني تميم بالبصرة في أيام عمر بن الخطّاب فأسلموا وغزوا مع المسلمين و حسن بلاؤهم، فقال الناس: أنتم، وإن لم تكونوا من العرب، إخواننا وأهلنا وأنتم الأنصار و الإخوان و بنو العم، فلقبوا بذلك و صاروا في جملة العرب.

هجا كعب بن معدان بني ناجية و شبههم ببني العم:

و قال بعض الشعراء - و هو كعب بن معدان - يهجو بني ناجية و يشبههم ببني العم:

وجدنا آل سامة في قريش *** كمثل العم بين بني تميم

و يروى: «في سلفي تميم».

أعانوا الفرزدق فهجاهم جرير:

أخبرني عيسى بن الحسين عن حماد بن إسحاق عن أبيه قال حدّثني أبو عبيدة قال:

لما توافق (1) جرير و الفرزدق بالمرید للهجاء اقتتل بنو يربوع و بنو مجاشع، فأمدت بنو العم بني مجاشع و جاءوهم و في أيديهم الخشب فطردوا بني يربوع؛ فقال جرير: من هؤلاء؟ قالوا: بنو العم، فقال جرير يهجوهم:

ما للفرزدق من عزّ يلوذ به *** إلا بني العم في أيديهم الخشب

سيروا بني العم فالأهواز (2) داركم *** و نهر تيري (3) و لم تعرفكم العرب

و عكاشة شاعر مقلّ من شعراء الدولة العباسية، ليس ممّن شهر و شاع شعره في أيدي الناس و لا ممّن خدم الخلفاء و مدحهم.

ذكر لصديقه حميد الكاتب حبه لنعيم و شعره فيها:

إشارة

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثني محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثني عليّ بن الحسن عن ابن الأعرابيّ قال حدّثني سعيد بن حميد الكاتب البصريّ قال قال أبي:

كان عكاشة بن عبد الصمد العمي صديقا لي و إلفا، و كنّا نتعاشر و لا نكاد نفترق و لا يكتّم أحدنا صاحبه شيئا،

1- توافق: وقف أحدهما للآخر، قال في «اللسان» (مادة وقف): وواقفه مواقفة ووقافا: وقف معه في حرب أو خصومة. وفي الأصول: «توافق».

2- الأهواز: سبع كور بين البصرة وفارس، لكل كورة منها اسم ويجمعها الأهواز.

3- نهر تيري (بكسر التاء وياء ساكنة وراء مفتوحة مقصور): بلد من نواحي الأهواز حفره أردشير الأصغر بن بابك ووهبه «لتيري» من ولد جودرز الوزير فسمى به، وله ذكر في أخبار الفتوح والخوارج، (انظر «معجم ياقوت» في الكلام على نهر تيري).

فرايته في بعض أيامه متغير الهيئة عمّا عهدته مقسّم القلب و الفكر غير آخذ ما كُنّا فيه من الفكاهة و المزاح، فسألته عن حاله فكاتبنيها مليًا، ثم أخبرني أنه يهوى جارية لبعض الهشاميين يقال لها نعيم، و أن مرامها عليه مستصعب لا يراها إلا من جناح لدارهم، تشرف عليه في الفيئة (1) بعد الفيئة فتكلّمه كلاما يسيرا ثم تذهب، فعاتبته على ذلك فلم يزدجر و تهادى في أمره، ثم جاءني يوما، فقال: قد وعدتني الزيارة لأنّ شكواي إليها طالت، فقلت له: فهل حققت لك الوعد على يوم بعينه؟ قال: لا، إنما سألتها الزيارة فقالت: نعم أفعل، فقلت له: هذا و الله أعجب من سائر ما مضى، و أيّ شيء لك في هذا من الفائدة بلا تحصيل وعد! فقال لي: يا أخي، إنّ لي في قولها: «نعم» فرجا كبيرا، فقلت: أنت أفنع الناس؛ ثم جاءني بعد يومين و هو كاسف البال مهموم، فقلت له: ما لك؟ فقال: مضيت إلى نعيم فتنجّزت وعدّها، فقالت لي: إنّ لي صاحبة أستصحها و أعلم أنها تشفق عليّ شفقة الأخت على أختها و الأمّ على ولدها و قد نهتني عن ذلك، و قالت لي: إنّ في الرجال غدرا و مكرًا، و لا آمن أن تفتضحني ثم لا تحصيلي منه على شيء؛ و قد انقطعت عني ثم أنشدني لنفسه:

/

علام حبل الصفاء منصرم *** و فيم عني الصدود و الصّم

يا من كنيّا عن اسمه زمنا *** نتبع مرضاته و يجترم (2)

قد عيل صبري و أنت لاهية *** عني و قلبي عليك يضطرم

من جدّ حبل الوفاء سيّدتني *** منك و من سامني له العدم

فكم أتاني واش يعيبكم *** فقلت اخسأ لأنفك الرّغم

أنت الفدا و الحمى لمن عبت فار *** جع صاغرا راغما لك الندم

صوت

يا ربّ خذ لي من الوشاة إذا *** قاموا و قمنا إليك نختصم

دبوا إليها يوسوسون لها *** كي يستزلّوا حبيبتني زعموا

هيهات من ذلك ضلّ سعيهم *** ما قلبها المستعار يقتسم

يا حاسدينا موتوا بغیظكم *** حبلي متين بقولها نعم

بالله لا تشمتي العداة بنا *** كوني كقلبي فلست أتهم

زارته نعيم و غنته ثم ذهبت فقال شعرا في ذلك:

إشارة

- الغناء في هذه الأبيات لعريب رمل. وقيل: إنه لغيرها - قال: ثم طال ترداده إليها و استصلاحه لها، فلم ألبث أن جاءتني رقعة في يوم خميس يعلمني أنها قد حصلت عنده و يستدعيني فحضرت، و توارت عني ساعة و هو يخبرها أنه لا فرق بيني و بينه و لا يحتشمي في حل البتة إلى أن خرجت، فاجتمعنا و شربنا و غنّت غناء حسنا إلى وقت العصر ثم انصرفت، و أخذ دواة و رقعة فكتب فيها:

ص: 180

-
- 1- الفئدة: الحين، و في بعض الأصول «العينة» و لعلها محرفة عن «الفينة» و هي بمعنى الفئدة.
 - 2- في الأصول: «و نجرم» بالنون و السياق يأبأها.

سقىا لمجلسنا الذي كُنّا به *** يوم الخميس جماعة أترابا

في غرفة مطرت سماوة(1) سقّفها *** بحيا النعيم من الكروم شرابا

إذ نحن نسقاها شمولاً قرقفا *** تدع الصحيح بعقله مرتابا

حمراء مثل دم الغزال و تارة *** بعد المزاج تخالها زريابا

من كَفَّ جارية كأنّ بناؤها *** من فضّة قد قمّعت عنّابا

تزداد حسنا كأسها من كَفّها *** و يطيب منها نشرها أحقابا

و إذا المزاج علا فشجّ جبينها *** نفتت(2) بالسنّة المزاج حبابا

و تخال ما جمعت فأحدق سمطه *** بالطّوق ريق حباب و رضابا

كفت المناصف(3) أن تذبّ أكفّها *** عنها إذا جعلت تفوح ذبابا

و العود متّبع غناء خريدة *** غردا يقول كما تقول صوابا

و كأنّ يمناها إذا نطقت به *** تلقي على يدها الشّمال حسابا

فهناك خفّ(4) بنا النعيم و صار من *** دون الثّقل لنا عليه حجّابا

/آليت لا الحي على طلب الهوى *** متلذّذا حتى أكون ترابا

اشترى نعيم بغداديّ و سافر بها فأسف و قال شعرا:

قال: ثمّ قدم قادم من أهل بغداد فاشترى نعيم هذه من مولاتها و رحل إلى بغداد، فعظم أسف عكّاشة و حزنه عليها و استهيم بها طول عمره،

فاستحالت صورته و طبعه و خلقه إلى أن فرّق الدهر بيننا، فكان أكثر وكده(5) و شغله أن يقول فيها الشعر و ينوح به عليها و يبكي؛ قال

حميد بن سعيد فأنشدني أبي له في ذلك:

ألا ليت شعري هل يعودنّ ما مضى *** و هل راجع ما مات من صلة الحبل

و هل أجلسن في مثل مجلسنا الذي *** نعمنا به يوم السعادة بالوصل

عشيّة صبّت لذة الوصل ظيبيها *** علينا وأفنان الجنان جنى البذل

وقد دار ساقينا بكأس رويّة *** ترحل أحزان الكئيب مع العقل

وشجّ شموّلا بالمزاج فطيرت *** كألسنه الحيات خافت من القتل

فبتنا وعين الكأس سحّ دموعها *** لكلّ فتى يهتّر للمجد كالتّصل

ص: 181

1- السماوة: السماء وهي كل ما علاك فأظلك.

2- في أكثر النسخ: «نقشت» وفي بعضها: «نقشت» وظاهر أن كليهما محرف عما أثبتناه.

3- المناصف: جمع منصف (بكسر الميم وقد تفتح، والأنثى منصفة) وهو الخادم.

4- في ح: «حف» بالحاء المهملة.

5- الوكد: الهم والقصد.

وقينتنا كالظبي تسمع بالهوى *** وبثّ تباريح الفؤاد على رسل (1)

إذا ما حكّت بالعود رجع لسانها *** رأيت لسان العود من كفّها يملي

فلم أر كاللذات أمطرت الهوى *** ولا مثل يومي ذلك صادفه مثلي

و مما قاله فيها:

أنعيم حبك سلني و بلاني *** و إلى الأمر من الأمور دعاني

أنعيم لو تجدين وجدي و الذي *** ألقى بكيت من الذي أبكاني

أنعيم سيّدي عليك تقطعت *** نفسي من الحسرات و الأحزان

أنعيم قد رحم الهوى قلبي و قد *** بكت الثياب أسى على جثمانني

أنعيم و انحدرت مدامع مقلتي *** حتّى رحمت لرحمتي إخوانني

أنعيم مثلك الهيام لمقلتي *** فكأنّني أفاك كلّ مكان

أنعيم نظرة سحر عينك بالهوى *** معروفة بالقتل في إنسان

أنعيم (2) اشفي أو دعي من داؤه *** و دواؤه بيديك مقترنان

هذا و كم من مجلس لي مؤنق *** بين النعيم و بين عيش داني

نازعه أردانه فلبستها *** مع ظبية في عيشنا الفينان

اتسني الحليم من الرجال معاده *** بين الغناء و عودها الحنّان

حتى يعود كأنّ حبة قلبه *** مشدودة بمثال (3) و مثاني

ظلت تغنّيني و تعطف كفّها *** بالعود بين الرّاح و الرّيحان

فسمعت ما أبكى و أضحك سامعا *** و سكرت من طرب و من أشجان

و مشيت في لجج الهوى متبخترا *** و مشى إليّ اللهو في الألوان

فعلمت أن قد عاد قلبي عائد *** من بين عود مطرب و بنان

و مما قاله أيضا فيها:

نعيم هل بكيت كما بكيت *** و هل بعدي وفيت كما وفيت

ألا يا ليت شعري كيف بعدي اص *** طبارك(4) إذ نأيت و إذ نأيت

فكم من عبرة ذرفت فلما *** خشيت عيون أهلي و استحيت

ص: 182

1- الرسل (بالكسر): التؤدة و الرفق.

2- التنوين هنا لضرورة الشعر.

3- المثالث: جمع مثلث و هو ما كان على ثلاث قوى من الأوتار، وقيل هو الثالث منها، و المثاني: جمع مثني و هو ما بعد الأول من أوتار العود.

4- في ب، س: «كيف بعدي و صبرك...».

نهضت بها مكاتمة فلما *** خلوت ذرفتها حتى اشتفيت
وقلت لصحبي لَمَّا رمانى *** هواك بدائه حتى انطويت
أراني من هموم النفس ميتا *** ولم أر في نعيم ما نويت
فليت الموت عجل قبض روحي *** جهارا فاسترحت وأين ليت
وقال أيضا في فراقه إيّاها:

أنعيم في قلبي عليك شرار *** وعلى الفؤاد من الصّبا نار
وعلى الجفون غشاوة وعلى الهوى *** داع دعته لحيني الأقدار
بمضلة لبّ الحليم إذا رمت *** بالمقلتين كأنها سحّار
طالبتها حولين لا ليلى بها *** ليل ولا هذا النهار نهار
/حتى إذا ظفرت يداي بكاعب *** كالشمس تقصر دونها الأبصار
وثلجت صدرا بالفتاة و صارتا *** كالنفس نفسانا وقرّ قرار
بلغ الشقاء أشدّ ما يستطيعه *** فينا وفرق بيننا المقدار
ومما يغني فيه من شعر عكاشة الذي قاله في هذه الجارية:

صوت

لهفي على الزمن الذي *** ولّى بهجته القصير
قد كان يؤثني الهوى *** ويقرّ عيني بالسرور
إذ نحن خلانّ الهوى *** ريحانا عقب العبير
وغناؤنا وصف الهوى *** نلتدّ بالحبّ اليسير

الغناء في هذه الأبيات لابن صغير العين من كتاب إبراهيم ولم يذكر طريقته. وفيه لأبي العبيس بن حمدون خفيف رمل. وتمام هذه الأبيات:

وجه التواصل بيننا *** في الحسن كالقمر المنير

إيماؤنا يحكي الكلى *** م و سرّنا فطن المشير

و حديثنا بحواجب *** نطقنا بألسنة الضمير

بل رسلنا الكتب التي *** تجري بخافية الصدور

أنشد للمهديّ قوله في الخمر فأراد حدّه:

حدّثني الحسن بن عليل قال حدّثنا محمد بن القاسم بن مهرويه قال حدّثنا أبو مسلم عن المدائنيّ قال:

أنشد عكاشة بن عبد الصّمد المهديّ قوله في الخمر:

ص: 183

حمراء مثل دم الغزال و تارة *** عند(1) المزاج تخالها زريابا

/فقال له المهديّ: لقد أحسنت في وصفها إحسان من قد شربها، و لقد استحققت بذلك الحدّ، فقال:

أ يؤمنني أمير المؤمنين حتّى أتكلّم بحجّتي؟ قال: قد أمّنتك، قال: و ما يدريك يا أمير المؤمنين أنّي أحسنت و أجدت صفتها إن كنت لا تعرفها؟ فقال له المهديّ: أعزب قبّحك الله.

سمع له مثل ذلك مع الهادي:

قال الحسن و أخبرني بهذا الخبر أحمد بن سعيد(2) الدمشقيّ قال حدّثنا الزبير بن بكار أنّ عكاشة أنشد موسى الهادي هذا الشعر ثم أنشده قوله:

كأنّ فضول الكأس من زبداتها(3) *** خلاخل شدّت بالجمان إلى حجل(4)

فقال له موسى: و الله لأجلدتك حدّ الخمر، قال: و لم يا أمير المؤمنين! إنّما نقول و لا نفعل، فقال: كذبت، قد وصفتها صفة عالم بها، قال: فاجعل لي الأمان حتّى أتكلّم بحجّتي، قال: تكلم و أنت آمن، قال: أجدت وصفها أم لم أجد؟ قال: بلى قد أجدت، قال: و ما يدريك أنّي أجدت إن كنت لا تعرفها! إن كنت وصفتها بطبعي دون امتحاني فقد شركتني في ذلك بطبعك، و إن كان وصفها لا يعلم إلا بالتجربة فقد شركتني أيضا فيها؛ فضحك موسى و قال له: قد نجوت بحيلتك منّي، قاتلك الله فما أدهاك!

ما غنى فيه من شعره:

و مما وجدت فيه غناء من شعر عكاشة قوله:

و جاءوا إليه بالتعاويد(5) و الرقيّ *** و صبّوا عليه الماء من شدّة التّكس(6)

و قالوا به من أعين الجرنّ نظرة *** و لو صدقوا قالوا به أعين الإنس

الغناء لعريب. و منها:

طرفي يذوب و ماء طرفك جامد *** و عليّ من سيما هواك شواهد

هذا هواك قسمته بين الورى *** و منحنتني أرقا و طرفك راقد

فعليّ منه اليوم تسعة أسهم *** و على جميع الناس سهم واحد

الغناء لحظظة. و منها:

1- الرواية فيما سبق ص 260: «بعد».

2- كذا في ء، م ء أ وهو الموافق لما تقدّم في ص 305 ج 1 «أغاني» من هذه الطبعة، وفي باقي الأصول: «سعد».

3- الزبدات: جمع زبدة وهي الطائفة من الزبد الذي هو طفاوة الماء والجرة واللعب ونحوها.

4- الجمان: اللؤلؤ أو حب من فضة يعمل على شكل اللؤلؤ، والحجل (بالفتح والكسر): الخلخال.

5- التعاويذ: جمع تعويذة وهو ما يرقى به من فرع أو جنون ونحوه، ويقال على ما يكتب ويعلق على الإنسان للحفاظ من العين ونحوها

من الآفات فيما يزعمون، وتسمى المعاذات، وقد ورد في الحديث النهي عن تعليقها.

6- النكس: العود في المرض، يقال: نكس المريض إذا عاودته العلة بعد نقه، ويقال: تعسا له ونكسا بضم النون، وقد تفتح ازدواجا.

غاد(1) الهوى بالكأس بردا *** وأطع إمارة من تبدى(2)

و منها:

كما اشتتهت خلقت حتى إذا اعتدلت *** تمت قواما فلا طول ولا قصر

و منها:

وزعفرانية في اللون تحسبها *** إذا تأملتها في جسم كافور

تخال أن سقيط الطلّ بينهما *** دمع تحير في أجفان مهجور

ص: 185

-
- 1- كذا في أ، م، ء، وهو فعل أمر من «غادي» بمعنى باكر. وفي باقي الأصول «عاد» بالعين المهملة.
 - 2- كذا بالأصول، ولعلها «تندى» بمعنى تفضّل وتسخّى، يقال: «هو يتندى على إخوانه» أي يتفضل ويحود عليهم.

31 - أخبار عبد الرحيم الدقاف و نسبه

نسبه و الخلاف في اسم أبيه:

عبد الرّحيم بن الفضل الكوفي، و يكنى أبا القاسم، و قيل: هو عبد الرحيم بن سعد، و قيل: عبد الرحيم بن الهيثم بن سعد، مولى لآل الأشعث بن قيس، و قيل: بل هو مولى خزاعة.

سمعه حماد الراوية يغني:

ذكر أبو أيوب المدني أنّ حمّادا الراوية حدّثه قال: رأيت عبد الرّحيم الدقّاف أيام هارون الرشيد (1) بالزّقة و قد ظهرت (2)، فحضرتني و سمعته يغني يومئذ صوتا سئل عنه فذكر أنّه من صنعته، و هو:

فديتك لو تدرين كيف أحبّكم *** و كيف إذا ما غبت عنك أقول

كان منقطعا إلى علي بن المهدي:

و كان عبد الرحيم منقطعا إلى علي بن المهديّ المعروف بأمه ريطة بنت أبي العباس.

غني في شعر عرض فيه بالرشيد فجلده:

/فأخبرني علي بن سليمان الأخفش قال حدّثنا محمد بن يزيد المبرّد قال حدّثني عبد الصّمد بن المعدّل قال:

غنت جارية يوما بحضرة الرشيد:

قل لعليّ أيا فتى العرب *** و خير نام و خير مكتسب

أعلاك جدّك يا عليّ إذا *** قصّر جدّ عن ذروة الحسب

/فأمر بضرب عنقها، فقالت: يا سيّدي ما ذنبي! هذا صوت علّمته، و الله ما أدري من قاله و لا فيمن قيل؛ فعلم أنّها صدقت، فقال لها: عمّن أخذته؟ فقالت: عن عبد الرحيم الدقّاف، فأمر بإحضاره فأحضر، فقال له:

يا عاضّ بظر أمه، أتغني في شعر تفاخر فيه بيني و بين أخي! جرّدوه، فجرّدوه، و دعا له بالسياط، فضرب بين يديه خمسمائة سوط.

غني لعلي بن المهدي فأجازه:

إشارة

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال حدّثنا عبد الله بن أبي سعد عن القطرانيّ عن محمد بن جبر قال:

- 1- كذا في جميع الأصول، والمعروف أن حمادا الراوية لم يبق إلى أيام هارون الرشيد، فإن حمادا توفي في خلافة المنصور سنة 155 هـ. و قيل توفي في خلافة المهدي التي تنتهي بسنة 169 هـ، وعلى كلتا الروايتين تكون وفاة حماد قبل خلافة الرشيد التي تبتدى بسنة 170 هـ.
- 2- يشير حماد بقوله: «وقد ظهرت» إلى أنه كان مطّرحا مجفّوا حتى اختفى في أيام العباسيين بسبب تقدمه وإثاره عند ملوك بني أمية و منادمته لهم كما جاء في ترجمته في الجزء الخامس من «الأغاني» طبعة بولاق.

قال لي عبد الرحيم بن القاسم الدقّاف: دخلت على عليّ بن ربيعة يوما و ستارته منصوبة، فغنتّ جاريته:

أناس أمّاهم فموا حديثنا *** فلما كتمنا السرّ عنهم تقوّلوا

فقلت: أرايت إن غنتك هذا الصوت وفي تمامه زيادة بيت واحد، أيّ شيء لي عليك؟ قال: خلعتي التي عليّ، فغنتّيه:

فلم يحفظوا الودّ الذي كان بيننا *** ولا حين همّوا بالقطيعة أجملوا(1)

قال: فنزع خلعتة فخلعها عليّ، وأقتت عنده بقية يومي على عريدة كانت فيه.

الشعر لعباس بن الأحنف، والغناء لعبد الرحيم الدقّاف هزج بالبنصر. وهذا أخذه العباس من قول أبي دهبيل:

صوت

أمّا أناسا كنت تأتمنينهم *** فزادوا علينا في الحديث وأوهموا

وقالوا لها ما لم نقل ثمّ أكثروا *** عليّ و باحوا بالذي كنت أكتم

أو في هذين البيتين أغانيّ قديمة: منها لحن لابن سريج رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق. و لابن زرزور(2) الطائفيّ خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو. وفيه خفيف رمل بالبنصر والوسطى لمتيم وعريب.

صوت من المائة المختارة

بكرت سمية غدوة فتمتعي *** و غدت غدوّ مفارق لم يربع

و تعرّضت لك فاستبتك بواضح *** صلت كمنتصّ الغزال الأتلع

عروضه من الكامل. و الشعر للحادرة الثعلبيّ، والغناء في اللحن المختار لسعيد بن مسجح، وإيقاعه من خفيف الثقيل الأوّل بإطلاق الوتر في مجزى البنصر عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانه أنه لابن محرز. وفيهما للغريض ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو وفيهما خفيف رمل بالوسطى لابن سريج عن حبش.

و مما يغنى فيه من هذه القصيدة:

أسمي ما يدريك كم من فتية *** بادرت(3) لذّتهم بأدكن مترع

ابكروا عليّ بسحرة فصبحتهم *** من عاتق كدم الذبيح مشعشع

غداه مالك، و لحنه من الثقيل الأوّل بالبنصر عن عمرو. وفيه لمالك خفيف ثقيل آخر أيضا. وفيهما لعلّويه ثقيل أوّل صحيح من جيّد صنعتته. قوله: فتمتعي يخاطب نفسه، أي تمتعي منها قبل فراقها. و لم يربع: لم يتم.

و الواضح الصّلت: /يعني عنقها، و أصل الصّلت: الماضي، و منه الناقّة المصلّات: الماضيّة، و شدّ عليه بالسيف

ص: 187

-
- 1- في جميع الأصول «أجمل» بدون ضمير الجماعة و الصواب ما أثبتناه.
 - 2- هكذا ورد في جميع الأصول، و قد تقدّم في ص 259 ج 1 «أغاني» من هذه الطبعة اختلاف النسخ فيه و وروده في بعضها «زرزر» بغير واو.
 - 3- بادرت: عاجلت. و في ب، س، ح: «باكرت».

صلتا أي خارجا من غمده. و الصلت في هذا الشعر: الطويل الذي لا قصر فيه. و المنتص: المنتصب، يقال: انتص فلان أي انتصب، و منصّة العروس مأخوذة من هذا، و منه نصّ الحديث: رفعه إلى صاحبه. و استبتك: غلبتك على عقلك. و الواضح: الخالص الأبيض. و أدكن مترع يعني الرّقّ. و المشعشع: المرقق بالماء.

32 - أخبار الحادرة و نسبه

نسب الحادرة و سب لقبه بذلك:

الحادرة لقب غلب عليه، و الحويدرة أيضا؛ و اسمه قطبة بن أوس بن محصن بن جرول بن حبيب بن عبد العزّي بن خزيمة بن رزام بن مازن بن ثعلبة بن سعد(1) بن بغيض بن ريث بن غطفان بن سعد بن قيس بن عيلان(2) بن مضر بن نزار، شاعر جاهليّ مقلّ. أخبرني بنسبه هذا محمد بن العباس اليزيديّ عن عبد الرحمن بن عبد الله بن قريب ابن أخي الأصمعيّ عن عمّه. قال: وإنما سمّي الحادرة بقول زبّان(3) بن سيّار الفزاريّ له:

كأنك حادرة المنكيبي *** ن رصعاء تنقض في حائر(4)

عجوز ضفادع محجوبة(5) *** يطيف بها ولدة الحاضر(6)

قال: و الحادرة: الضخم.

و ذكر أبو عمرو السّيبانيّ أن الحادرة خرج هو و زبّان الفزاريّ يصطادان فاصطادا جميعا، فخرج زبّان يشتوي و يأكل في الليل وحده؛ فقال الحادرة:

تركت رفيق رحلك قد تراه *** و أنت لفيك في الظّلماء هادي

/فحقدّها عليه زبّان، ثم أتيا غديرا فتجرّد الحادرة، و كان ضخّم المنكيبين أرسح، فقال زبّان:

كأنك حادرة المنكيبي *** ن رصعاء تنقض في حائر

فقال له الحادرة:

لحا الله زبّان من شاعر *** أخي خنعة(7) فاجر غادر

كأنك فقّاحة(8) نوّرت *** مع الصبح في طرف الحائر

ص: 188

1- يتصل في سعد هذا نسب الحادرة بنسب ابن ميّادة الذي وردت ترجمته في الجزء الثاني من هذه الطبعة صفحة 261، و بمراجعة النسبين تجد أن بعض الأسماء سقطت من نسب الحادرة هنا.
2- في م: «قيس عيلان» بسقوط كلمة «ابن» و كلاهما وارد.

- 3- ذكر صاحب «شرح القاموس» في مادة «زيب» أنه قد يكون مشتقا من «زبن» فيصرف أو من «زبب» فيمنع من الصرف. وكذلك ذكر ابن دريد في كتاب «الاشتقاق» (ص 126 طبع أوروبا).
- 4- حادرة المنكبين: ممثلتهما. والرصعاء: الرسحاء وهي خفيفة لحم العجيزة والفخذين. و تنقض: تنقّ، يقال: أنقضت الضفدع تنقض إنقاضا إذا صوتت، انظر «شرح ابن الأنباري للمفضليات» ص 50. والحائر: مجتمع الماء.
- 5- كذا في الأصول، وفي «المفضليات» ص 49 طبع بيروت «قد حدرت».
- 6- الحاضر: المقيم على الماء، ويقال: حي حاضر إذا كانوا نازلين على ماء عدّ.
- 7- الخنعة: الريبة والفجرة.
- 8- الفقاحة: واحدة الفقاح، و فقاح كل نبت زهره حين يتفتح على أيّ لون كان.

فغلب هذا اللقب على الحادرة.

كان حسان بن ثابت معجبا بقصيدته

بكرت سمية

:

حدّثني محمد بن العباس اليزيديّ قال حدّثنا عبد الرحمن ابن أخي الأصمعيّ قال حدّثني عمّي قال سمعت شيخا من بني كنانة من أهل المدينة يقول:

كان حسان بن ثابت إذا قيل له: تنوشدت الأشعار في موضع كذا وكذا يقول: فهل أنشدت كلمة الحويدرة:

بكرت سمية غدوة فتمتّعي

قال أبو عبيدة: وهي من مختار الشعر، أصمعيّة مفضّليّة.

سبب الهجو بينه وبين زبّان بن سيّار:

نسخت من كتاب ابن الأعرابيّ قال حدّثني المفضّل قال:

كان الحادرة جارا لرجل من بني سليم، فأغار زبّان بن سيّار على إبله فأخذها فدفّعها إلى رجل من أهل وادي القرى يهودي، وكان له عليه دين فأعطاه إيّاها بدينه، وكان أهل وادي القرى حلفاء لبني ثعلبة؛ فلما سمع اليهوديّ بذلك قال: سيجعل الحادرة هذا سببا لنقض العهد الذي بيننا وبينه، ونحن نقرأ الكتاب/و لا ينبغي لنا أن نغدر، فردّ الإبل على الحادرة فردّها على جاره، ورجع إلى زبّان فقال له: أعطني مالي الذي عليك، فأعطاه إياه زبّان، ووقع الهجاء بينه وبين الحادرة؛ فقال الحادرة فيه:

لعمرة بين الأخرمين(1) طول *** تقادم منها مشهر(2) و محيل

وقفت بها حتى تعالى لي الضّحي *** لأخبر عنها إنني لسئول

يقول فيها:

فإن تحسبها بالحجاب ذليلة *** فما أنا يوما إن ركبت ذليل

سأمنعها في عصبة ثعلبيّة *** لهم عدد واف و عزّ أصيل(3)

فإن شئتم عدنا صديقا و عدتم *** و إمّا أبيتم فالمقام زحول(4)

قال: ولجّ الهجاء بينهما بعد ذلك فكان هذا سببه.

ونسخت من كتاب عمرو بن أبي عمرو الشيباني يذكر عن أبيه:

ص: 189

-
- 1- الأخرمان: مثنى أكرم و هو اسم لعدّة مواضع: منها جبل في ديار بني سليم و جبل قبل توز بأربعة أميال من أرض نجد و جبل في طرف الدهناء، و هو يأتي في الشعر بالإفراد بالثنائية، قال المسيّب بن علس: ترعى بأرض الأخرمين له فيها موارد ماؤها غدق
 - 2- أي مرت عليه شهور و أحوال فغيرته. و في ب، س: «مسهر» بالسین المهملة و هو تحريف.
 - 3- وقع في هذا البيت الاعتماد و هو عدم حذف الخامس من فعولن التي قبل القافية. انظر الحاشية رقم 2 ص 67 من هذا الجزء.
 - 4- زحول: بعيد.

أن جيشاً لبني عامر بن صعصعة أقبل وعليهم ثلاثة رؤساء: ذؤاب بن غالب من عقيل ثم من بني كعب بن ربيعة، و عبد الله بن عمرو من بني الصّموت، وعقيل بن مالك من بني نمير(1)، وهم يريدون غزو بني ثعلبة بن سعد رهط الحادرة/و من معهم من محارب، وكانوا يومئذ معهم، فنذرت(2) بهم بنو ثعلبة، فركب قيس بن مالك المحاربيّ الخصفيّ و جؤيّة بن نصر الجرميّ أحد بني ثعلبة للنظر إلى القوم، فلما دنوا منهم عرف عقيل بن مالك النميريّ(3) جؤيّة بن نصر الجرميّ، فناداه: إليّ يا جؤيّة بن نصر فإنّ لي خبراً أسرّه إليك؛ فقال: إليك أقبلت لكن لغير ما ظننت، فقال له: ما فعلت قلوب؟ - يعني امرأته -؛ فقال: هي في الظعن أسرّ ما كانت قطّ وأجمله؛ ثم حمل كلّ واحد منهما على صاحبه و اختلفا طعنتين(4) فطعنه جؤيّة طعنة دقت صلبه، وانطلق قيس بن مالك المحاربيّ إلى بني ثعلبة فأنذروهم، فاقتتلوا قتالاً شديداً، فهزمت بنو نمير و سائر بني عامر و مات عقيل التّميري و قتل ذؤاب بن غالب و عبد الله بن عمرو أحد بني الصّموت؛ فقال الحادرة في ذلك:

كانّ عقيلاً في الصّحى حلّقت به *** و طارت به في الجوّ عنقاء مغرب(5)

و يروى: «و طارت به في اللّوح»، و هو الهواء.

و ذي كرم يدعوكم آل عامر *** لدى معرك سرياله يتصبّب

رأت عامر وقع السيوف فأسلموا *** أخاهم و لم يعطف من الخيل مرهب

و سلّم لّمّا أن رأى الموت عامر *** له مركب فوق الأستة أحذب

/إذا ما أظلمت عوالي رماحنا *** تدلّي به نهدي(6) الجزارة منهب(7)

على صلويه(8) مرهفات كأنها *** قوادم نسر بزّ عنهنّ منكب

قال: و في هذه الوقعة يقول خدّاش بن زهير:

أيا أخويننا من أبينا و أمّنا *** إليكم إليكم لا سبيل إلى جسر

/جسر: قبيلة من محارب. قال: و هذا اليوم يعرف بيوم شواخط، قبيلة من محارب(9).

ص: 190

1- كذا في نسخة الشيخ الشنقيطي طبع بولاق مصححة بقلمه، و يؤيده ما يأتي في سياق الخبر من نسبة عقيل إلى بني نمير و لأن الظاهر من الخبر أن الرؤساء الثلاثة من بني عامر بن صعصعة، و نمير من بني عامر بن صعصعة ككعب بن ربيعة، و عامر بن صعصعة من قبائل قيس، و لا صلة لها بتميم. و في جميع الأصول: «تميم».

2- نذر بالشيء (كفرح): علمه.

3- في ب، س، م: «النمريّ» و هو تحريف.

4- أي اختلفت طعنتاهما فكانت إحدى الطعنتين في إثر الأخرى.

- 5- يقال: عنقاء مغرب على النعت وعنقاء مغرب على الإضافة. و العنقاء: طائر معروف الاسم مجهول الجسم؛ و العرب إذا أخبرت عن هلاك شيء قالت: حلّقت به في الجوّ عنقاء مغرب.
- 6- نهد الجزارة: ضخمها، و الجزارة في الأصل: أطراف الجزور و هي اليدين و الرجلان و الرأس؛ و المراد هنا أطراف فرس، و إذا قالوا: «فرس ضخم الجزارة» فإنما يراد غلظ اليدين و الرجلين و كثرة عصبها، و لا يدخل الرأس في هذا لأن عظم الرأس هجنة في الخيل.
- 7- المنهب: الفرس الفائق في العدو.
- 8- الصلا: وسط الظهر من الناس و من كل ذي أربع و ما انحدر من الوركين، و قيل: الفرجة بين الجاعرة و الذنب، و قيل: ما عن يمين الذنب و شماله، و هما «صلوان» و الجمع: صلوات و أصلاء.
- 9- هذه الكلمة (قبيلة من محارب) وردت هكذا في جميع الأصول، و الظاهر أنها من زيادات النساخ لأن شواحطا جبل مشهور بين مكة و المدينة و هو الجبل الذي أغارت به سرية من بني عامر على إبل لبني محارب (انظر «معجم ياقوت» و «معجم ما استعجم» للبكري

وقال أبو عمرو: خرج خارجة بن حصن في جمع من بني فزارة و من بني ثعلبة بن سعد و هو يريد غزو بني عبس بن بغيض، فلقوا جيشا لبني تميم على ماء يقال له «الكفافة» و تميم في جمع سعد و الرباب و بني عمرو، فقاتلوهم قتالا شديدا و هزمت تميم و أجفلت، و هذا اليوم يقال له: «يوم كفافة»، فقال الحادرة في ذلك:

و نحن منعنا من تميم و قد طغت *** مراعي الملا حتى تضمّنها نجد

كمعطفنا يوم الكفافة(1) خيلنا *** لتتبع أخرى الجيش إذ بلغ الجدّ

/على حين شالت(2) و استخفت رجالهم *** جلائب(3) أحياء يسيل بها الشدّ

إذا هي شكّ السّمهريّ نحوورها *** و خامت(4) عن الأبطال أتعبها القدّ(5)

تكرّ سراعا في المضيق عليهم *** و تنى بطاء ما تخبّ و لا تعدو

فأثنوا علينا لا أبا لأبيكم *** يا حساننا إن الشاء هو الخلد

ص: 191

-
- 1- كفافة (بضم الكاف): اسم ماء صارت به وقعة بين فزارة و بني عمرو بن تميم كما تقدّم، و قد استشهد عليه ياقوت بهذا البيت هكذا: كمحسنا يوم الكفافة خيلنا لنورد أخرى الخيل إذ كره الورد
 - 2- شالت: رفعت ذنبها.
 - 3- كذا في أ، م، ع. و في سائر النسخ: «حلائب» بالحاء و هو تحريف.
 - 4- خامت: نكصت و جبت.
 - 5- القدّ: سير يقدّ من جلد يقيد به.

ولاؤه، و هو مغن أسود متقن نقل غناء الفرس:

سعيد بن مسجح أبو عثمان مولى بني جمح، وقيل: إنه مولى بني نوفل بن الحارث بن عبد المطلب. مكّي أسود، مغنّ متقدّم من فحول المغنّين وأكابرهم، وأوّل من صنع الغناء منهم، ونقل غناء الفرس إلى غناء العرب، ثم رحل إلى الشام وأخذ ألحان الروم والبربطيّة (1) و الأسطوخوسيّة، وانقلب إلى فارس فأخذ بها غناء كثيرا وتعلّم الضرب، ثم قدم إلى الحجاز وقد أخذ محاسن تلك النغم، وألقى منها ما استقبّحه من التّبرات والنغم التي هي موجودة في نغم غناء الفرس والروم خارجة عن غناء العرب، وغنّى على هذا المذهب، فكان أوّل من أثبت ذلك ولحنّه وتبعه الناس بعد.

علم ابن سريج والغريص الغناء:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان، والحسين بن يحيى قالوا: حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن هشام بن المرّية: أنّ أوّل من غنّى هذا الغناء العربيّ بمكّة ابن مسجح مولى بني مخزوم، وذلك أنه مرّ بالفرس وهم يبنون المسجد الحرام، فسمع غناءهم بالفارسيّة فقلبه في شعر عربيّ؛ وهو الذي علّم ابن سريج والغريص، وكان ابن مسجح مولداً أسود يكنى بأبي عيسى.

احتراق الكعبة في عهد ابن الزبير و بناؤه لها:

أخبرني محمد بن عبيد الله بن محمد الرازيّ قال حدّثنا أحمد (2) بن الحارث الخرزّاني (3) عن المدائنيّ، وذكر إسحاق عن المدائنيّ عن أبي بكر الهذليّ قال:

كان سبب بناء ابن الزبير الكعبة لما احترقت، أنّ أهل الشام لما حاصروه سمع أصواتا بالليل فوق الجبل

ص: 192

1- كذا في الأصول. وقد رأى الأب أنستاس ماري الكرملّي أنّ تكون هذه الكلمة محرفة عن «البنظية» (بضم الباء الموحدة وفتح الزاي يليها نون ساكنة بعدها طاء مكسورة ثم ياء مثناة مشدّدة وفي الآخر هاء): نسبة إلى بنظية وهي مدينة القسطنطينية قبل أن تبني، ويراد بالبنظية قوم من الروم الشرقيين عرفوا بهذا الاسم منذ عهد قسطنطين الكبير إلى سقوط القسطنطينية بيد الترك. ثم قال: وأما الأسطوخوسية فيراد بهم قوم آخرون من أسطوخوس أو أسطوخادس، وهي جزيرة في جنوبيّ فرنسا كان أهلها معروفين بالقصف والغناء والأنس، كما هم عليه إلى هذا العهد، وكان سكانها خليطاً من الروم واليونانيين والقلطيّين وبقايا الفلسطينيين. (انظر المجلد الثاني من «مجلة الزهراء» ص 358-361).

2- في جميع الأصول: «محمد»، وقد تقدّم في مواضع متعدّدة أنّ الذي يروى عن المدائنيّ هو أحمد بن الحارث الخرزّاني وهو صاحبه و راويته.

3- تقدم فيما كتبناه عن هذا الاسم في (ص 171 ج 2 حاشية رقم 2) أنّ الخراز بزايين معجمتين، اعتماداً على وروده كذلك في «فهرست ابن النديم». وقد ذكره الذهبي في «المشبه في أسماء الرجال» (ص 98) الخراز بالراء المهملة و آخره زاي نسبة إلى خرز الحلود، وكذلك ذكره السمعاني في «الأنساب» (ورقة 191 في الوجه الثاني) وذكر كلاهما أنه راوية المدائني، وذكره شارح «القاموس» في مادة خرز و سماه خطأ أحمد بن خلف.

فخاف أن يكون أهل الشام قد وصلوا إليه، وكانت ليلة ظلماء ذات ريح شديدة صعبة و رعد و برق، فرفع نارا على رأس رمح لينظر إلى الناس فأطارتها الريح فوقعت على أستار الكعبة فأحرقتها و استطالت فيها، و جهد الناس في إطفائها فلم يقدرُوا، و أصبحت الكعبة تتهافت (1) و ماتت امرأة من قريش، فخرج الناس كلهم في جنازتها خوفا من أن ينزل العذاب عليهم، و أصبح ابن الزبير ساجدا يدعو و يقول: اللهم إني لم أتعمد ما جرى فلا تهلك عبادك بذنبي و هذه ناصيتي بين يديك؛ فلما تعالَى النهار أمن و تراجع/الناس، فقال لهم: اللّهُ أن ينهدم في بيت أحدكم حجر فيزول عن موضعه فيبينه و يصلحه و أترك الكعبة خرابا؛ ثم هدمها مبتدئا بيده و تبعه الفعلة حتى بلغوا إلى قواعدها، و دعا ببنّائين من الفرس و الروم فبناها.

نقل غناء الفرس من بنّائي الكعبة الذين استقدمهم ابن الزبير:

قال إسحاق: و أخبرني ابن الكلبي عن أبي مسكين قال:

كان سعيد بن مسجح أسود مولدا يكنى أبا عيسى مولى لبني جمح، فرأى الفرس و هم يعملون الكعبة لابن الزبير و يتغنّون بالفارسيّة فاشتقّ غنائه على ذلك.

/قال إسحاق: و حدّثني محمد بن سلام عن شعيب بن صخر و جرير قالوا:

كان سعيد بن مسجح أسود و هو مولى بني جمح يكنى أبا عيسى.

كان ولاؤه هو و ابن سريج لرجل واحد:

قال إسحاق: و حدّثني المدائني عن صخر بن جعفر عن أبي قبيل بمثل ذلك، و ذكر أنه كان يكنى أبا عثمان.

قال: و هو مولى لبني نوفل بن الحارث كان هو و ابن سريج لرجل واحد، و لذلك قبل عنه ابن سريج.

ابن مسجح في حدّثه:

إشارة

قال إسحاق: و حدّثني الهيثم بن عدي عن صالح بن حسن فذكر مثل ما ذكر أبو قبيل من كنيته و ولائه، و قال:

كان ابن مسجح فطنا كَيِّسا ذكيّا، و كان أصفر حسن اللون، و كان مولاه معجبا به، و كان يقول في صغره: ليكوننّ لهذا الغلام شأن، و ما منعني من عتقه إلا حسن فراستي فيه، و لئن عشت لأتعرّفنّ ذلك، و إن متّ فهو حرّ، فسمعه مولاه يوما و هو يتغنّى بشعر ابن الرّقاع العامليّ، و هو من الثقليل الأوّل بالسبّابة في مجرى الوسطى:

صوت

ألم على طلل عفا متقادماً *** بين اللّكيك (2) و بين غيب الناعم (3)

1- أي لتساقط حجرا حجرا.

2- اللكيك كأمير ويقال له اللكالك، رواه ابن جبلة «اللكاك» كغراب، و ضبطه الصاغانني بالكسر ككتاب وقال: هو موضع في ديار بني عامر، وقال غيره: بحزن بني يربوع؛ انظر «شرح القاموس»، وقد ضبطه ياقوت في «معجم البلدان» بالكسر ككتاب ولم يذكر اللكيك.

3- غيب الناعم: موضع قال عنه ياقوت: إنه ورد في قول عدي بن الرقاع وذكر البيت هكذا: ألمم على طلل عفا متقادم بين الذؤيب وبين
غيب الناعم

لولا الحياء و أن رأسي قد عثا(1) *** فيه المشيب لزرت أم القاسم

فدعا به مولاه فقال له: يا بني أعد ما سمعته منك عليّ، فأعاده فإذا هو أحسن مما ابتداء به، فقال: إن هذا لمن بعض ما كنت أقول، ثم قال: أتى لك هذا؟ قال: سمعت هذه الأعاجم تتغنى بالفارسيّة فنثقتها(2) و قلبتها في هذا الشعر، قال له: فأنت حرّ لوجه الله، فلزم مولاه و كثر أدبه و اتسع في غنائه و مهر بمكّة و أعجبوا به لظرفه و حسن ما سمعوه منه، فدفع إليه مولاه عبيد بن سريج، و قال له: يا بني علّمه و اجتهد فيه؛ و كان ابن سريج أحسن الناس صوتا، فتعلّم منه ثم برز عليه حتى لم يعرف له نظير.

غناء نافع الخير عند رجل من قريش:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثنا أخي هارون عن ابن الماجشون عن شيخ من أهل المدينة، و أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان و الحسين بن يحيى قالا أخبرنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه قال ذكر ابن الكلبيّ عن أبي مسكين عن شيخ من أهل المدينة قال:

دخلت على رجل من قريش بالمدينة و عنده رجل ساكن الطرف نبيل تأخذه العين، لا أعرفه؛ فقال له القرشيّ:

أقسمت عليك إلا ما غنيت صوتا، فحوّل خاتمه من خنصره اليسرى إلى بنصره اليمنى، ثم تناول قدحا، فغنّاه لحن ابن سريج في شعر كعب بن جعيل:

إذا امتشطت(3) عالوا لها بوسادة *** و مدّت عسيب المتن أن يتعقرا

ثوت نصف شهر تحسب الشهر ليلة *** تناغي(4) غزالا ساجي(5) الطرف أحورا

/تزيّن حتى تسلب المرء عقله *** و حتى يحار الطرف فيها و يسكرا(6)

/ثم غنّي في شعر توبة بن الحمير:

و غيرني إن كنت لّمّا تغيري *** هواجر تكتنيتها و أسيرها

و أدماء(7) من سرّ المهارى(8) كأنها *** مهابة(9) صوار(10) غير ما مسّ كورها

ص: 194

1- كذا في «لسان العرب» في مادة «عثا» و عثا: أفسد، يقال: عثا فيه المشيب أي أفسد، و في جميع الأصول «عسا» بالسين المهملة، و لم يظهر له معنى إلا أن يكون بمعنى اشتدّ، من قولهم: عسا النبات عسّوا أي غلظ و اشتدّ.

2- ثقّف الشيء: فهمه و أخذه.

3- كذا في ح، و في باقي النسخ: «إذا انتشطت» و هو تحريف.

4- المناغاة: المغازلة.

5- ساجي الطرف: فاترة ساكنه، و الأحور: الأبيض الناعم.

- 6- يقال: سكرت عينه تسكر (من باب نصر) إذا تحيرت و سكنت عن النظر. وفي الأصول: «ويشكرا» بالشين و هو تحريف.
- 7- الأدماء: من الإبل التي أشرب لونها بياضا مع سواد المقلتين.
- 8- السرّ: المحض، يقال: «هو في سر النسب» أي محضه وأفضله؛ و المهاري: جمع مهريّة و هي إبل منسوبة إلى مهرة ابن حيدان، وقيل: هي منسوبة إلى بلد، وقال الأزهري: هي نجائب تسبق الخيل.
- 9- المهامة: البقرة الوحشية.
- 10- الصوار: قطع البقر.

قطعت بها أجواز(1) كلّ تنوفة *** مخوف رداها كلّما استنّ(2) مورها

ترى ضعفاء القوم فيها كأنهم *** دعاميص(3) ماء نشّ(4) عنها غدورها

قال: فقلت له إني لأروي هذا الشعر و ما أعرف هذه الأبيات فيه، فقال: هكذا رويتها عن عبد الله بن جعفر، قال: وإذا هو نافع الخير مولى عبد الله بن جعفر.

الغناء في هذين اللحنين لابن مسجح ولم أجد لهما طريقة في شيء من الكتب التي مرّت. وذكر حبش أن في أبيات كعب بن جعيل لإبراهيم خفيف رمل بالوسطى.

دور معاوية بمكة:

إشارة

حدّثني جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب وعمّي و حبيب بن نصر المهلبيّ قالوا حدّثنا عبد الله بن أبي سعد قال حدّثني عبد الله بن محمد بن موسى الهاشميّ قال حدّثني أحمد بن موسى بن حمزة بن عمارة بن صفوان الجمحيّ عن أبيه قال:

/أول من نقل الغناء الفارسيّ من الفارسيّ إلى الغناء العربيّ سعيد بن مسجح مولى بني مخزوم. قال: وقد يختلف في ولائه إلا أن الأغلب عليه ولاء بني مخزوم، وذلك أنّ معاوية بن أبي سفيان لما بنى دوره التي يقال لها:

«الرّقط»(5) - وهي ما بين الدارين إلى الرّدم(6): أولها الدار البيضاء و آخرها دار الحمّام، وهي على يسار المصعد من المسجد إلى «ردم عمر» - حمل(7) لها بناءين فرسا من العراق فكانوا يبنونها بالجصّ والآجر، وكان سعيد بن مسجح يأتيهم فيسمع من غنائهم على بنيانهم، فما استحسن من ألقانهم أخذه ونقله إلى الشعر العربيّ، ثم صاغ على نحو ذلك؛ وهو الذي علّم الغريص، فكان من قديم غنائه الذي صنعه على تلك الأغاني:

صوت

أ سلام إنك قد ملكت فأسجحي(8) *** قد يملك الحرّ الكريم فيسجح

مّني على عان أطلت عناءه *** في الغلّ عندك و العناة تسرح

إّتي لأنصحكم و أعلم أنه *** سيّان عندك من يغشّ و ينصح

ص: 195

1- الأجواز: جمع جوز و هو وسط الشيء و معظمه، يقال: قطعوا جوز الفلاة و أجواز الفلا، و التنوفة: الفلاة التي لا ماء بها.

2- استن: هاج و ثار من استن الفرس في المضممار إذا جرى في نشاطه على سنن؛ و المور: الغبار تثيره الرياح.

3- الدعاميص: دود أسود يكون في الغدران إذا نشّت، أو هو دود له رأسان يرى في الماء إذا قل.

4- نش الغدير: بيس ماؤه ونضب.

5- كذا في جميع الأصول، وقد تعرّض الأزرقِي في «تاريخ مكة» لدور معاوية وذكر أنّ من بينها دارا تسمّى «الرقطاء» وسميت بذلك لأنها بنيت بالآجر الأحمر والجصّ الأبيض، ومنها «الدار البيضاء» وسمّيت بذلك لأنها بنيت بالجصّ ثم طليت به وكانت كلّها بيضاء، ثم ذكر بقيّة الدور بأسمائها ولم يذكر أنّ هناك دورا تسمّى الرقط (انظره في صفحتي 449 و 450) طبع لبيسك.

6- يريد به ردم عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد ذكر في «تاريخ مكة» (ص 450) ولم يذكر ياقوت في «معجمه» إلا ردم بني جمح بن عمرو.

7- كذا في ح. وفي أ، م: «فحمل» بالفاء وفي سائر النسخ: «فجعل» ولا موقع للفاء في سياق الكلام.

8- الإسجاح: حسن العفو، ومنه المثل السائر في العفو عند المقدرة «ملكت فأسجح» وهو مروّي عن عائشة قالت لعلي رضي الله عنهما يوم الجمل حين ظهر على الناس فدنا من هودجها ثم كلمهما بكلام، فأجابته: «ملكت فأسجح» أي ظفرت فأحسن و قدرت فسهل.

و إذا شكوت إلى سلامة حبّتها *** قالت أجدّ منك ذا أم تمزح

أخذ عنه معبد:

- الشعر للأحوص. و الغناء لابن مسجح ثقيل أول بالبنصر. ولد حمان فيه ثقيل أول بالبنصر. و لمالك فيه خفيف ثقيل عن الهشامي - قال: و هو أول من غنّى الغناء العربي المنقول عن الفارسي. و عاش سعيد بن مسجح حتى لقيه معبد و أخذ عنه في أيام الوليد بن عبد الملك.

نفاه دحمان الأشقر و إلى مكة إلى الشام فتوصل إلى عبد الملك و غناه فعفا عنه و أمر يردّ ماله إليه:

حدّثني عمّي و الحسين بن القاسم الكوفيّ قالا جميعا حدّثنا محمد بن سعيد الكرانيّ قال حدّثني النضر بن عمرو قال حدّثني أبو أميّة القرشيّ قال حدّثنا دحمان الأشقر قال:

كنت عاملا لعبد الملك بن مروان بمكة فنمي إليه أنّ رجلا أسود يقال له: سعيد بن مسجح أفسد فتيان قريش و أنفقوا عليه أموالهم، فكتب إليّ: أن اقض ماله و سيّره، ففعلت. /فتوجّه ابن مسجح إلى الشام فصحبه رجل له جوار مغنّيات في طريقه، فقال له: أين تريد؟ فأخبره خبره، و قال له: أريد الشام، قال له: فتكون معي؟ قال: نعم، فصحبته حتى بلغا دمشق فدخلا مسجدها فسألا: من أخصّ الناس بأمر المؤمنين؟ فقالوا: هؤلاء النفر من قريش و بنو عمّه، فوقف ابن مسجح عليهم و سلّم ثم قال: يا فتیان، هل فيكم من نضيف رجلا غريبا من أهل الحجاز؟ فنظر بعضهم إلى بعض و كان عليهم موعد أن يذهبوا إلى قينة يقال لها: «برق الأفق» فتثاقلوا به إلا فتى منهم تدمّم (1) فقال: أنا أضيفك، و قال لأصحابه: انطلقوا أنتم و أنا أذهب مع ضيفي، قالوا: لا، بل تجيء أنت و ضيفك، فذهبوا جميعا إلى بيت القينة، فلما أتوا بالغداء قال لهم سعيد: إني رجل أسود و لعلّ فيكم من يقدرني فأنا أجلس و أكل ناحية و قام، فاستحيوا منه و بعثوا إليه بما أكل، فلما صاروا إلى الشراب قال لهم مثل ذلك، ففعلوا به، و أخرجوا جاريتين فجلستا على سرير قد وضع لهما، فغنّتا إلى العشاء ثم دخلتا، و خرجت جارية حسنة الوجه و الهيئة و هما معها فجلست على السرير و جلستا أسفل منها عن يمين السرير و شماله، قال ابن مسجح: فتمثّلت (2) هذا البيت:

فقلت أشمس أم مصابيح بيعة *** بدت لك خلف السجف أم أنت حالم

فغضبت الجارية و قالت: أيضرب هذا الأسود بي الأمثال! فنظروا إليّ نظرا منكرا و لم يزالوا يسكّنونها، ثم غنّت صوتا، فقال ابن مسجح: أحسنت و الله، فغضب مولاها و قال: أمثل هذا الأسود يقدم على جاريتي! فقال لي الرجل الذي أنزلني عنده: قم فانصرف إلى منزلي فقد ثقلت على القوم، فذهبت أقوم فتدمّم القوم و قالوا لي: بل أقم و أحسن أدبك فأقمت، و غنّت فقلت: أخطأت و الله يا زانية و أسأت، ثم اندفعت فغنّيت الصوت فوثبت الجارية فقالت لمولاها: هذا و الله أبو عثمان سعيد بن مسجح، فقلت: إني و الله أنا هو، و الله لا أقيم عندكم، فوثب القرشيّون فقال هذا: يكون عندي، و قال هذا: يكون عندي، و قال هذا: بل عندي، فقلت: و الله لا أقيم إلا عند سيّدكم - يعني الرجل الذي أنزله منهم - ثم سألوه عما أقدمه فأخبرهم الخبر، فقال له صاحبه: إني أسمر الليلة مع

ص: 196

1- تدمّم أي خشي الذمّ و اللوم.

2- يقال: تمثّلت هذا البيت و تمثّلت به إذا ضربته مثلا.

أمير المؤمنين فهل تحسن أن تحذرو؟ قال: لا، ولكني أستعمل حذاء، قال: فإن منزلي بحذاء منزل أمير المؤمنين فإن وافقت منه طيب نفس أرسلت إليك، و مضى إلى عبد الملك فلما رآه طيب النفس أرسل إلى ابن مسجح وأخرج رأسه من وراء شرف القصر ثم حدا:

/

إنك يا معاذ يا ابن الفضل *** إن زلزل الأقدام لم تزلزل

عن دين موسى و الكتاب المنزل *** تقيم أصداع(1) القرون الميّل

للحقّ حتى ينتحوا للأعدل

فقال عبد الملك للقرشي: من هذا؟ قال: رجل حجازي قدم عليّ، قال: أحضره فأحضره له، وقال له: أحد مجدًا، ثم قال له: هل تغني غناء الركبان؟ قال: نعم، قال: غنّه، فتغني، فقال له: فهل تغني الغناء المتقن؟ قال:

نعم، قال: غنّه، فتغني فاهتزّ عبد الملك طربًا، ثم قال له: أقسم إن لك في القوم لأسماء/كثيرة، من أنت؟ ويحك! قال له: أنا المظلوم المقبوض ماله المسير عن وطنه سعيد بن مسجح، قبض مالي عامل الحجاز و نقاني، فتبسّم عبد الملك ثم قال له: قد وضح عذرتين قريش في أن ينفقوا عليك أموالهم، وأمنه وصله و كتب إلى عامله بردّ ماله عليه و ألاّ يعرض له بسوء.

صوت من المائة المختارة

سلا دار ليلي هل تبين فتنتق *** و أتى تردّ القول ببداء سملق(2)

و أتى تردّ القول دار كأنها *** لطول بلاها و التقادم مهرق(3)

عروضه من الطويل، الشعر لابن المولى. و ذكر يحيى بن عليّ بن يحيى عن إسحاق أن الشعر للأعشى؛ و ذلك غلط، و قد التمسناه في شعر كل أعشى ذكر في شعراء العرب فلم نجده، و لا رواه أحد من الرواة لأحد منهم، و وجدناه في شعر ابن المولى من قصيدة له طويلة جيّدة، و قد أثبتناها بعقب أخباره ليوقف على صحّة ما ذكرناه، إذ كان الغلط إذا وقع من مثل هذه الجهة احتيج إلى إيضاح الحجّة على ما خالفه و الدلالة على الصواب فيه. و الغناء في اللحن المختار لعطردّ ثقيل أوّل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق و يونس و عمرو، و فيه لأيوب زهرة خفيف ثقيل بالوسطى عن الهشاميّ و أحمد بن المكيّ. و في غناء أيوب زهرة زيادة بيتين و هما:

و قال خليلي و البكا لي غالب *** أقاض عليك ذا الأسى و الشوق

ص: 197

1- في جميع الأصول «أصداع» بالعين المهملة و هو تحريف، و الصواب ما أثبتناه لأنه من صدغ يصدغ صدوغا و صدغا بمعنى مال و منه «لأقيم صدغك» أي ميلك.

2- السملق: القاع المستوى الأملس الذي لا شجر فيه.

3- المهرق: الصحيفة، و من عادة العرب تشبيه الديار و المنازل إذا عفت و أقوت بالصحف و الكتابة، قال امرؤ القيس: أنت حجج بعدي

عليها فأصبحت فخط زبور في مصاحف رهبان وقال العجاج: يا صاح ما هاج الدموع الذرفا من طلل أمسى تخال المصحفا و المصحف:
الصحيفة.

وقد طال توقاني(1)

أكفكف عبرة*** تكاد إذا ردت لها النفس تزهق(2)

ص: 198

1- توقاني: اشتياقي وقد سكن لضرورة الشعر.

2- في رواية أخرى ص 288 من هذا الجزء: على دمنة كادت لها النفس تزهق

نسبه و صفته و هو شاعر من مخضرمي الدولتين:

هو محمد بن عبد الله بن مسلم بن المولى مولى الأنصار ثم من بني عمرو بن عوف، شاعر متقدم مجيد من مخضرمي الدولتين و مدّاحي أهلها، و قدم على المهديّ و امتدحه بعدة قصائد فوصله بصلات سنّية، و كان ظريفا عفيفا نظيف الثياب حسن الهيئة.

قدم على المهدي و مدحه فأجزل صلته:

أخبرني عمّي قال حدّثنا محمد بن عبد الله الحزنبلي قال قال لي محمد بن صالح بن النّطّاح:

كان ابن المولى يسمّى محمدا مولى بني عمرو بن عوف من الأنصار، و كان مسكنه بقباء، و كان يقدم على المهديّ فيمدحه، فقدم عليه فأشده قوله:

سلا دار ليلي هل تبين فتنتق *** و أنّي تردّ القول بيداء سملق

و أنّي تردّ القول دار كأنها *** لطول بلاها و التقادم مهرق

و قال خليلي و البكالي غالب *** أقاض عليك ذا الأسى و التشوّق

و إنسان عيني في دوائر لجة *** من الدمع يبدو تارة ثم يغرق

يقول فيها:

إلى القائم المهديّ أعملت ناقتي *** بكل فلاة آلهـا(1) يترقق

إذا غال(2) منها الركب صحراء برّحت *** بهم بعدها في السير صحراء دردق(3)

ارميت قراها(4) بين يوم و ليلة *** بفتلاء(5) لم ينكب(6) لها الرّور مرفق

ص: 199

1- الآل: السراب.

2- يقال: غالت الأرض السابلة أي قذفت بهم و أبعدتهم.

3- كذا في الأصول. و الدردق: الطريق، و الصف من النخل، و الصغير من كل شيء، و كل هذه المعاني لا تتفق و المعنى المراد، و لعلها مما لم يرد تفسيره في «المعاجم»، أو لعل المراد بها «فيهق» يقال: أرض فيهق، و مفازة فيهق أي واسعة.

4- القرا: الظهر.

5- يقال: ناقة فتلاء إذا كان في ذراعها فتل و هو تباعدهما عن الجنين كأنهما فتلتا عنهما.

6- كذا في أكثر الأصول. و في ح: «يركب».

سبقا كأن زمامها *** بجداء من عم (2) الصنوبر معلق

موكلة بالفادحات كأنها *** وقد جعلت منها الثميلة (3) تخلق

بقي (4) الملاهيق (5) أمام رئاله (6) *** أصم هجفت (7) أقرع الرأس نقنق (8)

تراها إذا استعجلتها و كأنها *** على الأين يعرفها من الرّوع أولق (9)

موركة (10) أرض العذيب (11) وقد بدا *** فسرّ به للآبين الخورنق (12)

فاستحسنها المهديّ و أجزل صلته، و أمر فغنيّ في نسيب القصيدة. فأما ما شرطت ذكره من تمام القصيدة فهو بعقب البيت الثاني منها:

عفتها الرياح الرامسات (13) مع البلى *** بأذيالها و الرائح المتبعق (14)

بكل شاييب من الماء خلفها *** شاييب ماء مزنها متآلق

/إذا ريق (15) منها هريقت سجاله *** أعيد لها كرفى (16) ماء و ريق

فأصبح يرمي بالرباب (17) كأنما *** بأرجله منه نعام معلّق

فلا تبك أطلال الديار فإنها *** خبال (18) لمن لا يدفع (19) الشوق عولق (20)

ص: 200

1- كذا في جميع النسخ بالزاي المعجمة و لعله مضعف من زمر الظليم بمعنى صوت، و قد أصلحها الأستاذ الشنقيطي بهامش نسخته بالذال المعجمة، و ربما أراد أن تكون من ذمر بمعنى حث فهو يصفها بأنها سريعة السير لأنها محثوثة عليه. و السقب: الطويل من كل شيء.

2- العمّ: النخل الطوال، و استعير هنا لطول شجر الصنوبر.

3- الثميلة: ما يبقى في بطن الدابة من العلف و الماء و ما يدخره الإنسان من طعام و غيره، و كل بقية ثميلة.

4- القبيّ: القفر.

5- وردت هذه الكلمة في جميع النسخ هكذا «هين» و هو تحريف ظاهر و الصواب ما أثبتناه، و الهيق: الظليم.

6- الرئال: أفراخ النعام واحدها رأل.

7- الهجفت: الظليم المسن، و قيل: الجافي الثقيل من النعام.

8- النقنق: الظليم.

9- الأولق: الجنون.

10- موركة: مجاوزة.

- 11- العذيب: ماء بين القادسية و المغيثة بينه و بين القادسية أربعة أميال.
- 12- الخورنق: قصر بالحيرة.
- 13- عفتها: محتها و درستها، و الرامسات: الدواقن للآثار.
- 14- الرائح المتبعق: المطر المنذفع، قال رؤية: جود كجود الغيث إذ تبعقا و في ح، ب: المتبعق و هو غير مناسب.
- 15- الريق: المطر اليسير يصيبك منه شيء.
- 16- الكرفئ: السحاب المرتفع و قد دخل على هذا الشطر «الكف» و هو حذف السابع الساكن من «مفاعيلن» الأولى و هو قبيح.
- 17- الرباب: السحاب الأبيض.
- 18- كذا في أ، ع: و في سائر النسخ «خيال».
- 19- في الأصول: «يرفع» بالراء.
- 20- العولق: الغول، و هو صفة لخبال.

وإنّ سفاهها أن ترى متفجعا *** بأطلال دار أو يقودك معلق

فلا تجزعن للبين كلّ جماعة *** و جدك مكتوب عليها التفرّق

وخذ بالتعزي (1) كلّ ما أنت لابس *** جديدا على الأيام بال و منخلق

فصبر الفتى عما تولّى فإنه *** من الأمر أولى بالسداد و أوفق

و يروى: «أدنى للذي هو أوفق».

وإنك بالإشفاق لا تدفع (2) الردى *** و لا الحين مجلوب فما لك تشفق

كأنّ لم يرعك الدهر أو أنت آمن *** لأحداثه فيما يغادي و يطرق

و قال خليلي و البكالي غالب *** أقاض عليك ذا الأسى و التثوق

و قد طال توقاني أكفكف عبرة *** على دمنة كادت لها النفس تزهق

و إنسان عيني في دوائر لجة *** من الماء يبدو تارة ثم يغرق

و للدمع من عيني شريجا (3) صباية *** مرش (4) الرجا (5) و الجائل المترق

و كنت أخا عشق و لم يك صاحبي *** فيعذرني ممّا يصبّ و يعشق

و قد يعذر الصبّ السقيم ذوي الهوى *** و يلحى المحبين الصديق فيخرق

و عاب رجال أن علقمت و قد بدا *** لهم بعض ما أهوى و ذو الحلم يعلق

و القصيدة طويلة. و في بعض ما ذكرته منها دلالة على صحّة ما قلته.

كان يشب بليلى فسئل عنها فقال: ما هي و الله إلا قومي:

أخبرني الحرمي بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار قال حدّثني عبد الملك بن عبد العزيز قال:

خرجت أنا و أبو السائب المخزومي و عبيد الله بن مسلم بن جندب و ابن المولى و أصبغ بن عبد العزيز بن مروان إلى قباء، و ابن المولى

متنكب (6) قوسا عربية، فأنشد ابن المولى لنفسه:

/

و أبكي فلا ليلى بكت من صباية *** إليّ و لا ليلى لذي الودّ تبذل

و أخنع (7) بالعتبي إذا كنت مذنباً *** وإن أذنبت كنت الذي أتصّل

فقال له أبو السائب وعبيد الله بن مسلم بن جندب: من ليلي هذه حتّى نقودها إليك؟ فقال لهما ابن المولى:

ما هي والله إلا قومي هذه سمّيتها ليلي.

ص: 201

1- كذا في ء، أ، وفي سائر الأصول: «بالتعزي» بالراء.

2- في الأصول: «ترفع» بالراء.

3- الشريجان: لوانان مختلفان.

4- المرش: الذي يقطر ماؤه.

5- الرجا: ناحية البئر.

6- يقال: تنكّب القوس إذا ألقاها على منكبه.

7- أخنع: أخضع.

في هذين البيتين ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى لخزرج، ويقال: إنه لهاشم بن سليمان.

مدح يزيد بن حاتم فوهبه كل ما يملك:

أخبرني عمي قال حدثنا أبو هفان قال أخبرني أبو محلم عن المفضل الصبي قال:

وفد ابن المولى على يزيد بن حاتم وقد مدحه بقصيدته التي يقول فيها:

يا واحد العرب الذي *** أضحى وليس له نظير

لو كان مثلك آخر *** ما كان في الدنيا فقير

قال: فدعا بخازنه وقال: كم في بيت مالي؟ فقال له: من الورق (1) والعين بقية عشرون ألف دينار، فقال:

ادفعها إليه، ثم قال: يا أخي، المعذرة إلى الله وإليك، والله لو أن في ملكي أكثر لما احتجبتها (2) عنك.

كان مداحا لجعفر بن سليمان وقثم بن عباس ويزيد بن حاتم:

أخبرني الحسن بن عليّ ومحمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أحمد بن زهير (3) بن حرب قال حدثنا مصعب الزبيري عن عبد الملك بن الماجشون قال:

كان ابن المولى مداحا لجعفر بن سليمان وقثم بن العباس الهاشميين ويزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب، واستفرغ مدحه في يزيد وقال فيه قصيدته التي يقول فيها:

يا واحد العرب الذي دانت له *** قحطان قاطبة و ساد نزارا

إني لأرجو إن لقيتك سالما *** ألا أعالج بعدك الأسفارا

رشت (4) الندى ولقد تكسر ريشه *** فعلا الندى فوق البلاد و طارا

مرض عند يزيد ابن حاتم وأضعف يزيد صلته:

ثم قصده بها إلى مصر وأنشده إياها؛ فأعطاه حتى رضي. ومرض ابن المولى عنده مرضا طويلا و ثقل حتى أشفى (5)، فلما أفاق من علته و نهض، دخل عليه يزيد بن حاتم متعرفا خبره، فقال: لوددت والله يا أبا عبد الله ألا تعالج بعدي الأسفار حقا، ثم أضعف صلته.

كان يمدح يزيد دون أن يراه ثم رآه بالمدينة وأنشده فأعطاه ما أغناه:

أخبرني الحسن قال حدثنا أحمد بن زهير قال حدثني الزبير بن بكار عن عبد الملك بن عبد العزيز قال أخبرني ابن المولى قال:

- 1- الورق: الفضة، و العين: الذهب.
- 2- كذا في الأصول، و لم نجد في «كتب اللغة» التي بين أيدينا «احتجب» متعديا بنفسه و لعلها «حجبتها».
- 3- كذا في أ، ء، م و هو الموافق لما تقدم بإجماع الأصول في ص 21 ج 1 من «الأغاني» طبع الدار و في الكلام على ترجمته في «لسان الميزان» ج 1 ص 174 طبع الهند، و «تذكرة الحفاظ» ج 2 ص 156 طبع الهند. و في باقي الأصول: «إبراهيم» و هو خطأ.
- 4- رشت الندى: جعلت له ريشا.
- 5- أشفى: أشرف على الموت.

أكنت أمدح يزيد بن حاتم من غير أن أعرفه و لا ألقاه، فلما ولّاه المنصور مصر أخذ على طريق المدينة فلقيته فأنشدته، وقد خرج من مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلّم إلى أن صار إلى مسجد الشجرة، فأعطاني رزمتي (1) ثياب و عشرة آلاف دينار فاشتريت بها ضياعاً تغلّ (2) ألف دينار، أقوم في أدناها و أصبح بقيمي و لا (3) يسمعي و هو في أقصاها.

عنه الحسن بن زيد على ذكر ليلى فقال: إنها قوسه فضحك:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الحزنبل عن عمرو بن أبي عمرو قال: بلغني أنّ الحسن ابن زيد دعا بابن المولى فأغلظ له و قال: أتشيب بحرم المسلمين و تشد ذلك في مسجد رسول الله صلى الله عليه و سلّم و في الأسواق و المحافل ظاهراً! فحلف له بالطلاق أنّه ما تعرّض لمحرم قطّ و لا شيب بامرأة مسلم و لا معاهد قطّ، قال: فمن ليلى هذه التي تذكر في شعرك؟ فقال له: امرأتي طالق إن كانت إلّا قوسي هذه، سميتها ليلى لأذكرها في شعري، فإن الشعر لا يحسن إلّا بالتشيب، فضحك الحسن ثم قال: إذا كانت القصة هذه فقل ما شئت.

كان بالعراق و تشوّق إلى المدينة فقال شعراً في ذلك:

إشارة

فقال (4) الحزنبل: و حدّثت عن ابن عائشة محمد بن يحيى قال: قدم ابن المولى إلى العراق في بعض سنينه (5) فأخفق و طال مقامه و غرض (6) به و تشوّق إلى المدينة فقال في ذلك:

صوت

ذهب الرجال فلا أحسّ رجالاً *** و أرى الإقامة بالعراق ضلالاً

و طربت إذ ذكر المدينة ذاكر *** يوم الخميس فهاج (7) لي بلبالاً (8)

/فظللت انظر في السماء كأنني *** أبغي بناحية السماء هلالاً

طرباً إلى أهل الحجاز و تارة *** أبكي بدمع مسبل (9) إسبالاً

غنى في هذه الأربعة الأبيات ابن عائشة. و لحنه ثاني ثقيل عن الهشاميّ. و ذكره حمّاد عن أبيه في أخباره و لم يذكر طريقته.

فيقال قد أضحيّ يحدّث نفسه *** و العين تذرف في الرّداء سجلاً (10)

ص: 203

1- الرزمة من الثياب: ما شدّ في ثوب واحد.

2- تغلّ: تعطي من الغلة.

3- كذا في جميع النسخ، و المقام هنا للفاء.

4- كذا في جميع النسخ و الظاهر أن الفاء هنا من زيادات النساخ.

- 5- في أ، ء، م: «سنيته» و كلتا الروايتين صحيحة.
- 6- غرض: ضجر وقلق.
- 7- كذا في ح. وفي سائر الأصول: «وهاج».
- 8- البلبال: شدّة الهم.
- 9- أسبل يستعمل متعديا و لازما.
- 10- السجال: جمع سجل و هو الدلو العظيمة إذا كان فيها ماء.

إنَّ الغريب إذا تذكَّر أوْشكت *** منه المدامع أن تقيض علالا(1)

و لقد أقول لصاحبي و كأنه *** ممَّا يعالج ضمَّن(2) الأغلالا

خفِّض عليك فما يرد بك تلقه *** لا تكثرنَّ و إن جزعت مقالا

قد كنت إذ تدع المدينة كالذي *** ترك البحار و يمم الأوشالا(3)

فأجابني خاطر بنفسك لا تكن *** أبدا تعدَّ مع العيال عيالا

و اعلم بأنك لن تنال جسيمة *** حتَّى تجشَّم نفسك الأهوالا

إنِّي و جدك يوم أترك زاخرا *** بحرا ينفل سيبه الأنفالا(4)

لأضلَّ من جلب القوافي صعبة(5) *** حتَّى أذل متونها إذلالا

مدح المهدي و عرّض بالطالبيين فأجازه:

قال الحزنبل: و حدّثني عمرو بن أبي عمرو عن أبيه قال حدّثني مولى للحسن بن زيد قال:

قدم ابن المولى على المهديّ و قد مدحه بقصيدته التي يقول فيها:

و ما قارع الأعداء مثل محمّد *** إذا الحرب أبدت عن حجول(6) الكواعب

أفتى ماجد الأعراق من آل هاشم *** تبجح(7) منها في الدرّى و الدّوائب

أشّم من الرّهط الذين كأنهم *** لدى حندس(8) الظّلماء زهر الكواكب

إذا ذكرت يوما مناقب هاشم *** فإنكم منها بخير المناصب

و من عيب في أخلاقه و نصابه(9) *** فما في بني العباس عيب لعائب

و إنَّ أمير المؤمنين و رهطه *** لأهل المعالي من لؤيّ بن غالب

أولئك أوتاد البلاد و وارثو الن *** بيّ بأمر الحقّ غير التّكاذب

ثم ذكر فيها آل أبي طالب فقال:

و ما نعموا إلا المودّة منهم *** و أن غادروا فيهم جزيل المواهب

و أنهم نالوا لهم بدمائهم *** شفاء نفوس من قتيل و هارب

- 1- علالا: مرة بعد أخرى.
- 2- ضمن الاغلا لا أي قيّد بها.
- 3- الأوشال: جمع وشل و هو الماء القليل.
- 4- السيب: الجود و العطاء، و الأنفال: جمع نفل و هو الهبة و العطية. و نفل النفل: أعطاه.
- 5- في جميع النسخ: «ضبعة» و التحريف فيه ظاهر.
- 6- حجول: جمع حجل و هو الخلخال.
- 7- تبحيح: تمكن.
- 8- الحندس: الليل الشديد الظلمة، و يقال أيضا: ليلة ظلماء حندس على الصفة.
- 9- النصاب: الأصل.

وقاموا لهم دون العدا وكفوهم *** بسمر القنا والمرهفات القواضب(1)

و حاموا على(2) أحسابهم و كرائم *** حسان الوجوه واضحات الترائب

و إن أمير المؤمنين لعائد *** بإنعامه فيهم على كلّ تائب

إذا ما دنوا أدناهم و إذا هفوا *** تجاوز عنهم ناظرا في العواقب

شفيق على الأفسين أن يركبوا الردى *** فكيف به في واشجات(3) الأقارب

مدح الحسن بن زيد فعاتبه بالتعريض بأهله في مدائحه للمهدي ثم أكرمه:

قال: فوصله المهديّ بصلة سنيّة، و قدم المدينة فأنفق و بنى داره و لبس ثيابا فاخرة، و لم يزل كذلك مدى حياته بعد ما حباه. ثم قدم(4) على الحسن بن زيد و كانت له عليه وظيفة في كلّ سنة فدخل عليه فأنشده قوله يمدحه:

هاج شوقي تفرّق الجيران *** و اعترتني طوارق الأحزان

و تذكّرت ما مضى من زمني *** حين صار الزمان شرّ زمان

يقول فيها يمدح الحسن بن زيد:

و لو أن امرأ ينال خلودا *** بمحلّ و منصب و مكان

أو بيت ذراه تلصق بالنج *** م قرانا في غير برج قران

أو بمجد الحياة أو بسماح *** أو بحلم أوفى على ثهلان(5)

أو بفضل لناله حسن الخي *** ر بفضل الرسول ذي البرهان

فضله واضح برهط أبي القا *** سم رهط اليقين و الإيمان

هم ذوو النور و الهدى و مدى الأم *** ر و أهل البرهان و العرفان(6)

معدن الحق و النبوة و العد *** ل إذا ما تنازع الخصمان

و ابن زيد إذا الرجال تجاروا *** يوم حفل و غاية و رهان

سابق مغلق جيز رهان ***ورث السَّبِق من أبيه الهجان(7)

قال: فلما أنشده إياها دعا به خاليا ثم قال له: يا عاصّ كذا من أمه، أمّا إذا جئت إلى الحجاز فتقول لي هذا، و أما إذا مضيت إلى العراق فتقول:

وإن أمير المؤمنين ورهطه *** لرهط المعالي من لؤي بن غالب

ص: 205

1- القواضب: القواطع.

2- ضمن هنا «على» معنى «عن».

3- الواشجات: جمع واشجة وهي الرحم المشتبكة المتصلة.

4- في الأصول «دخل» و السياق يابأها.

5- ثهلان: جبل ضخم بالعالية.

6- في ح: «الفرقان».

7- الهجان: الكريم الحسيب.

أولئك أوتاد البلاد و وارثو ال *** نبيّ بأمر الحقّ غير التّكاذب

فقال له: أتتصنفي يا ابن الرسول أم لا؟ فقال: نعم، فقال: ألم أقل:

وإن أمير المؤمنين ورهطه

/ألستم رهطه؟ فقال: دع هذا، ألم تقدر أن ينفق شعرك و مديحك إلا بتهجين أهلي و الطعن عليهم و الإغراء بهم حيث تقول:

و ما تقموا إلا المودّة منهم *** و أن غادروا فيهم جزيل المواهب

و أنهم نالوا لهم بدمائهم *** شفاء نفوس من قتيل و هارب

فوجم ابن المولى و أطرق ثم قال: يا ابن الرسول إن الشاعر يقول و يتقرّب بجهدته، ثم قام فخرج من عنده منكسرا، فأمر الحسن وكيه أن يحمل إليه وظيفته و يزيده فيها ففعل، /فقال ابن المولى: و الله لا أقبلها و هو عليّ ساخط، فأما إن قرنها بالرضا فقبلتها، و أما إن أقام و هو عليّ ساخط البتّة فلا؛ فعاد الرسول إلى الحسن فأخبره؛ فقال له: قل له: قد رضيت فأقبلها. و دخل على الحسن فأنشده قوله فيه:

سألت فأعطاني و أعطى و لم أسل *** و جاد كما جادت غواد(1) رواعد

فأقسم لا أنفك أنشد مدحه *** إذا جمعنتي في الحجيج المشاهد

إذا قلت يوما في ثنائي قصيدة *** نيت بأخرى حيث تجزى القصائد

مدح يزيد بن حاتم بولايته الأهواز و غلبته على الأزارقة فأجازه:

إشارة

قال الحزنبل: و حدّثني مالك بن وهب مولى يزيد بن حاتم المهلبيّ قال:

لما انصرف يزيد بن حاتم من حرب الأزارقة(2) و قد ظفر، خلع عليه و عقد له لواء على كور الأهواز و سائر ما افتتحه، فدخل عليه ابن المولى و قد مدحه فاستأذن في الإنشاد فأذن له فأنشده:

صوت

ألا يا قومي هل لما فات مطلب *** و هل يعذرن ذو صبوة و هو أشيب

يحنّ إلى ليلي و قد شطت النوى *** بليلى كما حنّ اليراع المثقّب(3)

/اغتنى في هذين البيتين عطرّد، و لحنه رمل بالوسطى عن عمرو بن بانه؛ و فيه ليونس لحن ذكره لنفسه في كتابه و لم يذكر طريقته.

تقرّبت(4) ليلي كي تتيب فزادني *** بعادا على بعد إليها التقرب

- 1- الغواذي: جمع غادية وهي السحابة تشأ غدوة.
- 2- الأزارقة: فرقة من الخوارج وهم أصحاب نافع بن الأزرق.
- 3- اليراع المثقب: المزمارة.
- 4- كذا في الأصول و لم نجد في «كتب اللغة» التي بأيدينا تقرّب متعديا بنفسه وإنما يقال: تقرّبت إليه، فلعله نصب على حذف الجار.

فداويت وجددي باجتتاب فلم يكن *** دواء لما ألقاه(1) منها التجنّب
فلا أنا عند النَّأي سال لحبها *** و لا أنا منها مشتف حين تصقب(2)
و ما كنت بالراضي بما غيره الرضا *** و لكنني أنوي العزاء فأغلب
و ليل خداري(3) الرّواق جشمته *** إذا هابه السارون لا أتهيب
لأظفر يوما من يزيد بن حاتم *** بحبل جوار ذاك ما كنت أطلب
بلوت و قلبت الرجال كما بلا *** بكفّيه أوساط القداح مقلّب
و صعّدني همّي(4) و صوّب مرّة *** و ذو الهَمّ يوما مصعد و مصوّب
لأعرف ما آتى(5) فلم أر مثله *** من الناس فيما حاز شرق و مغرب
أكرّ على جيش و أعظم هيبة *** و أوهب في جود لما ليس يوهب
تصدّى رجال(6) في المعالي ليلحقوا *** مذاك و ما أدركته فتذبذبوا
و رمت الذي راموا فأذلت صعبه *** و راموا الذي أذلت منه فأصعبوا(7)
/ او مهما تناول من منال سنّية *** يساعدك فيها المنتمى(8) و المركّب(9)
و منصب(10) آباء كرام نماهم *** إلى المجد آباء كرام و منصب

صوت

كواكب دجن كلّما انقضّ كوكب *** بدا منهم بدر منير و كوكب
أنار به آل المهلّب بعد ما *** هوى منكب منهم بليل و منكب
/ او ما زال إلحاح الزمان عليهم *** بنائبة كادت لها الأرض تخرب(11)
فلو أبقت الأيام حيّا نفاسة *** لأبقاهم للجدود ناب و مخلب

ص: 207

1- كذا في ح و هو المناسب. وفي باقي الأصول: «أبقاه».

2- تصقب: تقرب.

- 3- الخداري: المظلم.
- 4- الهم: ما يهيم به الرجل في نفسه و هو هنا كناية عن العزم.
- 5- كذا في أ، ء، م. وفي باقي الأصول: «أتلى» و هو تحريف.
- 6- كذا في جميع النسخ و الذي في «كتب اللغة» أن «تصدى» يتعدى باللام.
- 7- يقال: أصعب الرجل الشيء إذا وجده صعبا.
- 8- في جميع الأصول: «المنتهى» و هو محرف عن المنتمى أي المنتمي إليه، يقال: انتمى فلان إلى حسب أي ارتفع إليه، و انتمى إلى فلان أي ارتفع في نسبه إليه، قال الفرزدق: فصارت لذهل دون شيبان إنهم ذوو العز عند المنتمي و التكرم
- 9- المركب: المنبت، يقال: فلان كريم المركب أي كريم الأصل.
- 10- المنصب: الأصل و المنبت.
- 11- في ح وفي سائر الأصول: «تجرب» بالجيم المعجمة، و الأرض الجرباء: الممحلة المقحوظة، و لم نجد في «كتب اللغة» التي بين أيدينا ورود فعل من هذه المادة بهذا المعنى، و من المحتمل أن تكون «تجدب» و هي بمعناها.

و كنت ليومي نعمة و نكاية *** كما فيهما للناس كان المهلب

ألا حبذا الأحياء منكم و حبذا *** قبور بها موتاكم حين غيبوا

فأمر له يزيد بن حاتم بعشرة آلاف درهم و فرس بسرجه و لجامه و خلعة، و أقسم على من كان بحضرته أن يجيزوه كل واحد منهم بما يمكنه، فانصرف بملء يده.

كان عمرو بن أبي عمرو ينشد من شعره و يستحسنه:

إشارة

قال الحزنبلي: أنشدني عمرو بن أبي عمرو لابن المولى و كان يستحسنها:

صوت

حيّ المنازل قد بلينا *** أقوين (1) عن مرّ السّينا

و سل الدّيار لعلّها *** تخبرك (2) عن أمّ البينا

ابانت و كلّ قرينة *** يوما مفارقة قرينا

و أخو الحياة من الحيا *** ة معالج غلظا و لينا

غنى في هذه الأبيات نبية (3) خفيف ثقيل بالنصر.

و ترى الموكل بالغوا *** ني راكبا أبدا فنونا

و من البليّة أن تدا *** ن بما كرهت و لن تدينا

و المرء تحرم نفسه *** ما لا يزال به حزينا

و تراه يجمع ماله *** جمع الحريص لوارثينا

يسعى بأفضل سعيه *** فيصير ذاك لقاعدينا

لم يعط ذا التّسب القري *** ب و لم يجد للأبعدينا

قد حلّ منزله الذمي *** م و فارق المتنصّحينا (4)

مدح المهدي بولايته الخلافة فأكرمه و فرض له لعياله ما يكفيه:

قال الحزنبلي: وذكر أحمد بن صالح بن التّطّاح عن المدائني: أن المهديّ لمّا وليّ الخلافة و حجّ فرّق في قريش و الأنصار و سائر الناس أموالاً عظيمة و وصلهم صلوات سنّية، فحسنت أحوالهم بعد جهد أصاب الناس في أيام أبيه، لتسرّعهم (5) مع محمد بن عبد الله بن حسن، و كانت سنة ولايته سنة خصب و رخص، فأحبّه الناس و تبرّكوا به، و قالوا: هذا هو المهديّ، و هذا ابن عمّ رسول الله صلّى الله عليه و سلّم و سمّيه، فلقوه فدعوا له و أثنوا عليه، و مدحته الشعراء، فمدّ

ص: 208

1- أقوين: أقفرن.

2- سگن «تخبرك» لضرورة الوزن.

3- العرب يسمون بنييه كزبير و بنييه كأمير، و لم نستطع ترجيح أحد الضبطين في هذا الاسم.

4- التنصح: كثرة النصح و منه قول آدم بن صيفي: «إياكم و التنصح فإنه يورث التهمة».

5- كذا في ح، و في باقي الأصول: «لتسرحهم» بالحاء، و التسرح الذهاب.

عينه في الناس فرأى ابن المولى فأمر بتقريبه فقرب منه؛ فقال له: هات يا مولى الأنصار ما عندك، فأنشده [قوله فيه] (1):

/

يا ليل لا تنجلي يا ليل بالزاد *** و اشفي بذلك داء الحائم الصادي

و أنجزى عدة كانت لنا أملا *** قد جاء ميعادها من بعد ميعاد

ما ضرّه غير أن أبدي مودّته *** إنّ المحبّ هواه ظاهر بادي

ثم قال فيها يصف ناقته:

/

تطوي البلاد إلى جَمّ منافعها *** ففعل خير لفعل الخير عوّد

للمهتدين (2) إليه من منافعها *** خير يروح و خير باكر غادي

أغنى قريشا و أنصار النبيّ و من *** بالمسجدين بإسعاد و إحفاد (3)

كانت منافعها في الأرض شائعة *** تترى (4) و سيرته كالماء للصّادي

خليفة الله عبد الله والده *** و أمّه حرّة تنمى لأمجاد

من خير ذي يمن في خير رابية *** من القبول إليها معقل (5) التّادي

حتى أتى على آخرها؛ فأمر له بعشرة آلاف درهم و كسوة، و أمر صاحب الجاري (6) بأن يجري له و لعياله في كلّ سنة ما يكفيهم، و ألحقهم في شرف العطاء.

قال: و ذكر ابن النّطّاح عن عبد الله بن مصعب الزبيريّ قال:

وفدنا إلى المهديّ و نحن جماعة من قريش و الأنصار، فلما دخلنا عليه سلّمنا و دعونا و أثنينا، فلما فرغنا من كلامنا أقبل على ابن المولى فقال: هات يا محمّد ما قلت، فأنشده:

صوت

نادى الأحبّة باحتمال *** إنّ المقيم إلى زوال

ردّ القيان (7) عليهم *** ذلل المطي من الجمال

- 1- زيادة في أ، ء، م.
- 2- في أ، ح: «للمجمدين».
- 3- إحفاد: إسراع في مرضاتهم وقضاء حاجاتهم.
- 4- تترى: متواترة.
- 5- معقل: ملجأ، يقال: عقل إليه عقلا وعقولا أي لرجأ، والنادي: مجتمع القوم، ويراد به القوم المجتمعون.
- 6- الجاري: الجراية وهي ما يقدر من الرزق فيجري على صاحبه باتصال، قال صاحب «اللسان» في مادة جرى: «و الجراية الجاري من الوظائف».
- 7- القيان: جمع قين وهو العبد أو القينة وهي الجارية. وقد قيل في قول زهير: رد القيان جمال الحيّ فاحتملوا إنّه أراد بالقيان الإماء أي أنهنّ رددن الجمال إلى الحيّ لشد أقتابها عليها، وقيل: أراد العبيد و الإماء (انظر «اللسان» مادة قين).

كالشمس راق جمالها *** بين النساء على الجمال

لما رأيت جمالهم *** في الآل (1) تغرق باللاكي

يا ليت ذلك بعد أن *** أظهرت أنك لا تبالي

و لمثل ما جرّبت من *** إخلافهنّ لذي الوصل

أسلاك عن طلب الصّبا *** و أخو الصّبا لا بدّ سالي

يا ابن الأطايب للأطا *** يب ذا المكارم و المعالي

و ابن الهداة بنى الهدا *** ة و كاشفي ظلم الضّلال

أصبحت أكرم غالب *** عند التّفاخر و التّضلّ

و إذا تحصّل (2) هاشم *** يعلو بمجدك كلّ عالي

و يكون بيتك منهم *** في الشاهقات من القلال (3)

/هذا و أنت ثمالها (4) *** و ابن الثّمال أخو (5) الثّمال

و مآلها بأموورها *** إنّ الأمور إلى مآل

قال: فأمر له خاصّة بعشرة آلاف درهم معجّلة، ثم ساواه بسائر الوفد بعد ذلك في الجائزة و أعطاه مثل ما أعطاهم، و قال: ذلك بحقّ المديح، و هذا بحقّ الوفادة.

سأل عنه عبد الملك لما قدم المدينة ثم تبعه ابن المولى و أنشده فأجازه:

أخبرني محمد بن عمران الصّـ يرفيّي أبو أحمد و عمّي قالا حدّثنا الحسن بن عليل العنزّي قال حدّثني إبراهيم بن إسحاق بن عبد الرحمن بن طلحة بن عمر بن عبيد الله قال حدّثني عبد الله بن إبراهيم/الجمحيّ قال:

قدم عبد الملك بن مروان المدينة، و كان ابن المولى يكثر مدحه، و كان يسأل عنه من غير أن يكونا التّقيا - قال: و ابن المولى مولى الأنصار - فلما قدم عبد الملك المدينة قدم ابن المولى، لما بلغه من مسألة عبد الملك عنه، فوردها و قد رحل عبد الملك عنها، فأتبعه (6) فأدركه بإضمّ بذني خشب بين عين مروان و عين الحديد، و هما جميعا لمروان، فالتفت عبد الملك إليه و ابن المولى على نجيب متنكبًا قوسا عربية، فقال له عبد الملك: ابن المولى؟ قال: لبيك يا أمير المؤمنين؛ قال: مرحبا بمن نالنا شكره و لم ينله منا فعل، ثم قال له: أخبرني عن ليلى التي تقول فيها:

- 1- الآل: السراب، وقيل الآل من الضحى إلى زوال الشمس، و السراب بعد الزوال إلى صلاة العصر.
- 2- تحصل: تخلص ويماز بين بيوتها، وفي الحديث: «بذهب لم تحصل من ترابها» أي لم تخلص (و الذهب يذكر ويؤنث). ويقال للمرأة التي تميز الذهب من الفضة: محصله.
- 3- القلال: جمع قلة وهي أعلى الجبل، وقلة كل شيء رأسه وأعلاه.
- 4- الشمال: الغياث.
- 5- كذا فيء، وفي باقي الأصول «أخي».
- 6- فأتبعه: تبعه وذلك إذا كان سبقه فلحقه، وفي القرآن الكريم: (فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ).

وَأبكى فلا ليلي بكت من صباة *** إليّ و لا ليلي لذي الودّ تبذل

والله لئن كانت ليلي حرّة لأزوّجكها، ولئن كانت أمة لأبتاعنّها لك بما بلغت، فقال: كلاً يا أمير المؤمنين، والله ما كنت لأذكر حرمة حرّ أبدا ولا أمته، والله ما ليلي إلا قوسي هذه، سمّيتها ليلي لأشّيب بها، وإن الشاعر لا يستطاب إذا لم يتشّيب (1)؛ فقال له عبد الملك: ذلك والله أظرف لك، فأقام عنده يومه و ليلته ينشده و يسامره، ثم أمر له بمال و كسوة، و انصرف إلى المدينة.

وقف لجعفر بن سليمان على طريقه و أنشده شعرا:

أخبرني حبيب المهلبّي عن الزبير و غيره عن محمد بن فضالة النحويّ قال:

قدم ابن المولى البصرة، فأتى جعفر بن سليمان فوقف على طريقه و قد ركب فناداه:

كم صارخ يدعو و ذي فاقة *** يا جعفر الخيرات يا جعفر

أنت الذي أحيت بذل الندى *** و كان قد مات فلا يذكر

سليل عبّاس وليّ الهدى *** و من به في المحل يستمطر

هذا امتداحيك عقيد (2) الندى *** أشهد (3) بالمجد لك الأشقر

ص: 211

1- في أ، ع، م: «لم ينسب» بالسين و هي بمعناها.

2- العقيد: المعاهد و الحليف.

3- في أ، ع، م: «أشهر».

ولاؤه وصفته و هو مغن مقبول الشهادة فقيه:

عطرّد مولى الأنصار، ثم مولى بن عمرو بن عوف، وقيل: إنه مولى مزينة، مدنيّ، يكنى أبا هارون، و كان ينزل قباء. وزعم إسحاق أنه كان جميل الوجه، حسن الغناء، طيب الصوت، جيد الصّنع، حسن الرأي و المروءة، فقيها قارنا للقرآن، و كان يغني مرتجلا، و أدرك دولة بني أمية، و بقي إلى أيام الرشيد، و ذكر ابن خرداذبه فيما حدّثني به عليّ بن عبد العزيز عنه: أنه كان معدّل الشهادة بالمدينة؛ أخبره بذلك يحيى بن عليّ المنجم عن أبي أيّوب المدنيّ عن إسحاق.

جاءه عباد بن سلمة ليلا و طلب منه أن يغنيه:

و أخبرنا محمد بن خلف و كيع عن حمّاد بن إسحاق عن أبيه:

أن سلمة بن عباد ولي القضاء بالبصرة، فقصد ابنه عباد بن سلمة عطرّدا و هو بها مقيم قد قصد آل سليمان بن عليّ و أقام معهم؛ فأتى بابه ليلا فدقّ عليه و معه جماعة من أصحابه أصحاب القلائس، فخرج عطرّد إليه، فلما رآه و من معه فزع؛ فقال: لا ترع.

إني قصدت إليك من أهلي *** في حاجة يأتي لها مثلي

فقال: و ما هي أصلحك الله؟ قال:

لا طالبا شيئا إليك سوى *** «حيّ الحمول بجانب العزل» (1)

/فقال: انزلوا على بركة الله، فلم يزل يغنيهم هذا و غيره حتى أصبحوا.

نسبة هذا الصوت

صوت

حيّ الحمول بجانب العزل *** إذ لا يوافق شكلها شكلي

الله أنجح ما طلبت به *** و البرّ خير حقيبة الرّحل

إني بحبلك واصل جبلي *** و بريش نبلك رائش نبلي

و شمائلني ما قد علمت و ما *** نبحت كلابك طارقا مثلي

الشعر لامرئ القيس بن عابس الكنديّ، هكذا روى أبو عمرو الشيبانيّ، و قال: إن من يرويه

1- العزل: موضع في ديار قيس، ذكره البكري في «معجم ما استعجم» (ج 2 ص 659)، واستشهد له بهذا الشطر من شعر امرئ القيس.

لامرئ القيس بن حجر يغلط. والغناء لعطرد ثقيل أول بالبنصر عن عمرو بن بانة، وفيه لعمر بن بانة ثقيل بالوسطى من روايته أيضا، وفيه لابن عائشة خفيف رمل بالبنصر، وفيه عنه وعن دنائير لمالك خفيف ثقيل أول بالوسطى، وفيه عنه أيضا لإبراهيم ثاني ثقيل بالبنصر.

غناء إبراهيم بن خالد المعيطي عند المهدي:

وأخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثنا أبو أيوب المدنيّ وأخبرني به الحسن بن عليّ قال:

كتب إليّ أبو أيوب المدنيّ، وخبره أنّهم، قال: حدّثني عليّ بن محمد التوفليّ عن أبيه عن إبراهيم بن خالد المعيطي (1) قال:

دخلت على المهديّ، وقد كان وصف له غنائي، فسألني عن الغناء وعن علمي به، فجاذبتني من ذلك طرفا؛ فقال لي: أتعني النواقيس؟ قلت: نعم، وأغني الصّلبان يا أمير المؤمنين، فتبسّم. والنواقيس لحن معبد، كان معبد وأهل الحجاز يسمونه النواقيس، وهو:

سلا دار ليلي هل تبين فتنتق *** وأني تردّ القول بيداء سملق

قال: ثم قال لي المهديّ وهو يضحك: غنّه، فغنّيته فأمر لي بمال جزيل و خلع عليّ و صرفني، ثم بلغني أنه قال: هذا معيطي (2) وأنا لا أنس به، ولا حاجة لي إلى أن أدنيه من خلوتي وأنا لا أنس به. هكذا ذكر في هذا الخبر أن اللّحن لمعبد، وما ذكره أحد من رواة الغناء له، ولا وجد في ديوان من دواوينهم منسوباً إليه على انفراد به (3) ولا شركة فيه، ولعلّه غلط.

تأدّر إبراهيم بن خالد المعيطي على ابن جامع:

وقد أخبرني هذا الخبر الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال:

كان إبراهيم بن خالد المعيطي يغني، فدخل يوما الحمام و ابن جامع فيه، وكان له شيء يجاوز ركبتيه، فقال له ابن جامع: يا إبراهيم أتبيع هذا البغل؟ قال: لا بل أحملك عليه يا أبا القاسم؛ فلما خرج ابن جامع من الحمام رأى ثياب المعيطي رثّة فأمر له بخلعة من ثيابه، فقال له المعيطي: لو قبلت حملاني (4) قبلت خلعتك، فضحك ابن جامع وقال له: مالك أخزأك الله! ويلك! أما تدع ولعك و بطالتك و شرك! و دخل إلى الرشيد فحدّثه حديثه؛ فضحك و أمر بإحضاره، فأحضر، فقال له: أتعني النواقيس؟ قال: نعم، وأغني الصّلبان أيضا. ثم ذكر باقي الخبر مثل الذي تقدّمه.

ص: 213

1- هذا الخبر والذي بعده خاصان «إبراهيم بن خالد المعيطي» و لم نجد أية مناسبة لذكرهما هنا في أخبار «عطرد» و قد ورد مثل ذلك كثيرا في «الأغاني» و لم نعرف له تعليلا.

2- ذكر صاحب «القاموس» أبا معيط والد عقبة بن أبي معيط و ذكر أن معيطا أبو حيّ من قريش و لم يذكر السمعاني في «الأنساب» عند اسم «المعيطي» إلا المنسوبين إلى أبي معيط إما بالولادة و إما بالولاء؛ و لعل إبراهيم هذا منسوب إلى أبي معيط، و يكون المهديّ قد أنكره لما كان من عقبة بن أبي معيط من شدّة إيدائه للنبيّ صلّى الله عليه و سلّم حتى إنه قذف على ظهره سلى جزور و هو ساجد عند الكعبة، و بنو أبي معيط يسمون صبية النار، لأن عقبة حين أخذ يوم بدر و أراد النبيّ صلّى الله عليه و سلّم قتله، قال: من للصبية بعدي؟ قال: النار انظر «الأغاني» ج 1 ص 17 من هذه الطبعة.

3- كذا في أ، ء، م، وفي باقي الأصول: «انفراده» بالإضافة وبدون «به».

4- الحملان: ما يحمل عليه من الدواب في الهبة خاصة.

كان عطرّد منقطعا إلى آل سليمان بن عليّ:

إشارة

أخبرني يحيى بن عليّ قال حدّثني أبو أيّوب المدينيّ عن إسحاق قال:

كان عطرّد منقطعا في دولة بني هاشم إلى آل سليمان بن عليّ لم يخدم غيرهم، و توفّي في خلافة المهديّ.

قال: و كان يوما يغنيّ/بين يدي سليمان بن عليّ، فغناه:

صوت

أله فكّم من ماجد قد لها *** و من كريم عرضه وافر

- الغناء لعطرّد ثاني ثقيل عن الهشاميّ - فقيل له: سرقت هذا من لحن الغريص:

يا ربع سلامة بالمنحني *** فخيّف(1) سلع جادك الوابل

فقال: لم أسرقه و لكنّ العقول تتوافق، و حلف أنه لم يسمعه قطّ.

نسبة هذا الصوت

صوت

يا ربع سلامة بالمنحني *** فخيّف سلع جادك الوابل

إن تمس و حشا طالما قد ترى *** و أنت معمور بهم أهل

أيام سلامة رعبوبة(2) *** خود لعوب حبّها قاتل

محطوطة(3) المتن هضيم الحشى *** لا يطّيبها(4) الورع(5) الواغل(6)

/الغناء للغريص ثاني ثقيل بالوسطى عن عمرو بن يحيى المكيّ. قال: و من الناس من ينسبه إلى ابن سريج.

حبسه زبراء والي المدينة مع المغنين ثم أطلقه و أطلقهم:

أخبرني أحمد بن عليّ بن يحيى قال سمعت جدّي عليّ بن يحيى قال حدّثني أحمد بن إبراهيم الكاتب قال حدّثني خالد بن كلثوم قال:

كنت مع زبراء بالمدينة و هو وال عليها؛ و هو من بني هاشم أحد بني ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب، فأمر بأصحاب الملاهي فحبسوا و حبس عطرّد فيهم، فجلس ليعرضهم، و حضر رجال من أهل المدينة شفّعوا لعطرّد، و أخبروه أنه من أهل الهيئة و المروءة و التّعمة و الدّين،

فدعا به فخلّى سبيله، وأمره برفع حوائجه إليه فدعا له، و خرج فإذا هو بالمغنيين أحضروا ليعرضوا، فعاد إليه عطرّد، فقال: أصلح الله الأمير، أعلى الغناء حبست هؤلاء؟

ص: 214

-
- 1- الخيف: الناحية أو ما انحدر عن غلظ الجبل و ارتفع عن مسيل الماء. و سلع: اسم لمواضع كثيرة: منها جبال و منها أودية.
 - 2- الرعبوبة: الناعمة.
 - 3- محطوبة المتن: ممدودته في حسن و استواء.
 - 4- لا يطبيها: لا يستميلها.
 - 5- الورع: الجبان الضعيف.
 - 6- الواغل: الداخل على القوم في طعامهم و شرابهم من غير دعوة.

قال: نعم؛ قال: فلا تظلمهم، فوالله ما أحسنوا منه شيئاً قط! فضحك و خلى سبيلهم.

استقدمه الوليد بن يزيد من المدينة فغناه فطرب وألقى نفسه في بركة خمر:

أخبرني محمد بن يزيد و جحظة قالاً حدّثنا حمّاد بن إسحاق قال قرأت على أبي عن محمد بن عبد الحميد بن إسماعيل بن عبد الحميد بن يحيى عن عمّه أيوب بن إسماعيل قال:

لما استخلف الوليد بن يزيد كتب إلى عامله بالمدينة يأمره بالشخص إليه بعطرّد المغنّي؛ قال عطرّد: فأقراني العامل الكتاب و زوّدي نفقة و أشخصني إليه، فأدخلت عليه و هو جالس في قصره على شفير بركة مرصّصة مملوءة خمرًا ليست بالكبيرة و لكنها يدور الرجل فيها سباحة، فوالله ما تركني أسلم عليه حتى قال: /أعطرّد؟ قلت: نعم يا أمير المؤمنين؛ قال: لقد كنت إليك مشتاقاً يا أبا هارون. غنّني:

حيّ الحمول بجانب العزل *** إذ لا يلائم شكلها شكلي

إني بحبلك واصل حبلي *** و بريش نبلك رائس نبلي

و شمائلي ما قد علمت و ما *** نبحت كلابك طارقاً مثلي

قال: فغنّيته إيّاه، فوالله ما أتممته حتى شقّ حلّة و شى كانت عليه لا أدري كم قيمتها، فتجرّد/منها كما ولدته أمّه و ألقاها نصفين، و رمى بنفسه في البركة فنهل منها حتى تبيّنت - علم الله - فيها أنها قد نقصت نقصاناً بينا، و أخرج منها و هو كالميت سكرًا، فأضجع و غطّي، فأخذت الحلّة و قمت، فوالله ما قال لي أحد: دعها و لا خذها، فانصرفت إلى منزلي متعجباً مما رأيت من ظرفه و فعله و طربه؛ فلما كان من غد جاءني رسوله في مثل الوقت فأحضرني، فلما دخلت عليه قال لي: يا عطرّد، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين؛ قال غنّني:

أ يذهب عمري هكذا لم أنل بها *** مجالس تشفي قرح قلبي من الوجد

و قالوا تداو إنّ في الطّب راحة *** فعللت نفسي بالدواء فلم يجد

فغنّيته إيّاه، فشقّ حلّة و شى كانت تلمع عليه بالذهب التماعا احتقرت و الله الأولى عندها، ثم ألقى نفسه في البركة فنهل فيها حتى تبيّنت - علم الله - نقصانها، و أخرج [منها] (1) كالميت سكرًا، و ألقى و غطّي فنام، و أخذت الحلّة فوالله ما قال لي أحد: دعها و لا خذها، و انصرفت؛ فلما كان اليوم الثالث جاءني رسوله فدخلت إليه و هو في بهو قد ألقيت ستوره، فكلمني من وراء الستور و قال: يا عطرّد، قلت: لبيك يا أمير المؤمنين؛ قال: كأنني بك الآن قد أتيت المدينة فقامت بي في مجلسها و محفلها و قعدت و قلت: دعاني أمير المؤمنين فدخلت إليه فاقترح عليّ فغنّيته و أطربته فشقّ ثيابه و أخذت سلبه و فعل و فعل، و الله يا ابن الزانية، لئن تحرّكت شفتاك بشيء مما جرى فبلغني لأضربنّ عنقك، يا غلام أعطه ألف دينار، خذها و انصرف إلى المدينة؛ فقلت: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي في تقبيل يده، و يزوّدي نظرة منه و أغنّيه صوتاً! فقال: لا حاجة بي و لا بك إلى ذلك، فانصرف. قال عطرّد:

فخرجت من عنده و ما علم الله أنني ذكرت شيئاً مما جرى حتى مضت من دولة بني هاشم مدّة.

الصوت الأول ممّا غنّاه عطردّ الوليد قد نسب في أول أخباره، والثاني الذي أوله:

أ يذهب عمري هكذا لم أنل بها

الغناء فيه لعطردّ ثاني ثقيل بالسبابة(1) في مجرى البنصر عن إسحاق، وفيه ليونس من كتابه لحن لم يذكر طريقته؛ وذكر عمرو بن بانه أن فيه لإبراهيم ثاني ثقيل بالوسطى.

صوت من المائة المختارة

إن امرأ تعتاده ذكر(2) *** منها ثلاث منى لذو صبر

و مواقف بالمشعرين(3) لها *** و مناظر الجمرات(4) و النحر

و إفاضة الركبّان خلفهم *** مثل الغمام أرد(5) بالقطر

حتى استلمن الركن في أنف(6) *** من ليلهنّ يطأن في الأزر(7)

يقعدن في التطواف آونة *** و يطفن أحيانا على فتر(8)

أففرغن من سبع و قد جهدت(9) *** أحشاؤهنّ موائل الخمر(10)

الشعر للحارث بن خالد المخزومي، و الغناء في اللحن المختار للأبجر، و إيقاعه من الثقيل الأول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر في الأول و الثاني و السادس من الأبيات عن إسحاق. وفيه للغريض خفيف ثقيل أول بالوسطى عن عمرو. و لابن سريج في الثالث و الرابع رمل بالسبابة في مجرى البنصر عن إسحاق.

ص: 216

1- في أ، م، ع: «ثاني ثقيل بالوسطى».

2- كذا في ع، أ، م، و في باقي الأصول ذكرى.

3- المشعر: موضع مناسك الحج.

4- الجمرات: الحصى الذي يرمى به الحاج.

5- أزد: أمطر الرذاذ و هو المطر الضعيف.

6- الأنف: أول زمان مستقبل.

7- الأزر: جمع إزار.

8- الفتر: الضعف.

9- جهد (بضم الجيم على البناء للمفعول): صار مجهودا.

10- الخمر: جمع خمار وهو ما تغطّي به المرأة رأسها.

نسبه من قبل أبويه:

الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب. وأمه فاطمة بنت أبي سعيد بن الحارث بن هشام، وأُمها بنت أبي جهل بن هشام. وكان العاص بن هشام جد الحارث بن خالد خرج مع المشركين يوم بدر فقتله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

قامر أبو لهب العاص بن هاشم على نفسه فاسترقه وأرسله بدله يوم بدر:

حدّثني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ قال حدّثني مصعب بن عبد الله قال:

قامر أبو لهب العاص بن هشام في عشر من الإبل فقمره (1) أبو لهب، ثم في عشر فقمره، ثم في عشر فقمره، ثم في عشر فقمره، ثم في عشر فقمره، إلى أن خلعه من ماله فلم يبق له شيء، فقال له: إني أرى القداح قد حالفتك يا ابن عبد المطلب فهلّم أقامرك، فأبنا قمر كان عبدا لصاحبه، قال: افعل، ففعل، فقمره أبو لهب فكره أن يسترقه فتغضب بنو مخزوم، فمشى إليهم وقال: افتدوه مني بعشر من الإبل؛ فقالوا: لا والله ولا بوبرة، فاسترقه فكان يرعى له إبلا إلى أن خرج المشركون إلى بدر. وقال غير مصعب: فاسترقه وأجلسه قينا (2) يعمل الحديد.

فلما خرج المشركون إلى بدر كان من لم يخرج أخرج بديلا، وكان أبو لهب عليلا فأخرجه وقعد، على أنه إن عاد إليه أعتقه، فقتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه يومئذ.

ذهابه مذهب ابن أبي ربيعة في الغزل، وحبه عائشة بنت طلحة وولايته مكة:

والحارث بن خالد أحد شعراء قريش المعدودين الغزليين، وكان يذهب مذهب عمر بن أبي ربيعة لا يتجاوز الغزل إلى المديح ولا الهجاء، وكان يهوى عائشة بنت طلحة بن عبيد الله ويشبب بها؛ ولأه عبد الملك بن مروان مكة، وكان ذا قدر وخطر و منظر في قريش؛ وأخوه عكرمة بن خالد المخزومي محدث جليل من وجوه التابعين، قد روى عن جماعة من الصحابة؛ وله أيضا أخ يقال له عبد الرحمن بن خالد، شاعر، وهو الذي يقول:

رحل الشباب وليته لم يرحل *** وغدا لطية (3) ذاهب متحمّل (4)

ولّى بلا ذمّ وغادر بعده *** شيئا أقام مكانه في المنزل

ليت الشباب ثوى لدينا حقبة *** قبل المشيب وليته لم يعجل

ص: 217

1- قمره: غلبه في المقامرة.

2- القين: الحدّاد.

3- الطية: المنتأى، والقصد، والنية التي تنتوي.

فنصيب من لذاته و نعيمه *** كالعهد إذ هو في الزمان الأول

و فيه غناء.

كان أبو عمرو بن العلاء يرسل إليه أخاه معاذًا يسأله عن بعض الحروف:

حدّثني هاشم بن محمد الخزاعيّ قال حدّثنا الرياشيّ قال حدّثنا الأصمعيّ قال:

قال معاذ بن العلاء أخو أبي عمرو بن العلاء: كان أبو عمرو إذا لم يحجّ استبضعني (1) الحروف (2) أسأل عنها الحارث بن خالد بن العاص بن هشام بن المغيرة الشاعر و آتبه بجوابها؛ قال: فقدمت عليه سنة من السنين و قد ولّاه عبد الملك بن مروان مكة، فلما رأني قال: يا معاذ، إهات ما معك من بضائع أبي عمرو، فجعلت أعجب من اهتمامه بذلك و هو أمير.

هو أحد شعراء قريش الخمسة المشهورين:

أخبرني الحرميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكّار، و أخبرني به الحسن بن عليّ عن أحمد بن سعيد عن الزبير، و لفظه أتمّ، قال حدّثني محمد بن الضحّاك الحزاميّ قال:

كانت العرب تفضّل قريشا في كلّ شيء إلا الشعر، فلما نجم في قريش عمر بن أبي ربيعة و الحارث بن خالد المخزوميّ و العرجيّ و أبو دهب و عبيد (3) الله بن قيس الرقيّات (4)، أقرّت لها العرب بالشعر أيضا.

تفاخر مولى له و مولى لابن أبي ربيعة بشعريهما:

أخبرني عليّ بن صالح بن الهيثم و إسماعيل بن يونس و حبيب بن نصر و أحمد بن عبد العزيز قالوا حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني محمد بن يحيى أبو غسان قال:

تفاخر مولى لعمر بن أبي ربيعة و مولى للحارث بن خالد بشعريهما، فقال مولى الحارث لمولى عمر: دعني منك فإنّ مولاك و الله لا يعرف المنازل إذا قلبت، يعني قول الحارث:

إني و ما نحروا غداة منى *** عند الجمار تنودها (5) العقل

ص: 218

1- كذا في الأصول، و لم نجد في «كتب اللغة» التي بأيدينا «اللسان» و «القاموس» «استبضع» متعديا لمفعولين، و الموجود «استبضع الشيء» أي جعله بضاعته. و الموجود متعديا من هذه المادة «أبضعني» فإنه يقال: أبضعني البضاعة أي أعطاني إياها.
2- الحروف: الكلمات واحدا حرف.

3- كذا ورد هذا الاسم في «الأغاني» في ترجمته ج 4 ص 155 طبع بولاق و «شرح القاموس» مادة «رقي» و «ولاة مصر» للكندي ص 52 و «الموشح» للمرزباني ص 150، 186، 221 و قد ورد في جميع الأصول: «عبد الله» و ورد كذلك في «نقائض جرير و الفرزدق» ص 598 و قد ورد في الطبري قسم 2 ص 790، 812، 828، 1173 باسم ابن قيس الرقيات فقط، و ذكر البغدادي في «الخرزانه»: أن لقيس

- ابن عبيد الله و عبد الله و اختلفوا في الشاعر منهما، فقال ابن قتيبة و المبرد في «الكامل»: هو عبد الله المكبر، و قال المرزبانّي في «معجمه»: هو عبيد الله بالتصغير، قال: و من الرواة من يقول الشاعر عبد الله و هو خطأ.
- 4- ذكر البغدادي في «الخزانة» في ترجمته ج 3 ص 267 أنه يقال: الرقيات بالرفع على أنه صفة لعبد الله و بالجر على الإضافة لأنه قيل: إن في جدّاته ثلاث نسوة يسمين بهذا الاسم أو أنهن زوجاته أو محبوباته.
- 5- كذا في ح، و معناه تثقلها. و في سائر الأصول «تؤدّها» من أدّه الأمر يؤدّه و يئدّه إذا دهاه. و العقل: جمع عقال و يجوز في عين هذا الجمع التسكين كما هنا.

لو بدّلت أعلى(1) مساكنها *** سفلا و أصبح سفلها يعلو

/فيكاد يعرفها الخبير بها *** فيردّه الإقواء(2) و المحل

لعرفت مغناها بما احتملت *** مّتي الضلوع لأهلها قبل

- قال عمر بن شبة: و حدّثني محمد بن سلام بهذا الخبر على نحو ممّا ذكره أبو غسان، و زاد فيه: - فقال مولى ابن أبي ربيعة لمولى الحارث: و الله ما يحسن مولاك في شعر إلا نسب إلى مولاي.

قال ابن سلام: و أنشد الحارث بن خالد عبد الله بن عمر هذه الأبيات كلّها حتى انتهى إلى قوله:

لعرفت مغناها بما احتملت *** مّتي الضلوع لأهلها قبل

فقال له ابن عمر: قل: إن شاء الله؛ قال: إذا يفسد بها الشعر يا عمّ، فقال له: يا بن أخي، إنه لا خير في شيء يفسده «إن شاء الله». قال عمر: و حدّثني هذه الحكاية إسحاق بن إبراهيم في مخاطبته لابن عمر و لم يسندها إلى أحد، و أظنّه لم يروها إلا عن محمد بن سلام. و أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان عن أبي الفضل المروزيّ عن إسحاق عن أبي عبيدة، فذكر قصّة الحارث مع ابن عمر مثل الذي تقدّمه.

فضله كثير الشاعر في الشعر على نفسه و أنشد من شعره:

إشارة

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرانيّ قال حدّثنا الرياشيّ قال حدّثني أبو سلمة الغفاريّ عن يحيى بن عروة بن أذينة عن أبيه قال:

كان كثير جالسا في فتية من قريش إذ مرّ بهم سعيد الراس(3)، و كان مغنّيا، فقالوا لكثير: يا أبا صخر، هل لك أن نسمعك غناء هذا، فإنه مجيد؟ قال: افعلوا؛ فدعوا به فسألوه أن يغنّيهم:

صوت

هلاّ سألت معالم الأطلال *** بالجزع من حرص(4) و هنّ بوالي

سقيا لعزّة خلّتي سقيا لها *** إذ نحن بالهضبات من أمال(5)

إذ لا تكلمنا و كان كلامها *** نفلا(6) نؤمّله من الأنفال

فغنّاه، فطرب كثير و ارتاح، و طرب القوم جميعا، و استحسنا قول كثير، و قالوا له: يا أبا صخر ما يستطيع(7)

ص: 219

2- أفوت الدار إقواء: أفقرت، والمحل: الجذب.

3- لم نوفق إلى ضبط هذا الاسم، فلعله «الرأس» وزان شداد و هو بائع الرؤوس.

4- حرض: واد عند أحد.

5- أملال و يقال له ملل: موضع على طريق المدينة إلى مكة على ثمانية و عشرين ميلا من المدينة، هكذا ذكره ياقوت في «معجمه» و استشهد بهذا البيت من شعر كثير.

6- النفل: الغنيمة و العطية.

7- كذا في جميع الأصول «ما يستطيع» بدون همزة الاستفهام، و لكن الجواب بكلمة «بلى» يدل على أن القصد من الجملة الاستفهام، و همزة الاستفهام مما يجوز حذفه (انظر «المغني» لابن هشام في بحث الألف من الباب الأول). و يحتمل أن يكون «ما يستطيع» نفيا محضا و أن التحريف في «بلى» و أن أصلها «بل» الإضرابية.

أحد أن يقول مثل هذا؛ فقال: بلى، الحارث بن خالد حيث يقول:

صوت

إني و ما نحروا غداة مني *** عند الجمار تنودها العقل

لو بدلت أعلى مساكنها *** سفلا و أصبح سفلها يعلو

لعرفت مغناها بما احتملت *** مني الضلوع لأهلها قبل

نسبة ما في هذه الأخبار من «الأغاني» في أبيات كثير الأول

التي أولها:

هلاً سألت معالم الأطلال

لابن سريج منها في الثاني والثالث رمل مطلق في مجرى البنصر عن إسحاق. وللغريض في الأول والثاني ثقيل أول مطلق في مجرى البنصر عنه. وفيهما (1) لعلويه/رمل بالوسطى عن عمرو. وفي أبيات الحارث بن خالد لإبراهيم الموصلي رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق أيضا.

تمثل أشعب بشعره في علو الزبيرين على العلويين:

أخبرني عمي قال حدثنا الكرائي قال حدثنا الخليل بن أسد عن العمري عن الهيثم بن عدي قال:

دخل أشعب مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فجعل يطوف الحلق (2)، فقيل له: ما تريد؟ فقال: أستفتي في مسألة؛ فيينا هو كذلك إذ مرّ برجل من ولد الزبير وهو مسند إلى سارية (3) وبين يديه رجل علوي، فخرج أشعب مبادرا؛ فقال له الذي سأله عن دخوله و تطوافه: أوجدت من أفتاك في مسألتك؟ قال: لا، ولكني علمت ما هو خير لي منها؛ قال:

وما ذاك؟ قال: وجدت المدينة قد صارت كما قال الحارث بن خالد:

قد بدلت أعلى مساكنها *** سفلا و أصبح سفلها يعلو

رأيت رجلا من ولد الزبير جالسا في الصدر، ورجلا من ولد علي بن أبي طالب رضي الله عنه جالسا بين يديه، فكفى هذا عجبا، فانصرفت.

كان مروانبا و كل بني مخزوم زبيرية:

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهرى قال حدثنا عمر بن شبة، وأخبرني هذا الخبر إسماعيل بن يونس الشيعي قال حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا محمد بن يحيى أبو غسان، وأخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا

1- في ب، س، م: «و فيها».

2- الحلق: جمع حلقة وهي دائرة القوم و حلقتهم؛ وهذا الجمع على النادر كهضبة وهضب.

3- السارية: العمود.

عمر بن شبة قال حدّثنا أبو(1) عبد الله بن محمد بن حفص عن أبيه قال قال محمد بن خلف أخبرني به/أبو أيوب سليمان بن أيوب(2) المدني قال حدّثنا مصعب الزبيري، وأخبرني به أيضا الحرمي بن أبي العلاء قال حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني عمي، وقد جمعت رواياتهم في هذا الخبر:

أن بني مخزوم كلهم كانوا زبيريّة سوى الحارث بن خالد فإنه كان مروانيا.

ذهب إلى الشام مع عبد الملك فحجبه و جفاه فقال شعرا فقربه و ولاه مكة:

فلما ولي عبد الملك الخلافة عام الجماعة وفد عليه في دين كان عليه و ذلك في سنة خمس و سبعين؛ و قال مصعب في خبره: بل حجّ عبد الملك في تلك السنة فلما انصرف رحل معه الحارث إلى دمشق، فظهرت له منه جفوة، و أقام ببابه شهرا لا يصل إليه، فانصرف عنه و قال فيه:

صحبتك إذ عيني عليها غشاوة*** فلما انجلت قطعت نفسي ألومها

و ما بي و إن أقصيتي من ضراعة*** و لا افتقرت نفسي إلى من يضيئها

هذا البيت في رواية ابن المرزبان وحده:

عطفت عليك النفس حتى كأنما*** بكفّيك بؤسي أو عليك نعيمها

عزله عبد الملك لأنه أخر الصلاة حتى تطوف عائشة بنت طلحة:

إشارة

أوبلغ عبد الملك خبره و أنشد الشعر، فأرسل إليه من رده من طريقه؛ فلما دخل عليه قال له: حار(3)، أخبرني عنك: هل رأيت عليك في المقام بياي غضاضة أو في قصدي دناءة؟ قال: لا و الله يا أمير المؤمنين؛ قال:

فما حملك على ما قلت و فعلت؟ قال: جفوة ظهرت لي، كنت(4) حقيقا بغير هذا، قال: فاختر، فإن شئت أعطيتك مائة ألف درهم، أو قضيت دينك، أو وليتك مكة سنة، فولاه إياها، فحجّ بالناس و حجّت عائشة بنت طلحة عامئذ، و كان يهواها، فأرسلت إليه: أخر الصلاة حتى أفرغ من طوافي، فأمر المؤذنين فأخروا الصلاة حتى فرغت من طوافها، ثم أقيمت الصلاة فصلّى بالناس، و أنكر أهل الموسم ذلك من فعله و أعظموه، فعزله و كتب إليه يؤبّه فيما فعل؛ فقال: ما أهون و الله غضبه إذا رضيت! و الله لو لم تفرغ من طوافها إلى الليل لأخرت الصلاة إلى الليل. فلما قضت حجّها أرسل إليها: يا ابنة عمي ألمي بنا أو عدينا مجلسا نتحدّث فيه؛ فقالت: في غد أفعل ذلك، ثم رحلت من ليلتها؛ فقال الحارث فيها:

صوت

ما ضربكم لو قلتم سدا*** إن المطايا عاجل غدها

ولها علينا نعمة سلفت *** لسنا على الأيام نجحدها

لو تَمَّت أسباب نعمتها *** تَمَّت بذلك عندنا يدها

ص: 221

1- كلمة «أبو» ساقطة في ح.

2- في ح: أبو أيوب.

3- حار: ترخيم حارث.

4- كذا في الأصول و لعله «و كنت» بالواو.

لمعبد في هذه الأبيات ثقيل أول بالوسطى عن عمرو بن بانة و يونس و دنانير، و قد ذكره إسحاق فنسبه إلى ابن محرز ثقيلًا أول في أصوات قليلة الأشباه؛ و قال عمرو بن بانة: من الناس من نسبه إلى الغريض.

نسبة ما في الأخبار من الغناء

صوت

و ما بي و إن أفصيتني من ضراعة *** و لا افتقرت نفسي إلى من يهينها

بلى بأبي إني إليك لضرارع *** فقير و نفسي ذاك منها (1) يزينها

/البيت الأول للحارث بن خالد، و الثاني ألحق به. و الغناء للغريض ثقيل أول بالوسطى عن ابن المكيّ.

و ذكر الهشاميّ أن لحن الغريض خفيف ثقيل في البيت الأول فقط، و حكى أن قافيته على ما كان الحارث قاله:

و لا افتقرت نفسي إلى من يضيّمها

و أن الثقيل الأول لعليّة بنت المهديّ، و من غنائها البيت المضاف. و أخلق بأن يكون الأمر على ما ذكره، لأن البيت الثاني ضعيف يشبه شعرها.

تزوّج مصعب بعائشة و رحل بها إلى العراق فقال الحارث شعرا:

إشارة

أخبرني أحمد بن عبد العزيز و حبيب بن نصر و إسماعيل بن يونس قالوا حدّثنا عمر بن شبة قال حدّثني أبو غسان محمد بن يحيى قال:

لما تزوّج مصعب بن الزبير عائشة بنت طلحة و رحل بها إلى العراق، قال الحارث بن خالد في ذلك:

صوت

ظعن الأمير بأحسن الخلق *** و غدا بلبّك مطلع الشّرق

/في البيت ذي الحسب الرفيع و من *** أهل التّقى و البرّ و الصّدق

فظللت كالمقهور مهجته *** هذا الجنون و ليس بالعشيق

أترجّة عبق العبير بها *** عبق الدّهان بجانب الحقّ

ما صبّحت أحدا برؤيتها *** إلا غدا بكواكب الطّلق (2)

و هي أبيات، غنّى ابن محرز في البيتين الأوّلين خفيف رمل بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وذكر عمرو بن بانه أن فيهما لمالك ثقيلًا بالوسطى، وذكر حبش أن فيهما لمالك رملا بالوسطى، وذكر حبش أيضا أن فيهما للدّلال ثاني ثقيل بالبنصر، ولابن سريج و مالك رملين، و لسعيد بن جابر هزجا بالوسطى.

ص: 222

-
- 1- كذا في ب، س، ح، وفي سائر الأصول: «منك».
 - 2- يقال: يوم طلق أي مشرق لا برد فيه ولا حرّ ولا شيء يؤذي، ويقال أيضا: ليلة طلق و ليلة طلقة. يريد: أن من تصبّحه برؤيتها، يرى الزمان صافيا طيبا سعيدا، هائلا بطلعها واستبشارا.

استأذن علي عائشة بنت طلحة و كتب لها مع الغريص و أمره أن يغني لها من شعره فوعده و خرجت من مكة:

أخبرني محمد بن يزيد بن أبي الأزهر و الحسين بن يحيى عن حماد بن إسحاق عن أبيه عن محمد بن سلام عن ابن جعدبة قال:

لما أن قدمت عائشة بنت طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد و هو أمير على مكة: إني أريد السلام عليك، فإذا خفّ عليك أذنت، و كان الرسول الغريص، فقالت له: إنا حرم، فإذا أحللنا أذناك، فلما أحلّت سرت على بغلاتها، و لحقها الغريص بعسفان(1) أو قريب منه، و معه كتاب الحارث إليها:

ما ضربكم لو قلتكم سدا

- الأبيات المذكورة -؛ فلما قرأت الكتاب قالت: ما يدع الحارث باطله! ثم قالت للغريص: هل أحدثت شيئا؟ قال: نعم، فاسمعي، ثم اندفع يغني في هذا الشعر؛ فقالت عائشة: و الله ما قلنا إلا سدا، و لا أردنا إلا أن نشترى لسانه؛ و أتى على الشعر كله، فاستحسنته عائشة، و أمرت له بخمسة آلاف درهم و أثواب، و قالت: زدني، فغناها في قول الحارث بن خالد أيضا:

زعموا بأن البين بعد غد *** فالقلب مما أحدثوا يجف

و العين منذ أجدّ بينهم *** مثل الجمان دموعها تكف

/و مقالها و دموعها سجم *** أقلل حنينك حين تنصرف

تشكو و تشكو ما أشتّ (2) بنا *** كلّ بوشك البين معترف

- إيقاع هذا الصوت ثقيل أول مطلق في مجرى الوسطى عن الهشامي، و لم يذكر له حماد طريقا - قال: فقالت له عائشة: يا غريص، بحقي عليك أ هو أمرك أن تغني في هذا الشعر؟ فقال: لا، و حياتك يا سيدتي! فأمرت له بخمسة آلاف درهم، ثم قالت له: غني في شعر(3) غيره؛ فغناها [قول(4) عمر فيها]:

غناها الغريص بشعر ابن أبي ربيعة:

صوت

أجمعت خلّتي مع الفجر بينا(5) *** جلّ(6) الله ذلك الوجه زينا

أجمعت بينها و لم نك منها *** لذّة العيش و الشباب قضينا

ص: 223

1- ذكر ياقوت في «معجمه» عسفان فقال: قال أبو منصور: عسفان منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة و مكة، و قال غيره: عسفان بين المسجدين و هي من مكة على مرحلتين، و قيل: عسفان قرية جامعة بها منبر و نخيل و مزارع على ستة و ثلاثين ميلا من مكة و هي حدّتها.

2- أشت بنا: فرّق أمرنا.

3- في أ، ء، م: «في غير شعره».

4- الزيادة عن أ، ء.

5- البين: الفراق. وأجمعت بينا: اعتزمته وصممت عليه.

6- جلل: عمّ، ومنه المجلل: للسحاب الذي يجلل الأرض بالمطر أي يعمها.

فتولت حملوها واستقلت *** لم نزل طائلا ولم نقض دينا

ولقد قلت يوم مكة لما *** أرسلت تقرأ السلام علينا

أنعم الله بالرسول الذي أر *** سل والمرسل الرسالة عينا(1)

/ - الشعر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء للغريض خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البصر عن إسحاق، وغيره ينسبه إلى ابن سريج. وفيه لمعبد خفيف ثقيل بالوسطى(2) عن عمرو، وأظنه هذا اللحن - قال: فضحكت ثم قالت: وأنت يا غريض فأنعم الله بك عينا، وبابن أبي ربيعة عينا، لقد تلطفت حتى أديت إلينا رسالته، وإن وفاءك/له لمّا يزيدنا رغبة فيك وثقة بك. وقد كان عمر سأل الغريض أن يغنيها هذا الصوت لأنه قد كان ترك ذكرها لما غضبت بنو تيم من ذلك، فلم يحب التصريح بها وكره إغفال ذكرها؛ وقال له عمر: إن أبلغتها هذه الأبيات في غناء فلك خمسة آلاف درهم.

غنى الغريض عاتكة بنت يزيد:

إشارة

فوفى له بذلك، وأمرت له عائشة بخمسة آلاف درهم أخرى؛ ثم انصرف الغريض من عندها فلقي عاتكة بنت يزيد بن معاوية امرأة عبد الملك بن مروان، وكانت قد حجّت في تلك السنة، فقال لها جواربها: هذا الغريض؛ فقالت لهنّ: عليّ به، فجيء به إليها. قال الغريض: فلما دخلت سلّمت فردّت عليّ وسألتنني عن الخبر، فقصصته عليها؛ فقالت: غنّني بما غنّيتها به، ففعلت فلم أرها تهشّ لذلك، فغنّيتها معرّضا لها ومدّرا بنفسي في شعر مرّة بن محكان السعديّ يخاطب امرأته وقد نزل به أضياف:

أقول والضيف مخشيّ ذمامته(3) *** على الكريم وحقّ الضيف قد وجبا

صوت

يا ربّة البيت قومي غير صاغرة *** ضمّي إليك رحال القوم والقربا

في ليلة من جمادى ذات أندية(4) *** لا يبصر الكلب من ظلمائها الطنبا

لا ينبح الكلب فيها غير واحدة *** حتى يلفّ على خيشومه الذنبا

- الشعر لمرّة بن محكان السعديّ، والغناء لابن سريج. ذكر يونس أن فيه ثلاثة ألحان، فوجدت منها واحدا في كتاب عمرو بن بانه رملا بالوسطى، والآخر في كتاب/الهشاميّ خفيف ثقيل بالوسطى، والآخر ثاني ثقيل في كتاب أحمد بن المكيّ - قال: فقالت وهي متبسّمة: قد وجب حقّك يا غريض، فغنّني؛ فغنّيتها:

ص: 224

1- ورد هذا البيت في «اللسان» ج 16 ص 60 هكذا: أنعم الله بالرسول وبالمرسل والحامل الرسالة عينا والرسول في هذه الرواية: اسم

بمعنى الرسالة، وأصله مصدر وفعله ممات.

2- في ء: «وفيه لمعبد خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن عمرو».

3- الذمامة (بالفتح و تكسر): الذمة والعهد.

4- أندية: جمع ندي (وزان فتى)، وهو ما يسقط بالليل، وهذا الجمع شاذ، لأن أفعلة إنما يكون جمعا لما كان ممدودا مثل كساء وأكسية. وقد تمحل بعضهم لتصحيح هذا الجمع أوجها لا تخلو من التعسف. (انظر «اللسان» مادة ندى).

يا دهر قد أكثرت فجعتنا *** بسراتنا ووقرت (1) في العظم

و سلبتنا ما لست مخلفه *** يا دهر ما أنصفت في الحكم

لو كان لي قرن أناضله *** ما طاش عند حفيظة سهمي

لو كان يعطي النصف (2) قلت له *** أحرزت سهمك فاله عن سهمي (3)

فقلت: نعطيك النصف ولا نضيع سهمك عندنا، ونجزل لك قسمك، وأمرت لي بخمسة آلاف درهم و ثياب عدتية (4) وغير ذلك من الألفاظ، وأتيت الحارث بن خالد فأخبرته الخبر وقصصت عليه القصة؛ فأمر لي بمثل ما أمرتني به جميعاً، فأتيت ابن أبي ربيعة وأعلمته بما جرى، فأمر لي بمثل ذلك، فما انصرف واحد من ذلك الموسم بمثلي ما انصرفت به: بنظرة/من عائشة ونظرة من عاتكة وهما من أجمل نساء عالمهما، وبما أمرتني به، وبالمنزلة عند الحارث وهو أمير مكة، وابن أبي ربيعة، وما أجازاني به جميعاً من المال.

لما حجت عائشة بنت طلحة استأذنها في زيارتها فوعده ثم هربت:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا أبو الحسن المروزي قال حدثنا محمد بن سلام عن يونس قال:

لما حجت عائشة بنت طلحة أرسل إليها الحارث بن خالد وهو أمير مكة: أنعم الله بك عينا وحيّاك، وقد أردت زيارتك فكرهت ذلك إلا عن أمرك، فإن أذنت فيها فعلت؛ فقالت لمولاة لها جزلة (5): وما أردت على هذا السفه؟ فقالت لها: أنا أكفيك، فخرجت إلى الرسول وقالت له: اقرأ عليه السلام، وقل له: وأنت أنعم الله بك عينا وحيّاك، نقضي نسكنا ثم يأتيك رسولنا إن شاء الله، ثم قالت لها: قومي فطوفي واسعي واقضي عمرتك و اخرجي في الليل، ففعلت؛ وأصبح الحارث فسأل عنها فأخبر خبرها، فوجه إليها رسولا بهذه الأبيات، فوجدها قد خرجت عن عمل مكة، فأوصل الكتاب إليها، فقالت لمولاتها: خذيه فإني أظنه بعض سفاهاته، فأخذته وقرأته وقالت له: ما قلنا إلا سدا (6) وأنت فارغ للبطالة (7)، ونحن عن فراغك في شغل.

سألت عنه عائشة بنت طلحة فأرسل إليها شعرا:

إشارة

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار وأحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و حبيب بن نصر المهلبيّ وإسماعيل بن يونس الشّيعيّ قالوا حدثنا عمر بن شبة قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم الموصليّ قال: زعم كلثوم بن أبي بكر بن عمر بن الصّحّاك بن قيس الفهريّ قال:

ص: 225

1- وقر العظم: صدعه.

2- النصف مثلثة: اسم بمعنى الانتصاف.

3- السهم: النصيب والحظ، والسهم في البيت الذي قبله: ما يرمي به وهو واحد النبل.

4- في أ، ء، م: «عربية».

5- الجزلة: العاقلة الأصلحة الرأي.

6- كذا في ح. وفي سائر الأصول: «سدادا». و السدد و السداد في القول: أن يكون صوابا.

7- البطالة (بفتح الباء): اتباع اللهو.

قدم المدينة قادم من مكة فدخل على عائشة بنت طلحة، فقالت له: من أين أقبل الرجل؟ قال: من مكة، فقالت: فما فعل الأعرابي؟ فلم يفهم ما أرادت، فلما عاد إلى مكة دخل على الحارث، فقال له: من أين؟ قال: من المدينة، قال: فهل دخلت على عائشة بنت طلحة؟ قال: نعم، قال: فعمّا ذا سألتك؟ قال: قالت لي: ما فعل الأعرابي؟ قال له الحارث: فعد إليها ولك هذه الراحلة والحلة ونفقتك لطريقك وادفع إليها هذه الرقعة، وكتب إليها فيها:

صوت

من كان يسأل عنا أين منزلنا *** فالأقحوانة(1) منا منزل قمن(2)

إذ نلبس العيش صفوا ما يكدره *** طعن الوشاة ولا ينبونا الزمن

قال إسحاق: وزادني غير كلثوم فيها:

ليت الهوى لم يقربني إليك و لم *** أعرفك إذ كان حظي منكم الحزن

غنى في هذه الأبيات ابن محرز خفيف ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق، وذكر يونس أن فيها لحنا ولم يجنسه، وذكر عمرو أن فيه لبابويه ثاني ثقيل بالبنصر.

غضب على الغريض ثم رق له و غناه الغريض في شعره:

إشارة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن محمد بن سلام، قال:

لما ولي عبد الملك بن مروان الحارث بن خالد المخزومي مكة بعث إلى الغريض فقال له: لا أريتك في عملي(3)، و كان قبل ذلك يطلبه ويستدعيه فلا يجيبه، فخرج الغريض إلى ناحية الطائف، و بلغ ذلك الحارث فرق له فردّه وقال له: لم كنت تبغضنا وتهجر شعرنا ولا تقرينا؟ قال له الغريض: كانت هفوة من هفوات/النفس، و خطرة من خطرات الشيطان، و مثلك وهب الذنب، / و صفح عن الجرم، و أقال العثرة، و غفر الزلّة، و لست بعائد إلى ذلك أبدا؛ قال: و هل غنيت في شيء من شعري؟ قال: نعم، قد غنيت في ثلاثة أصوات من شعرك، قال: هات ما غنيت، فغنيت:

صوت

بان الخليط فما عاجوا و لا عدلوا *** إذ ودّعوك و حنت بالنوى(4) الإبل

ص: 226

1- الأقحوانة: موضع قرب مكة. قال الأصمعي: هي ما بين بئر ميمون إلى بئر ابن هشام.

2- القمن (بالتحريك): الخليق و الجدير كالقمن (بكسر الميم) إلا أن الأول لا يثني ولا يجمع ولا يؤنث، لأنه مصدر وصف به بخلاف الثاني فإنه نعت، و يعدى بالباء و من، يقال: هو قمن به و منه، و هذا المنزل لك موطن قمن أي جدير أن تسكنه. و يحتمل أن يكون «قمن» في البيت بمعنى قريب.

3- في عمل أي في البلد الذي تحت حكمي.

4- في أ: «وراحت بالدمى».

كأن فيهم غداة البين إذ رحلوا *** أدماء (1) طاع (2) لها الحوذان (3) و التفل (4)

- الغناء للغريض ثقیل أول بالوسطى عن الهشامی و حبش؛ قال حبش: و فيه لابن سريج خفيف رمل بالبنصر، و لإسحاق ثاني ثقیل بالبنصر - فقال له: أحسنت و الله يا غريض، هات ما غنيت فيه أيضا من شعري، فغنّاه في قوله:

صوت

يا ليت شعري و كم من منية قدرت *** وفقا و أخرى أتى من دونها القدر

و مضمر الكشح يطويه الضجيج له *** طي الحماله (5) لا جاف و لا فقر (6)

له شبيهان (7) لا نقص يعيهما *** بحيث كانا و لا طول و لا قصر

/ - لم أعرف لهذا الشعر لحنا في شيء من الكتب و لا سمعته - فقال له الحارث: أحسنت و الله يا غريض، إيه، و ما ذا (8) أيضا؟ فغنّاه قوله:

عفت الديار فما بها أهل *** حزّانها (9) و دماثها (10) السهل

إني و ما نحرروا غداة منى *** عند الجمار تؤدها العقل

- الأبيات المذكورة و قد مضت نسبتها معها - فقال له الحارث: يا غريض لا لوم في حبك، و لا عذر في هجرك، و لا لذة لمن لا يروح قلبه بك، يا غريض لو لم يكن لي في ولايتي مكّة حظّ إلا أنت لكان حظّا كافيا وافيا، يا غريض إنما الدنيا زينة، فأزين الزينة ما فرح (11) النفس، و لقد فهم قدر الدنيا على حقيقته من فهم قدر الغناء.

أنشدت سكينه بنت الحسين بيتا من شعره فنقدته:

أخبرني الحسن بن عليّ عن أحمد بن زهير عن مصعب الزبيريّ قال:

أنشدت سكينه بنت الحسين قول الحارث بن خالد:

ففرغن من سبع و قد جهدت *** أحشاؤهن موائل الخمر

ص: 227

1- الأدماء: الظبية البيضاء يعلوها جدد فيها غبرة، و قيل هي البيضاء الخالصة البياض، و قيل: هي التي لونها كلون الجبال.

2- يقال: طاع له المرتع: أي اتسع و أمكنه رعيه متى شاء.

3- الحوذان: ثبت سهليّ حلو طيب الطعم.

4- النفل: نبت من أحرار البقول نوره أصفر طيب الرائحة.

5- الحماله: علاقة السيف.

6- الفقر: الكسير الفقار، و الفقار: ما انتضد من عظام الصلب من لدن الكاهل إلى العجب.

7- كذا بالأصول، و لسنا على يقين من المعنى المراد.

8- في الأصول: «و ما ذلك أيضا».

9- حزان - بضم الحاء و كسرهما و تشديد الزاي -: جمع «حزيز» و هو موضع من الأرض كثرت حجارتة و غلظت كأنها السكاكين، أو هو

ما غلظ و صلب من جلد الأرض مع إشراف قليل؛ و في قصيدة كعب بن زهير: ترمى الغيوب بعيني مفرد لهق إذا توقدت الحزان و الميل

10- الدماث: السهول من الأرض.

11- في ح: «فرج» بالجيم.

فقلت: أحسن عندكم ما قال؟ قالوا: نعم، فقلت: و ما حسنه! فوالله لو طافت الإبل سبعا لجهدت أحشاؤها.

قيل له ما يمنعك من عائشة و قدمات زوجها فأجاب:

أخبرني الحسين عن حماد عن أبيه عن كلثوم بن أبي بكر قال:

لما مات عمر بن عبد الله التيمي عن عائشة بنت طلحة و كانت قبله عند مصعب بن الزبير قيل للحارث بن خالد: ما يمنعك الآن منها؟ قال: لا يتحدث و الله رجال من قريش أن نسيب بها كان لشيء من الباطل.

تنازع هو و أبان بن عثمان ولاية الحج فغلبه أبان فقال شعرا:

أخبرنا محمد بن العباس البيهقي قال حدثني عمي عبيد الله عن محمد بن حبيب عن ابن الأعرابي قال:

لما خرج ابن الأشعث على عبد الملك بن مروان شغل عن أن يولي على الحج رجلا، و كان الحارث بن خالد عامله على مكة، فخرج أبان بن عثمان من المدينة و هو عامله عليها، فغدا على الحارث بمكة ليحج بالناس؛ فنازعه الحارث و قال له: لم يأتي كتاب أمير المؤمنين بتوليتك على الموسم، و تغالبا فغلبه أبان بن عثمان/بنسبه، و مال إليه الناس فحج بهم؛ فقال الحارث بن خالد في ذلك:

فإن تنج منها يا أبان مسلما *** فقد أفلت الحجاج خيل شبيب

و كاد غداة الدير (1) ينفذ حضنه *** غلام بطعن القرن جد طيب

و أنسوه وصف الدير لما رآهم *** و حسن خوف الموت كل معيب (2)

فلقيه الحجاج بعد ذلك، فقال: ما لي و لك يا حارث! أ ينازعك أبان عملا فتذكرني! فقال له: ما اعتمدت مساءتك و لكن بلغني أنك أنت كاتبته، قال: و الله ما فعلت، فقال له الحارث: المعذرة إلى الله و إليك أبا محمد.

قال هشام حين سمع شيئا من شعره: هذا كلام معاين:

نسخت من كتاب هارون بن محمد بن عبد الملك الزيات: حدثني عمرو (3) بن سلم قال حدثني هارون بن موسى الفروي قال حدثني موسى بن جعفر أن يحيى قال حدثني مؤدب لبني هشام بن عبد الملك قال:

/بيننا أنا ألقى على ولد هشام شعر قريش إذ أنشدتهم شعر الحارث بن خالد:

إن امرأ تعتاده ذكر *** منها ثلاث منى لذو صبر

و هشام مصغ إلي حتى ألقيت عليهم قوله:

ففرغن من سبع و قد جهدت *** أحشاؤها من موائل الخمر

فانصرف و هو يقول: هذا كلام معاين.

-
- 1- هو دير الجماجم، وفيه كانت الوقعة بين الحجاج بن يوسف و عبد الرحمن بن الأشعث.
 - 2- كذا في نسخة الشنقيطي طبع بولاق مصححة بخطه، وهو المناسب للسياق. وفي جميع الأصول «مغيب» بالغين المعجمة.
 - 3- كذا في ب، س، وفي أ، ء، م: «عمر بن مسلم».

قدمت عائشة بنت طلحة تريد العمرة فقال شعرا:

إشارة

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أبو عبد الله السّدوسيّ قال و حدّثنا أبو حاتم السجستانيّ قال أخبرنا أبو عبيدة قال:

قدمت عائشة بنت طلحة مكّة تريد العمرة، فلم يزل الحارث يدور حولها و ينظر إليها و لا يمكنه كلامها حتى خرجت، فأنشأ يقول - و ذكر في هذه الأبيات بسرة حاضنتها و كنى عنها -:

صوت

يا دار أقفر رسمها *** بين المحصّب (1) و الحجون (2)

أقوت و غير آيها *** مرّ الحوادث و السنين

و استبدلوا ظلف (3) الحجا *** ز و سرّة (4) البلد الأمين

يا بسر إني فاعلمي *** بالله مجتهدا يميني

ما إن صرمت حبالكم *** فصلي حبالني أو ذريني

/في هذه الأبيات ثاني ثقل لمالك بالبنصر عن الهشاميّ و حبش، قال: و فيها لابن مسجح ثقل أول، و ذكر أحمد بن المكيّ أنّ فيها لابن سريج رملا بالبنصر؛ فيها لمعبد ثقل أول بالوسطى عن حبش.

شبه بزوجه أم عبد الملك:

أخبرني الطّوسيّ و الحرميّ بن أبي العلاء قالا حدّثنا الزبير بن بكار قال حدّثني مصعب بن عثمان بن مصعب بن عروة بن الزبير، و أخبرني به محمد بن خلف بن المرزبان عن أحمد بن زهير عن مصعب الزبيريّ قال:

كانت أمّ عبد الملك بنت عبد الله بن خالد بن أسيد عند الحارث بن خالد، فولدت منه فاطمة بنت الحارث، و كانت قبله عند عبد الله بن مطيع، فولدت منه عمران و محمدا، فقال فيها الحارث و كناها بابنها عمران:

يا أمّ عمران ما زالت و ما برحت *** بي الصباية حتى شفّني الشفق (5)

/القلب تاق إليكم كي يلاقيكم *** كما يتوق إلى منجاة الغرق

تنيل نزا قليلا و هي مشفقة *** كما يخاف ميسس الحية الفرق (6)

قال مصعب بن عثمان: فأنشد رجل يوما بحضرة ابنها عمران بن عبد الله بن مطيع هذا الشعر، ثم فطن فأمسك؛ فقال له: لا عليك، فإنها

كانت زوجته. وقال ابن المرزبان في خبره: فقال له: امض رحمك الله و ما بأس

ص: 229

1- المحصب: موضع فيما بين مكة و منى و هو إلى منى أقرب.

2- الحجون: جبل بأعلى مكة، و قال السكري: مكان من البيت على ميل و نصف ميل (انظر «معجم البلدان» لياقوت في اسم الحجون).

3- الظلف: ما لان من الأرض، و قيل: ما صلب و غلظ منها، و في ذلك أقوال كثيرة، (انظر «اللسان» مادة «ظلف»).

4- سرّة البلد: وسطه.

5- الشفق: رقة من حب تؤدّي إلى خوف.

6- الفرق: بكسر الراء ككتف و بضمها كرجل: للشديد الفزع، و قيل يقال: رجل فرق (بكسر الراء) إذا فزع من الشيء و ليس من جبلته، و

رجل فرق (بضمها) إذا فزع و كان منه الفزع جبلة.

بذلك، رجل تروّج (1) بنت عمّه و كان لها كفؤا كريما فقال فيها شعرا بلغ ما بلغ، فكان ما ذا!.

شِبِّ بَأْمِ بَكْرٍ بَعْدَ أَنْ رَأَاهَا تَرْمِي الْجَمْرَةَ وَ حَادِثَهَا:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثني أحمد بن عبد الرحمن التّميميّ عن أبي شعيب الأسديّ عن القحذميّ قال:

بينما الحارث بن خالد واقف على جمرة العقبة إذ رأى أم بكر وهي ترمي الجمرة فرأى أحسن الناس وجها، و كان في خدّها خال ظاهر، فسأل عنها فأخبر باسمها حتى عرف رحلها، ثم أرسل إليها يسألها أن تأذن له في الحديث، فأذنت له، فكان يأتيها يتحدّث إليها حتى انقضت أيام الحجّ، فأرادت الخروج إلى بلدها، فقال فيها:

ألا قل لذات الخال يا صاح في الخدّ *** تدوم إذا بانت على أحسن العهد

و منها علامات بمجرى وشاحها *** و أخرى تزين الجيد من موضع العقد

و ترعى من الودّ الذي كان بيننا *** فما يستوي راعي الأمانة و المبدي

و قل قد وعدت اليوم وعدا فأنجزي *** و لا تخلفي، لا خير في مخلف الوعد

و جودي عليّ اليوم منك بنائل *** و لا تبخلي، قدّمت قبلك في اللحد

فمن ذا الذي يبدي السرور إذا دنت *** بك الدار أو يعنى بنأيكم بعدي

دنوّكم منّا رخاء ناله *** و نأيكم و البعد جهد على جهد

كثير إذا تدنو اغتباطي بك النوى *** و وجدي إذا ما بنتم ليس كالوجد

أقول و دمعي فوق خدّي مخضل (2) *** له وشل (3) قد بلّ تهتانه خدّي

لقد منح الله البخيلة ودّنا *** و ما منحت ودّي بدعوى و لا قصد

شِبِّ بَلِيلِي بِنْتِ أَبِي مَرَّةٍ لَمَّا رَأَاهَا بِالْكَعْبَةِ:

إشارة

أخبرني محمد بن خلف قال و حدّثت عن المدائنيّ و لست أحفظ من حدّثني به قال:

/طافت ليلى بنت أبي مرّة بن عروة بن مسعود و أمّها ميمونة بنت أبي سفيان ابن حرب بالكعبة، فرآها الحارث بن خالد فقال فيها:

أطافت بنا شمس النهار و من رأى *** من الناس شمسا بالعشاء تطوف

أبو أمّها أوفى قریش بدمّة *** و أعمامها إمّا سألت تقيف

و فيها يقول:

ص: 230

1- كذا في ح. و في سائر الأصول: «متزوج».

2- مخضل: مندّ.

3- الوشل: الماء الكثير أو القليل فهو من أسماء الأضداد، و المراد به هنا الكثير.

أ من طلل بالجزع من مكة (1) السدر *** عفا بين أكناف المشقر (2) فالحضر (3)

ظلمت وظل القوم من غير حاجة *** لدن غدوة (4) حتى دنت حزة (5) العصر

يبكون من ليلى عهدا قديمة *** وما ذا يبكي القوم من منزل قفر

الغناء في هذه الأبيات لابن سريج ثاني ثقيل بالخنصر والبصر عن يحيى المكي، وذكر غيره أنه للغريض.

وفي ليلى هذه يقول - أشدناه وكعب عن عبد الله بن شبيب عن إبراهيم بن المنذر الحزامي للحارث بن خالد، وفي بعض الأبيات غناء :-

صوت

لقد أرسلت في السر ليلى تلومني *** وتزعمني ذا ملة طرفا (6) جلدا

وقد أخلفتنا كل ما وعدت به *** والله ما أخلفتها عامدا وعدا

لفقلت مجيبا للرسول الذي أتى *** تراه، لك الويلات، من قولها جدًا؟

إذا جنتها فأقر السلام وقل لها *** دعي الجور ليلى واسلكي منهجا قصدا

أفي مكثنا عنكم ليال مرضتها *** تزيديني ليلى على مرضي جهدا

تعدين ذنبا واحدا ما جنيته *** علي وما أحصي ذنوبكم عدا

فإن شئت حرمت النساء سواكم *** وإن شئت لم أطعم نقا (7) ولا بردا

وإن شئت غرنا (8) بعدكم ثم لم نزل *** بمكة حتى تجلسي (9) قابلا نجدا

الغناء للغريض ثاني ثقيل بالسبابة في مجرى الوسطى. وذكر ابن المكي أن فيه لدحمان ثاني ثقيل بالوسطى لا

ص: 231

1- كذا في جميع النسخ، ولم يظهر لنا وجه لإضافة مكة إلى السدر اللهم إلا أن يراد أنها تبته، على أنه ذكر في ياقوت في الكلام على مكة: «إن ليس بها شجر مثمر إلا شجر البادية فإذا جزت الحرم فهناك عيون وآبار وحوائط وأودية ذات خضر ومزارع ونخيل، وأما الحرم فليس به شجر مثمر إلا نخيل يسيرة متفرقة». ويجوز أن تكون محرقة عن كلمة «أبكة».

2- المشقر، كما في «معجم ما استعجم» للبركري: سوق الطائف، وذكر أن الأخفش روى بيت أبي ذؤيب الهذلي: حتى كأني للحوادث مروءة بصفا المشرق كل يوم تفرع «بصفا المشقر»، وقد روى بيت أبي ذؤيب هذا بهذه الرواية (في كتاب «المنتقى في أخبار أم القرى» طبع أوروبا ص 3).

3- الحضر: المراد به في هذا البيت: موضع بين مكة والمدينة وهو المذكور في شعر بعض الهذليين: أيا ليت شعري هل تغير بعدنا أروم و

آرام وشابة والحضر

4- لدن من الظروف التي تجر ما بعدها، وقد سمع نصب غدوة بعدها وهو نادر.

5- الحزة: الساعة والحين، قال ساعدة بن العجلان: ورميت فوق ملاء محبوكة وأنت للأشهاد حزة أدعى

6- الطرف: من لا يثبت على صاحب.

7- النقاخ: الماء البارد العذب الصافي الخالص الذي يكاد ينقخ - أي يكسر - الفؤاد بيرده، هكذا ذكره صاحب «اللسان» واستشهد له

بهذا البيت ونسبه إلى العرجي، وفسر البرد في قوله: «ولا بردا» بالريق.

8- غار الرجل: أتى الغور.

9- جلس الرجل: أتى نجدا، ومنه قول القائل: قل للفرزدق والسفاهة كاسمها إن كنت تارك ما أمرتك فاجلس

أدري أهدا أم غيره. وفيه (1) ثقيل أول للأبجر عن يونس و الهشامي. وفيه لابن سريج رمل بالبنصر. و لعرار خفيف ثقيل عن الهشامي و حبش.

غلبه أبان بن عثمان على الصلاة فقال فيه شعرا عرّض فيه بالحجاج:

أخبرني محمد بن خلف قال أخبرني محمد بن الحارث الخزاز قال حدثنا أبو الحسن المدائني قال:

كان الحارث بن خالد واليا على مكة، وكان أبان بن عثمان ربما جاءه كتاب الخليفة أن يصلي بالناس و يقيم لهم حجّهم، فتأخّر عنه في سنة الحرب كتابه و لم يأت الحارث كتاب، فلما حضر الموسم شخص أبان من المدينة، فصلّى بالناس و عاونته بنو أمية و مواليهم فغلب الحارث على الصلاة، فقال:

/

فإن تنج منها يا أبان مسلّمًا *** فقد أفلت الحجاج خيل شبيب

فبلغ ذلك الحجاج فقال: ما لي و للحارث! أيغلبه أبان بن عثمان على الصلاة و يهتف بي أنا! ما ذكره إياي! فقال له عبيد بن موهب: أ تاذن أيها الأمير في إجابته و هجائه؟ قال: نعم؛ فقال عبيد:

أبا و ابص ركبّ علائك (2) و التمس *** مكاسبها إن اللئيم كسوب

و لا تذكر الحجاج إلا بصالح *** فقد عشت من معروفه بذنوب (3)

و لست بوال ما حييت إمارة *** لمستخلف إلا عليك رقيب

سأله عبد الملك عن أيّ البلاد أحب إليه فأجاب و قال شعرا:

قال المدائني: و بلغني أن عبد الملك قال للحارث: أيّ البلاد أحبّ إليك؟ قال: ما حسنت فيه حالي و عرض وجهي، ثم قال:

لا كوفة أمي و لا بصرة أبي *** و لست كمن يثنيه عن وجهه الكسل (4)

نسبة ما في هذا الخبر من الأغاني

الغناء في شعره:

إشارة

منها في تشبيب الحارث بامرأته أمّ عمران:

بان الخليط الذي كُتبا به نثق *** بانوا وقلبك مجنون بهم علق
تنيل نذرا قليلا وهي مشففة *** كما يخاف مسيس الحية الفرق
يا أم عمران ما زالت وما برحت *** بي الصبابة حتى شفني الشفق

ص: 232

-
- 1- في الأصول: «وقيل ثقيل أول».
 - 2- العلاة في اوصل: الزبرة التي يضرب عليها الحداد الحديد، وتطلق أيضا على الناقة تشبيها لها بالزبرة في صلابتها.
 - 3- الذنوب: الحظ والنصيب، وفي هذا البيت إقواء وهو اختلاف حركة الروي.
 - 4- دخل على هذا البيت الخرم وهو سقوط حركة من أوله.

أعتق الله رقي من صبايتكم *** ما ضرني أنني صبّ بكم قلق

ضحكت عن مرهف الأنياب ذي أشر(1) *** لا قضم(2) في ثناياه ولا روق(3)

يتوق قلبي إليكم كي يلاقيكم *** كما يتوق إلى منجاته الغرق

عنى ابن محرز في الثالث ثم السادس ثم الخامس ثم الثاني، ولحنه من القدر الأوسط من الثقيل الأول بالسبابة في مجرى الوسطى عن إسحاق، وللغريض في الرابع والثاني والثالث والسادس خفيف ثقيل بالنصر عن عمرو، وللسلسل في الأول والثاني ثقيل أول مطلق عن الهشامي، ولابن سريج في الثاني والأول والرابع والخامس رمل بالخنصر في مجرى البنصر عن إسحاق، وللهذلي في الثاني ثم الأول هزج عن الهشامي. وذكر حبش أن فيها لابن سريج ثاني ثقيل بالوسطى، ولابن محرز ثاني ثقيل آخر بالنصر. وذكر الهشامي أن لابن سريج في الأبيات خفيف رمل.

ومما يغني فيه من شعر الحارث بن خالد في عائشة بنت طلحة تصريحاً وتعريضاً بسرة جاريته:

صوت

ياربع بسرة بالجناب تكلم *** وابن لنا خبراً ولا تستعجم

مالي رأيتك بعد أهلك موحشاً *** خلقاً كحوض الباقر(4) المتهدم

/تسبي الضجيع إذا النجوم تغورت *** طوع الضجيع أئيفة المتوسم

قب(5) البطون أوانس مثل الدمى *** يخلطن ذاك بعفة وتكرم

الغناء لمعبد خفيف رمل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى. والأبيات أكثر من هذه إلا أنني اعتمدت على ما غني فيه.

ومنها صوت قد جمعت فيه عدة طرائق وأصوات في أبيات من القصيدة:

أعرفت أطلال الرسوم تنكرت *** بعدي وبدل آيهن دثورا(6)

وتبدلت بعد الأنيس بأهلها *** عفرا(7) بواغم(8) يرتعين وعورا

ص: 233

1- الأشر: حدة ورقة تكون في الأسنان.

2- كذا في م، ح. والقضم (بفتحيتين): انصداع في السن وقيل: تثلم وتكسر في أطراف الأسنان، وفي ء: «لا قضم» بالصاد المهملة و

القصم (بفتحتين): انشقاق السن عرضاً، يقال: قصمت سنه قصماً أي انشقت عرضاً، ورجل أقصم الثنايا إذا كان متكسرها من النصف، وفي ب، س: «مقضم» وهو مصدر ميمي من قضمت الأسنان أي تكسرت وتقللت. وفي هذا الشطر «الطي» وهو هنا ذهاب الرابع الساكن من «مستفعلن» الأولى.

3- الروق: أن تطول الثنايا العليا على السفلى، وهو عيب في الأسنان.

4- البقر: جماعة البقر.

5- القبّ: جمع قباء وهي الدقيقة الخصر الضامرة البطن.

6- دثر الرسم دثوراً: درس و بلي.

7- العفر جمع عفراء وهي من الظباء التي يعلو بياضها حمرة.

8- يقال: بغمت الظبية بغوماً وبغمت بغاماً: صاحت إلى ولدها بأرخم ما يكون من صوتها فهي باغمة وبغوم.

من كل مصيبة الحديث ترى لها *** كفلا كرابية الكتيب وثيرا

دع ذا و لكن هل رأيت ظعائنا *** قرين أجمالا لهنّ بكورا

قرين كل مخيس (1) متحمل (2) *** بزلا (3) تشبه هامهنّ قبورا

يفتن لا يألون كل مغفل *** يملأه بحديثهنّ سرورا

يا دار حسرها (4) البلى تحسيرا *** و سفت عليها الريح بعدك بورا

دقّ التراب نخيله فمخيم *** بعراضها و مسير تسييرا

يا ربع بسرة إن أضرب بك البلى *** فلقد عهدتك أهلا معمورا

اعقب الرذاذ خلافهم (5) فكأثما *** بسط الشواطب (6) بينهنّ حصيرا

إن يمس حبلك بعد طول تواصل *** خلقا و يصبح بينكم (7) مهجورا

فلقد أراني، و الجديد إلى بلى *** زما بوصلك قانعا مسرورا

جدلا بمالي عندكم لا أبتغي *** للنفس غيرك خلّة و عشيرا

كنت المنى و أعزّ من وطئ الحصا *** عندي و كنت بذاك منك و جديرا

غنى في الأوّل و الثاني من هذه الأبيات معبد، و لحنه ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو، مطلق في مجرى الوسطى عن إسحاق، و للغريض فيه (8) ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو، و لإسحاق فيهما ثاني ثقيل، و لإبراهيم فيهما و في الثالث خفيف ثقيل بالسبابة و الوسطى عن ابن المكيّ، و غنى الغريض في الثالث و السادس و الرابع و الخامس ثاني ثقيل بإطلاق الوتر في مجرى الوسطى عن إسحاق، و غنى معبد في السابع و الثامن و العاشر خفيف ثقيل بالسبابة و الوسطى عن يحيى المكيّ؛ و فيها ثاني ثقيل ينسب إلى طويس و ابن مسجح و ابن سريج، و لمالك في التاسع و العاشر و الحادي عشر و الثاني عشر خفيف ثقيل بالسبابة و الوسطى عن يحيى المكيّ، و فيها بأعيانها/الابن سريج رمل بالسبابة و الوسطى عن يحيى أيضا، و ليحيى المكيّ في الحادي عشر و ما بعده إلى آخر الأبيات ثاني ثقيل، و لإبراهيم فيها بعينها ثقيل أوّل عن الهشاميّ، و فيها لإسحاق رمل، و في الثالث و الرابع لحن لخليدة المكيّة خفيف رمل عن الهشاميّ أيضا.

ص: 234

1- المخيس: المذلّل.

2- كذا في ح، و في سائر النسخ: «متجمل» بالجيم.

3- البزل: جمع بازل و هو البعير الذي فطرنا به بدخوله في السنة التاسعة.

4- حسرها: أضرب بها و أذهب بهجتها.

5- كذا ورد في «اللسان» في مادّة «عقب» و مادّة «خلف» غير أنه ورد في مادّة «خلف» هكذا: «عقب الربيع» فذكر «الربيع» بدل «الرذاذ». وفي الأصول: «عفت الرذاذ خلفه»، فالظاهر أن كلمة «عفت» محرّفة عن «عقب» و «خلافه» محرّفة عن «خلافهم». و خلافهم: بعدهم. وفي «اللسان» أيضا «نشط» بدل «بسط».

6- الشواطب: جمع شاطبة، و الشاطبة من النساء: التي تشق الجريد لتعمل منه الحصير، قال مالك بن خالد: إذا أدركوهم يلحفون سراتهم بضرب كما جدّ الحصير الشواطب

7- كذا في الأصول و البين: الصلة و القرابة، و يحتمل أيضا أن يكون «بيتكم» بالتاء.

8- كذا في جميع النسخ، و المناسب للسياق «فيهما» بالثنية كما هو ظاهر.

و منها من أبيات قالها بالشأم عند عبد الملك أولها:

هل تعرف الدار أضحت آيها عجما *** كالرقق (1) أجرى عليها حاذق قلما

بالخيف حاجت شئونا (2) غير جامدة *** فانهلت العين تذري واكفا سجما

دار لبسرة أمست ما تكلمنا *** و قد أبنت لها لو تعرف الكلما

واها لبسرة لو يدنو الأمير بها *** يا ليت بسرة قد أمست لنا أمما (3)

صوت

حلّت بمكة لا دار مصاقبة (4) *** هيهات جيرون (5) ممّن يسكن الحرما

يا بسر إنكم شطّ البعاد بكم *** فما تيلوننا وصلا ولا نعما

غنى في هذين البيتين الهذليّ ثاني ثقيل بالوسطى، وفيهما ليحيى المكيّ ثقيل أوّل بالبنصر، جميعا من روايته:

قد قلت بالخيف إذ قالت لجارتها *** آدم وصل الذي أهدى لنا الكلما

صوت

لا يرغم الله أنفا أنت حامله *** بل أنف شانيك فيما سرّكم رغما

إن كان رابك شيء لست أعلمه *** متي فهذي يميني بالرضا سلما (6)

/أو كنت أحببت شيئا مثل حبّكم *** فلا أرحت إذا أهلا ولا نعما

لا تكليني (7) إلى من ليس يرحمني *** وقالك من تبغضين الحتف والسقما

إن الوشاة كثير إن أطعتهم *** لا يرقبون بنا إلا (8) ولا ذمما

غنى ابن محرز في:

لا يرغم الله أنفا أنت حامله

1- الرق: الصحيفة البيضاء، وهو أيضا جلد رقيق يكتب فيه.

2- الشئون: الدموع.

3- أمما: قريبة.

4- مصاقبة: مقاربة.

5- جيرون: بناء عند باب دمشق يقال: إن الجن بنته في عهد سليمان بن داود، وهو سقيفة مستطيلة على عمد و سقائف و حوله مدينة تطيف به، و ذكروا أن اسم الشيطان الذي بناه «جيرون» فسمى به. وقيل: إن أول من بنى دمشق جيرون بن سعد بن عاد بن إرم بن سام بن نوح و به سمي «باب جيرون» و سميت المدينة (إِرمَ ذاتِ العِمَادِ) و في ذلك أقوال كثيرة غير هذه. (راجع «معجم البلدان» لياقوت في اسم «جيرون»).

6- السلم: الاسم من التسليم.

7- في هذا البيت «الطي» و هو هنا حذف الرابع الساكن من «مستفعلن» الأولى.

8- الإلّ: العهد.

خفيف ثقيل(1) بالبنصر، ولا بن مسجح فيه ثاني ثقيل عن حبش؛ وفي:

لا تكليني إلى من ليس يرحمني

لابن محرز ثقيل أول بالبنصر عن حبش و الهشامي.

آخر الصلاة لعائشة بنت طلحة فعزله عبد الملك و لامه فقال شعرا:

أخبرني محمد بن يزيد و الحسين بن يحيى قالوا أخبرنا حماد بن إسحاق عن أبيه عن الزبيرى قال:

أذن المؤذن يوما و خرج الحارث بن خالد إلى الصلاة، فأرسلت إليه عائشة ابنة طلحة: إنه بقي عليّ شيء من طوافي لم أتمّه، فقعد و أمر المؤذنين فكفوا عن الإقامة و جعل الناس يصيحون حتى فرغت من طوافها، فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان، فعزله و ولّى مكّة عبد الرحمن بن عبد الله بن خالد بن أسيد، و كتب إلى الحارث: /ويلك، أتركت الصلاة لعائشة بنت طلحة! فقال الحارث: و الله لو لم تقض طوافها إلى الفجر لما كبرت؛ و قال في ذلك:

لم أرّحّب بأن سخطت و لكن *** مرحبا أن رضيت عتّا و أهلا

إنّ وجهها رأيته ليلة البد *** ر عليه انثنى الجمال و حلاّ

وجهها الوجه لو يسال(2) به المز *** ن من الحسن و الجمال استهلاّ

إن عند الطواف حين أتته *** لجمالا فعما و خلقا رفا(3)

و كسين الجمال إن غبن عنها *** فإذا ما بدت لهنّ اضمحلاّ

الغناء في شعره:

إشارة

في شعر الحارث هذا غناء قد جمع كلّ ما في شعره منه على اختلاف طرائقه، و هو:

صوت

أثل جودي على المتيمّ أثلا *** لا تزيدي فؤاده بك خبلا

أثل إني و الراقصات(4) بجمع *** يتبارين في الأزمة فتلا(5)

سانحات يقطعن من عرفات *** بين أيدي المطيّ حزنا و سهلا

و الأكفّ المضمرات على الركّ *** ن بشعث سعوا إلى البيت رجلي(6)

لا أخون الصديق في السرّ حتى *** ينقل البحر بالغرايبيل نقلا

أو تمرّ الجبال مرّ سحاب *** مرتق قد وعى من الماء ثقلا

ص: 236

-
- 1- في ب، س: «خفيف ثقيل رمل بالبنصر».
 - 2- يسأل: يسأل سهلت همزته، وفي رواية ستأتي في ص 341 «وجهك البدر لو سألت إلخ».
 - 3- الفعم: الممتلئ المستوي؛ والرفل: الواسع.
 - 4- الراقصات: النوق المسرعات في سيرها، وجمع: المزدلفة وهو المشعر الحرام، سمي جمعا لاجتماع الناس فيه.
 - 5- فتلا: جمع فتلاء، وهي الناقة الثقيلة المتأطرة الرجلين، أو هي الناقة التي في ذراعيها «فتل» وهو تباعدهما عن الجنين كأنهما فتلا.
 - 6- رجلي: ماشين على أرجلهم، جمع رجلان كعجلان وعجلي.

أنعم الله لي بذا الوجه عينا *** و به مرحبا و أهلا و سهلا

/حين قالت لا تفشينّ حديثي *** يا ابن عمّي أقسمت قلت أجل لا(1)

اتقي الله و اقبلي العذر متي *** و تجافي عن بعض ما كان زلاً

لا تصدّي فتقتليني ظلما *** ليس قتل المحبّ للمحبّ حلاً

ما أكن سؤتكم به فلك العت *** بي لدينا و حقّ ذاك و قلاً

لم أرّحّب بأن سخطت و لكن *** مرحبا أن رضيت عتّا و أهلاً

/إنّ شخصاً رأيته ليلة البد *** ر عليه انثنى الجمال و حلاً

جعل الله كلّ أنثى فداء *** لك بل خدّها لرجلك نعلاً

وجهلك البدر لو سألت به المز *** ن من الحسن و الجمال استهلاً

غنىّ معبد في الأبيات الأربعة الأولى خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو، و لابن تيزن(2) في الأوّل و الثاني ثقيل أوّل عن إسحاق، و لابن سريج في الأوّل و الثاني و الخامس ثقيل أوّل عن الهشاميّ، و للغريص في الخامس إلى الثامن خفيف ثقيل بالوسطى عن عمرو، ولد حمان في التاسع و العاشر و الثالث عشر و الرابع عشر خفيف ثقيل بالبنصر عن عمرو، و لمالك في التاسع إلى آخر الثاني عشر لحن ذكره يونس و لم يجنّسه، و لابن سريج في هذه الأبيات بعينها رمل بالوسطى عن عمرو، و للغريص فيها أيضاً خفيف رمل بالبنصر عن ابن المكيّ، و لابن عائشة في الخامس إلى آخر الثامن لحن ذكره حمّاد عن أبيه و لم يذكر طريقته.

و منها:

صوت

أحقّ أن جبرتنا استحبّوا *** حزون الأرض بالبلد السّخاخ(3)

إلى عقر الأباطح من ثبير(4) *** إلى ثور(5) فمدفع(6) ذي مراخ(7)

فتلك ديارهم لم يبق فيها *** سوى طلل المعرّس و المناخ

و قد تغنى(8) بها في الدار حور *** نواعم في المجاسد(9) كالإراخ(10)

ص: 237

- 2- في ب، س، ح: «ابن بيزن». وفي سائر النسخ: «ابن بيزق» (انظر حاشية 2 ص 283 من الجزء الأول من هذه الطبعة).
- 3- السخاخ: الأرض اللينة الحرّة.
- 4- ثبير: جبل بمكة.
- 5- ثور: جبل بمكة.
- 6- المدفع: أحد مدافع المياه التي تجري فيها.
- 7- ذو مراح: موضع قريب من المزدلفة، وقيل: هو من بطن كساب جبل بمكة.
- 8- تغنى: تقيم، من غنى الرجل بالمكان إذا أقام.
- 9- المجاسد: جمع مجسد وهو القميص الذي يلي البدن.
- 10- الإراخ: بقر الوحش.

غني في هذه الأبيات الغريضة، و لحنه من الثقل الأول بالوسطى عن الهشامي.

جزعت سوداء لموت ابن أبي ربيعة فلما سمعت شعر الحارث طابت به نفسا:

وأخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدثنا عبد الله بن محمد قال أخبرني محمد بن سلام قال:

كانت سوداء بالمدينة مشغوفة بشعر عمر بن أبي ربيعة، وكانت من مولدات مكة، فلما ورد على أهل المدينة نعي عمر بن أبي ربيعة أكبروا ذلك و اشتد عليهم، وكانت السوداء أشدهم حزنا و تسلبا(1) و جعلت لا تمر بسكة من سكك المدينة إلا ندبته، فلقبها بعض فتيان مكة، فقال لها: خفصي عليك، فقد نشأ ابن عم له يشبه شعره شعره، فقالت: أنشدني بعضه، فأنشدها قوله:

إني و ما نحرروا غداة منى *** عند الجمار تنودها العقل

الأبيات كلها، قال: فجعلت تمسح عينيها من الدموع و تقول: الحمد لله الذي لم يضيع حرمه.

ناضل سليمان بن عبد الملك بينه و بين رجل من أخواله:

أخبرني اليزيدي قال حدثني عمي (جد عبيد الله) عن ابن حبيب عن ابن الأعرابي قال:

ناضل(2) سليمان بن عبد الملك بين الحارث و بين رجل من أخواله من بني عبس، فرمى(3) [الحارث بن] خالد فأخطأ و رمى العبسي فأصاب، فقال:

أنا نضلت(4) الحارث بن خالد

ثم رمى العبسي فأخطأ و رمى الحارث فأصاب، فقال الحارث:

حسبت نضل الحارث بن خالد

و رميا فأخطأ العبسي و أصاب الحارث، فقال الحارث:

مشيك بين الزرب(5) و المرابد(6)

و رميا فأخطأ العبسي و أصاب الحارث، فقال الحارث:

و إنك الناقص غير الزائد

فقال سليمان: أقسمت عليك يا حارث إلا كففت عن القول و الرمي فكفّ.

ص: 238

1- التسلب: حداد المرأة على زوجها، و قد يكون على غير الزوج، و هو أيضا لبس المحدّ ثياب الحداد السود.

- 2- يقال: ناضله مناضلة ونضالا ونيضالا فنضله: باراه في رمي السهام فغلبه، والمعنى المراد هنا أنه جعلهما يتباريان في الرمي بالسهام.
- 3- في جميع الأصول «فرمى خالد» والصواب ما أثبتناه.
- 4- كذا في ح و هامش ب بخط الشيخ الشنقيطي وهو الصواب، وفي س: «أناضلت» وهو تحريف.
- 5- الزرب (بفتح الزاي وكسرها): موضع الغنم.
- 6- المرابد: محابس الإبل، واحدها «مريد» (بكسر الميم).

الأبرج لقب غلب عليه، و اسمه عبيد الله بن القاسم بن ضبيبة(1)، و يكنى أبا طالب، هكذا روى محمد بن عبد الله بن مالك عن إسحاق، و روى هارون بن الزيات عن حماد عن أبيه: أن اسمه محمد بن القاسم بن ضبيبة، و هو مولى لكنانة ثم لبني بكر، و يقال: إنه مولى لبني ليث.

نشأته:

أخبرني عمي قال حدّثني عبد الله بن أبي سعد قال حدّثنا محمد بن عبد الله بن مالك و أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه و هارون بن الزيات قال(2) حدّثنا عبد الله بن أبي سعد عن محمد بن عبد الله بن مالك قال:

كنا يوما جلوسا عند إسحاق، فغنتنا جارية يقال لها «سمحة»:

إنّ العيون التي في طرفها مرض(3) *** قتلنا ثم لم يحين قتلنا

فهبت إسحاق أن أسأله لمن الغناء، فقلت لبعض من كان معنا: سله، فسأله فقال له إسحاق: ما كان عهدي بك في شبيبتك لتسألنا عن هذا، فقال: أحببته لمّا أسننت، فقال: لا و لكنّ هذا النّقب عمل هذا اللّص، و ضرب بيده إلى/تلايبي، فقال له الرجل: صدقت يا أبا محمد، فأقبل عليّ فقال لي: ألم أقل لك إذا اشتهدت شيئا فسل عنه، أما لأعطينك فيه ما تعابي(4) به من شئت منهم، أتدري لمن الشعر؟ فقلت: لجبر، فقال لي: و الغناء للأبرج، و كان مدنيّا منشؤه بمكة، أو مكيا منشؤه بالمدينة، أتدري ما اسمه؟ قلت: لا، قال: اسمه عبيد الله بن القاسم بن ضبيبة، أتدري ما كنيته؟ قلت: لا، قال: أبو طالب، ثم قال: اذهب فعابي بهذا من شئت منهم فإنك تظفر به.

كان ولاؤه لبني كنانة و قيل لبني ليث و كان يلقب بالحساس:

و قال هارون: حدّثني حماد عن أبيه قال: الأبرج اسمه محمد بن القاسم بن ضبيبة و قال مرّة أخرى:

عبيد الله بن القاسم، مولى لبني بكر بن كنانة، و قيل: إنه مولى لبني ليث، يلقّب بالحساس.

ظرفه و حسن لباسه و فرسه و مركبه:

قال هارون: و حدّثني حماد عن أبيه قال حدّثني عورك اللّهبيّ قال:

ص: 239

1- كذا ورد هذا الاسم في هذا الموضوع في جميع الأصول و لم نعثر على من تسمى بهذا الاسم، و قد ورد في ح في هذا الموضوع هكذا:

«ضبيبة» و فيما سيأتي: «القاسم بن ضبة». و في «نهاية الأرب» ج 4 ص 314 طبع دار الكتب المصرية «منبه».

2- في الأصول «قال» و السياق يقتضي ما أثبتناه.

3- في ء، ح: «حور».

4- عايا صاحبه معاياة: ألقى عليه كلاما لا يهتدي لوجهه.

لم يكن بمكة أحد أظرف ولا أسرى ولا أحسن هيئة من الأبحر، كانت حلته بمائة دينار و فرسه بمائة دينار و مركبه بمائة دينار، و كان يقف بين المأزمين (1) فيرفع صوته فيقف الناس له يركب بعضهم بعضا.

احتكم على الوليد بن يزيد في الغناء فأمضى حكمه:

أخبرني علي بن عبد العزيز الكاتب عن [عبيد الله (2) بن] عبد الله بن خرداذبه عن إسحاق، و أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه، قال (3):

/جلس الأبحر في ليلة اليوم السابع من أيام الحج على قريب من التتعيم (4) فإذا عسكر جرّار قد أقبل في آخر الليل، وفيه دوابّ تجنب و فيها فرس أدهم عليه سرج حلته ذهب فاندفع، فغنى:

عرفت ديار الحّي خالية فقرا *** كأنّ بها لَمّا توهمتّها سطرًا

فلما سمعه من في القباب و المحامل أمسكوا، و صاح صائح: ويحك! أعد الصوت، فقال: لا و الله! إلا بالفرس الأدهم بسرجه و لجامه و أربعمئة دينار، فإذا الوليد بن يزيد صاحب الإبل، فنودي: أين منزلك و من أنت؟ فقال: أنا الأبحر و منزلي على باب زقاق الخرازين، فغدا عليه رسول الوليد بذلك الفرس و أربعمئة دينار و تخت من ثياب و شى و غير ذلك، ثم أتى به الوليد فأقام عنده، و راح مع (5) أصحابه عشية التروية (6) و هو أحسنهم هيئة، و خرج معه أو بعده إلى الشام.

خرج معه إلى الشام:

قال إسحاق: و حدّثني عورك اللّهبيّ أن خروجه كان معه، و ذلك في ولاية محمد بن هشام بن إسماعيل مكة، و في تلك السنة حجّ الوليد، لأن هشام أمره بذلك ليهتكه عند أهل الحرم، فيجد السبيل إلى خلعه، فظهر منه أكثر مما أراد به من التّشاغل بالمغنين و اللّهُو، و أقبل الأبحر معه حتى قتل الوليد، ثم خرج إلى مصر فمات بها.

نسبة الصوت المذكور في هذا الخبر

صوت

عرفت ديار الحّي خالية فقرا *** كأنّ بها لَمّا توهمتّها سطرًا

وقفت بها كيما تردّ جوابها *** فما بيّنت لي الدار عن أهلها خبرًا

الغناء لأبي عبّاد ثقيل أوّل بالبنصر عن عمرو، و فيه لسياط خفيف رمل بالبنصر.

ص: 240

1- المأزمان كما في ياقوت: جبلا مكة؛ و قال أهل اللغة: هما مضيقتا جبلين؛ و قيل: هو اسم موضع بمكة بين المشعر الحرام و عرفة، و في ذلك أقوال غير هذه.

2- الزيادة عن كتابه «المسالك و الممالك».

3- في جميع الأصول: «قال» بالإفراد.

4- التنعيم: موضع بمكة في الحل، و هو بين مكة و سرف على فرسخين من مكة و قيل على أربعة، و سمي بذلك لأن جبلا عن يمينه يقال له نعيم و آخر عن شماله يقال له ناعم.

5- في ء: «إلى».

6- عشية التروية: عشية اليوم الثامن من ذي الحجة.

أخذ صوتا من الغريص فأكره عطاء بن أبي رباح على سماعه:

إشارة

قال إسحاق: وحدثت أن الأبجر أخذ صوتا من الغريص ليلا ثم دخل في الطواف حين أصبح، فرأى عطاء بن أبي رباح يطوف بالبيت، فقال: يا أبا محمد، اسمع صوتا أخذته في هذه الليلة من الغريص؛ قال له: ويحك! أفي هذا الموضع! فقال: كفرت برّب هذا البيت لئن لم تسمعه منّي سرّاً لأجهرنّ به؛ فقال: هاته، فغناه:

صوت

صوت(1)

عوجي علينا ربّة الهودج *** إنك إلا تفعلني تخرجي(2)

إتي أتيتحت لي يمانية *** إحدى بني الحارث من مذحج

نلبث حولا كاملا كلّه *** لا نلتقي إلا على منهج

في الحجّ إن حجّت و ما ذا منى *** وأهله إن هي لم تحجج

فقال له عطاء: الخير الكثير واللّه في منى وأهله حجّت أو لم تحجّ، فاذهب الآن. وقد مرّت نسبة هذا الصوت وخبره في أخبار العرجي والغريص.

ختن عطاء بنيه فاختلف إليهم ثلاثة أيام يغني لهم:

قال إسحاق: وذكر عمرو بن الحارث عن عبد اللّه(3) بن عبيد بن عمير قال: ختن عطاء بن أبي رباح بنيه أو بني أخيه، فكان الأبجر يختلف إليهم ثلاثة أيام يغني لهم.

نازع ابن عائشة في الغناء فشتاتما:

قال هارون بن محمد حدّثني حمّاد بن إسحاق قال نسخت من كتاب ابن أبي نجيح(4) بخطّه: حدّثني غرير بن طلحة الأرقمي عن يحيى بن عمران عن عمر بن حفص بن أبي كلاب قال:

كان الأبجر مولانا و كان مكّيّا، فكان إذا قدم المدينة نزل علينا، فقال لنا يوما: أسمعوني غناء ابن عائشتكم هذا، فأرسلنا فيه فجمعنا بينهما في بيت ابن هبار فتغنى ابن عائشة، فقال الأبجر: كلّ مملوك لي حرّ إن تغنيت معك إلا بنصف صوتي، ثم أدخل إصبعة في شذقه فتغنى، فسمع صوته من في السوق فحشر الناس علينا، فلم يفترقا حتى تشاتما؛ قال: و كان ابن عائشة حديدا(5) جاهلا.

غنى الوليد و قد عرف سرّه من خادمه فنشط له:

أخبرني الحسن بن عليّ قال حدّثنا ابن مهرويه قال و حدّثني ابن أبي سعد قال حدّثني القطرانيّ المغنّي عن محمد/ابن جبر عن إبراهيم بن المهديّ قال حدّثني ابن أشعب عن أبيه قال:

ص: 241

-
- 1- الزيادة عن ح.
 - 2- تخرجي: تأثمي.
 - 3- في أ، م، ء: «عن عبد الله بن عمر».
 - 4- في ح: «ابن أبي نجاح» وقد سموا «نجيحا» (كأمير وزبير) ونجاحا.
 - 5- الحديد: الحادّ في الغضب، والجاهل: ضد الحلّيم.

دعي ذات يوم المغنّون للوليد بن يزيد، و كنت نازلا معهم، فقلت للرسول: خذني فيهم؛ قال: لم أؤمر بذلك وإنما أمرت بإحضار المغنّين و أنت بطال(1) لا تدخل في جملتهم؛ فقلت: أنا والله أحسن غناء منهم، ثم اندفعت فغنّيته؛ فقال: لقد سمعت حسنا ولكنني أخاف؛ فقلت: لا خوف عليك، ولك مع هذا شرط، قال: وما هو؟/قلت: كل ما أصبته فلك شطره؛ فقال للجماعة: اشهدوا عليه، فشهدوا، و مضينا فدخلنا على الوليد و هو لقس(2) النفس، فغنّاه المغنّون في كل فنّ من خفيف و ثقيل، فلم يتحرّك و لا نشط، فقام الأبرج إلى الخلاء، و كان خبيثا داهيا، فسأل الخادم عن خبره، و بأيّ سبب هو خائر(3)؟ فقال: بينه و بين امرأته شرّ، لأنه عشق أختها فغضبت عليه فهو إلى أختها أميل، و قد عزم على طلاقها و حلف لها ألا يذكرها أبدا بمراسلة و لا مخاطبة، و خرج على هذا الحال من عندها؛ فعاد الأبرج إلينا و ما جلس حتى اندفع فغنّني:

صوت

فبيني فإني لا أبالي و أيقني *** أصعد باقي حبكم أم تصوبا

ألم تعلمي أنني عزوف عن الهوى *** إذا صاحبي من غير شيء تغصبا

فطرب الوليد و ارتاح و قال: أصبت يا عبيد و الله ما في نفسي، و أمر له بعشرة آلاف درهم و شرب حتى سكر، و لم يحظ بشيء أحد سوى الأبرج، فلما أيقنت بانقضاء المجلس و ثبت فقلت: إن رأيت يا أمير المؤمنين أن تأمر من يضربني مائة الساعة بحضرتك! فضحك و قال: قبحك الله! و ما السبب في ذلك؟ فأخبرته بقصتي مع الرسول و قلت:

إنه بداني من المكروه في أول يومه بما اتصل عليّ إلى آخره، فأريد أن أضرب مائة و يضرب بعدي مثلها، فقال له:

لقد لطفت، أعطوه مائة دينار و أعطوا الرسول خمسين دينارا من مالنا عوضا عن الخمسين التي أراد أن يأخذها؛ فقبضتها و ما حظي أحد بشيء غيري و غير الرسول. و الشعر الذي غنّني فيه الأبرج الوليد بن يزيد لعبد الرحمن بن الحكم أخي مروان بن الحكم، و الغناء للأبرج ثقيل أول بالخنصر في مجرى الوسطى عن إسحاق، و فيه لغيره عدّة ألحان نسبت.

صوت من المائة المختارة من رواية جحظة

حمزة المبتاع بالمال الثنا *** و يرى في بيعه أن قد غبن

فهو إن أعطى عطاء فاضلا *** ذا إخاء لم يكدره بمنّ

و إذا ما سنة مجدبة *** برت الناس كبري بالسفن(4)

ص: 242

1- البطال: الذي يهزل في حديثه.

2- لقس النفس: وصف من لقسست نفسه إذا غثت و خبثت.

3- الخائر: الذي غثت نفسه.

4- السفن (بالتحريك): كل ما يبري وينحت به، قال زهير: ضربا كنحت جذوع الأثل بالسفن

كان للناس ربيعا مغدقا *** ساقط الأكناف إن راح أرجحنّ (1)

نور شرق بين في وجهه *** لم يصب أثوابه لون الدرن

عروضه من الرمل. الشعر لموسى شهوات. و الغناء لمعبد خفيف ثقيل أول بإطلاق الوتر في مجرى البنصر عن إسحاق.

ص: 243

1- أرجحنّ: مال و اهتز.

38 - أخبار موسى شهوات و نسبه و خبره في هذا الشعر

نسبه و سبب لقبه:

هو موسى بن يسار(1) مولى قريش، و يختلف في ولاته فيقال: إنه مولى بني سهم، و يقال: مولى بني تيم بن مرة، و يقال: مولى بني عدي بن كعب؛ و يكنى أبا محمد، و شهوات لقب غلب عليه.

و حدّثني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال:

إنما لقب موسى شهوات لأنه كان سنّولا ملحفا، فكان كلّما رأى مع أحد شيئا يعجبه من مال أو متاع أو ثوب أو فرس(2)، تباكى، فإذا قيل له: ما لك؟ قال: أشتهي هذا؛ فسّمّي موسى شهوات. قال: و ذكر آخرون أنه كان من أهل أذربيجان و أنه نشأ بالمدينة و كان يجلب إليه القند(3) و السكر، فقالت له امرأة من أهله: ما يزال موسى يجيئنا بالشهوات؛ فغلبت عليه.

أخبرني الحرّميّ بن أبي العلاء قال حدّثنا الزّبير بن بكار قال:

كان محمد بن يحيى يقول: موسى شهوات مولى بني عديّ بن كعب، و ليس ذاك بصحيح، هو مولى تيم بن مرة. و ذكر عبد الله بن شبيب عن الحزاميّ: أنه مولى بني سهم.

و أخبرني وكيع عن أحمد بن أبي خيثمة عن مصعب و محمد بن سلام قال: موسى شهوات مولى بني سهم.

عشق جارية فأعطى بها عشرة آلاف درهم:

و أخبرني محمد بن الحسن(4) بن دريد قال حدّثنا أبو حاتم عن أبي عبيدة قال:

هو موسى شهوات جارية بالمدينة فاستهيم بها و ساوم مولاها فيها فاستام(5) بها عشرة آلاف درهم، فجمع كلّ ما يملكه و استماح إخوانه فبلغ أربعة آلاف درهم، فأتى إلى سعيد بن خالد العثمانيّ فأخبره بحاله و استعان به، و كان صديقه و أوثق الناس عنده، فدافعه(6) و اعتلّ عليه فخرج من عنده؛ فلما ولى تمثّل سعيد قول الشاعر:

كتبت إليّ تستهدي الجوّاري *** لقد أنعظت من بلد بعيد

ص: 244

1- كذا في «شرح القاموس» مادة (شهو) و قد صححه على هامش نسخته كذلك الأستاذ الشيخ محمد بن محمود الشنقيطي، و في الأصول: «بشار» و هو تحريف.

2- في ح «فرش» بالشين المعجمة.

3- القند: عسل تصب السكر إذا جمد.

4- كذا في س، و هو الصواب، و في باقي الأصول: «الحسين».

5- الاستيام بالشيء: ذكر ثمنه، تقول: استمت عليه بسلعتي إذا كنت أنت تذكر ثمنها، و تقول: استام مني بسلعتي إذا كان هو العارض

عليك الثمن.
6- دافعه: ماطله.

أتى سعيد بن خالد بن عبد الله بن أسيد يستعينه في ثمن الجارية فأعانه فمدحه:

فأتى سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فأخبره بقصته فأمر له بستة آلاف درهم، فلما قبضها ونهض قال له: اجلس، إذا ابتعتها بهذا المال وقد أنفدت كل ما تملك فبأي حال تعيشان! ثم دفع إليه ألفي درهم وكسوة وطيبا، وقال: أصلح بهذا شأنكما؛ فقال فيه:

أبا خالد أعني سعيد بن خالد *** أخا العرف لا أعني ابن بنت سعيد

ولكنني أعني ابن عائشة الذي *** أبو أبيه خالد بن أسيد

عقيد(1) الندي ما عاش يرضى به الندي *** فإن مات لم يرض الندي بعقيد

دعوه دعوه إنكم قد رقدتم *** و ما هو عن أحسابكم برقود

قتلت أناسا هكذا في جلودهم *** من الغيظ لم تقتلهم بحديد

رأى سعيد بن خالد العثماني في مدحه لسميه الذي أعانه هجوا له فشكاه:

قال: فشكاه العثماني إلى سليمان بن عبد الملك، فأحصر موسى وقال له: يا عاص كذا وكذا، أتهجو سعيد بن خالد! فقال: والله يا أمير المؤمنين ما هجوته و لكنني مدحت ابن عمه فغضب هو، ثم أخبره بالقصة؛ فقال للعثماني: قد صدق، إنما نسب من مدحه إلى أبيه ليعرف. قال: وكان سليمان إذا نظر إلى سعيد بن خالد بن عبد الله يقول: لعمرى والله ما أنت عن أحسابنا برقود.

وأخبرني محمد بن عبد الله اليزيدي قال حدثنا سليمان بن أبي شيخ/قال حدثنا مصعب بن عبد الله بهذا الحديث فذكر نحو ما ذكره أبو عبيدة وقال فيه:

و كان سعيد بن خالد هذا تأخذه الموتة(2) في كل سنة، فأرادوا علاجه، فتكلمت صاحبه على لسانه وقالت:

أنا كريمة بنت ملحان سيّد الجنّ، وإن عالجتموه قتلتموه، فوالله لو وجدت أكرم منه لهويته.

أخبرني وكيع عن أبي حمزة أنس بن خالد الأنصاري عن قبيصة بن عمر بن حفص المهلب عن أبي عبيدة قال حدثني الحارث بن سليمان الهجيمي(3)، - وهو أبو خالد بن الحارث المحدث - قال: وكان عنده رؤية بن العجاج، قال:

شهدت مجلس أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك و أتاه سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان، فقال:

يا أمير المؤمنين، أتيتك مستعديا، قال: و من بك؟ قال: موسى شهوات، قال: و ما له؟ قال: سمع(4) بي واستطال في عرضي، فقال: يا غلام، اعليّ بموسى فأتني به فأتني به، فقال: ويلك! أسمعته به واستطال في عرضه؟ قال:

ما فعلت يا أمير المؤمنين و لكنني مدحت ابن عمه فغضب هو، قال: و كيف ذلك؟ قال: علقت جارية لم يبلغ ثمنها

1- عقيد الندى: الكريم بطبعه.

2- الموتة: ضرب من الجنون و الصرع يعتري الإنسان فإذا أفق عاد إليه كمال عقله كالنائم و السكران.

3- كذا في «الخلاصة في أسماء الرجال» في اسم خالد بن الحارث، و في ب، س: «الجهيمي» بتقديم الجيم على الهاء، و في سائر النسخ «المجيمي» و كلاهما تحريف.

4- سمع به في الناس: شهّره و فضحه.

جدتي (1)، فأتيته و هو صديقي فشكوت إليه ذلك، فلم أصب عنده شيئاً، فأتيت ابن عمّه سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد فشكوت إليه ما شكوته إلى هذا، فقال: تعود إليّ، فتركته ثلاثاً ثم أتيته فسهّل من إذني، فلما استقرّ بي المجلس قال: يا غلام، قل لقيمتي: هاتي وديعتي، ففتح بابا بين بيتين وإذا بجارية، فقال لي: أ هذه بغيتك (2)؟ قلت: نعم فذاك أبي و أمّي! قال: اجلس ثم قال: يا غلام، قل لقيمتي: هاتي ظبية (3) نفقتي، فأتي بظبية فنثرت بين يديه فإذا فيها مائة دينار ليس فيها غيرها فردّت في الظبية، ثم قال: عتيدة (4) طيبي، فأتي بها، فقال:

ملحفة (5) فراشي، فأتي بها، فصيرّ ما في الظبية و ما في العتيدة في حواشي الملحفة، ثم قال: شأنك بهواك و استعن بهذا عليه؛ فقال له سليمان بن عبد الملك: فذلك حين تقول ما ذا؟ قال: قلت:

ذكر طائفة من أبيات القصيدة التي مدح بها سعيد بن خالد:

أنا خالد أعني سعيد بن خالد *** أخا العرف لا أعني ابن بنت سعيد

و لكنني أعني ابن عائشة الذي *** أبو أبو به خالد بن أسيد

عقيد الندى ما عاش يرضى به الندى *** فإن مات لم يرض الندى بعقيد

دعوه دعوه إنكم قد رقدتم *** و ما هو عن أحسابكم برقود

فقال سليمان: عليّ يا غلام بسعيد بن خالد، فأتي به، فقال: أحقّ ما وصفك به موسى؟ قال: و ما ذاك يا أمير المؤمنين؟ فأعاد عليه، فقال: قد كان ذلك/يا أمير المؤمنين، قال: فما طوّقتك هذه الأفعال؟ قال: دين ثلاثين ألف دينار؛ فقال له: قد أمرت لك بمثلها و بمثلها و بمثلها و بنثل مثلها، فحملت إليه مائة ألف دينار؛ قال:

فلقيت سعيد بن خالد بعد ذلك فقلت له: ما فعل المال الذي وصلك به سليمان؟ قال: ما أصبحت و الله أملك منه إلا خمسين ديناراً؛ قلت: ما اغتاله؟ قال: خلّة (6) من صديق أو فاقه من ذي رحم.

أخبرني وكيع قال حدّثنا أحمد بن أبي خيثمة عن مصعب الزبيريّ و محمد بن سلام قال:

عشق موسى شهوات جارية (7) بالمدينة فأعطى بها عشرة آلاف درهم؛ ثم ذكر باقي الحديث مثل حديث سليمان بن أبي شيخ؛ وقال/و فيه: أما و الله لئن مدحته و هو سميّك و أبوه سميّك و لم أفرّق بينكما ليقولن للناس:

أ هذا أم هذا، و لكن و الله لأقولنّ قولاً لا يشكّ فيه. و تمام هذه الأبيات التي مدح بها سعيداً بعد الأربعة المذكورة منها:

فدى للكريم العشميّ ابن خالد *** بنيّ و ما لي طارفي و تليدي

على وجهه تلقى الأيا من و اسمه *** و كلّ جوارى طيره بسعود

- 1- الجدة: اليسار و السعة.
- 2- البغية (بكسر الباء و ضمها): ما ابتغى، يقال: فلان بغيتي و عند فلان بغيتي أي طلبتي.
- 3- الظبية: حراب صغير من جلد ظبي.
- 4- العتيدة: الحقة يكون فيها طيب الرحل أو العروس.
- 5- الملحفة: الملاءة.
- 6- الخلة: الحاجة و الفقر.
- 7- في ح: «مغنية».

أبان و ما استغنى عن الثدي خيره *** أبان به في المهدي قبل قعود

دعوه دعوه إنكم قد رقدتم *** و ما هو عن أحسابكم برقود

ترى الجند و الجناب (1) يغشون بابه *** بحاجاتهم من سيّد و مسود

فيعطي و لا يعطى و يغشى و يجتدى *** و ما بابه للمجتدي بسديد

/قتلت أناسا هكذا في جلودهم *** من الغيظ لم تقتلهم بحديد

يعيشون ما عاشوا بغيظ و إن تحن *** مناياهم يوما تحن بحقود

فقل لبغاة العرف قد مات خالد *** و مات الندى إلا فضول سعيد

قال وكيع في خبره: أمّا قوله: «لا أعني ابن بنت سعيد» فإنّ أمّ سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان آمنة بنت سعيد بن العاصي، و عائشة أمّ عقيد الندى بنت عبد الله بن خلف الخزاعية أخت طلحة الطلحات، و أمّها صفية بنت الحارث بن طلحة بن أبي طلحة من بني عبد الدار بن قصي، و أمّ أبي (2) عقيد الندى رملة بنت معاوية بن أبي سفيان.

أخبرنا أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ و حبيب بن نصر المهلبيّ قالا حدّثنا عمر بن شبة قال:

لما أنشد موسى شهوات سليمان بن عبد الملك شعره في سعيد بن خالد قال له: أتفق اسماهما و اسما أبيهما، فتخوّفت أن يذهب شعري باطلا ففرّقت بينهما بأُمّهما، فأغضبه أن مدحت ابن عمّه، فقال له سليمان: بلى و الله لقد هجوته و ما خفي عليّ و لكنني لا أجد إليك سبيلا، فأطلقه.

عمل شعرا في مدح حمزة بن عبد الله بن الزبير و قبل معبد أن يغنيه له و يكون عطاؤه بينهما:

أخبرني وكيع قال حدّثني أحمد بن زهير قال حدّثنا محمد بن سلام قال حدّثنا محمد بن مسلمة الثقفيّ قال:

قال موسى شهوات لمعبد: أمدح حمزة بن عبد الله بن الزبير بأبيات و تغنيّ فيها و يكون ما يعطينا بيني و بينك؟ قال: نعم؛ فقال موسى:

/

حمزة المبتاع بالمال الثنا *** و يرى في بيعه أن قد غبن

فهو إن أعطى عطاء فاضلا *** ذا إحاء لم يكدره بمنّ

و إذا ما سنة مجحفة *** برت الناس كبري بالسفن

حسرت (3) عنه نقيّا عرضه *** ذا بلاء عند مخناها (4) حسن

نور صدق بين في وجهه *** لم يدنس ثوبه لون الدرن

كنت للناس ربيعا مغدقا *** ساقط الأكناف إن راح ارجح

ص: 247

-
- 1- الجناب: جمع جانب وهو الغريب.
 - 2- كذا صححه الأستاذ الشنقيطي بهامش نسخته، وفي الأصول: «وأم ابن عقيد الندى».
 - 3- حسرت: كشفت.
 - 4- مخناها: مصدر ميمي من أخنى أي أهلك.

قال أحمد بن زهير: و أول هذه القصيدة عن غير ابن سلام:

شاقني اليوم حبيب قد ظعن *** ففؤادي مستهام مرتهن

/إن هندا تيمتني حقبة *** ثم بانت وهي للنفس شجن

فتنة ألحقها الله بنا *** عائذ بالله من شرّ الفتن

عارض فاطمة بنت الحسين لما زفت إلى عبد الله بن عمرو بشعر فأجيز:

أخبرني حبيب بن نصر المهلبّي قال حدّثنا عمر بن شبة قال أخبرني الطّليحي قال أخبرني عبد الرحمن بن حمّاد عن عمران بن موسى بن طلحة قال:

لما زفّت فاطمة بنت الحسين رضوان الله عليه إلى عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفّان، عارضها(1) موسى شهوات:

طلحة الخير جدّكم *** ولخير الفواطم

أنت للطاهرات من *** فرع تيم و هاشم

أرتجيكم لنفعمكم *** و لدفع المظالم

فأمر له بكسوة و دنانير و طيب.

هجا داود بن سليمان لما تزوّج فاطمة بنت عبد الملك:

قال حدّثنا الكرائيّ قال حدّثنا العنزّي عن العتبّي قال:

كانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز، فلما مات عنها تزوّجها داود بن سليمان بن مروان و كان قبيح الوجه، فقال في ذلك موسى شهوات:

أبعد الأعرّ ابن عبد العزيز *** قريع(2) قريش إذا يذكر

تزوّجت داود مختارة *** ألا ذلك الخلف الأعور(3)

فكانت إذا سخطت عليه تقول: صدق و الله موسى، إنك لأنت الخلف الأعور، فيشتمه داود.

مدح يزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية فأجازه:

أخبرني عمّي قال حدّثنا الكرائيّ قال حدّثنا العمريّ عن لقيط قال:

أقام موسى شهوات ليزيد بن خالد بن يزيد بن معاوية على بابه بدمشق، و كان فتى جوادا سمحا، فلما ركب وثب إليه فأخذ بعنان دابّته، ثم

قال:

قم فصوت إذا أتيت دمشقاً: *** يا يزيد بن خالد بن يزيد

ص: 248

-
- 1- كذا في الأصول، والمراد أنه اعترضها في سيرها و مدحها بهذا الشعر.
 - 2- القريع: السيد و الرئيس، يقال: فلان قريع الكتبية أي رئيسها.
 - 3- الأعور: الرديء من كل شيء، و يقال على الضعيف الجبان البليد الذي لا خير فيه.

يا يزيد بن خالد إن تجبني *** يلقني طائري بنجم السعود

فأمر له بخمسة آلاف درهم وكسوة، وقال له: كلما شئت فنادنا نجيك.

زَوْج بنت داود ابن أبي حميدة فلما سئل عن جلوتها قال شعرا:

أخبرنا وكيع قال حدّثني أحمد بن زهير قال حدّثنا مصعب الزبيري قال:

زوّج موسى شهوات بنت مولى لمعن بن عبد الرحمن بن عوف يقال له: داود بن أبي حميدة، فلما جلّيت (1) عليه قال داود: ما للجلوة؟ فأنشأ يقول:

/

تقول لي النساء غداة تجلى *** حميدة يا فتى للجلء

فقلت لهم سمرقند (2) و بلخ (3) *** و ما بالصين من نعم (4) و شاء (5)

أبوها حاتم إن سيل خيرا *** و ليث كريهة عند اللقاء

هجا أبا بكر بن عبد الرحمن حين حكم عليه و مدح سعيد بن سليمان:

أخبرني وكيع قال حدّثنا أحمد بن زهير قال حدّثنا مصعب قال:

قضى أبو بكر بن عبد الرحمن بن أبي سفيان بن حويطب على موسى شهوات بقضيّة، و كان خالد بن عبد الملك (6) استقضاه في أيام هشام بن عبد الملك، فقال موسى يهجو:

وجدتك فهّا (7) في القضاء مخلّطا (8) *** فقدتك من قاض و من متأمر

/ فذع عنك ما شيدته ذات رخة (9) *** أذى الناس لا تحشرهم كلّ محشر

ثم ولي القضاء سعيد بن سليمان بن زيد (10) بن ثابت الأنصاري، فقال يمدحه:

من سرّه الحكم صرفا لا مزاج له *** من القضاة و عدل غير مغموز

فليأت دار سعيد الخير إنّ بها *** أمضى على الحقّ من سيف ابن جرموز (11)

ص: 249

1- يقال: جلّيت العروس على زوجها جلوة (بتثليث الجيم) و جلء (بكسر الجيم) إذا عرضت عليه مجلّوة، و الجلوة (بالكسر): ما تعطاه العروس عند جلّائها.

- 2- سمرقند: مدينة عظيمة و هي عاصمة الصغد مبنية جنوبي وادي الصغد، قيل: هي من أبنية ذي القرنين.
- 3- بلخ: مدينة مشهورة بخراسان.
- 4- النعم: الإبل.
- 5- الشاء: الغنم.
- 6- هو خالد بن عبد الملك بن الحارث بن الحكم ولي المدينة لهشام بن عبد الملك.
- 7- الفه: العبيّ.
- 8- يقال: خلط في كلامه إذا هذى.
- 9- كذا في الأصول و لم نوفق إلى استجلاء ما غمض من معناه.
- 10- كذا صححه الأستاذ الشيخ الشنقيطي على هامش نسخته، وفي الأصول: «يزيد» و هو تحريف.
- 11- هو عمرو بن جرموز قاتل الزبير بن العوّام رضي الله عنه.

هجاؤه سعد بن إبراهيم والي المدينة:

قال: و كان سعد بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن عوف، قد ولي المدينة واشتدّ على السفهاء والشعراء والمغنين، ولحق موسى شهوات بعض ذلك منه، و كان قبيح الوجه، فقال موسى يهجوهُ:

/

قل لسعد وجه العجوز لقد كن *** ت لما قد (1) أوتيت سعدا مخيلا (2)

إن تكن ظالما جهولا فقد كا *** ن أبوك الأدنى ظلوما جهولا

وقال يهجوهُ:

لعن الله و العباد تطيط (3) ال *** وجه لا يرتجى قبيح (4) الجوار

يتقي الناس فحشه و أذاه *** مثل ما يتقون بول الحمار

لا تغرّك سجدة بين عيني *** ه حذار (5) منها و منه حذار

إنها سجدة بها يخدع النا *** س، عليها من سجدة بالذّبار (6)

مدح عبد الله بن عمرو بن عثمان حين نفضه بعبطة:

أخبرني عمّي قال أخبرني ثعلب عن عبد الله بن شبيب قال:

ذكر الحزاميّ (7) أنّ موسى شهوات سأل بعض آل الزبير حاجة فدفعه عنها، و بلغ ذلك عبد الله بن عمرو بن عثمان، فبعث إليه بما كان التمسّه من الزبيريّ من غير مسألة؛ فوقف عليه موسى و هو جالس في المسجد، ثم أنشأ يقول:

ليس فيما بدا لنا منك عيب *** عابه الناس غير أنك فاني

أنت نعم المتاع لو كنت تبقى *** غير أن لا بقاء للإنسان

/و الشعر المذكور فيه الغناء، يقوله موسى شهوات في حمزة بن عبد الله بن الزبير، و كان فتى كريما جوادا على هوج كان فيه، و ولّاه أبوه العراقيين و عزل مصعبا لما تزوّج سكينه بنت الحسين رضي الله عنه و عائشة بنت طلحة و أمهر كلّ واحدة منهما ألف ألف درهم.

سبب عزل ابن الزبير لأخيه مصعب عن البصرة و توليته ابنه حمزة:

أخبرني أحمد بن عبيد الله بن عمّار قال حدّثنا سليمان بن أبي شيخ عن مصعب الزبيريّ، و أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة، و أخبرني عبيد الله بن محمد الرّازي و الحسين بن علي: قال عبيد الله حدّثنا أحمد بن الحارث عن المدائنيّ، و قال الحسين حدّثنا الحارث بن أبي أسامة عن المدائنيّ عن أبي محنف:

- 1- كذا في ب، س. وفي أ، م، ح، ء: «لما أتيت» بغير «قد» و البيت لا يتزن بغيرها، وفي جميع النسخ «أتيت» و الصواب ما رجحناه.
- 2- كذا في ب، س، ح، وفي أ، م، ء: «بخيلا».
- 3- ثطيط تصغير ثط، و الثط و الأثط: الكوسج و هو الذي عرى وجهه من الشعر إلا طاقات في أسفل حنكه. وفي أ، ء، م: «قبيح الوجه».
- 4- في أ، م، ء: «شطيط» و لم نجد فعيلًا و صفا من هذه المادة.
- 5- دخل على هذا الشطر «الكف» و هو حذف الساكن السابع من «فاعلاتن الأولى».
- 6- الدبار: الهلاك و العفاء، و الظاهر أن الباء زائدة.
- 7- كذا في أ، ء، م، وفي باقي النسخ «الحرامي» بالراء المهملة، و هو تحريف.

أن أنس بن زعيم الليثي كتب إلى عبد الله بن الزبير:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة *** من ناصح لك لا يريك خداعا

بضع (1) الفتاة بألف ألف كامل *** وتبيت قادات الجيوش جياعا

لو لأبي (2) حفص أقول مقاتلي *** وأبث ما أبثتكم لارتاعا

فلما وصلت الأبيات إليه جزع ثم قال: صدق والله، لو لأبي حفص يقول: إن مصعبا تزوج امرأتين بألفي ألف درهم لارتاع، إننا بعثنا مصعبا إلى العراق فأغمد سيفه و سلّ أيره و سنعزله، فدعا بابنه حمزة، و أمه بنت منظور بن زبّان الفزاريّ و كان لها منه محلّ لطيف، فولّاه البصرة و عزل مصعبا. فبلغ قوله عبد الملك في أخيه مصعب، فقال:

لكنّ أبا خبيب أغمد سيفه و أيره و خيره.

عزل ابن الزبير ابنه حمزة لهوجه و حمقه:

و أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهريّ قال حدّثنا عمر بن شبة قال: هذه الأبيات لعبد الله بن همّام (3) السلوليّ.

قالوا جميعا: فلما ولي ابنه حمزة البصرة أساء السّيرة و خلّط تخليطا شديدا، و كان جوادا شجاعا أهوج، فوفدت إلى أبيه الوفود في أمره، و كتب إليه الأحنف بأمره و ما ينكره الناس منه و أنه يخشى أن تقسد عليه طاعتهم؛ فعزله عن البصرة.

أخبرني أحمد بن عبد العزيز قال حدّثنا المدائنيّ قال:

لما قدم حمزة بن عبد الله البصرة واليا عليها، و كان جوادا شجاعا مخلّطا: يجود أحيانا حتى لا يدع شيئا يملكه إلا وهبه و يمنع أحيانا ما لا يمنع من مثله، فظهرت منه بالبصرة خفّة و ضعف. و ركب يوما إلى فيض (4) البصرة، فلما رآه قال: إن هذا الغدير إن رفقوا به ليكفيّتهم صيفتهم هذه، فلما كان بعد ذلك ركب إليه فوافقته جازرا (5) فقال: قد رأيت ذات يوم فظننت أن لن يكفيهم؛ فقال له الأحنف: إن هذا ماء يأتينا ثم يغيض عتّا ثم يعود. و شخص إلى الأهواز فرأى جبلها، فقال: هذا قعيقعان - و قعيقعان: جبل بمكّة - فللقب ذلك الجبل بقعيقعان.

قال أبو زيد: و حدّثني غير المدائنيّ أنه سمع بذكر الجبل بالبصرة، فدعا بعامله فقال له: ابعث فأتنا بخراج الجبل؛ فقال له: إن الجبل ليس ببلد فأتيك بخراجه. و بعث إلى مردانشاه فاستحثّه بالخراج فأبطأ به، فقام إليه بسيفه فقتله؛ فقال له/الأحنف: ما أحد سيفك أيها الأمير! و همّ بعد العزيز بن شبيب (6) بن خياط أن يضربه بالسّياط؛

ص: 251

1- بضع: نكح.

2- دخل على هذا الشطر «الوقص» و هو ما سكن ثانيه المتحرك و ذهب رابعه الساكن من «متفاعلن».

3- في الأصول: «هشام» و هو تحريف.

4- فيض البصرة: نهرها.

5- جازرا: من الجزر و هو نقصان مائه، و ضدّه «المد» و هو زيادته.

6- في «تاريخ الطبري» (طبع مدينة ليدن - القسم الثاني ص 752). وفي ابن الأثير ص 255 ج 4 «بعبد العزيز بن بشر». وقد ورد في الطبري في قسم 2 ص 802 هذا الاسم هكذا «عبد العزيز بن بشر بن حياط»، وفي ح: «بن بشير بن حياط» بالحاء المهملة. وفي أ، م، ء: «بن شبيب بن حياط» بالحاء المهملة أيضا.

فكتب(1) إلى ابن الزبير بذلك وقال له: إذا كانت لك بالبصرة حاجة فاصرف ابنك عنها و أعد إليها مصعبا؛ ففعل ذلك. وقال بعض الشعراء يهجو حمزة و يعيبه بقوله في أمر الماء الذي رآه قد جزر:

يا بن الزبير بعثت حمزة عاملا *** يا ليت حمزة كان خلف عمان

أزرى بدجلة حين عبّ عبابها *** و تقاذفت بزواجر الطوفان

نثار النوار من الفرزدق و التجاؤها لابن الزبير و شفاعته الفرزدق بابنه حمزة:

أخبرني هاشم بن محمد الخزاعي قال حدّثنا أبو غسان دماذ عن أبي عبيدة قال:

خطب النّوار ابنة أعين المجاشعيّة رجل من قومها، فجعلت أمرها إلى الفرزدق، و كان ابن عمها دنية(2)، ليزوّجها منه، فأشهد عليها بذلك و بأنّ أمرها إليه شهودا عدولا؛ فلما أشهدتهم على نفسها قال لهم الفرزدق: فإني أشهدكم أنّي قد تزوّجتها، فمنعته النّوار نفسها و خرجت إلى الحجاز إلى عبد الله بن الزبير، فاستجارت بامرأته بنت منظور بن زبّان، و خرج الفرزدق فعاذ بابنه حمزة، و قال يمدحه:

يا حمز هل لك في ذي حاجة، غرضت(3) *** أنصأوه بمكان(4) غير ممطور

/فأنت أولى قريش أن تكون لها *** و أنت بين أبي بكر و منظور

/فجعل أمر النّوار يقوى و أمر الفرزدق يضعف؛ فقال الفرزدق في ذلك:

أمّا بنوه فلم تنفع شفاعتهم *** و شفّعت بنت منظور بن زبّانا

ليس الشفيع الذي يأتيك مؤتزرا(5) *** مثل الشفيع الذي يأتيك عريانا

فبلغ ابن الزبير شعره، و لقيه على باب المسجد و هو خارج منه فضغط حلقه حتى كاد يقتله، ثم خلاه و قال:

لقد أصبحت عرس الفرزدق ناشزا(6) *** و لو رضيت رمح(7) استه لاستقرت

ثم دخل إلى النّوار فقال لها: إن شئت فرقت بينك و بينه ثم ضربت عنقه فلا يهجونا أبدا، و إن شئت أمضيت نكاحه فهو ابن عمك و أقرب الناس إليك، و كانت امرأة صالحة، فقالت: أو ما غير هذا؟ قال: لا؛ قالت: ما أحبّ أن يقتل و لكنني أمضي أمره فلعلّ الله أن يجعل في كرهه إياه خيرا؛ فمضت إليه و خرجت معه إلى البصرة.

غنى معبد حمزة بن عبد الله بشعره فأجازه:

أخبرني الحسين بن يحيى و محمد بن يزيد بن أبي الأزهر قالوا حدّثنا حمّاد بن إسحاق عن أبيه عن الزبير:

أن حمزة بن عبد الله كان جوادا، فدخل إليه معبد يوما و قد أرسله ابن قطن مولاه يقترض له من حمزة ألف

- 1- في «تاريخ الطبري» قسم 2 ص 752 «كتب الأحنف».
- 2- يقال: هو ابن عم دنية أي لاصق النسب.
- 3- في الأصول «عرضت» وقد صححها الأستاذ الشنقيطي كما أثبتناه. و«عرضت»: ملّت وضجرت.
- 4- كذا في «الأغاني» في ترجمة الفرزدق (ج 19 ص 11 طبعة بولاق) وفي الأصول هنا: «ببلاد» وهو لا يتفق مع الوصف.
- 5- كذا في «ديوان» الفرزدق، وفي الأصول: «متزرا» بالإدغام. وإدغام الهمزة في تاء الافتعال بعضهم يجيزه والأكثر على منعه.
- 6- في رواية أخرى: ألا تلکم عرس الفرزدق جامحا
- 7- يريد بقوله «رمح اسنه»: طعنه في دبره ورفسه بالأرجل، وهذا كناية عن امتهانه واحتقاره، و الرمح: الضرب بالرجل.

دينار فأعطاه ألف الدينار، فلما خرج من عنده قيل له: هذا عبد ابن قطن و هو يروي فيك شعر موسى شهوات فيحسن/روايته، فأمر برده فردّ، و قال له ما حكاه القوم عنه، فغناه معبد الصوت فأعطاه أربعين ديناراً؛ و لما كان بعد ذلك ردّ ابن قطن عليه المال فلم يقبله، و قال له: إنه إذا خرج عتيّ مال لم يعد إلى ملكي. و قد روي أنّ الداخل على حمزة و المخاطب في أمره بهذه المخاطبة(1) ابن سريج، و ليس ذلك بثبت، هذا هو الصحيح، و الغناء لمعبد.

أنشد حمزة بن عبد الله شعرا و غناه إياه معبد فأجازهما:

أخبرني إسماعيل بن يونس الشيعيّ قال حدّثنا عمر بن شبة عن محمد بن يحيى الغسانيّ:

أن موسى شهوات أملق، فقال لمعبد: قد قلت في حمزة بن عبد الله شعرا فغنّ فيه حتى يكون أجزل لصلتنا؛ ففعل ذلك معبد و غنّي في هذه الأبيات، ثم دخلا على حمزة فأنشده إياها موسى ثم غناه فيها معبد، فأمر لكل واحد منهما بمائتي دينار.

كان من شعراء الحجاز و كان خلفاء بني أمية يحسنون إليه:

أخبرني محمد بن خلف بن المرزبان قال حدّثنا أحمد بن الهيثم بن فراس قال حدّثنا العمريّ عن الهيثم بن عبد الله عن عبد الله بن عيّاش قال:

كان موسى شهوات مولى لسليمان بن أبي خيثمة بن حذيفة العدويّ، و كان شاعرا من شعراء أهل الحجاز، و كان الخلفاء من بني أمية يحسنون إليه و يدرون عطاءه و تحيئه صلاتهم إلى الحجاز.

هجا داود بن سليمان بن مروان الذي تزوّج فاطمة بنت عبد الملك بعد وفاة زوجها عمر بن عبد العزيز:

و كانت فاطمة بنت عبد الملك بن مروان تحت عمر بن عبد العزيز، فلما مات عنها تزوّجها داود بن سليمان بن مروان و كان دميما قبيحا، فقال موسى شهوات في ذلك:

أبعد الأغرّ ابن عبد العزيز *** قريع قريش إذا يذكر

تزوّجت داود مختارة *** ألا ذلك الخلف الأعور

فغلب عليه ذلك في بني مروان، فكان يقال له: الخلف الأعور.

صوت من المائة المختارة

عوجا خليلي على المحضر(2) *** و الربيع من سلامة المقفر

عوجا به فاستنطقاه فقد *** ذكّرتني ما كنت لم أذكر

ذكّرتني سلمى و أيامها *** إذ جاورتنا بلوى عسجر(3)

- 1- في م: «والمخاطب في هذه المخاطبة».
- 2- المحضر: المنهل الذي يجتمع القوم فيه ويحضرون عليه (انظر الحاشية رقم 1 من ص 395 ج 2 أغاني من هذه الطبعة).
- 3- عسجر: موضع قرب مكة. قال ياقوت في الكلام عليه بعد أن تكلم عن عسجد: «ولعله الذي قبله غير في قافية شعر» يريد «عسجدا» بالبدال المهملة. وقد قال في الكلام عن عسجد إنه اسم موضع بعينه، واستشهد له بقول رزاح بن ربيعة العذري:

بالربع من ودّان مبدا(1) لنا *** و محورا ناهيك من محور

في محضر كُتبا به نلتقي *** يا حَبذا ذلك من محضر

إذ نحن والحيّ به جيرة *** فيما مضى من سالف الأعصر

الشعر للوليد بن يزيد، وقيل: إنه لعمر بن أبي ربيعة، وقيل: إنه للعرجي، وهو للوليد صحيح، والغناء واللحن المختار لابن سريج خفيف رمل بالبنصر في مجراها، وفيه لشارية(2) خفيف رمل آخر عن ابن المعتز، وذكر الهشامي أنّ فيه لحكم الواديّ خفيف رمل أيضا.

عتب عمرو بن عثمان على زوجه سكينه بنت الحسين فأرسلت إليه أشعب:

إشارة

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه عن المدائني قال:

كان زيد بن عمرو بن عثمان قد تزوّج سكينه بنت الحسين رضي الله تعالى عنه، فعتب عليها يوما، فخرج إلى مال له، فذكر أشعب أن سكينه دعتة فقالت/له: إن ابن عثمان خرج عاتبا عليّ فاعلم لي حاله، قلت: لا أستطيع أن أذهب إليه الساعة، فقالت: أنا أعطيك ثلاثين دينارا، فأعطتني إياها فأتيته ليلا دخلت الدار، فقال: انظروا من في الدار، فأتوه فقالوا: أشعب، فنزل عن فرشه و صار إلى الأرض فقال: أشعيب(3)؟ قلت: نعم، قال: ما جاء بك؟ قلت: أرسلتني سكينه لأعلم خبرك، أتذكّرت منها ما تذكّرت منك؟ وأنا أعلم أنك قد فعلت حين نزلت عن فرشك و صرت إلى الأرض، قال: دعني من هذا و غنّني:

عوجا به فاستنطقاه فقد *** ذكّرني ما كنت لم أذكر

فغنّيته فلم يطرب، ثم قال: غنّني ويحك غير هذا، فإن أصبت ما في نفسي فلك حلّتي هذه وقد اشتريتها أنفا بثلاثمائة دينار، فغنّيته:

صوت

علق القلب بعض ما قد شجاه *** من حبيب أمسى هوانا هواه

ما ضراري نفسي بهجران(4) من لي *** س مسينا ولا بعيدا نواه

واجتباي بيت الحبيب و ما الخل *** د بأشهى إليّ من أن أراه

فقال: ما عدوت ما في نفسي، خذ الحلّة، فأخذتها و رجعت إلى سكينه فقصصت عليها القصّة، فقالت: و أين الحلّة؟ قلت: معي، فقالت: و أنت الآن تريد أن تلبس حلّة ابن عثمان! لا والله و لا كرامة! فقلت: قد أعطانيها، فأبي شيء تريد منّي! فقالت: أنا اشتريتها منك، فبعثها إياها بثلاثمائة دينار.

- 1- المبدأ هنا: المبدأ سهلت همزته، أي المبتدأ، الذي كنا نبتدئ منه في الذهاب، و محورا أي مرجعا نرجع إليه.
- 2- في أ، ء، م: «لسارية» بالسین المهملة.
- 3- شعيب: تصغير «أشعب» كما يقال في تصغير «أسود» «سويد»، ويسمى هذا «تصغير الترخيم».
- 4- في ح: «بهجرة من» (انظر الحاشية رقم 3 ص 128 ج 1 «أغاني» من هذه الطبعة).

/الشعر المذكور في هذا الخبر لعمر بن أبي ربيعة، والغناء للدارمي خفيف ثقيل بالخنصر في مجرى الوسطى، وذكر عمرو بن بانه أنه للهذلي، وفيه لابن جامع ثاني/ثقيل بالوسطى.

غاضب رجل جارية كان يهواها فغنت مغنية من شعره فاصطلحا:

أخبرني الحسين بن يحيى عن حماد عن أبيه أن رجلا كانت له جارية يهواها و تهواه فغاضبها يوما و تمادى ذلك بينهما، و اتفق أن مغنية دخلت فغنتهما:

ما ضراري نفسي بهجران من لي *** س مسيئا و لا بعيدا نواه

فقال الجارية: لا شيء و الله إلا الحمق، ثم قامت إلى مولاهما فقبلت رأسه و اصطلحا.

صوت من المائة المختارة

يا ويح نفسي لو أنه أقصر (1) *** ما كان عيشي كما أرى أكر

يا من عذيري ممن كلفت به *** يشهد قلبي بأنه يسحر

يا ربّ يوم رأيتني مرحا *** آخذ في اللهو مسبل المنزر

بين ندامى تحثّ كأسهم *** عليهم كفّ شادن (2) أحور

الشعر لأبي العتاهية و الغناء لفريدة خفيف رمل بالبنصر.

إلى هنا انتهى الجزء الثالث من كتاب الأغاني و يليه إن شاء الله تعالى الجزء الرابع منه، و أوله:

ذكر نسب أبي العتاهية و أخباره سوى ما كان منها مع عتبة

ص: 255

1- أقصر فلان عن الشيء: كف عنه و انتهى.

2- الشادن من أولاد الطباء: الذي قد قوي و طلع قرناه و استغنى عن أمه. و الأحور: أن يكون البياض في العين محدقا بالسواد كله، و إنما يكون هذا في البقر و الطباء ثم يستعار للناس. (انظر في «اللسان» مادتي شدن و حور).

فهرس موضوعات الجزء الثالث

الموضوع الصفحة

ذكر قيس بن الخطيم وأخباره ونسبه 5

ذكر طويس وأخباره 21

ذكر الدارميّ وخبره ونسبه 33

أخبار هلال ونسبه 38

أخبار عروة بن الورد ونسبه 52

ذكر ذي الإصبع العداونيّ ونسبه وخبره 63

ذكر قيل مولى العبلات 78

خبر غريض اليهوديّ 82

ذكر ورقة بن نوفل ونسبه 84

خبر زيد بن عمرو ونسبه 87

أخبار ابن صاحب الوضوء ونسبه 93

أخبار بشار بن برد ونسبه 91

أخبار يزيد حوراء 171

أخبار عكاشة العميّ ونسبه 175

أخبار عبد الرحيم الدفاف ونسبه 182

أخبار الحادرة الثعلبيّ ونسبه 184

أخبار ابن مسجح ونسبه 188

أخبار ابن المولى ونسبه 195

أخبار عطرد ونسبه 208

أخبار الحارث بن خالد المخزومي ونسبه 213

أخبار الأبيجر ونسبه 235

أخبار موسى شهوات ونسبه 240

فهرس الموضوعات 257

ص: 257

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
جَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ
(التوبة : 41)

منذ عدة سنوات حتى الآن ، يقوم مركز القائمة لأبحاث الكمبيوتر بإنتاج برامج الهاتف المحمول والمكتبات الرقمية وتقديمها مجاناً. يحظى هذا المركز بشعبية كبيرة ويدعمه الهدايا والندور والأوقاف وتخصيص النصيب المبارك للإمام عليه السلام. لمزيد من الخدمة ، يمكنك أيضاً الانضمام إلى الأشخاص الخيريين في المركز أينما كنت.

هل تعلم أن ليس كل مال يستحق أن ينفق على طريق أهل البيت عليهم السلام؟
ولن ينال كل شخص هذا النجاح؟
تهانينا لكم.

رقم البطاقة :

6104-3388-0008-7732

رقم حساب بنك ميلا:

9586839652

رقم حساب شيبا:

IR390120020000009586839652

المسمى: (معهد الغيمية لبحوث الحاسوب).

قم بإيداع مبالغ الهدية الخاصة بك.

عنوان المكتب المركزي :

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اي، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم 129، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الإلكتروني : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزي 03134490125

هاتف المكتب في طهران 021 - 88318722

قسم البيع 09132000109 شؤون المستخدمين 09132000109.

مركز
الغمامة
اصبحان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

